

المناهج الدعوية للأنباء

من خلال سورة هود

الشيخ الدكتور / حسين محمد عامر



الولايات المتحدة الأمريكية

الجامعة الإسلامية بمنيسيوتا

عمادة الدراسات العليا

كلية/ الدراسات الإسلامية

قسم / الدعوة والثقافة الإسلامية

"المناهج الدعوية للأنبياء من خلال سورة هود"

(قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة "الدكتوراه")

في الدراسات الإسلامية / تخصص الدعوة والثقافة الإسلامية)

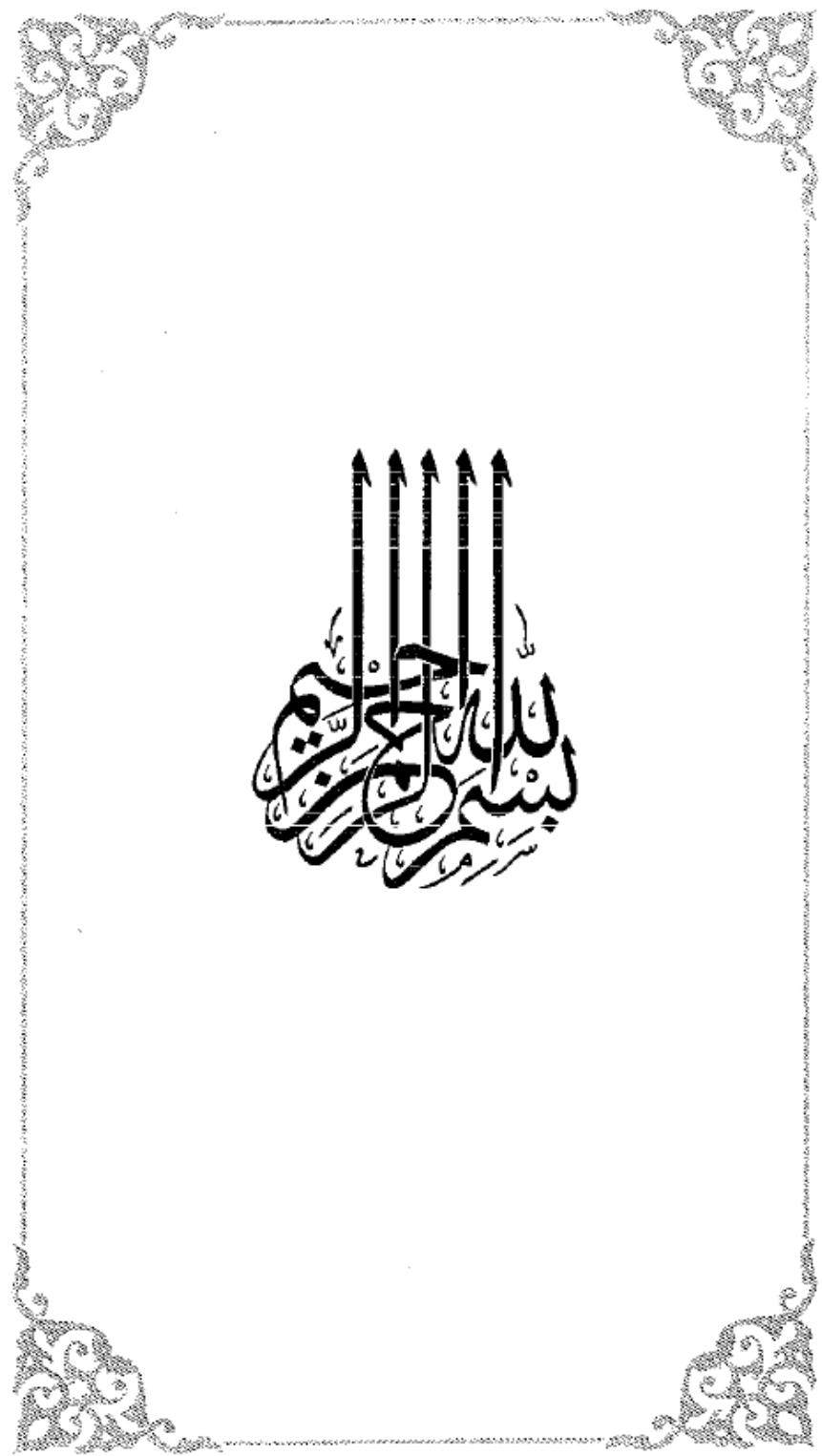
إعداد الطالب

حسين محمد أمين عامر

إشراف

الدكتور / محمد سيد مكي

العام الجامعي 1445هـ/2023





إهداه

أهدى هذه الرسالة لوالدي -رحمه الله-

ولوالدي بارك الله في عمرها، عرفانا بالجميل،

ولزوجتي العزيزة؛ التي كانت وما زالت خير عون لي،

ولأولادي؛ أسائل الله أن يبارك فيهم جميعاً،

ولمشايخي، وأساتذتي الذين دعموني خلال مسيرتي
العلمية، وشجعوني لإتمام هذا العمل؛ فجزاهم الله عنـي

خيراً

الباحث

حسين عامر

شكراً وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل أولاً إلى الله - تبارك وتعالى - ذي المنة والفضل، الذي
أعانني على كتابة هذا البحث، وأشكر من بعده كل من أعانني على إتمامه
وأخصُّ مشرف البحث:

الدكتور (محمد سيد مكي)

ولأنسى أن أتقدم بالشكر والثناء إلى أساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة
المناقشة الذين تحملوا عناء قراءة هذه الرسالة راجياً أن يكون تصويباتهم
الدقيرة، وملحوظاتهم العلمية الأثر الكبير في إخراج هذه الرسالة بالصورة
المرضية.

ملخص الرسالة

يهدف هذا البحث إلى استنباط المناهج الدعوية لعدد من الأنبياء من خلال سورة هود، والتي احتوت على قصص كوكبة مباركة من الأنبياء وهم أنبياء الله: (نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، وخاتمهم محمد -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-)

هؤلاء السبعة الكرام كانت لهم أساليب عده في دعوة أقوامهم، ما بين الاعتماد على العاطفة: بإظهار الود واللين لقومهم، والترغيب والترهيب، والتذكير بنعم الله عليهم، وأنه لا يقبل منهم أن يتمتعوا بالنعم ويكرفروا بالمنع -جل وعلا-، وهو ما يعرف عند علماء الدعوة بالمنهج العاطفي.

ومنها ما يعتمد على إعمال العقل: بالاستفهام لتحفيز العقول للتفكير الصحيح، وعدم البقاء تحت أسر تقليد الآباء، والجmod على العادات والتقاليد وإن كانت باطلة، وكذلك الجدال لإظهار الحق الذي جاء به أي نبي من الأنبياء الله - عليهم السلام-، ورد الشبهات التي يرددوها المتكبرون، والمعاندون خاصة من الملا الذين يرون أن الرسل قد جاؤوا لإزالة الباطل الذي ينتفعون ببقاءه، والحوار الذي يعتمد على الوضوح والسلامة في البيان، وانتقاء الألفاظ، والقوة في إظهار الحق، وهذا ما يعرف عند علماء الدعوة بالمنهج العقلي.

ومنها ما يعتمد على الحس والإدراك، كالمعجزات والأيات البينات التي يظهرها الله على يد نبي من الأنبياء، أو الحث على الاعتبار بالسابقين، أو تطبيق الرسول للمنهج الذي جاء به، ليكون قدوة لقومه، أو من خلال تغيير المنكر باليدي، ليرى الجميع كيف يكون إزالة المنكرات التي تسخط الله، وهذا ما يعرف عند علماء الدعوة بالمنهج الحسي.

إن طريق الدعوة طريق شاق وصعب يحتاج أولاً للاستعانة بالله، وصدق الجوء إليه دائماً، ثم الصبر وسعة الصدر، والحكمة في التعامل مع المدعويين، والتحلي بالحلم والأناة، وعلو الهمة في الدعوة إلى الله.

أسأل الله أن يديم علينا نعمة الإسلام، وأن يشرفنا بالدعوة إلى الله حتى يقبحنا إليه غير مفرطين ولا مضيعين، اللهم آمين.

Summary of the thesis

This research aims at extracting the preaching approaches of many prophets by examining Surah Hud, which contains stories of a blessed group of prophets who are the prophets of Allah: Noah, Hud Saleh, Lot, Shu'aib, Musa, and the seal of prophets, Muhammad - peace and blessings be upon them all -.

These seven honorable prophets had several approaches in preaching to their people, ranging from relying on emotion by showing kindness and gentleness to their people, using persuasion and admonition, reminding them of Allah's blessings upon them, and making it clear that it is not acceptable for them to enjoy these blessings while disbelieving in the Bestower of the blessings - Allah. This approach is known among scholars of da'wah (calling to Islam) as the emotional approach.

Some prophets relied on intellectual engagement, using questioning to stimulate rational thinking and to abide by the traditions of their forefathers if they were erroneous, and engaging in debates to clarify the truth brought by a Prophet and to refute the doubts raised by the arrogant and disobedient, especially among the elites who believed messengers came to demolish the falsehood from which they benefited, and they also used dialogue that relies on clarity and simplicity in expression, careful selection of words, and strength in presenting the truth. This is known

among scholars of da'wah (calling to Islam) as the intellectual approach.

Additionally, some prophets relied on sensory and perceptual elements, such as miracles and clear signs that Allah revealed through one of His prophets, or by urging to consider past nations, or by the prophets applying the teachings they are calling for to act as role models for their people, or by directly changing evil with their hands to demonstrate how to sin that anger Allah should be eliminated. This is known among scholars of da'wah (calling to Islam) as the sensory approach.

The path of da'wah (calling to Islam) is a challenging and difficult journey that first requires reliance on Allah, sincere and continuous seeking for His help, patience, wisdom in dealing with those who are being called, and embodying clemency and gentleness, as well as having a high determination in calling to Allah.

I ask Allah to maintain the blessing of Islam and to honor us with being called to Allah until He takes us to Him without us being excessive or wasteful. Amen.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدًا يليق بجلال الله، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شاء ربنا من شيء بعد، حمدًا دائمًا لا ينقطع إلى يوم الدين، وصل اللهم وسلم وبارك على صفة النبيين، وخيرة المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد /

إن القرآن كتاب الله – عز وجل – المنزل على قلب الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وهو كتاب يحتوي على العديد من الموضوعات المختلفة منها العقيدة والتشريع، والأخلاق، والقصص.

إن القصص القرآني جزء أساسي في القرآن الكريم، وقد اشتمل على جزء كبير من هذا الكتاب العظيم، وعندنا عدد كبير من أسماء سور القرآن سميت بقصة فيها، كسور (البقرة، آل عمران، المائدة، يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، الكهف، النمل)، ومنها سور لم تسم بقصة فيها، ولكن مضمونها مضمون قصصي، كسور (الأعراف، طه، الشعراء، المؤمنون، الفرقان، العنكبوت، ق، الذاريات، القمر، الشمس، النازعات) كلها سور قصصية.

والقصص القرآني فيه خلاصة التاريخ الإنساني، من بدء خلق آدم إلى نزول القرآن، ولذلك جاء ثلث القرآن تقريرًا قصصاً، وهذا يدل على أهمية القصص.

إن من أعظم خصائص هذا الدين حيويته، وحيوية هذا الدين أكثر ما تمثل في الدعوة، وأفضل وأصدق قدوة للدعاة هم الأنبياء الكرام -عليهم السلام-، ولذلك ينبغي علينا مدارسة قصص القرآن لنستخرج منها ركائز الدعوة وأساليبها ووسائلها، فيستفيد الدعاة من الأساليب الناجحة في تعامل الأنبياء مع أقوامهم؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولَئِكَ الْأَذَّلِبِ﴾ [يوسف: 111]

وما أجمل أن يتلمس الدعاة في عصرنا الحاضر السير على خطى الأنبياء، والخلق بأخلاقهم، والاقتداء بهم في الدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجادلة والتي هي أحسن، من خلال المنهج القرآني في عرض قصصهم، وأحوالهم مع أقوامهم؛ من خلال دراستي لأحد سور القرآن (سورة هود) والتي جعلت عنوانها:

"المناهج الدعوية للأنبياء من خلال سورة هود"

والله الموفق والمستعان

أولاً/ أهمية البحث:

- 1- تعلقه بأشرف الكتب وأجلها كتاب الله -عز وجل - الذي لا تنقضي عجائبه.
- 2- إبراز المناهج الدعوية للأنبياء مع أقوامهم من خلال سورة مباركة من سور القرآن؛ وهي سورة هود.
- 3- اشتملت سورة هود على قصص كوكبة مباركة من الأنبياء - عليهم السلام-، وأوضحت أفضل الأساليب في الدعوة إلى دين الله وأحسنها، لذلك فهي تعتبر معلماً بارزاً للعاملين في حقل الدعوة، تثير لهم الطريق.
- 4- تحقيق القدوة في الأنبياء - عليهم السلام-، وإبراز جهادهم في سبيل تبليغ كلمة الله إلى أممهم، وصبرهم على أذى قومهم، وعنتهم، ليكون في اتباع منهجم نبراساً للدعاة إلى الله يقتدون به في دعوتهم.

- 5- استنهاض الهم، وحث الدعاة إلى الله الغيورين على الدين أن يضاعفوا جهدهم في تبليغ دعوة الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً/ أهداف البحث:

- 1- تذكير الدعاة بالمصدر الأول والأساس في عزة المسلمين؛ وهو القرآن الكريم، فهو النبع الصافي الذي نستلهم منه الصراط المستقيم .
- 2- بيان المناهج الدعوية التي سلكها الأنبياء - عليهم السلام- مع أقوامهم لتقريب كيفية تطبيقها في واقعنا المعاصر، لتكون تبصراً للدعاة في كل زمان ومكان.

3- اشتغال السورة على ركائز مهمة في الدعوة، وبيان للأخلاق التي ينبغي أن يكون عليها الدعاة إلى الله.

4- تعلم فن الحوار والمجادلة لإبراز الحق، وإقامة الحجة على المخالفين.

5- فهم سنن الله تعالى- في الكون، وطبيعة الصراع بين الحق والباطل.

ثالثا / مشكلة البحث:

يجيب البحث عن أسئلة مهمة في الموضوع هي:

- ما المناهج الدعوية التي سلكها الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم بسورة هود؟
- كيفية تأصيل تلك المناهج وفقاً لقصص الأنبياء الوارد ذكرهم بسورة هود؟
- كيف يمكن للدعاة إلى الله تطبيق المناهج الدعوية مع تنوع المدعويين، واختلاف أفهامهم، وثقافاتهم، ومجتمعاتهم؟

رابعا / حدود البحث:

- نوعية البحث: دراسة دعوية.
- موضع البحث: سورة هود-عليه السلام-

خامسا / فروض البحث:

- يمكن التوصل من خلال تدبر سورة هود إلى عدد من المناهج الدعوية المختلفة.
- يمكن تطبيق تلك المناهج الدعوية في واقعنا المعاصر.
- توجد علاقة بين المناهج والأساليب الدعوية وواقعنا المعاصر.

سادساً/ صعوبات البحث:

- 1- عدم التفرغ الكامل للبحث، وكثرة الانشغال ما بين عملي الدعوي من جانب، والتزامات الأسرة، والاهتمام ببعض شؤون الجالية بكندا من جوانب أخرى.
- 2- قلة المراجع فيتناول قصص القرآن من خلال المناهج الدعوية وتطبيقاتها عند الأنبياء، وتركيز كثير من الباحثين على الوسائل والأساليب فقط.

سابعاً/ الدراسات السابقة:

هذه الدراسات السابقة التي تمكنت من جمعها في موضوع الدراسة (في حدود علمي واستطاعتي وما توافر لدي من مراجع)

1- (**التناسق الموضوعي في سورة هود**) رسالة دكتوراه مقدمة من الباحث ياسر بن عبد الله بن محمد بازيد لجامعة أم القرى بالسعودية كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، عام 1435هـ / 2015م، وقد اهتم الباحث بإبراز التناسق الموضوعي لسورة هود؛ رداً على المستشرقين ومن تابعهم من المتشككين في مصدر القرآن، ومن أوصى منهم بإعادة ترتيب آياته تسهيلاً لقراءاته على حد زعمهم.

2- (**الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والعشرين من القرآن الكريم سورة هود الآيات: (1:83)**) رسالة ماجستير مقدمة من الباحث سعيد طه خضر للجامعة الإسلامية بغزة كلية أصول الدين قسم التفسير عام 1435هـ / 2014م، وقد اهتم الباحث ببيان الموضوعات الأساسية للحزب الثالث والعشرون من القرآن الكريم من سورة هود، وإظهار مقاصدها العامة، وأهدافها التي تهدف لترسيخها في المجتمع الإسلامي.

3- آيات العقيدة في سورة هود رسالة ماجستير مقدمة من الباحث حيدر غالب محمد العنبي، مقدمة للجامعة الإسلامية ببغداد كلية أصول الدين، قسم العقيدة، عام 1431هـ / 2010م، وقد ركز الباحث في رسالته على جوانب العقيدة في السورة (الإلهيات، النبوات، السمعيات)

4- القصص القرآني في سورة هود دراسة موضوعية رسالة ماجستير مقدمة من الباحث محمد هندي سليمان لكلية الإمام الأعظم ببغداد؛ قسم أصول الدين تخصص تفسير، عام 1431هـ / 2010م، وقد اهتم الباحث بالسرد التاريخي لقصص الأنبياء المذكورين بسورة هود، وجاءت الرسالة خالية من الحديث عن مناهج ووسائل وأساليب الدعوة.

5- المضامين التربوية في قصص الأنبياء في سورة هود رسالة ماجستير مقدمة من الباحث سليمان بن أحمد بن سليمان المشعلاني لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم التربية في كلية العلوم الاجتماعية، عام 1431هـ / 2010م، وقد اهتم الباحث بإبراز الجوانب التربوية في قصص الأنبياء بدراسة الأهداف، والأسس، والقيم، والأساليب التربوية التي تضمنتها الآيات.

6- الدعوة إلى الله في سورة هود رسالة دكتوراة مقدمة من الباحث عبد الرحمن بن راجي، مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كلية الدعوة وأصول الدين عام 1413هـ / 1992م، شعبة الدعوة، وقد جاءت الرسالة في مجلدين؛ عنى الباحث فيها بسرد مواقف الرسل مع أقوامهم، وأوجه الاتفاق والشبه في دعوة الرسل، وفي المدعوين من أقوامهم، ثم ختمها ببيان سنة الله -تبارك وتعالى- التي لا تتبدل ولا تتغير أن العاقبة للمنتفين، ومما

يلاحظ على الباحث تركيزه على التفسير التحليلي للآيات، ونقل أقوال الأئمة في التفسير، والترجح بينها، وأطال النفس في السرد التاريخي لقصص الأنبياء، ولم يتعرض لمناهج، أو طرق وأساليب الدعوة.

وبعد استعراض الدراسات السابقة أرى أنها لا تتعارض مع موضوع البحث الذي أطربه؛ لأن الموضوع يتناول المناهج الدعوية عند الأنبياء في سورة هود، وهذا ما لم يتم في أي من الدراسات السابقة.

ثامناً/ المناهج المستخدمة في البحث:

اتبع في دراستي:

1- المنهج الوثائقي؛ وذلك برجوعي إلى كتب التفسير، والنظر في تفسير ومعاني آيات سورة هود.

2- المنهج التحليلي الذي أقوم من خلاله بدراسة سورة هود لاستخراج، مناهج الدعوة التي سلكها الأنبياء الوارد ذكرهم بالسورة في دعوتهم لقومهم.

3- المنهج الاستنباطي (الاستدلالي) لربط الأساليب بالمناهج الدعوية (العاطفي والعقلي والحسي).

وبهذه المناهج المتعددة أكون قد استخدمت في هذا البحث المنهج التكاملـي الذي يقوم على الربط بين الموضوعات المتعددة أو المختلفة، وتنسيقها في شكل متراـبط.

تاسعاً/ عملي في البحث:

1- قمت برسم الآيات القرآنية الكريمة بالرسم العثماني، ثم عزوها إلى مواضعها في المصحف الشريف، بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

- 2- جمع الآيات الخاصة بالمناهج الدعوية عند الأنبياء بسورة هود، مع التعرض لمثيلاتها في القرآن الكريم.
- 3- الرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة لعلمائنا الأوائل وكذلك المعاصرين في تفسير الآيات الكريمة.
- 4- تخريج الأحاديث التي ذكرت في الرسالة، والحكم عليها إذا لم ترد في الصحيحين من مظان ذلك في كتب الحكم على الأحاديث.
- 5- إذا اقتبست نصاً من مصدر، أو من عدد من المصادر، وعبرت عنها بأسلوبي الخاص، أو تصرفت فيه حسب السياق، فإني سأشير إلى ذلك في الحاشية، بعبارة: (ينظر)
- 6- إذا كان النص المقتبس أقل من 40 كلمة أقوم بكتابته بين علامتي التنصيص هكذا "---" وإذا زاد النص المقتبس عن ذلك أقوم بكتابته بين قوسين هكذا (---) مع الإشارة للمرجع وتفاصيله في الهاشم.
- 7- بالنسبة لتوثيق المراجع اتبعت فيها: ذكر اسم المرجع، ثم المؤلف، ثم الجزء، والصفحة، ثم المحقق -إن وجد-، ثم دار النشر، ورقم الطبعة، وبلد النشر، وسنة النشر.
- 8- اكتفيت بتعريف الأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم بالرسالة، ولم أقم بتعريف الأعلام المشهورين من الأنبياء والصحابة والتابعين.
- 9- عملت فهارس للآيات الكريمة، والأحاديث النبوية، والأعلام الأجلاء المترجم لهم في نهاية البحث.

عاشرًا / خطة البحث:

يحتوي البحث على: مقدمة، وتمهيد، وسبعة أبواب، وخاتمة.

- **المقدمة:** وتتضمن الحديث عن: أهمية البحث، أهداف البحث، مشكلة البحث، حدود البحث، فروض البحث، صعوبات البحث، الدراسات السابقة، المناهج المستخدمة في البحث، عملي في البحث، بيان خطة البحث.
- **الفصل التمهيدي:** وفيه خمسة مباحث:
- **المبحث الأول:** التعريف بمصطلحات البحث، وفيه مطلبان:
 - المطلب الأول: تعريف مصطلح "الدعوة" لغة واصطلاحا.
 - المطلب الثاني: تعريف مصطلح "المناهج" لغة واصطلاحا.
- **المبحث الثاني:** التعريف بالسورة وفضلها وآياتها ووقت نزولها.
- **و فيه ثلاثة مطالب:**
 - المطلب الأول: التعريف بالسورة.
 - المطلب الثاني: ما ورد في فضلها.
 - المطلب الثالث: ترتيبها في النزول.
- **المبحث الثالث:** استعراض السورة وقضاياها الرئيسية.
- **المبحث الرابع:** بيان أهمية القصص القرآني من خلال سورة هود، والحكمة من تكرار القصص في القرآن.
- **و فيه مطلبان:**
 - المطلب الأول: أهمية القصص القرآني من خلال سورة هود.
 - المطلب الثاني: الحكمة من تكرار القصص في القرآن.

- **المبحث الخامس:** تعريف موجزٌ برسول الله - عليهم السلام - الواردين في السورة ودعواتهم المباركة.
- **الباب الأول:** المناهج الدعوية في رسالة نوح - عليه السلام -
ويشتمل على ثلاثة فصول:
 - **الفصل الأول:** المنهج العاطفي في رسالة نوح - عليه السلام -.
و فيه أربعة مباحث:
 - **المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة،** وفيه ستة مطالب:
 - المطلب الأول: تعريف معنى الرفق.
 - المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم).
 - المطلب الثالث: وصف الله له بأنه أخوه.
 - المطلب الرابع: ندائه على ابنته (يا بنى).
 - المطلب الخامس: إظهار الخوف والشفقة على قومه.
 - المطلب السادس: الدعاء لوالديه وللمؤمنين والمؤمنات.
 - المبحث الثاني / الترغيب:** وفيه أربعة مطالب:
 - المطلب الأول: تعريف معنى الترغيب.
 - المطلب الثاني: الترغيب في قبول الحق.
 - المطلب الثالث: حثهم على الاستغفار.
 - المطلب الرابع: الترغيب في ذكر الله عند ركوب السفينة.

• المبحث الثالث/ الترهيب: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف معنى الترهيب.

المطلب الثاني: الترهيب من عذاب الله.

المطلب الثالث: الدعاء على العصاة بالهلاك.

• المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله: وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف معنى التذكير بنعم الله.

المطلب الثاني: نعمة الخلق أطواراً.

المطلب الثالث: نعمة خلق السماوات، والأرض، والشمس، والقمر.

المطلب الرابع: نعمة جعل الأرض مبسوطة، والسبل الفجاج.

المطلب الخامس: التذكير بحمد الله على النجاة.

▪ الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة نوح- عليه السلام.-

ويتكون من ثلاثة مباحث:

• المبحث الأول/ الاستفهام: وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاستفهام.

المطلب الثاني: تعجب نوح من إنكار قومه أن الله أرسله إليهم.

المطلب الثالث: تقرير أنه رسول من الله واستنكار إعراضهم.

المطلب الرابع: استنكاره عليهم أنهم لا يرجون الله وقارا.

المطلب الخامس: تقريره لهم بأن الله هو خالق السماوات، والأرض والشمس، والقمر.

▪ **المبحث الثاني/ الجدال: وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف الجدال.

المطلب الثاني: اتهامه بأنه في ضلال مبين.

المطلب الثالث: عييه بأنه بشر مثلهم واتباعه من أراذل القوم، واتهامه بالكذب.

▪ **المبحث الثالث/ الحوار: وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف الحوار.

المطلب الثاني: حواره مع قومه.

المطلب الثالث: حواره مع ولده.

المطلب الرابع: حواره مع رب العالمين.

▪ **الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة نوح- عليه السلام-.**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

▪ **المبحث الأول/ الاستغفار سبب للنعم، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: تعريف الاستغفار لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: ثمرات الاستغفار.

▪ **المبحث الثاني/ الاستدلال على عظمة الله بالأيات الكونية.**

و فيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: آيات الله في الكون المنظور.

المطلب الثاني: آية خلق السماوات والأرض.

المطلب الثالث: آيتا الشمس والقمر.

المطلب الرابع: آية الخلق من الأرض والعودة إليها ثم البعث والنشور.

المطلب الخامس: آية بسط الأرض.

المبحث الثالث/ سفينة النجاة (الفلك المشحون)، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أمر الله لنوح ببناء السفينة.

المطلب الثاني: صنع السفينة بعناية الله ووحيه.

المطلب الثالث: احمل فيها من كل زوجين اثنين.

المطلب الرابع: وفار التنور.

المطلب الخامس: وهي تجري بهم في موج كالجبال.

■ **الباب الثاني:** المناهج الدعوية في رسالة هود - عليه السلام-

و فيه ثلاثة فصول:

■ **الفصل الأول:** المنهج العاطفي في رسالة هود- عليه السلام-.

ويشتمل على أربعة مباحث:

■ **المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوه.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)

المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه.

▪ **المبحث الثاني/ الترغيب، ويشتمل على مطليبين:**

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله.

المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار.

▪ **المبحث الثالث/ الترهيب، ويشتمل على مطليبين:**

المطلب الأول: الترهيب من عذاب عظيم.

المطلب الثاني: الترهيب بأن يحل غضب الله بهم.

▪ **المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله، ويشتمل على مطليبين:**

المطلب الأول: التذكير بأن الله جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح.

المطلب الثاني: التذكير بأن الله أ美的هم بأنعام، وبنين، وجنت، وعيون.

▪ **الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة هود- عليه السلام.-**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

▪ **المبحث الأول/ الاستفهام: وفيه خمسة مطالب:**

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: إنكاره عليهم عجبهم أن الله أرسله إليهم.

المطلب الثالث: إنكاره عبادة قومه أصناما سموها آلهة تقليدا لآبائهم.

المطلب الرابع: إنكاره عدم إعمال عقولهم، وأنه لا يريد لهم إلا الخير.

المطلب الخامس: إنكاره العبث في كل بناء يبنونه.

▪ **المبحث الثاني/ الجدال، وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: شبهة اتهامه بالسفاهة والكذب.

المطلب الثاني: شبهة إبطاله لعبادة آلهتهم التي عبدها آباؤهم من قبل.

المطلب الثالث: شبهة أنه لم يأتهم ببينة وتهديده أن تنتقم منه الآلهة.

المطلب الرابع: شبهة أن رسولهم بشر وليس من الملائكة.

▪ **المبحث الثالث/ الحوار: ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة هود – عليه السلام.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار.

▪ **الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة هود-عليه السلام.-**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

▪ **المبحث الأول/ الاعتبار السابقين، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: تعريف الاعتبار.

المطلب الثاني: حث هود قومه على الاعتبار السابقين

▪ **المبحث الثاني/ التحذير من اتخاذ النعم سبباً للترف والطغيان.**

و فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العبث في البناء رغبة في التفاخر.

المطلب الثاني: اتخاذهم المصانع وكأنهم مخلدون بالدنيا.

المطلب الثالث: إفراطهم في الأذى والظلم.

▪ المبحث الثالث/ هل كان لهود معجزة؟ ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعریف المعجزة.

المطلب الثاني: أقوال العلماء في معجزة هود - عليه السلام-

▪ الباب الثالث: المناهج الدعوية في رسالة صالح - عليه السلام-

و فيه ثلاثة فصول:

▪ الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة صالح - عليه السلام -.

ويشتمل على أربعة مباحث:

▪ المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة.

▪ المبحث الثاني / الترغيب: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله.

المطلب الثاني: الترغيب في الاستغفار.

▪ المبحث الثالث/ الترهيب: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الترهيب من مس الناقة بسوء.

المطلب الثاني: توعدهم بوقوع العذاب بهم بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة.

▪ المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نعمة الخلق والإيجاد.

المطلب الثاني: نعمة الاستخلاف بعد عاد.

المطلب الثالث: إمداد الله لهم بالقوة والتمكين في الأرض.

المطلب الرابع: نعمة الأمان والإمداد بالماء العذب والزروع والثمار المتنوعة.

▪ **الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة صالح- عليه السلام.-**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

▪ **المبحث الأول/ الاستفهام، وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: استنكاره دعوة قومه له أن يترك الرسالة.

المطلب الثالث: إنكاره عليهم تمعنهم بالنعم وكفرهم بالله.

المطلب الرابع: إنكاره عليهم العناد والتكذيب وعدم التوبة إلى الله.

▪ **المبحث الثاني/ الجدال، وفيه خمسة مطالب:**

المطلب الأول: التشكيك في دعوته إلى التوحيد وترك آلهتهم.

المطلب الثاني: ادعاؤهم أن نبيهم من المسحريين.

المطلب الثالث: أن رسولهم بشر مثلهم وأنه كاذب أشد.

المطلب الرابع: التشاؤم من نبيهم صالح- عليه السلام.-

المطلب الخامس: تشكيك المستكيرين للمؤمنين في اتباعهم لنبيهم.

▪ **المبحث الثالث/ الحوار: ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة صالح – عليه السلام.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار.

▪ **الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة صالح- عليه السلام.-**

ويشتمل على مباحثين:

- المبحث الأول/ معجزة الناقة.
- المبحث الثاني/ الاعتبار بالسابقين.
- الباب الرابع: المناهج الدعوية في رسالة لوط - عليه السلام -

و فيه ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة لوط - عليه السلام -.
- ويشتمل على أربعة مباحث:

- المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة، وفيه ثلاثة مطالب:
 - المطلب الأول: نداء لوط على قومه (يا قوم).
 - المطلب الثاني: التعبير عنه بلفظ (أخوه لوط).
 - المطلب الثالث: تسميته لنساء قومه بـ (بناتي).

- المبحث الثاني/ الترغيب، وفيه ثلاثة مطالب:
 - المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله وطاعة رسولهم.
 - المطلب الثاني: هل دعا لوط قومه للتوحيد؟

المطلب الثالث: ما الحكمة أن القرآن لم ينص على أنه قال لقومه كما قال غيره من الأنبياء: ﴿أَغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ؟

▪ المبحث الثالث/ الترهيب.

▪ المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

▪ الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة لوط - عليه السلام.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

▪ المبحث الأول/ الاستفهام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: إنكاره عليهم فعل الفاحشة.

المطلب الثالث: إنكاره عليهم تعرضهم لضيوفه.

▪ المبحث الثاني/ الجدال، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: قولهم عن آل لوط: "إنهم أناس يتطهرون".

المطلب الثاني: رفضهم الزواج من النساء.

▪ المبحث الثالث/ الحوار: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة لوط - عليه السلام.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار.

▪ الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة لوط - عليه السلام.

ويشتمل على مباحثين:

▪ المبحث الأول / هل كان لوط - عليه السلام - معجزة؟

▪ المبحث الثاني / طمس أعين القوم الذين راودوه عن ضيفه.

▪ الباب الخامس: المناهج الدعوية في رسالة شعيب - عليه السلام-

و فيه ثلاثة فصول:

▪ الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة شعيب - عليه السلام.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

▪ المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوه.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)

المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه.

▪ المبحث الثاني/ الترغيب: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله.

المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار والتوبة.

▪ المبحث الثالث/ الترهيب: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الترهيب من عذاب يوم محيط.

المطلب الثاني: الترهيب من عاقبة تكذيب رسولهم.

▪ المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التذكير بما وسع الله عليهم من الخيرات والنعم.

المطلب الثاني: التذكير بنعمةخلق من العدم.

المطلب الثالث: التذكير بتكثير الله لهم.

▪ الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة شعيب- عليه السلام.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

▪ المبحث الأول / الاستفهام: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: أو لو كنا كارهين؟

المطلب الثالث: أرهطي أعز عليكم من الله؟

▪ المبحث الثاني/ الجدال، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: استنكار ما يأمرهم به من التوحيد، والأمانة، وعدم الغش، والتطفيف.

المطلب الثاني: ادعاؤهم أن نبيهم من المسحريين، وأنه بشر مثلهم.

المطلب الثالث: التمسك بملة الكفر، والتهديد بالنفي.

المطلب الرابع: ادعاؤهم عدم فهم كلامه، وأنه فيهم ضعيف.

▪ المبحث الثالث / الحوار، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أهم نقاط الحوار في دعوة شعيب - عليه السلام-

المطلب الثاني: التعقيب على الحوار.

▪ الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة شعيب- عليه السلام.-

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

▪ المبحث الأول/ البينة التي جاء بها قومه.

▪ المبحث الثاني/ القدوة العملية، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف معنى القدوة.

المطلب الثاني: شعيب قدوة لقومه.

▪ **المبحث الثالث/ الاعتبار بالسابقين.**

• **الباب السادس: المناهج الدعوية في رسالة موسى - عليه السلام-**

و فيه ثلاثة فصول:

▪ **الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة موسى - عليه السلام.**

ويشتمل على أربعة مباحث:

▪ **المبحث الأول: الرفق وإظهار العاطفة: ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: الرفق واللين مع فرعون الطاغية.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم).

▪ **المبحث الثاني: الترغيب، وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: الترغيب في شكر نعم الله وأنه سبب المزيد.

المطلب الثاني: توبته إلى الله من القتل الخطأ.

المطلب الثالث: حث قومه على الاستعانة بالله والصبر على البلاء.

المطلب الرابع: حث قومه على الاستغفار والتوبة بعد عبادة العجل.

▪ **المبحث الثالث: الترهيب: ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول/ الترهيب من عذاب الله لمن كذب وتولى.

المطلب الثاني/ الترهيب من الافتراء على الله كذبا.

▪ **المبحث الرابع: التذكير بنعم الله، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: تذكير الله -عز وجل- عبده موسى بنعمه عليه.

المطلب الثاني: تذكير موسى لفرعون وقومه نعم الله عليهم.

المطلب الثالث: تذكير موسى لبني إسرائيل بنعم الله عليهم.

▪ **الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة موسى -عليه السلام-**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

▪ **المبحث الأول/ الاستفهام، وفيه ستة مطالب:**

المطلب الأول: الاستفهام للتشويق في خطابه لفرعون.

المطلب الثاني: إنكاره على قومه لطلبهم طعاما غير المن والسلوى.

المطلب الثالث: إنكاره على قومه في طلبهم تقليد عبادة العجل.

المطلب الرابع: إنكاره على قومه عبادة العجل.

المطلب الخامس: إنكاره على أخيه هارون أنه لم يمنع عبادتهم العجل.

المطلب السادس: إنكاره على السامری إيقاع قومه في الشرك.

▪ **المبحث الثاني/ الجدال: وفيه ستة مطالب:**

المطلب الأول: مجادلة موسى -عليه السلام- مع فرعون.

المطلب الثاني: مجادلة موسى -عليه السلام- مع السحرة.

المطلب الثالث: مجادلة موسى -عليه السلام- مع قومه بني إسرائيل.

المطلب الرابع: مجادلة موسى -عليه السلام- لقومه في عبادة العجل.

المطلب الخامس: مجادلة موسى لأخيه هارون.

المطلب السادس: مجادلة موسى -عليه السلام- للسامري.

▪ **المبحث الثالث/ الحوار: ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: حوار موسى مع الله جل جلاله بالوادي المقدس.

المطلب الثاني: حوار موسى مع الله- تبارك وتعالى- بجبل الطور.

▪ **الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة موسى -عليه السلام-.**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

▪ **المبحث الأول/ الآيات والمعجزات الحسية، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: ما حدث مع فرعون وقومه.

المطلب الثاني: ما حدث مع بنى إسرائيل

• **المبحث الثاني/ تغيير المنكر باليد (حرق العجل)، ويشتمل على**

مطلبين:

المطلب الأول: تعريف معنى المنكر.

المطلب الثاني:نبي الله موسى يحرق العجل.

▪ **المبحث الثالث/ الاعتبار بمصارع الظالمين.**

▪ **الباب السابع: المناهج الدعوية في رسالة الرسول -صلى الله عليه وسلم-**

خاتم الأنبياء والمرسلين، وفيه ثلاثة فصول:

▪ **الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين.**

ويشتمل على ستة مباحث:

▪ **المبحث الأول/ تأليف القلوب، وفيه سبعة مطالب:**

المطلب الأول: تعریف مفهوم تأليف القلوب

المطلب الثاني: تأليف القلوب بالمال.

المطلب الثالث: الحرص على دعوة الأقربين.

المطلب الرابع: التودد إلى الناس.

المطلب الخامس: تأليف القلوب بالدعاء.

المطلب السادس: تأليف القلوب بالعفو.

المطلب السابع: تأليف القلوب بزيارة المرضى.

▪ **المبحث الثاني/ الترغيب، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: الترغيب في الثواب الجزيل من الله.

المطلب الثاني: العمل الصالح سبب للنجاة من الشدائدين.

المطلب الثالث: العمل الصالح سبب لتفريح السينين.

▪ **المبحث الثالث/ الترهيب، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: الترهيب من الشرك بالله.

المطلب الثاني: الترهيب من الإسراف والتبذير.

المطلب الثالث: الترهيب من الغيبة.

▪ **المبحث الرابع/ الرفق وإظهار العاطفة، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: رفقه بالأمهات في الصلاة.

المطلب الثاني: رفقه بالأعرابي الذي بال في المسجد.

المطلب الثالث: رفقه بالأعرابي الذي جذبه من ثوبه.

▪ **المبحث الخامس/ القصص العاطفية، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: قصة قاتل المئة نفس.

المطلب الثاني: فرح الله بتوبة عبده.

المطلب الثالث: دخلت امرأة النار في هرة.

▪ **المبحث السادس/ التذكير بنعم الله: وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: حديث القرآن عن نعم الله.

المطلب الثاني: التذكير بحمد الله على نعمه كلما تجددت النعم.

المطلب الثالث: التتبّيه على عظم بعض النعم.

المطلب الرابع: الحث على دوام شكر الله على النعم بالحمد.

▪ **الفصل الثاني: المنهج العقلي في خاتم الأنبياء والمرسلين.**

ويشتمل على أربعة مباحث:

▪ **المبحث الأول/ أسلوب القياس: وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف القياس لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مثل عيسى كمثل آدم.

المطلب الثالث: ضرب المثل في قدرة الله على إحياء الموتى.

المطلب الرابع: استعمال النبي - صلى الله عليه وسلم- للقياس.

▪ **المبحث الثاني/ أسلوب الجدال، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول / بعض الشبهات الواردة في القرآن والرد عليها.

المطلب الثاني: بعض الشبهات الواردة في السنة وكيف ردّ الرسول صلى الله عليه وسلم عليها ؟

• **المبحث الثالث/ أسلوب الحوار، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين.

المطلب الثاني: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب.

المطلب الثالث: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أعرابي من نجد.

• **المبحث الرابع/ أسلوب ضرب الأمثل، وفيه خمسة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف "ضرب الأمثال" لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مثل مضاعفة ثواب الصدقة.

المطلب الثالث: مثل المؤمن ومثل الكافر.

المطلب الرابع: مثل القائم على خُذُود الله، والأ الواقع فيها.

المطلب الخامس: مثل المؤمن والمنافق مع القرآن.

• **الفصل الثالث: المنهج الحسي في خاتم الأنبياء والمرسلين**

ويشتمل على خمسة مباحث:

• **المبحث الأول/ لفت الحس إلى النظر والتأمل.**

• **المبحث الثاني/ المعجزات الحسية، وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: المعجزة الخالدة: القرآن.

المطلب الثاني: معجزة الإسراء والمعراج.

المطلب الثالث: معجزة انشقاق القمر.

المطلب الرابع: معجزة تكثير الماء.

- المبحث الثالث/ القدوة العملية.

- المبحث الرابع/ تغير المنكر باليد.

- المبحث الخامس/ الاعتبار بالسابقين: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: حث القرآن الكريم على الاعتبار بالأمم السابقة.

المطلب الثاني: حث النبي صلى الله عليه وسلم على الاعتبار بالأمم السابقة.

- الخاتمة: وتحتوي على نتائج الدراسة، والتوصيات.

- الفهارس.

- فهرس الآيات القرآنية.

- فهرس الأحاديث النبوية.

- فهرس الأعلام.

- فهرس المصادر والمراجع.

- فهرس الموضوعات.

الفصل التمهيدي

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول/ التعريف بمصطلحات البحث.

**المبحث الثاني/ التعريف بالسورة وفضلها وآياتها
ووقت نزولها.**

**المبحث الثالث / استعراض السورة وقضاياها
الرئيسية.**

**المبحث الرابع / بيان أهمية القصص القرآني من
خلال سورة هود، والحكمة من تكرار القصص في
القرآن**

**المبحث الخامس/ تعريف موجز برسل الله عليهم
السلام الواردين في السورة ودعواتهم المباركة.**

الفصل التمهيدي

المبحث الأول/ التعريف بمصطلحات البحث

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف مصطلح "الدعوة" لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: تعريف مصطلح "المناهج" لغة واصطلاحا.

المطلب الأول: تعريف مصطلح "الدعوة" لغة واصطلاحا:

الدعوة لغة: لها عدة معانٍ: النداء، والطلب، والتجمع، والدعاء، والسؤال، والاستمالة، ودعا بالشيء: طلب إحضاره، ودعا الله: رجا منه الخير، ودعا إلى شيء: حث على قصده، ودعاه إلى الدين، أو إلى المذهب: حثه على اعتقاده، والدعوة المرة الواحدة من الدعاء، والدعاء: واحد الأدعية والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلاله، وأحدthem داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة.⁽¹⁾

ونخلص من التعريف اللغوي أن الدعوة في كلامنا هنا يقصد بها: الحث على فعل شيء أو اعتقاده واستمالة المدعو إليه.

الدعوة اصطلاحاً: أما بالنسبة لتعريف الدعوة اصطلاحاً فإن كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة، تطلق ويراد بها في الغالب معنيان:

الأول: الدعوة بمعنى الإسلام أو الرسالة.

الثاني: الدعوة بمعنى عملية نشر الإسلام وتبلیغ الرسالة.

والمعنى المراد بهذا البحث هو المعنى الثاني وقد جاء فيه تعریفات عدّة، منها:

(1) ينظر لسان العرب لابن منظور مادة (دعا) (1386/2)، ط دار المعرفة، والمجم الوسیط مادة (دعا) (286) الصادر من مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة 1425هـ-2004 ().

التعريف الأول: "الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسالته بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله ومملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه." (1)

التعريف الثاني: " تبليغ الإسلام للناس، وتعليمها إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة." (2)

التعريف الثالث: "هي الحث على فعل الخير واجتناب الشر والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتحبيب بالفضيلة، والتفريح من الرذيلة واتباع الحق ونبذ الباطل." (3)

المطلب الثاني: تعريف مصطلح "المناهج" لغة واصطلاحاً:

المناهج لغة:

جمع منهاج، يقال: طريق نهج بين واضح، والمنهاج الطريق الواضح ونهج الطريق: سلكه، واستنهج الطريق صار نهجا، ونهج فلان سبيل فلان: سلك مسلكه، والنهج الطريق المستقيم. (4)

وعلى هذا فإن معنى لفظة منهاج لغة: الطريق الواضح البين.

(1) مجموع الفتاوى لابن تيمية، (15/157 وما بعدها) جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة – السعودية ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

(2) المدخل إلى علم الدعوة للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني، ص (17)، ط. الشؤون الإسلامية بقطر الطبعة الرابعة 1997 م

(3) مرشد الدعاة لمحمد نمر الخطيب، ص: (24)، ط دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. الطبعة الأولى، 1401 هـ / 1981 م

(4) ينظر لسان العرب مادة (نهج) (4555/6)، والقاموس المحيط لمجد الدين الفيروزبادي مادة (نهج) ص (208) تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط مكتبة الرسالة، الطبعة الثامنة ١٢٤٦ هـ - (2005)

المنهج اصطلاحا هو: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بوساطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل، وتحديد عملياته؛ حتى يصل إلى نتيجة معلومة"(1)

إذن مناهج الدعوة هي: "نظم الدعوة، وخططها المرسومة لها"(2)

(1) مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي ص (5) ط. وكالة المطبوعات الكويت، الطبعة الثالثة 1977 م

(2) المدخل إلى علم الدعوة ص (195)

المبحث الثاني/ التعريف بالسورة وفضلها

وآياتها ووقت نزولها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالسورة.

المطلب الثاني: ما ورد في فضلها.

المطلب الثالث: ترتيبها في النزول.

المطلب الأول: التعريف بالسورة:

- عدد آياتها: ثلات وعشرون ومائة آية.

- وهي سورة مكية كلها عند الجمهور، وقال ابن عباس- رضي الله عنهم - مكية كلها إلا آية.⁽¹⁾ وهي قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ الْنَّهَارِ وَرُلْفًا مِّنَ الْأَيَّلِ إِنَّ الْحُسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِكْرِينَ﴾ [هود: 114]

وهناك قول آخر أنها كلها مكية إلا ثلات آيات.⁽²⁾

(1) ينظر فتح القدير، للشوكاني (544/2)، ط دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - 1414 هـ.

(2) ينظر تفسير المحرر الوجيز لابن عطية (3/148) حيث قال: "السورة مكية إلا ثلات آيات هي قوله تعالى: (فَلَعَلَّكَ تارَكَ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقَ بِهِ صَدْرُكَ) [هود: الآية 12]، وقوله: (أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) [هود: الآية 17]، ونزلت في ابن سلام وأصحابه، وقوله: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ) [هود: 114]، نزلت في شأن التamar وهذه الثلاثة مدنية قاله مقاتل، على أن الأولى تشبه المكي." أ. هـ من المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ط دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - 1422 هـ.

- سبب تسميتها بسورة هود: ذكر الإمام السيوطي (1) في الإنقان أنها سميت باسم هود لتكرر اسمه فيها خمس مرات، ولأن ما حكي عنه فيها أطول مما حكي عنه في غيرها (2).

المطلب الثاني: ما ورد في فضلها:

عن ابن عباس - رضي الله عنهم - أن أبي بكر قال: (يا رسول الله قد شبّت؟ قال: شبيتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت) (3)

المطلب الثالث: ترتيبها في النزول

نزلت هذه السورة بعد سورة يومنوس وقبل سورة يوسف، وقد عدّت الثانية والخمسين في ترتيب نزول السور. (4)

(1) الإمام السيوطي (849 - 911 هـ) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، أصله من أسيوط، كان عالماً شافعياً مؤرخاً أدبياً وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه والفقه واللغة، ومؤلفاته تبلغ عدتها خمسين مؤلفاً. انظر ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد الحنفي (8/51)، بتحقيق: محمود الأرناؤوط، وخرج أحديّه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م؛ والضوء الامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي (4/65)؛ منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، والأعلام للزركلي (4/71) ط دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر مايو 2002 م

(2) انظر الإنقان في علوم القرآن للسيوطى (198/1)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394 هـ / 1974 م، والتحرير والتتوير لابن عاشور التونسي (311/11)، ط. الدار التونسية للنشر - 1974م، تونس 1984 هـ

(3) رواه الترمذى وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا تَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، كتاب التفسير باب ومن سورة الواقعه، حديث رقم (3297) سنن الترمذى (255/5)، ط دار الغرب الإسلامي - بيروت طبعة 1998م، وصححه الألبانى في صحيح سنن الترمذى حديث رقم (3297)

(4) التحرير والتتوير للعلامة الطاهر بن عاشور (11/311)، ط. الدار التونسية للنشر - 1974م، تونس 1984 هـ.

المبحث الثالث/ استعراض السورة وقضاياها الرئيسية

توطئة:

سورة هود كما مر بنا نزلت في وقت من أصعب أوقات الدعوة، بعد وفاة أبي طالب ثم وفاة خديجة، وما تبع ذلك من جرأة كفار مكة على إيذاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم والنيل منه، ومن أصحابه رضوان الله عليهم.

جاءت آيات السورة تقص علينا قصص كوكبة مباركة من الأنبياء من لدن نوح عليه السلام إلى عهد خاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم- لتكون قصصهم ثبيتاً لقلب النبي - صلى الله عليه وسلم، والذين معه على دعوة الحق، والتسرية عنه مما يعانيه من ضيق صدره، وشعوره بالضيق من أذى قومه وعندهم، والتأكيد على أن دعوة الأنبياء واحدة هي دعوة التوحيد، وأن مصدرها واحد من لدن حكيم خبير، وعرضت السورة حال المكذبين مع رسلهم وتتنوع أساليب الإعراض، والصد عن سبيل الله، من تكذيب وسخرية واستهزاء حتى وصل بهم إلى حد التهديد والإيذاء لرسلهم.

وفي المقابل تعرض السورة المباركة لصبر الرسل وثقتهم في موعد الله بنصرهم، فينجي الله المؤمنين برحمته وبهلك الكافرين بأخذهم وتدميرهم.

مقاصد السورة:

(وأهم مقاصد السورة ما يلي):

1 - الحديث عن القرآن الكريم وإحكامه من لدن حكيم خبير، ودعوة الناس للعمل بما فيه من عقائد وأحكام شرعية، ليتمتعهم متابعاً حسناً ويؤتي كل ذي فضل فضله، وبيان أن المرجع إليه - سبحانه - وأنه على كل شيء قادر.

2 - الحديث عن علم الله تعالى وإحاطته - عز وجل - بمكنون الضمائر، وتكفله برزق كل دابة ومعرفته جميع أحوالها وحركاتها وسكناتها.

3 - الإشارة إلى آيات الله الكونية، في خلق السماوات والأرض والعرش العظيم، وأنه اختبرنا بالتكليف ليبلو عباده أيهم أحسن عملاً.

4 - الحديث عن إعجاز القرآن الكريم، وعجز البشر عن محاكاته، وأن هذا كافٍ في الدلالة على أنه من عند الله، وأن الله أيدَّ به رسوله، وأن ما يدعونه من افترائه على الله زعم باطل.

5 - بيان موقف الناس من الإسلام، وذكر ثواب المطيعين وعقاب المسيئين - وأن مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع، وأنهما لا يستويان مثلاً.

6 - الحديث عن قصة نوح - عليه السلام - وقومه، والطوفان، ونجاة المؤمنين وهلاك المكذبين الكافرين ليعتبر كفار قريش ويرجعوا عن كفرهم وتکذيبهم.

7 - بيان قصة هود - عليه السلام - مع قومه عاد، ونجاة المؤمنين منهم وهلاك العاصين المتمردين، ليكون في نبئهم عبرة لأولى الألباب.

8 - قصة صالح - عليه السلام - مع قومه "ثمود" ونجاة المؤمنين منهم وهلاك المكذبين بالصيحة، فأصبحوا في ديارهم جاثمين جراء كفرهم وتکذيبهم لرسول الله إليهم.

9 - قصة إبراهيم - عليه السلام - وتبشير الملائكة له بإسحاق ومن ورائه يعقوب - عليهما السلام - .

10 - قصة الملائكة وزيارتهم لوطا عليه السلام، وإهلاك الله لقومه بإبادة قراهم، وإمطارهم بحجارة من سجيل، جراء شذوذهم الشهوانى⁽¹⁾، وكفرهم بأيات ربهم.

11 - قصة شعيب - عليه السلام - وتمرد قومه عليه وإهلاكهم بالصيحة، فأصبحوا في ديارهم جاثمين لأن لم يغنو فيها، كما حدث لقوم صالح - عليه السلام - ونجى الله شعيباً ومن آمن معه.

12 - قصة موسى وفرعون، وبيان أن قوم فرعون اتبعوا أمره، فأهلكهم الله وأتبعهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة بسبب كفرهم.

13 - الإشارة إلى سنة الله - تبارك وتعالى - في عقاب الكفار في الدنيا، ونجاة المؤمنين بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رِبَّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102]

(1) أي جراء مخالفتهم الفطرة وفجورهم.

14 - بيان حال الكافرين الأشقياء في الآخرة من الخلود في النار وزفيرهم وشهيقهم فيها، وبيان حال المؤمنين السعداء فيها، من الخلود في الجنة والنعيم المقيم فيها.

15 - بيان أنه - تعالى - قص على رسوله صلى الله عليه وسلم قصص إخوانه الأنبياء مع أمههم، ليُثبّت به فؤاده، عظة وذكرى للمؤمنين. (1)

المبحث الرابع/ بيان أهمية القصص القرآني من خلال سورة هود والحكمة من تكرار القصص في القرآن

من خلال النظر في آيات القصص القرآني سيبرز لنا العديد من الأهداف والمقاصد، وتكرارها في أكثر من موضع في القرآن له عدة أغراض، وهذا ما سيتناوله الباحث من خلال مطليبين:

المطلب الأول: أهمية القصص القرآني من خلال سورة هود.

المطلب الثاني: الحكمة من تكرار القصص في القرآن.

المطلب الأول: أهمية القصص القرآني من خلال سورة هود
القصص القرآني الوارد في سورة هود يحقق عدة أهداف ومقاصد منها:

1-أخذ العظة والعبرة:

وبذلك نَفْقِه ما جاء في هذه القصص من أخبار وحقائق وأنماط من المدافعت بين أهل الحق والباطل، وأن نعتبر به، فمن ذلك أنَّ الله تعالى قص علينا أخبار الأنبياء وما أصابهم وأصاب أتباعهم المؤمنين من الأذى في سبيل الله، ثم إنَّ الله تعالى نصرهم وجعل العاقبة الحسنة لهم، وفي ذلك عبرة للمؤمنين.

2- إثبات الوحي والرسالة:

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء بإشراف البحوث الإسلامية مجمع بالأزهر (156/4)، ط الهيئة العامة لشئون المطبع الأميرية، الطبعة الأولى، (1393 هـ 1993- 1414)

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن كاتباً ولا قارئاً، ولا عرف عنه أنه جلس إلى أحبّار اليهود والنصارى؛ ثم جاءت هذه القصص في القرآن، وبعضها جاء في دقة وإسهاب كقصص يوسف وموسى وعيسى، فورودها في القرآن اتّخذ دليلاً على وحي يوحى، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَثْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكُفُّلُ مَرِيمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِّمُونَ﴾ [آل عمران: 44]

3- تثبيت فواد النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته:

وقد صرّح القرآن بهذا الغرض في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَثْبَاءِ الرَّسُولِ مَا نُتَبِّثُ بِهِ فُؤَادُكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحُقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذُكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120]، فقص الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم. قصص السابقين من الأنبياء عليهم السلام ليسليه وليعلمه أن ما جرى له من قومه جرى لمن سبقه من سلك طريق الدعوة إلى الله تعالى فتحملوا المشاق وصبروا فكانت النتيجة النصر والغلبة والتمكّن لهم بإذن الله تعالى والهلاك للمكذبين.

4- بيان لسنن الله في خلقه من الأمم والجماعات والأفراد:

في دراسة حياة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - نتعرف على سنن الله - عز وجل - في التغيير، وسننه - سبحانه - في الدفع والمدافعة، كما أنها تكشف للدعاة إلى الله - عز وجل - ذلك الصراع الطويل المرير بين الحق والباطل، وفي هذا أكبر العزاء لأهل الحق، وذلك لإيمانهم بحتمية هذا الصراع، وأن الدولة والعاقبة في نهاية الأمر للحق وأهله.

5- تربية وتوجيه للدعاة:

في دراسة حياة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - أكبر العظات وال عبر للدعاة إلى الله - عز وجل - في كل مكان، وزمان؛ فالقصص القرآني يخبر الدعاة عن مناهج الأنبياء - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - في دعوة أقوامهم إلى الله، وبيان ما أصابهم من أذى في سبيل الله، وكان النصر في نهاية المطاف نصيبهم، وكيف أن الله أظهرهم على عدوهم رغم قلة عددهم، فعلى اللاحقين من المؤمنين عدم

اليأس، وليعلموا أن ما أصابهم من أذى قد أصاب من قبلهم، ولكن العاقبة أبداً للمتقين. (1)

المطلب الثاني: الحكمة من تكرار القصص في القرآن:

امتد نزول القرآن على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وعشرين سنة، وكان مما يتنزل عليه قصص الأنبياء والرسل قبله الذين مروا بما يمر به صلى الله عليه وسلم، من تكذيب وصدود وإعراض عن الحق وابتلاء، وكانت الآيات تنزل فيها مشهد من مشاهد قصة ذلكم النبي مع قومه بما يتوافق مع الحال وقت نزول الآيات، تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتنبيتها لقلبه.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يربى أصحابه بما يتنزل من نور الوحي على هذه المعاني، ثم يوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمشهد آخر من مشاهد قصة نبي من الأنبياء (كما في قصة نوح أو موسى - عليهما السلام-) إما لتفصيل مجمل، أو إجمال مفصل، أو إبراز معنى بحسب مقتضيات المرحلة من عمر الدعوة؛ أو لإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع بقاء التحدي بأن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن الذي عجز العرب عن الإتيان بمثله وهذا أبلغ في التحدي... وهكذا فالتكرار لا يدل على تناقض أو اختلاف أو نقص.

وفي هذا المعنى يقول الأستاذ سيد قطب(2): (يرد القصص في القرآن في مواضع ومناسبات، وهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها هي التي تحدد مساق القصة، والحلقة التي تعرض منها، والصورة التي تأتي عليها).

(1) ينظر: التصوير الفني في القرآن. سيد قطب ص (144:155) ط دار الشروق الطبعة السابعة عشرة عام 2004م، ومحاجث في علوم القرآن مناع القطان (301)، ط مكتبة وهبة الطبعة الحادية عشرة عام 2000م، والقصة في القرآن للدكتور محمد سيد طنطاوي ص 4 وما بعدها، ط نهضة مصر، الطبعة الأولى 1996م، والقصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث للدكتور صلاح الخالدي (1/33) وما بعدها، ط دار القلم دمشق الطبعة الأولى 1998، والمستفاد من القصص القرآني للدعوة والدعاة للدكتور عبد الكريم زيدان (1/6) وما بعدها، ط الرسالة الطبعة الأولى 1998.

(2) سيد قطب بن إبراهيم مفكر إسلامي، مصري، من مواليد قرية «موشا» في أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة 1353 هـ / 1934م، وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريتهم 1953 وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأُعدم، رحمه الله (من كتاب الأعلام للزركلي (147/3)

والطريقة التي تؤدي بها تنسيقاً للجو الروحي والفكري والفنى الذى تعرض فيه، وبذلك تؤدى دورها الموضوعي، وتحقق غايتها النفسية، وتلقي إيقاعها المطلوب، ويحسب أناس أن هنالك تكراراً في القصص القرآني، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة، أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق، وأنه حيثما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار، ويزكيغ أناس فيز عمون أن هنالك خلقاً للحوادث أو تصرفات فيها، يقصد به إلى مجرد الفن - بمعنى التزويق الذي لا ينقيد بواقع - ولكن الحق الذي يلمسه كل من ينظر في هذا القرآن، وهو مستقيم الفطرة، مفتوح البصيرة، هو أن المناسبة الموضوعية هي التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع، كما تحدد طريقة العرض وخصائص الأداء.

والقرآن كتاب دعوة، ودستور نظام، ومنهج حياة، لا كتاب روایة ولا تسلية ولا تاريخ، وفي سياق الدعوة يجيء القصص المختار، بالقدر وبالطريقة التي تناسب الجو والسياق، وتحقق الجمال الفني الصادق، الذي لا يعتمد على الخلق والتزويق، ولكن يعتمد على إبداع العرض، وقوة الحق، وجمال الأداء.)
(1)

ويقول الشيخ مناع القطان⁽²⁾: (يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن، وترى في صور مختلفة في التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، وما شابه ذلك، ومن حكمة هذا:

1- بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها؛ فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في الموضع الأخرى.

(1) في ظلال القرآن (55/1) مرجع سابق.

(2) الشيخ مناع خليل القطان ولد في 1925م في قرية شنشور مركز أشمون من محافظة المنوفية بمصر، وتخرج من كلية أصول الدين، وعمل بمصر إلى عام 1953م ثم أُعير إلى السعودية وبقي فيها حتى صار مديرًا للدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود، وتوفي في 19 يوليو 1999م. ينظر كتاب من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة للمستشار عبد الله العقيل 1182/1، ط دار البشير الطبعة السابعة 2008م

2- قوة الإعجاز: إثبات المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي.

3- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام، كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون؛ لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل مع أن القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها.

4- اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معانٍ أخرى في سائر المقامات؛ حسب اختلاف مقتضيات الأحوال.⁽¹⁾

(1) مباحث في علوم القرآن ص (302) مرجع سابق.

المبحث السادس/ تعريف موجز برسل الله عليهم السلام الواردين في السورة ودعواتهم المباركة.

توطئة:

لما كانت عقول البشر قاصرة لا يستطيعون وحدهم أن يهتدوا إلى الحق، وأن يعرفوا مراد الله من خلقه، ولا يقدرون على التفريق بين الحسن والقبح، والخير والشر، هنا كانت الحاجة ماسة إلى من يعرفهم بربّهم جل وعلا، وتلكم هي مهمة الأنبياء والرسل عليهم السلام، فالأنبياء والرسل عليهم السلام - أرسلهم الله لهدایة البشرية فيبلغون إلى الناس ما يوحى إليهم من ربهم، فآمن من آمن وكفر من كفر.

هذا وقد تناولت سورة هود - وهي موضوع دراستنا - قصص عدد من هؤلاء الأنبياء الكرام، وهم أنبياء الله:

- 1- نوح-عليه السلام-
- 2- هود-عليه السلام-
- 3- صالح-عليه السلام-
- 4- لوط-عليه السلام-
- 5- شعيب-عليه السلام-
- 6- موسى-عليه السلام-
- 7- وخاتمهم نبينا محمد -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-.

وفي الأسطر القادمة تعريف موجز بهؤلاء الرسل الكرام، ودعواتهم وحالهم مع أقوامهم.

أولاً/ نوح - عليه السلام

هو أبو البشرية الثاني، وهو أول الرسل بعد آدم - عليه السلام-، وقد اصطفاه الله للنبوة، ودها له للحق، وكلفه بالرسالة، وأثنى عليه بما هو أهلها، وهو أحد أولي العزم الخمسة من الرسل، وأثنى الله عليه في القرآن فقال: ﴿ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3]، وقد فصل القرآن الكريم قصة نوح عليه -السلام- في أكثر من سورة، وخصصها بسورة كاملة؛ بيانا لأهميتها. (1) قوم نوح:

طال الزمن بعد آدم، واستمر الناس على الحق عشرة قرون⁽²⁾، وبعدها حدثت أمور أدت إلى أن يعبد الناس الأصنام المعروفة: (ودا، وسواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا)، وهذه أسماء رجال صالحين بين آدم ونوح - عليهم السلام-، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون زين لهم الشيطان عبادتهم فعبدوه.

وهذا ما قاله ابن عباس - رضي الله عنهم - قال: (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف، عند سباء، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى

(1) ورد ذكر نوح عليه السلام – في مواضع كثيرة من القرآن، منها: الأعراف (64-59)، يونس (73-71)، هود (25-48)، الأنبياء (76 - 77)، المؤمنون (30-23)، الشعراء (122-105)، العنكبوت (14-15)، الصافات (82-75)، القمر (179)، سورة نوح بكاملها.

(2) أخرجه الطبراني في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (3/621) في تفسير قوله تعالى: ({كان الناس أمة واحدة} [البقرة: 213] وذكر بسنته عن ابن عباس قال: "كان بين نوح، وآدم، عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلقو، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين} [البقرة: 213] ط دار هجر الطبعة: الأولى، 2001م، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ص 854/7 صحيح

مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى
إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت)⁽¹⁾

دعوة نوح لقومه:

أرسل الله نوحاً إلى قومه، فدعاهم إلى التوحيد، ولكن القوم رفضوا الدعوة، واتهموه بالضلالة، والجنون، والسفاهة، واتهموا أتباعه - عليه السلام - بأنهم الأراذل والسفلة، - بز عهم - الذين بمجرد ما دعوتهما اتبعوك، فهم ليسوا على بصيرة من أمرهم، يبين ذلك قول الله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُلَنَا بَادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نُظْنُكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: 27]، ولم يكتفوا بهذا، بل طلبوا من نوح أن يطردهم فلا يليق بهم أن يكونوا مع الفقراء والمستضعفين، فرد عليهم نوح - عليه السلام - قائلاً: ﴿قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَّتِ عَلَيْنِكُمْ أَنْلَزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ وَيَا قَوْمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِظَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِي أَرَأَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: 28-29]

يا قوم أخبروني إن كنت "على يقين وأمر جلي، ونبوة صادقة، وهي الرحمة العظيمة من الله به وبهم، (فعميتم عليكم) أي: خفيت عليكم، فلم تهتدوا إليها، ولا عرفتم قدرها، بل بادرتم إلى تكذيبها وردها، (أنزلتمكموها) أي: نغضبكم بقبولها وأنتم لها كارهون. " ⁽²⁾

ومع هذا استمروا في الانصراف عنه، فلم يألو نوح - عليه السلام - جهداً في دعوتهم، إلا أنهم تمسكوا بضلالهم، واستمروا في عبادة أصنامهم، وطلبوه منه

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن بباب: {ولَا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويغوق} حديث رقم (4636) بتحقيق د. مصطفى ديوب البغدادي، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق الطبعة: الخامسة 1414 هـ - 1993 م

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/317) المحقق: سامي بن محمد السلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م

أن يتركهم: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأَتَنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: 32]، ومكث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما لم يهدأ، ولم يفتر، حتى أوحى الله إليه: ﴿وَأَوْحَى إِلَيْهِ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَهِنْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: 36]، ويعجب العاقل حين يعلم قلة عدد الذين آمنوا، وقد أشار الله إلى ذلك، فقال سبحانه: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: 40]

الطوفان:

لما علم نوح - عليه السلام - بأنه لن يؤمن من قومه أحد إلا من آمن معه طلب من ربه أن يهلك الكافرين جميعا، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّي لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: 26-27]، وبدأ نوح - عليه السلام - والمؤمنون معه في صنع السفينة، فلما أتمها حمل فيها الذين آمنوا معه، ومن كل سائر المخلوقات زوجين اثنين.

وفار التنور:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنَورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقُولُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: 40] كانت العالمة لبداية الطوفان أن يفور التنور بالماء (وهو الفرن الذي يخبز فيه)، وبدأ الطوفان، فأمطرت السماء مطرًا غزيرا، وتفجرت عيون الماء من الأرض، فقال نوح: ﴿وَقَالَ ارْكُبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَحْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: 41] وبدأت السفينة تطفو على سطح الماء، ورأى نوح - عليه السلام ابنه، وكان كافرا، فناداه: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكِبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ قال سآوي إلى جبل يعصي مِنَ الْمَاءِ قال لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: 43-42]

ما بعد الطوفان:

وصدر أمر الله -تعالى- بأن يتوقف المطر ، وأن تبتلع الأرض الماء: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءِكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيَضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوْتُ عَلَى الْجُودِيٍّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلنَّقْوَمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 44]

وهنا تحركت عاطفة الأبوة فينبي الله نوح - عليه السلام- فناشد ربه في ولده، كما ذكر ذلك الحق- سبحانه-: ﴿وَنَادَى نُوحُ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَإِنَّتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمِلَ عَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرُ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: 45-47]

وكما أغرق الله تعالى ابن نوح بسبب عدم إيمانه، أغرق كذلك زوجته بسبب عدم إيمانها هي الأخرى، فقال تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٌ نُوحٌ وَأَمْرَاتٌ لُوطٌ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عَبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التعریم: 10]

الهبوط من السفينة:

ثم أمر الله نوها - عليه السلام ومن معه من المؤمنين بالهبوط من السفينة، قال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَّكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٍ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: 48]، فامتثل نوح لأمر الله، وهبط من السفينة ومعه المؤمنون، وأطلق سراح الحيوانات والطيور لتبدأ دورة جديدة من الحياة على الأرض، وظل نوح عليه السلام يدعو المؤمنين، ويعملهم أحكام الدين، ويكثر من طاعة الله إلى أن توفي ولقي ربه وهو راض عنه.

2- هود - عليه السلام-

بعث الله نبيه هوداً عليه السلام إلى قومه عاد، قال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: 50]، وقد فصل القرآن الكريم قصة هود - عليه السلام. وحاله مع قومه في أكثر من موضع؛ بياناً لأهميتها.⁽¹⁾

من هم عاد؟

كانوا عرباً يسكنون الأحقاف⁽²⁾ ، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ كُرَّ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: 21]، وكانوا يسكنون البيوت ذات الأعمدة الضخمة، ويبنون القصور العالية والحسون المرتفعة، ويتفاخرون ببنائها، وأعطى الله أهل هذه القبيلة بنية جسدية تختلف عن سائر البشر، فكانوا طوال الأجسام أقوياء، إذا حاربوا قوماً أو قاتلوهم هزمواهم، وبطشوا بهم بطشاً شديداً، ولذلك قال لهم نبيهم:

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ فَاقْتُلُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ﴾ [الشعراء: 130-131]

دعوة هود لقومه:

وبرغم هذه النعم والخيرات الكثيرة التي أعطاهم الله إياها، لم يشكروا الله - تعالى - عليها، بل أشركوا معه غيره؛ فعبدوا الأصنام، ولم يكتفوا بهذا، بل وارتكبوا المعاصي والآثام، وأفسدوا في الأرض، فأرسل الله لهم هوداً - عليه السلام - ليهديهم إلى الطريق المستقيم وينهاهم عن ضلالهم، فقال لهم: ﴿يَا قَوْمَ

(1) ورد ذكر هود - عليه السلام - في مواضع عديدة من القرآن منها الأعراف (74-65)، يونس (71-73)، هود (50-60)، الشعراء (123-140)، فصلت (1613)، الأحقاف (26-21)، القمر (18-21)، الحاقة (4-8)

(2) الأحقاف: جمع حرف بكسر فسكون، وهو المعوج من الرمل، أو هو الرمل العظيم المستدير، أو هي رمال مستطيلة بناحية الشحر، وقال ابن إسحاق: الأحقاف: رمل فيما بين عمان إلى حضرموت، وقال قتادة: الأحقاف: رمال مشرفة على البحر بالشحر بالشحر من أرض اليمن. ينظر تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (156/23)، وأطلس القرآن للدكتور شوقي أبو خليل، ص (29) ط. دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، الطبعة الثانية (1423هـ - 2003)

أَغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿50﴾ [هود: 50]، وأوصاهم بالتوبة والرجوع إلى الله عما هم فيه من عصيان، لكنهم استكبروا وأصرروا على شركهم.

وقوع العذاب بقوم عاد:

انقطع عنهم المطر مدة طويلة، ثم جاء سحاب عظيم، فلما رأوه استبشروا به، وفرحوا، وظنوا أنه سيمطر ماء، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أُودِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطَرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: 24] ظنوا أن السحب ستأتي لهم بالخير، ولكنها كانت تحمل لهم العذاب والفناء، ﴿ثُدَمِرَ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: 25] ، فجاءتهم ريح شديدة استمرت سبع ليال وثمانية أيام دائمة دون انقطاع، تدمّر كل شيء أمامها حتى أهلكتهم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرِصِيرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ خَلِ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة: 8-6]

ونجى الله هوداً والذين آمنوا معه، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ عَلِيِّظٍ ﴿٩﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٠﴾ وَأَثْبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمٌ هُودٌ ﴿١١﴾﴾ [هود: 58-60]

3- صالح - عليه السلام

بعث الله نبيه صالح - عليه السلام إلى ثمود، قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: 61]

وثمود قبيلة عربية في منطقة الحجر التي تقع بين الحجاز والشام، والتي تسمى الآن (بمدائن صالح).⁽¹⁾

وقد وردت قصة صالح-عليه السلام مع قومه في مواضع عديدة من سور القرآن الكريم.⁽²⁾

عبادة ثمود للأصنام:

أنعم الله -عز وجل- على ثمود بنعم كثيرة، وكانت لهم حضارة عمرانية كبيرة، فقد نحتوا الجبال واتخذوها بيوتاً، قال تعالى حكاية عن نبيهم: ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74]

ولكنهم قابلو النعمة بالجحود والنكران، فكفروا بالله -سبحانه-. ولم يشكروه على نعمه وعبدوا الأصنام، فأراد الله هدايتهم، فأرسل إليهمنبياً منهم، هو صالح -عليه السلام فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك ما هم فيه من عبادة الأصنام، فرفض قومه ذلك، فآمنت به طائفة من الفقراء والمستضعفين، وكفرت طائفة الأغنياء، واستكروا وكذبوا، ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: 75-76]

(1) تفسير التحرير والتنوير (216/8 ب) مرجع سابق.

(2) ورد ذكر صالح -عليه السلام - في مواضع عديدة من القرآن، منها: الأعراف (73-79)، هود (11-15)، الشعراء (141-159)، النمل (545)، القمر (3223)، الشمس (11-15).

معجزة الناقة:

وطلب القوم من نبيهم آية تدل على صدقه فقالوا له: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَتِ بِآيَةً إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: 153-154]، وحدثت المعجزة، فخرجت ناقة عظيمة من الجبل- بأمر الله تبارك وتعالى- فكانت برهانا ساطعا، ودليلًا على نبوة صالح، ولما رأى قومه هذه الآية العجيبة آمن بعض قومه، واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم، ثم أوحى الله إلى صالح أن يأمر قومه بأن لا يتعرضوا للناقة بسوء، لكن الشيطان أغواهم، فاتفقوا على قتل الناقة، قال تعالى : ﴿كَذَّبُتُ ثَمُودٍ بِطَغْوَاهَا إِذَا نَبَعْثَ أَشْقَاهَا﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةً اللَّهُ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنِيهِمْ فَسَوَاهَا وَلَا يَخَافُ عَقْبَاهَا﴾ [الشمس: 11-15]

وعلم صالح بما فعل قومه، وأوحى الله إليه أن العذاب سوف ينزل بقومه بعد ثلاثة أيام، ومرت الأيام الثلاثة، وخرج الكافرون في صباح اليوم الثالث ينتظرون ما سيحل عليهم من العذاب والنكال، وفي لحظات جاءتهم صيحة شديدة من السماء، وهزة عنيفة من أسفلهم، فز هقت أرواحهم، وأصبحوا في دارهم هالكين مصرو عين، قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةً أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: 65]، وهكذا أهلك الله عز وجل قوم صالح بسبب كفرهم وعنادهم وقتلهم لناقة الله، والاستهزاء بنبيهم صالح - عليه السلام وعدم إيمانهم به، وبعد أن أهلك الله الكافرين من ثمود، وقف صالح - عليه السلام ومن معه من المؤمنين ينظرون إلىهم، فقال صالح - عليه السلام: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: 79]

4- لوط - عليه السلام-

لوط عليه السلامنبي من أنبياء الله أرسله الله إلى قومه الذين كانوا يأتون الفاحشة ويقطعون الطريق على الناس، بقرية تسمى سدوم.⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [الأعراف: 80-81]⁽²⁾

وهو أول من آمن بإبراهيم حين رأى النار عليه بربادا وسلاما⁽³⁾ ، قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: 26]

دعوه لقومه:

وكانت أخلاق أهل تلك البلدة سيئة، فكانوا لا يستحيون من المنكر، ويقطعون الطريق، وفوق هذا كانوا يفعلون فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين؛ فكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وأخذ لوط - عليه السلام - يدعوا أهل سدوم إلى الإيمان وترك الفاحشة، لكنهم لم يستجيبوا له، واستمرروا في ضلالهم وفجورهم، فغضب لوط من قومه، وابعد عنهم هو ومن آمن به من

(1) سدوم: مدينة من مدنن قوم لوط. ينظر «معجم البلدان» لياقوت الحموي (3/200) الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية 1995م. وأشار الدكتور شوقي أبو خليل في أطلس القرآن ص 57، 61 أن ما كان يعرف قدماً ببحيرة لوط هي (البحر الميت) وفي أقصى جنوب البحر الميت قرى سدوم وعامورة اللتان دمرتا.

(2) جاءت قصة نبي الله لوط - عليه السلام في مواضع عديدة من القرآن منها: الأعراف (80-84)، هود (83-77) الحجر (77-61) الأنبياء (75-74)، الشعراة (160) (175) النمل (54-58)، العنكبوت (35-28)، الصافات (133-138)، القمر (40-33)

(3) تفسير القرطبي (339/13)، وذكر ابن كثير أن لوطا (هو ابن أخي إبراهيم الخليل - عليهما السلام-)، وكان قد آمن مع إبراهيم - عليه السلام - وهاجر معه إلى أرض الشام، فبعثه الله إلى أهل سدوم، وما حولها من القرى، يدعوهم إلى الله عز وجل، ويأمرهم بالمعروف، وينهائهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم، والمحارم، والفواحش التي اخترعواها لم يسبقهم بها أحد من بني آدم، ولا غيرهم، وهو إتيان الذكور دون الإناث، وهذا شيء لم يكن بني آدم تعهدوا ولا تألفوا، ولا يخطر ببالهم، حتى صنع ذلك أهل سدوم عليهم لعائن الله.) تفسير ابن كثير (3/444)

أهل بيته إلا زوجته، فقد كفرت وانحازت إلى قومها، وشاركتهم في مضايقته والاستهزاء به، وضرب الله بها مثلاً في الكفر، فقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتْ نُوحٍ وَامْرَأَتْ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَا هُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا التَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [التحريم: 10]، وخيانة امرأة لوط هي كفرها وعدم إيمانها بالله. (1)

الملاكية تزور لوطا - عليه السلام:

أرسل الله ثلاثة من الملائكة لنبي الله لوط - عليه السلام، فلما رأهم أصيب بالغم، لما سيترب على مجئهم من شرور قومه، قال تعالى: ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمٌ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَظَهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرُونَ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ ٧٦ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ ٧٧ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: 78-80]

وأصرروا على الدخول، ولم يجد لوط من بينهم رجلاً عاقلاً يبين لهم ما هم فيه من الخطأ، وأحس لوط بضعفه أمام هؤلاء القوم، فقال: ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: 80] ، وعندئذ كشف الضيوف عن حقيقتهم، وأخبروا لوطاً بأنهم ليسوا بشراً وإنما هم ملائكة من السماء جاءوا لتعذيب هؤلاء القوم الفاسقين، وما هي إلا لحظات حتى اقتحم قوم لوط البيت على الملائكة، فأشار أحد الملائكة بيده ناحيتهم فقد القوم أبصارهم، وراحوا

(1) قال ابن عباس وغيره: "خانتا" في الكفر، وفي أن امرأة نوح كانت تقول للناس: إنه مجنون، وأن امرأة لوط كانت تنم إلى قومه متى ورده ضيف فتخبر به وقال ابن عباس: وما بعثت زوجةنبي قط، ولا ابنتي الأنبياء في نسائهم بهذا." من تفسير "المحرر الوجيز لابن عطية (5/335) مرجع سابق

يتخبطون بين الجدران، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَوْدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَدُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرٍ﴾ [القمر: 37]

هلاك قوم لوط:

طلبت الملائكة من لوط أن يرحل مع أهله عندما يقبل الليل، لأن العذاب سينزل على قومه في الصباح، ونصحوه ألا يلتفت هو ولا أحد من أهله خلفهم عندما ينزل العذاب حتى لا يصيّبهم، قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ شَوْمَرُونَ وَقَصَّيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَاهِرَ هُؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: 65-66] وفي الليل خرج لوط وابنته وتركوا القرية، وأرسل الله العذاب الشديد على قرية سدوم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِيَعْيِدِ﴾ [هود: 82-83]

(إنها قصّةٌ غريبةٌ، قصّةٌ قومٍ أدمى الفاحشة، ابتكرها هذه الفاحشة ابتكاراً، فكان عليهم وزرها ووزر من عملها من بعدهم، هذه الفاحشة، ما حدث في قوم من الأقوام قبل لوط، فاحشة إتيان الذكور، أو ما كانوا يسمونه في عصرنا: (الشذوذ الجنسي)، والآن لم يعودوا يسمونه الشذوذ الجنسي؛ لأنَّ كلمة الشذوذ هي اسم نمٌ، وهؤلاء لا يريدون أن يذمّهم أحد، فأصبحوا يسمونه: (المثلية)؛ أي: الرجل يأتي الرجل، والمرأة تأتي المرأة، قوم لوط قاموا بهذه الفاحشة وأصبحت معروفة بينهم، واستمرأوا هذه الرذيلة، وتركوا نساءهم اللائي خلقهنَ الله لهم، ولكن هؤلاء انتكسوا وارتكسوا، قلبوها فطرة الله التي فطر الله الناس عليها، فلذلك استحقُوا عذاب الله.) (1)

وبقيت قرية سدوم عزبة وعبرة لكل الأجيال القادمة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴾ [الصفات: 137-138] ﴿ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الحجر: 137]

(1) تفسير سورة الحجر للدكتور يوسف القرضاوي باختصار يسير، ص (129) الناشر: مكتبة وهة الطبع الأولى (1433هـ - 2012)

5- شعيب - عليه السلام-

أرسل الله نبيه شعيبا إلى قومه مدين، وطلق مدين (1) على القبيلة، وعلى المدينة، وهي التي بقرب "معان" من طريق الحجاز (2)، قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمَ اغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: 84] (3)

دعوة شعيب - عليه السلام - لقومه:

كان قومه كفراً يقطعون السبيل، ويخترون المارة، ويعبدون الأية (شجرة)، وكانوا يبخسون المكيال والميزان ويطفون، فبعث الله نبيه شعيباً - عليه السلام - إليهم، فدعاهم إلى التوحيد، وترك القبائح، وعدم ظلم الناس.

قال تعالى : ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمَ اغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بِيَنْتَهِيَ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 85]، ولكن كعادة الأمم الظالمة، كذبوا نبيهم واستهزأوا به ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبَ أَصَلَّاثَكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَنْتَرِكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَنْفَعَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: 87]، فأجابهم شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلُتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88] ولكنهم عاندوا وكابروا، فتوعدهم بوقوع العذاب فقال: ﴿وَيَا قَوْمَ

(1) مدين: على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى، عليه السلام، لسامحة شعيب، وهي مدينة قوم شعيب، وتقع حالياً شرق خليج العقبة. ينظر معجم البلدان (5/78)، وأطلس القرآن ص (71)

(2) تفسير ابن كثير (3/447) مرجع سابق.

(3) ورد ذكر شعيب - عليه السلام - في مواضع عديدة من القرآن منها الأعراف (85-93)، هود (84-95)، الشعراء (190) (176)، العنكبوت (36-37)

اَغْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ
وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿93﴾ [هود: 93]

وقوع العذاب بقومه:

لما استحقوا العقاب والعذاب، جمع الله لهم صنوفاً من العذاب، لأنهم
جمعوا صنوفاً كثيرة من الأفعال القبيحة، فأخذوا بعذاب الظللة.(1)

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: 189]، ثم عذبوa بالرجمة التي زلزلت الأرض من تحتهم
وأزهقتهم، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْتُهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف:
91]، ثم عذبوa بالصيحة وهي صيحة عظيمة أخذمت الأصوات وأزهقت
أرواحهم، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود: 95-94]

فأعرض شعيب عنهم حين رأى الهلاك الذي نزل بهم وقال معلنا عدم حزنه
عليهم وعلى ما حل بهم: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي
وَتَصَحُّ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 93]

(1) الظللة سحابة بدأ لهم أرادوا أن يستظلوا بها، فكانت عذاباً لهم، انظر: التفسير الوسيط (7/1623) مرجع سابق.

6- موسى - عليه السلام

موسى - عليه السلام نبي مرسل من أولي العزم من الرسل⁽¹⁾، وتعتبر قصته عليه السلام من أكثر القصص ورودا في القرآن الكريم.⁽²⁾، وهو كليم الله، فقد كلمه الله مباشرة بدون واسطة كما قال تعالى: ﴿وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى﴾

تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164]

فرعون وطغيانه معبني إسرائيل:

استقر بنو إسرائيل في مصر زمن يوسف - عليه السلام- وأصبح لهم نسلٌ كبيرٌ، ثم دار الزمان وملك مصر فرعون، فحكم بالقوة والبطش وخشي فرعون من كثرة بنو إسرائيل أن يقع منهم شرٌ، فأذلهم واستعبدهم، وسخرهم في أشق الأعمال، وأكثرها جهداً لإنهاك قواهم، كما جعلهم فرقاً وأحزاباً، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعُفُ طَاغِيَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ﴾

(1) ورد ذكر نبي الله موسى - عليه السلام في مئة وواحد وثلاثين آية في أربع وثلاثين سورة من سور القرآن الكريم منها: البقرة وآل عمران، النساء، المائدة الأربع، الأعراف، يونس، مريم، طه، القصص، الكهف.

(2) لعل السبب في ذلك ما ذكره ابن تيمية ، في مجموع الفتاوى (9/12)، قال: وثنى قصة موسى عليه السلام مع فرعون لأنهما في طرف نقيض في الحق والباطل، فإن فرعون في غاية الكفر والباطل حيث كفر بالربوبية وبالرسالة، وموسى عليه السلام في غاية الحق والإيمان من جهة أن الله كلمه تكليما لم يجعل الله بينه وبينه واسطة من خلقه، فهو مثبت لكمال الرسالة وكمال التكلم، ومثبت لرب العالمين بما استحقه من النعوت، وهذا بخلاف أكثر الأنبياء مع الكفار، فإن الكفار أكثرهم لا يجدون وجود الله، ولم يكن أيضاً للرسل من التكليم ما لموسى؛ فصارت قصة موسى عليه السلام وفرعون أعظم القصص وأعظمها اعتباراً لأهل الإيمان وأهل الكفر. انتهى.

وأشار ابن القيم إلى فائدة أخرى وهي وجود التنااسب بين شريعة موسى وشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبين كتابيهما ولهذا يكثر في القرآن ذكر موسى وكتابه وبعده ذكر القرآن؛ كما قال الله تعالى: (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكراً للمتقين) [الأنبياء:48]، ولهذا يذكر الله سبحانه وتعالى قصة موسى عليه السلام ويعيدها ويبيدها ويسلّي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يناله من أذى الناس: لقد أودي موسى بأكثـر من هذا فصـير. فتأمل هذا التـناـسب بين الرـسـولـينـ وـالـكتـابـيـنـ وـالـشـرـيـعـيـنـ. يـنـظـرـ جـلـاءـ الـأـفـهـامـ لـابـنـ الـقـيـمـ (197-200) بـتـحـقـيقـ شـعـيبـ الـأـرـنـاؤـوطـ. عـبـدـ الـقـادـرـ الـأـرـنـاؤـوطـ، النـاـشـرـ: دـارـ الـعـرـوـبةـ -

الـكـوـيـتـ الطـبـعـةـ: الثـانـيـةـ، 1407 - 1987

أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحِي نِسَاءُهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿القصص: 4﴾، ومررت السنوات، فقل عددبني إسرائيل بسبب قتل الذكور من المواليد، فخافوا أن لا يجدوا من يعمل في أراضيهم ويخدمهم، فقرر فرعون أن يقتل الذكور عاماً، ويتركهم عاماً آخر، فولد هارون في العام الذي لا يُقتل فيه الأطفال. (1)، أما موسى فقد ولد في عام القتل، فخافت أمه عليه، واحتار تكيرها في المكان الذي تضعه فيه بعيداً عن أعين جنود فرعون فأوحى الله تعالى إليها: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزِنِي إِنَّا رَادُوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجندهما كانوا خاطئين ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْشُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْقَعَنَا أَوْ نَتَّخِذُهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 9-7] ﴿القصص: 4﴾

عودة موسى إلى حضن أمه:

وأمرت أم موسى أخته بمتابعته، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ لِأُخْتِهِ قُصِّيَهِ فَبَصَرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 10-11]، والتمست زوج فرعون المراضع لهذا الطفل الصغير؛ فأمرت بإحضار مرضعة ترضعه، فجاء إلى القصر عدد كثير من المرضعات، لكن الطفل امتنع عن أن يرضع منها، مما جعل أهل القصر ينشغلون بهذا الأمر ، واشتهر هذا الأمر بين الناس، فعرفت أخته بذلك، فأشارت عليهم أنها تعلم مرضعة تصلح لهذا الطفل، واستدعت زوجة الملك أم موسى وأحسنت إليها وأعطتها عطاء جزيلاً - وهي لا تعرف أنها أمه الحقيقة - وحين طلبت أم موسى أن تأخذ معها موسى لترضعه في بيتها أجابتها امرأة فرعون إلى ذلك، وأجرت عليها النفقة. (2)

حادثة قتل موسى للقطبي:

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفَلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ اللَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى اللَّذِي مِنْ

(1) ينظر تفسير ابن كثير (6/221) مرجع سابق.

(2) ينظر التفسير الوسيط 1745/7 مرجع سابق.

عَدُوٌ فَوْكَرٌ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌ مُضِلٌ مُبِينٌ^{١٥}
 قَالَ رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ^{١٦} قَالَ رَبِّي مَا
 أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ^{١٧} [القصص: 17-15] ، ودخل موسى المدينة
 مستخفيا في وقت راحة الناس فيها في بيوتهم في وقت القيلولة، أو ما يشبه ذلك،
 فوجاد فيها أي رجلين يتخاصمان ويتنازعان في أمر من الأمور؛ هذا من شيعته
 من بنى إسرائيل، والثاني كان من القبط الذين كانوا يسمون بنى إسرائيل سواء
 العذاب، فاستغاثة الإسرائيلي لينقذه من يد القبطي، فوكزه موسى (الضرب بجميع
 الكف) قتيلاً، وهو لا يريد قتله، وإنما كان يريد دفعه ومنعه من ظلم الرجل
 الإسرائيلي، ولكن موسى- عليه السلام بعد أن رأى القبطي جثة هامدة، استرجع
 وندم، وقال: هذا الذي فعلته وهو قتل القبطي، من عمل الشيطان ومن تزيينه فهو
 عدو للإنسان مضلل له عن طريق الحق، ثم أضاف إلى هذا الندم والاسترجاع،
 ندما واستغفارا آخر فقال: رب إني ظلمت نفسي، بتلك الضربة التي ترتب عليها
 الموت، فاغفر لي ذنبي، فغفر الله تعالى- له ذنبه، فقال: رب اعصمني بحق ما
 أنعمت على من المغفرة فلن أكون- إن عصمتني- ظهيرا للمجرمين.⁽¹⁾

انتشار خبر مقتل الرجل القبطي:

وفي اليوم التالي وبينما موسى يسير في المدينة؛ وجد الرجل الإسرائيلي
 نفسه يتشارج مع مصربي آخر، واستغاث مرة ثانية بموسى فغضب موسى من
 هذا الأمر، ثم تقدم ليفرض هذا النزاع، فظنّ الإسرائيلي أن موسى سيقبل عليه،
 ليضربه لأنّه غضبان منه ففضح الأمر بحماقته، قال تعالى : ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ
 حَابِّاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَضْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ
 مُبِينٌ^{١٨} فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي

(1) ينظر التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوي (387 / 10 وما بعدها)
 الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى (1997)
 (1998، م. 64).

كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٦﴾ [القصص: 18-19]

ومن هنا انتشر الخبر وعرفوا أن موسى هو القاتل، واجتمع الملا من قوم فرعون ليبحثوا الأمر بعد أن تبين أن موسى هو القاتل، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَأَخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَابِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّنَجِنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ [القصص: 20-21]، فخرج موسى - عليه السلام - من مصر ممتلاً نصح ذلك المؤمن خائفاً يتوقع أن يتعرض له أعداؤه بالأذى في الطريق، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَابِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّنَجِنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدِينَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [القصص: 21-22]

وصول موسى - عليه السلام - ماء مدين:

فلما وصل إلى مدين توجه ناحية شجرة بجوار بئر، وجلس تحتها فرأى فتاتين، ومعهما أغناهما تقفان بعيداً عن الازدحام حتى ينتهي الناس، فتقدم موسى منهما، وسألهما عن سبب وقوفهم بعيداً، فأخبرتا أنهما لا يسقيان حتى ينتهي الناس من سقي أغناهما، ويخف الزحام، وقد خرجا يسقيان لأن أباهما

شيخ كبير لا يستطيع أن يتحمل مشقة هذا العمل، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّي إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ [القصص: 23-24]، ولما عادت الفتاتان إلى أبيهما، قصتا عليه ما حدث، فأعجب الأب بهذا الرجل الغريب وشهامته ومرءته، وأمر إحدى ابنته أن تخرج إليه، وتدعوه للحضور ليكافئه، ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخْفَ نَجْوَتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: 25] ، وهنا طلبت إحدى الفتاتين من أبيها أن يستأجر موسى ليعينهما فهو

رجل قوي أمين، قال تعالى : ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ قال إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَّاجٍ فَإِنْ أَتَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشَقَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قال ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيْمًا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُذْوَانَ عَلَى وَاللَّهِ عَلَى مَا تَقُولُ وَكَيْلٌ﴾ [القصص: 26-28] ، فوافق موسى على هذا الأمر، وتزوج إحدى البنتين، واستمر يرعى الغنم عشر سنين، ثم أراد موسى الرحيل والعودة بأهله إلى مصر، فوافق الشيخ الصالح على ذلك، وأكرمه وزوجه بما يعينه في طريق عودته إلى مصر. (1)

تكليف موسى بالرسالة:

وسار موسى بأهله تجاه مصر، حتى حل عليهم الظلام، فجلسوا يستريحون من أثر هذا السفر، وكان الجو شديد البرودة، فأخذ موسى يبحث عن شيء يستدفون عليه، فرأى ناراً من بعيد، فطلب من أهله الانتظار؛ حتى يذهب إلى مكان النار، ويأتي منها بشيء يستدفون به، وتوجه موسى وفي يده عصاه ناحية النار التي شاهدها، فلما وصل إليها سمع نداء يقول: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ

(1) قال ابن كثير: وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل من هو؟ على أقوال: أحدها أنه شعيب النبي عليه السلام الذي أرسل إلى أهل مدين. وهذا هو المشهور عند كثيرين، وقد قاله الحسن البصري وغير واحد. ورواه ابن أبي حاتم. حدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز الأويسي، حدثنا مالك بن أنس؛ أنه بلغه أن شعيبا هو الذي قص عليه موسى قال: ولا تخف نجوت من القوم الظالمين، وقد روى الطبراني عن سلمة بن سعد العنزي أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: "مرحبا بقوم شعيب وأختان، موسى هديت، وقال آخرون: بل كان ابن أخي شعيب. وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب. وقال آخرون كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة؛ لأنَّه قال لقومه: وما قوم لوط منكم بعيد [هود: 95]. وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل، عليه السلام بنص القرآن، وقد علم أنه كان بين موسى والخليل عليهما السلام، مدة طويلة تزيد على أربعين سنة، كما ذكره غير واحد. وما قيل: إن شعيبا عاش مدة طويلة، إنما هو والله أعلم احتراز من هذا الإشكال، ثم من المقوى لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إيه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن هاهنا وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذلك في قصة موسى لم يصح إسناده، كما سنذكره قريبا إن شاء الله. ثم من الموجود في كتببني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه: "ثرون"، والله أعلم. أهد من تفسير ابن كثير (6/228)

شَاطِئُ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ
 الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَانَهَا جَانِّ وَلَّ مُذْبِرًا وَلَمْ يُعِقِّبْ يَا
 مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخْفُ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿٢﴾ [القصص: 30-31]، ومن هنا كان التكليف
 الإلهي لموسى - عليه السلام- بالرسالة فأمره الله-عز وجل- بالذهب إلى فرعون
 لهدايته وتبلغه الدعوة، فاستجاب موسى لأمر ربه، ثم أخذ يدعو ربه بأن يوفقه
 لما هو ذاذهب إليه، ويسلامه العون والمدد، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ
 لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: 25-28]، وسأل موسى ربه أن
 يعينه أخيه هارون ليكون عونا له على مهمته، فقال: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ
 أَهْلِي ﴿٣﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٤﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٥﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٦﴾ كَمَنْ سُبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٧﴾
 وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٩﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُولَكَ يَا مُوسَى ﴿١٠﴾ [طه:
 36-29]، وكان فرعون جبارا في الأرض شديد البطش والظلم بيني إسرائيل
 فتوجه هارون وموسى - عليهم السلام- إلى ربهما يدعوانه بأن ينقذهما من
 طغيان فرعون ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغِي﴾ [طه: 45]، فقال
 لهما الله تعالى مطمئنا ومثبتا: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرِي﴾ [طه: 46] ،
 فلما ذهب موسى مع أخيه هارون إلى فرعون قاما بدعوته إلى الله، وإخراجبني
 إسرائيل معهم، لكن فرعون راح يستهزئ بهما ، ويسيء منهما ، ومما جاء به،
 وذكر موسى بأنه هو الذي رباه في قصره وظل يرعاه حتى قتل القبطي وفر
 هاربا، كما بين الله تعالى في قوله حكاية عن فرعون : ﴿قَالَ أَلَمْ نُرِبِّكَ فِينَا وَلِيدًا
 وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١١﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٢﴾
 قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٣﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي
 حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٥﴾
 [الشعراء: 18-22]، وقال فرعون مستنكرا ما قاله موسى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ
 الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ لِمَنْ
 حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿١٨﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي

أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمْجُنُونٌ^{٢٩} قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ^{٣٠} قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ^{٣١} قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ^{٣٢} قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ^{٣٣} فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعبَانٌ مُّبِينٌ^{٣٤} وَنَزَعَ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ^{٣٥} [الشعراء: 33-23]

ومع هذه الآيات البينات؛ إلا أن فرعون أعلن في قومه أن موسى - عليه السلام - ساحر، ليهون من شأن موسى - عليه السلام -، وبينال منه، منعا لقومه أن يميلوا إليه، فقال: ﴿قَالَ لِلْمَلِإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ^{٣٦} يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرٍ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ^{٣٧} قَالُوا أُرْجِهُ وَأَخْاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاسِرِينَ^{٣٨} يَا أَئُثُوكَ بِكُلِّ سَحَارٍ عَلِيمٍ^{٣٩}﴾ [الشعراء: 37-34]

واتفقوا على أن يكون الموعد يوم عيدهم: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنَّ يُحْشِرَ النَّاسُ صُحَّى﴾ [طه: 59]، ويوم الزينة يوم عيد كان لهم، أو سوق كانوا يتزينون فيه (١)، فاختاره موسى عليه السلام حتى يحضر الكثير من الناس هذا المشهد، واختار وقت الضحى ليكون كل شيء واضح لكل ذي عينين.

وسرع فرعون في إعلان الموعد لجميع الناس، ليشهدوا هذا اليوم، وكتب إلى كل السحرة ليعدوا العدة لذلك اليوم.. وجاء اليوم المنتظر ، وتسابق الناس إلى ساحة المناظرة، قال تعالى: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ^{٤٠} وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ^{٤١} لَعَلَّنَا نَتَبَعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ^{٤٢} فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ^{٤٣} قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَرِينَ^{٤٤}﴾ [الشعراء: 42-38]، وعرض السحرة على موسى أحد أمرين؛ إما أن يلقى عصاه أولاً أو يلقوا عصيهما أولاً؟ فترك لهم موسى البداية.

(1) ينظر تفسير الطبرى (18/323)

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا أَنْتَ تُلْقِي وَإِنَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ قال بَلَّ الْقُوَّا فَإِذَا حِبَالْهُمْ وَعِصَيْهُمْ يُخْيِلُ إِلَيْهِ مِنْ سُخْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَ﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَ﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: 70-65]، لقد آمن السحرة بعد أن تيقنوا أن ما حدث ليس سحرا - فهم أعلم الناس بالسحر - وإنما هو حقيقة وواقع كل منهم سجدا لله وحده معلنين إيمانهم بالله وبرسالة رسوليه موسى وهارون - عليهما السلام-، وهذا اشتد غيظ فرعون وأخذ يهدد السحرة ويتوعدهم بالعذاب والنkal، كما قال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلِمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا أَقْطِعُنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافِ وَلَا أُصْلِبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَا تَعْلَمُنَّ أَيْنَا أَشَدُ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضِ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَنْجِيَ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ جَنَّاتُ عَدْنِ تَخْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَّغَ﴾ [طه: 76-71]

التحريض على قتل موسى:

أصدر فرعون أوامره لجنوده أن يقتلوا أبناء الذين آمنوا من بني إسرائيل، ويتركوا النساء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرُكُ وَآلَهَتَكُ﴾ قَالَ سَئَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقُهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127] ، واستطاع فرعون بهذه التهديدات أن يرهب الضعاف من قوم موسى، فلم يؤمنوا به خوفاً من فرعون وبطشه، قال تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى

إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلِئِيهِمْ أَنْ يَفْتَنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمَنِ الْمُسْرِفِينَ ﴿[يونس: 83]

عقاب الله لفرعون وقومه لعلهم يرجعون:

ومع بلوغ فرعون ما بلغ من الفجور والبغى والظلم والعلو في الأرض وموافقة قومه له في ذلك؛ سلط الله عليهم أعوام جدب وفقر حيث قل ماء النيل، ونقصت الثمار، وجاع الناس، وعجزوا أمام بلاء الله - عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخْذَنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسَّيِّئَاتِ وَنَقْصٍ مِّنَ الشَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 130]، ثم أنزل الله بهم أنواعاً أخرى من العذاب لاستكبارهم وإصرارهم على الكفر بالله وبرسوله، قال تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الظُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُملَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133]

ولجأ قوم فرعون لنبي الله موسى أن يدعو ربه بكشف هذا العذاب عنهم على وعد بإطلاق سراح بنى إسرائيل، فدعا موسى ربه حتى استجاب له، وكشف ما أصاب فرعون وقومه من عذاب وبلاء، لكن فرعون زاد في عناده وكفره بالله، ولما رأى موسى إصرار فرعون على كفره وجحوده، وتماديه في غيّه وتكتيبه بكل الآيات التي جاء بها، دعا عليهم فقال: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لَيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: 88] ، واستجاب الله لدعاه نبيه فقال: ﴿قَالَ قَدْ أُحِبِّتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: 89]

خروج موسى - عليه السلام ببني إسرائيل:

وأمر الله - تبارك وتعالى - نبيه - موسى وهارون - عليهما السلام - (أن يخرج ببني إسرائيل من مصر، فخرجوا على حين غفلة من فرعون وقومه فلما علم فرعون بخروجهم، خرج بجنوده في طلبهم بغياناً وعدوا، فلما أدركهم قالوا يا موسى كيف الخلاص؟ والبحر أمامنا والعدو وراءنا، فأوحى الله إليه أن اضرب بعساك البحر فانفلق كل فرق كالطود العظيم، فسلك موسى ببني إسرائيل طريقاً في البحر ييسراً ووصل فرعون وجنوده إلى الساحل وكان طريق بني

إسرائيل في البحر لا يزال باقيا، فسار فيه فرعون بجنوده فلما اكتملوا جميعاً فيه
وهم أولهم بالخروج، انطبق البحر عليهم وأغرقوه أجمعين⁽¹⁾

قال الحق - تبارك وتعالى -: ﴿فَأَتَبْعَهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانِ قَالَ
أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُذْرَكُونَ ﴿٦﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٧﴾ فَأَوْحَيْتُنَا إِلَى مُوسَى
أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٨﴾ [الشعراء: 63-64]
ولما أدرك فرعون أنه سيغرق أراد أن ينجو فقال آمنت بربه بنبي إسرائيل، لكن
هيئات هيهات ، قال تعالى: ﴿وَجَاءُونَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبْعَهُمْ فِرْعَوْنُ
وَجُنُودُهُ بَعْيَا وَعَدْوَا حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكُهُ الْغَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ
بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩﴾ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠﴾
فَالْيَوْمَ نُنَجِّيُكَ بِبَدْنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا
لَغَافِلُونَ ﴿١١﴾ [يونس: 90-92]، لقد نفذ أمر الله، وغرق فرعون لأنها آمن و هو يعاين
الموت وهذا وقت لا تنفع فيه التوبة، ولا ينفع الندم.

بنو إسرائيل في سيناء:

عبر موسى - عليه السلام - وقومه البحر، ومضوا في طريقهم حتى وصلوا
إلى قوم يتخذون الأصنام لله لهم، فطلب قوم موسى منه أن يتذدوا الله كما لهم،
فأجابهم موسى - عليه السلام - مستترًا: كيف تطلبون هذا الطلب وقد أنجاكم الله
من فرعون وبطشه بكم وبأولادكم كما بين ذلك الحق - تبارك وتعالى -. فقال:
﴿وَجَاءُونَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامِ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى
اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ هُؤُلَاءِ مُتَّبِرُ مَا هُمْ فِيهِ
وَبَاطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَعْيُزُ اللَّهَ أَبْغِيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَلَّكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾
وَإِذَا أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُوْمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ [الأعراف: 138-141]

(1) ينظر تفسير الطبرى (134/4)

موسى يذهب للقاء ربِّه:

وَاعْدَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَكْلُمَهُ فِي مَوْعِدٍ بَعْدَ أَرْبَعينَ لَيْلَةً، وَاسْتَخْلَفَ مُوسَى أَخَاهُ هَارُونَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِلقاءِ رَبِّهِ، وَكَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، فَطَلَبَ مُوسَى مِنْهُ - سُبْحَانَهُ - أَنْ يَرَاهُ، فَأَخْبَرَهُ رَبُّهُ بِأَنَّهُ لَا يَمْكُنُهُ تَحْمُلُ ذَلِكَ؛ وَأَعْطَاهُ بِرْهَانًا حَسِيبًا عَلَى ضَعْفِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَاعْدْنَا مُوسَى ثَلَاثَيْنَ لَيْلَةً وَأَثْمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^{١٤٥} وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّي أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانًا فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِيقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ ثُبَّثَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ^{١٤٦} قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ^{١٤٧}﴾ [الأعراف: 142-144]

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري، قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد لطم وجهه، فقال: يا محمد، إن رجلا من أصحابك من الأنصار لطم وجهي، قال: (ادعوه). فدعوه، قال: (اللهم لطم وجهه). قال: يا رسول الله، إني مررت باليهود فسمعته يقول: والذى اصطفى موسى على البشر، قال: قلت: أعلى محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال: فأخذته غضبة فلطمته، قال: (لا تخironi من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيمة، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدرى أفاق قبلى، أم جوزي بصعقة الطور).⁽¹⁾

ثم أخذ الألواح، وأمره أن يأخذها بقوه وأن يعمل بما فيها ، قال تعالى:
﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأُمْرٍ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾^{١٤٩} سَاصِرُفْ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الديات، باب: إذا لطم المسلم يهوديا عند الغضب، حديث رقم: (6519)

لَا يَتَّخِذُو سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُو سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٥﴾ [الأعراف: 145-146]

السامري وعبادة العجل:

وعلم موسى وهو يكلم رب العزة أن قومه قد فتنوا وعبدوا العجل، وأن رأس الفتنة في ذلك السامری الذي صنع لهم عجلًا من الحلي التي أخذوها من المصريين عند خروجهم، وادعى أنه إلههم، وأن عليهم عبادته، ففتن القوم، وعبدوه من دون الله، قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجَالًا جَسَدًا لَهُ خُوارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [طه: 88]، ونهاهم هارون -عليه السلام- عن ذلك، فلم يستجيبوا له، بل اشتد تمسكهم بعبادة العجل، فقالوا: ﴿لَنْ نَبْرَحْ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ [طه: 91]، فلما عاد موسى -عليه السلام- إلى قومه وقد اشتد غضبه وأسفه قال لهم معتاباً ومستكراً: ﴿قَالَ يَا قَوْمَ أَلْمَ يَعِدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ [طه: 86] ، واشتد على أخيه هارون -عليه السلام-، وأمسك برأسه ولحيته حتى استرحمه أخوه بقوله: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقِبْ قَوْلِي﴾ [طه: 94]، وأخبره أنهم استضعفوه، وكادوا يقتلونه، فلم يقو على ردّهم.

ثم توجه بالسؤال إلى السامری، فسألته عن فعلته، ﴿قَالَ فَمَا حَطَبْتَ يَا سَامِرِي﴾ [٩٦] قال بصرث بما لم يبصروا به فقبضت قبضةً من أثر الرَّسُولِ فنبذتها وَكَذَلِكَ سَوَّلْتَ لِي نَفْسِي﴾ [٩٧] قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلقه وأنظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لئحرقة ثم لننسفنه في اليم نسقاً﴾ [طه: 95-97]

نعم الله على بني إسرائيل:

ومن نعم الله تعالى على بني إسرائيل أنهم وهم في الصحراء أرahlen الله آياته من تظليل الغمام لهم وساق لهم من الطعام الطيب، قال تعالى: ﴿وَظَلَّنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلَوَىٰ كُلُّا مِنْ طَبِيعَتِ مَا رَزَقْنَاهُمْ وَمَا ظَلَمْنَا وَلَكِنَّ كَانُوا أَنفَسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: 57]، ثم فجر لهم الله اثنين عشرة عيناً ليشربوا ماء عذباً سهلاً يسيراً في هذه الصحراء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُّا وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: 60]، ومع كل هذه النعم طلب بنو إسرائيل من موسى أن يأكلوا مطعومات أخرى غير الماء والسلوى كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِنَابِهَا وَفُؤَمِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الدِّيْنَ هُوَ أَدْنَى بِالَّدِيْنِ هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: 61]

يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة:

وتنفيذاً لأمر الله -تبارك وتعالى- أمر موسى -عليه السلام- أن يدخلوا الأرض المقدسة فلسطين، وبين لهم أن الله كتب لهم دخولها والنصر على عدوهم؛ فلا ينبغي أبداً أن ينكروا عن أمر الله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ يَا قَوْمَ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُوا عَلَى أَذْبَارِكُمْ فَتَنَقْلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 20-21]

ولكن بني إسرائيل كعادتهم جادلوا نبيهم وقالوا له: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَائِلُونَ﴾ [المائدة: 22]، وهذا أللهم الله رجلين مؤمنين أن يقولا لهم: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ

يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿23﴾ [المائدة: 23] فقط عليكم أن تأخذوا بالأسباب، وقلوبكم معلقة بالله الذي بيده النصر، لكن القوم قد تمكّن الجن والضعف منهم فقالوا: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]

وهنا توجه موسى -عليه السلام- بالشكوى إلى ربه قائلاً: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَأَفْرُقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَسِيقِينَ﴾ [المائدة: 25]، وقد استجاب الله -تبارك وتعالى- دعاءه فيهم، فقال: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيمُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَسِيقِينَ﴾ [المائدة: 26]

وفاة موسى عليه السلام ومكان دفنه:

وبقي موسى في قومه في فترة التيه حتى وفاه الأجل، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عن موسى لما حضرته الوفاة: فسأل الله أن يدّنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، والحديث رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر).⁽¹⁾

فسائل موسى ربه أن يقبضه على مشارف الأرض المقدسة التي كان يتشفّف أن يدخلها مع قومه، فلما حدث منهم ما حدث من نكول سأل الله ذلك، ومقدار رمية حجر أي قريباً منها أو على مشارفها.

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب: من أحب الدفن ليلاً في الأرض المقدسة أو نحوها حديث رقم (1274) ورواه مسلم في كتاب الفضائل باب فضائل موسى حديث رقم (2372) بتحقيق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصارى وآخرون، الناشر: دار الطباعة العاصرة - تركيا، عام النشر: 1334 هـ

7- خاتم الأنبياء والمرسلين

محمد - صلى الله عليه وسلم-

ولد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب - صلى الله عليه وسلم - بمكة، يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول، عام الفيل في أشرف بيت من بيوت العرب، وهم بنو هاشم، وكان قد توفي أبوه وهو جنين في بطن أمه. (1)

في بني سعد:

واسترضع له امرأة من بني سعد، وهي حليمة، ورأت حليمة من بركته ما قصت منه العجب، وفي السنة الرابعة من مولده وقع حادث شق صدره وخشيته عليه حليمة بعد هذه الواقعة فردهه إلى أمه، فكان عند أمه إلى أن بلغ ست سنين، ثم ماتت أمه فكفله جده حتى مات عنه وهو ابن ثمانين سنين فكفله عمه أبو طالب.

حرب الفجار:

وفي العشرين من عمره صلى الله عليه وسلم وقعت حرب بين قريش وبين قيس عيّلان، تعرف بحرب الفجار، وسميت بذلك؛ لانتهاك حرمة شهر الحرام فيها، وقد حضر هذه الحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ينبل على عمومته؛ أي يجهز لهم النبل للرمي.

حلف الفضول:

وعلى أثر هذه الحرب وقع حلف الفضول فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، وشهد هذا الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم.

زواجه بخديجة:

ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عمل معين في أول شبابه، إلا أن الروايات تواترت أنه كان يرعى غنماً، ويبدو أنه انتقل إلى عمل التجارة حين شب، وفي

(1) نظراً لاتساع الكلام في سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم بما يتسع له مجلدات فقد قام الباحث بتلخيص هذا المبحث من كتاب الرحيم المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري ط دار

الوفاء الطبعة العشرون 2009

الخامسة والعشرين من سنها خرج تاجراً إلى الشام في مال خديجة، ولما رجع إلى مكة، ورأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبل هذا، فوجدت ضالتها المنشودة فيه فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها، فذهبت إليها تفاتها أن يتزوج خديجة، فرضي بذلك، وكل أعمامه، وتم الزواج، وكل أولاده صلى الله عليه وسلم منها سوى إبراهيم.

حالة العرب قبل الإسلام:

كانت العرب قد انتشرت بينهم عبادة الأصنام، وكانوا يؤمنون بأن الله هو الخالق الرزاق الحي المحيي المميت، ومع ذلك كانوا يشركون به ويدعون معه غيره، بل كانت الكعبة وهي بيت الله المعظم تحيط بها الأصنام من كل جانب.

جبريل ينزل بالوحي:

ولما تكامل له أربعون سنة أكرمه الله بالنبوة، وأنزل عليه أول ما نزل من آيات سورة العلق، قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ إِلَيْكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَنْ عَلِمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5]، ثم انقطع الوحي أياماً، ثم عاد بتکليف النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِيرٌ﴾ وَثِيَابَكَ فَظَهِيرٌ﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ وَلَا تَمْنَنْ شَسْكَثِرُ﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: 1-7]

ثلاث سنوات من الدعوة السرية:

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى؛ وكان من الحكمة أن تكون الدعوة في بدء أمرها سرية؛ فعرض الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام أولاً على الصق الناس به من أهل بيته وأصدقائه، فدعاهم إلى الإسلام، ودعا إليه كل من توسم فيه الخير من يعرفهم ويعرفونه، وعرف هؤلاء بالسابقين الأولين.

الجهر بالدعوة

نزل الوحي يكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بإعلان الدعوة، قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَغْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94-95]

مقاومة قريش للدعوة

انزعج كفار مكة من دعوة التوحيد، ورأوا فيها تهديداً لمراكيزهم وسيادتهم ول์معتقداتهم الموروثة عن آبائهم ، فانتصبوا لعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم ومقاومة دعوته وإلحاق الأذى به؛ فمضى رسول الله صلی الله عليه وسلم على ما هو عليه، يظهر دين الله، ويذيع إلیه وانتشر خبره بين القبائل، وأمن به بعض الأفراد القلائل، وثبت كل قبيلة من قريش على من فيها من مستضعف المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم، بالضرب والجوع ، والعطش، ورمضاء مكة والنار ليقتلوهم عن دينهم، ولم يسلم الرسول صلی الله عليه وسلم منهم فقد لحق به أشد أنواع الأذى، وكانوا يسخرون ويستهزئون به فاتهموه بالجنون، واتهموه بالسحر والكذب.

المبالغة في إيذاء النبي صلی الله عليه وسلم:

في الحديث عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه قال: (بينما رسول الله صلی الله عليه وسلم يصلی عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جوزر بالأمس، فقال أبو جهل أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان، فياخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقي القوم فأخذه، فلما سجد النبي صلی الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلی الله عليه وسلم، والنبي صلی الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنـه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي صلی الله عليه وسلم صلاتـه، رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا ثلاثة، وإذا سأـل ثلاثة، ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاثة مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنـهم الضحك، وخافوا دعـته، ثم قال: اللهم، عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عقبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمداً صلـي الله عليه وسلم بالحق، لقد رأـيت الذين سـمى صرـعـي يوم بدر، ثم سـحبـوا إلى القـليب، - قـليب بـدر -.)⁽¹⁾

(1) رواه البخاري في كتاب الوضوء، باب: إذا ألقى على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته، حديث رقم (237) ورواه مسلم في صحيحه في الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلـي الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، حديث رقم: (1794)

ومع ذلك فقد استمر النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الله تعالى صابراً محتسباً، فكان يحضر مجامعهم ومحافلهم وفي المواسم، وفي الحج يبلغ الرسالة ويعودي الأمانة ويعرض الدعوة.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه أصحابه لتحمل أذى المشركين، ويربيهم على الصبر والثبات وتحمل الأذى، ولما اشتدّ بهم البلاء أذن الله لهم بالهجرة الأولى إلى الحبشة، ثم عادوا بعد أن سمعوا أن قريشاً قد كفت عن الأذى، وكان ذلك غير صحيح، فلما اشتد الأذى أذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة مَرَّةً ثانيةً.

بيعة العقبة الثانية:

وفي العام 12 منبعثة، وافي اثنا عشر رجلاً من الأنصار في الموسم، فاجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبايدهم، فلما عادوا أرسل معهم مصعب ابن عمير إلى المدينة، وفي العام الذي يليه حضر من الأنصار جماعة في موسم الحج، فاجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم مستخفين، وكانوا سبعين رجلاً وامرأتين، وبايدهم على النصرة والتأييد، وعلى أن يمنعوه مما يمنعون أنفسهم وأهليهم.

وببدأ المسلمين بالهجرة إلى المدينة، ورأت قريش أن الرسول قد صار له شيعة وأصحاب بغير بلدتهم، فتآمروا على قتلها فأنجزاه الله منهم، وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم بصحبة أبي بكر - رضي الله عنه - تحفهما عنابة الله وحفظه، ووصل الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه المدينة، واستقبله الأنصار بحفاوة بالغة، وقام بناء المجتمع في المدينة، فبدأ أولاً بناء مسجده بالمدينة، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار، وأقام معاهدة مع اليهود بالمدينة.

غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم:

كان الأمر الإلهي للنبي وصحبه بمكة ﴿كُفُوا أَيْدِيَكُم﴾ [النساء: 77] ، فلما هاجروا إلى المدينة، أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يعد العدة لمواجهة أعداء الإسلام، وأذن الله للمؤمنين بالقتال كما في قوله تعالى : ﴿أَذِنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: 39] ، فواجه قريشاً في غزوة بدر وهزمهم شر هزيمة، ثم كانت غزوة أحد، ثم غزوة الخندق فهزم الله الأحزاب ، ثم تتابعت الغزوات والسرایا، وكانت الحديبية، ثم خيبر، إلى أن جاء فتح مكة فدخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معه عشرة آلاف مقاتل واستسلمت قريش وعفا عنهم.

الناس يدخلون في دين الله أفواجاً

كان فتح مكة معركة فاصلة، قضت على الوثنية قضاء باتاً، عرفت العرب لأجلها الحق من الباطل، وزالت عنهم الشبهات، فتسارعوا إلى اعتناق الإسلام، ولذلك نرى الوفود تقصد المدينة تترا في العامين التاسع والعشر، ونرى الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، حتى إن الجيش الإسلامي الذي كان قوامه عشرة آلاف مقاتل في غزوة الفتح، إذا هو يبلغ ثلاثة ألف مقاتل في غزوة تبوك قبل أن يمضي على فتح مكة عام كامل.

حجـة الوداع

أعلن النبي صلى الله عليه وسلم بقصده لهذه الحجة المبرورة، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتـم برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وخرج صلى الله عليه وسلم فواصل سيره حتى دخل مكة - فلما دخل المسجد الحرام طاف بالبيت، وسعي بين الصفا والمروءة، ولم يحل لأنـه كان قارناً قد ساق معه الهدي، وفي يوم عرفة قام فيهم خطيباً، وبعد أن فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من إلقاء الخطبة نزل عليه قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدـة: 3]، وبasher بقية المناسك على ما هو مبين بكتب الفقه.

وفاة رسول الله:

وبعد رجوعه - صلى الله عليه وسلم - من الحج، وفي شهر ربيع الأول بدأ به المرض، ثم اشتد وجـعه حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى في 12 ربيع الأول 11هـ.

الباب الأول

المناهج الدعوية في رسالة

نوح - عليه السلام -

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول / المنهج العاطفي.

الفصل الثاني / المنهج العقلي.

الفصل الثالث / المنهج المحسني.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة

نوح - عليه السلام -

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول

المنهج العاطفي في دعوة نوح عليه السلام

تعريفه:

لغة: مأخوذ من الفعل عطف: والذى يأتى فى اللغة بعدة معان منها: البر والصلة والرقى، وحسن الخلق، والشفقة، والحنو، والميل.⁽¹⁾

واصطلاحاً هو: "النظام الدعوي الذى يرتكز على القلب، ويحرك الشعور والوجدان."⁽²⁾

وعند تتبع الآيات القرآنية التي ذكرت قصة نبي الله نوح – عليه السلام- نجد أنه قد استخدم المنهج العاطفي في دعوة قومه من خلال عدة أساليب، سينتكلم عنها الباحث من خلال أربعة مباحث:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف معنى الرفق.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم).

(1) ينظر لسان العرب مادة (عطف) (4/2996)

(2) المدخل إلى علم الدعوة (204) مرجع سابق.

المطلب الثالث: وصف الله له بأنه أخوه.

المطلب الرابع: ندائه على ابنه (يابني).

المطلب الخامس: إظهار الخوف والشفقة على قومه.

المطلب السادس: الدعاء لوالديه وللمؤمنين والمؤمنات.

المطلب الأول: تعريف معنى الرفق:

الرّفق لغة: مأخوذ من الرفق: والرفق ضد العنف، والرفق لين الجانب ولطافة الفعل.⁽¹⁾

وأصطلاحاً: "هو لين الجانب بالقول، والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف".⁽²⁾

والرفق للداعية دليل حسن الإسلام، وصلاح العبد وحسن خلقه، ودليل على فقه الرجل وأناته وحكمته، ويثير محبة الله ومحبة الناس، وينشأ مجتمعاً سالماً من الغل والعنف.⁽³⁾

المطلب الثاني: نداوه على قومه (يا قوم):

وقد تكرر نداء نوح -عليه السلام - على قومه بقوله: (يا قوم) عدة مرات كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59]

(1) ينظر لسان العرب مادة الفعل "رفق" (3/1694) ومقاييس اللغة لابن فارس (2/418) بتحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام: (1399هـ - 1979م).

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (10/449) رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وتصحيح تجاري: محب الدين الخطيب الناشر: المكتبة السلفية - مصر الطبعه: «السلفية الأولى»، 1380هـ - 1960 م

(3) ينظر نصراة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم (6/2168) لعدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعه: الرابعة بدون تاريخ طباعة.

أي: (قال نوح لقومه- على سبيل التلطف في النصح، والتقارب إلى قلوبهم- يا قوم ويا أهلي وعشيرتي: إني لكم منذر واضح الإنذار، ولا أسألكم على هذا الإنذار الخالص أجرا، وإنما التمس أجرا من الله).

وإني آمركم بثلاثة أشياء: أن تخلصوا لله- تعالى- العبادة، وأن تتقوه في كل أقوالكم وأفعالكم، وأن تطيعوني في كل ما آمركم به وأنهاكم عنه، وافتتح كلامه معهم بالنداء يا قَوْمٌ، أملا في لفت أنظارهم إليه، واستجابتهم له، فإن النداء من شأنه التنبيه للمنادى). ⁽¹⁾

المطلب الثالث: وصف الله له بأنه أخوه:

قال تعالى: ﴿إِذَا قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: 106]، "كلمة (أخوه)" وهي تعني أخوة النسب لا الدين، تثير فيهم عاطفة الأخوة النسبية وتؤدي لهم بأنه يريد لهم الخير فهو ليس بعيدا عنهم ولا غريبا منهم، إنه أخوه. ⁽²⁾

"وإنما ابتعث الله الرسل، من نسب من أرسل إليهم، لئلا يشتمزوا من الانقياد له، ولأنهم يعرفون حقيقته، فلا يحتاجون أن يبحثوا عنه." ⁽³⁾

المطلب الرابع: ندائه على ابنه (يابني):

وقد صور لنا القرآن هذا المشهد في قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكُبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحيم وحال بينهما المؤج فكان من المغرقين ⁽⁴⁾ [هود: 42-43]، وهذا تظهر عاطفة الأبوة في نداء نوح على ابنه حينما بدأ الطوفان لعله يسمع له أو يعقل فينجو من الغرق، فالسفينة بدأت في الجريان والأمواج مرتفعة كالجبال، ينادي نوح ابنه (وكان هذا الابن في مكان منعزل)، فقال له نوح بعاطفة الأبوة الناصحة الملهمة يا بنى اركب معنا في السفينة، ولا تكون مع القوم الكافرين الذين سيلفهم الطوفان بين أمواجه مما قريب، ولكن هذه النصيحة الغالية من الأب الحزين على مصير ابنه، لم تجد أذنا واعية من هذا الابن العاق المغرور، بل رد

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوي (15/111)

(2) المستفاد من قصص القرآن للدعاة (ص 1/131) مرجع سابق

(3) تفسير السعدي (ص 594) ط مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م

على أبيه: (قال سأوي إلى جبل يعصمي من الماء) أي: قال: سألتني إلى جبل من الجبال الشاهقة، لكي أتحصن به من وصول الماء إلى. وهذا يرد عليه أبوه الرد الأخير فيقول- كما حكى القرآن عنه: (قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) أي: قال نوح لابنه: لا معصوم اليوم من عذاب الله إلا من رحمه- سبحانه بلطفه وإحسانه، وأما الجبال وأما الحصون.. وأما غيرهما من وسائل النجاة، فسيعلوها الطوفان، ولن تغنى عن المحتمي بها شيئاً. ⁽¹⁾

المطلب الخامس: إظهار الخوف والشفقة على قومه:

فقد بين النبي الله نوح لقومه خوفه عليهم إن استمروا على ضلالهم وكفرهم بالله فقال لهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنَّ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ [هود: 25-26]، (وقوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾) جملة تعليلية، تبين حرص نوح الشديد على مصلحة قومه ومنفعتهم، أي إني أحذركم من عبادة غير الله، لأن هذه العبادة ستؤدي بكم إلى وقوع العذاب الأليم عليكم، وما حملني على هذا التحذير الواضح إلا خوفي عليكم، وشفقتي بكم، فأنا منكم وأنتم مني بمقتضى القرابة والنسب). ⁽²⁾

إنها الرحمة التي أنزلها الله في قلوب أنبيائه ففاضت على أقوامهم رفقا ولينا وصبرا عليهم، وحرضا على هدايتهم، وشفقة عليهم من عاقبة عنادهم وتكذيبهم، وهذا درس للدعاة إلى الله بإظهار العاطفة تجاه من ندعوه، وإشعاره بالخوف عليه من عذاب الله إن أصر على ما هو عليه من معصية الله.

المطلب السادس: الدعاء لوالديه وللمؤمنين والمؤمنات:

لما دعا نوح - عليه السلام - على الكافرين من قومه بالهلاك والدمار - كما سيأتي في موضعه -، لم ينس الدعاء لنفسه بالمغفرة ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات، كما قال تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَرِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارَأً﴾ [نوح: 28]

(1) التفسير الوسيط للقرآن للدكتور محمد سيد طنطاوي مرجع سابق (7/209)

(2) المرجع السابق (7/190)

و هذه عاطفة المؤمن حينما يمتلى قلبه بالرحمة فتقىض على كل من حوله، بل و تمتد دعوته عبر السنين والقرون لتصيب جميع المؤمنين والمؤمنات.

يقول الأستاذ سيد قطب: (والإِلَيْ جانِب الدُّعَوَة السَّاحِقة المَاحِقة التي جعلها خاتمة دعائِه وهو يقول: «وَلَا تَرِد الظَّالِمِين إِلَّا تَبَارًا» إلى جانب هذا كان الابتهاج الخاشع: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَرِد الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: 28]. و دعاء نوح لربه أن يغفر له هو أدب العبد في حضرة الرب، العبد الذي لا ينسى أنه بشر، وأنه يخطئ، وأنه يقصر، مهما يطبع ويعبد، و دعاؤه الخاص لمن دخل بيته مؤمنا هو بر المؤمن بالمؤمن وحب الخير لأخيه كما يحبه لنفسه، و تخصيص الذي يدخل بيته مؤمنا، لأن هذه كانت عالمة النجاة، و حصر المؤمنين الذين سيصاحبهم معه في السفينة، و دعاؤه العام بعد ذلك للمؤمنين والمؤمنات هو بر المؤمن بالمؤمنين كافة في كل زمان ومكان) ^(١)

وفي هذا درس للدعاة إلى الله، فنوح - عليه السلام - بعد هذا الجهاد الطويل مئات السنين وهو يدعو إلى الله بشتى الوسائل والأساليب، ويصبر ويتحمل الأذى، ومع ذلك كله لم يغتر أو يعجب بنفسه، بل ختم ذلك كله باتهام نفسه بالتقسيير، وطلب المغفرة والرحمة من ربه عز وجل، ثم دعا لوالديه ولسائر المؤمنين.

المبحث الثاني / الترغيب

من أولى مهام الرسل جميعاً تبشير المؤمنين الصادقين، بحسن الثواب، وترهيب وإنذار الكافرين المعرضين عن الإيمان بالعقاب الشديد، وهو ما اصطلاح عليه عند علماء الدعوة بالترغيب والترهيب، لأن طبيعة الإنسان الرغبة فيما ينفعه فيسعى إلى تحقيقه والإقبال عليه، وترك ما يضره والفرار منه.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف معنى الترغيب.

المطلب الثاني: الترغيب في قبول الحق.

(1) تفسير الظلل لسيد قطب (ص 3717 / 6) باختصار يسير.

المطلب الثالث: حثهم على الاستغفار.

المطلب الرابع: الترغيب في ذكر الله عند ركوب السفينة.

المطلب الأول: تعريف معنى الترغيب:

الترغيب لغة: الحرص على الشيء والطمع فيه، والرغبة: السؤال والطمع،
ورغبه: أعطاه ما رغب. ⁽¹⁾

وفي نصرة النعيم: "أما الترغيب فهو مصدر قولهم: رغبه في الشيء أي
أوجد فيه الرغبة إليه، ويكون ذلك بتحسينه وتزيينه، لأن النفس لا ترغب إلا فيما
فيه سعادتها وصلاح أمرها." ⁽²⁾

وعلى هذا فإن الترغيب لغة: حث الإنسان على فعل شيء وتحبيبه إليه.
ويقصد بالترغيب اصطلاحاً: "كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق
والثبات عليه." ⁽³⁾

المطلب الثاني: الترغيب في قبول الحق:

وقد جاء ذلك في عدة مواضع من قصة نوح في القرآن الكريم:

1- قال تعالى حكاية عن نوح: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقُولُونَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59]
في هذه الآية بين الله أن نبيه نوحا - عليه السلام - دعا قومه إلى ثلاثة أشياء:

- عبادة الله وحده لا شريك له، فقال: {يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ}
- وبين لهم أنه ليس هناك إله سواه فقال: {مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} ومقتضى ذلك بطلان عبادتهم لأصنامهم.

(1) ينظر لسان العرب مادة "رغب" (3/1679) والمعجم الوسيط (1/356)

(2) موسوعة نصرة النعيم (6/2127)

(3) أصول الدعوة (ص437) مرجع سابق

- وأظهر لهم حرصه وشفقته عليهم إذا عصوا الله بأن عاقبة ذلك العذاب من الله، فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابًا يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

إن نوها - عليه السلام- جاء ليرد لهم إلى التوحيد بعبادة الله وحده فلا إله غيره ولا رب سواه، (والمنهج القرآني يكثُر من الربط بين عبودية هذا الكون لله، ودعوة البشر إلى الاتساق مع الكون الذي يعيشون فيه والإسلام لله الذي أسلم له الكون كله والذي يتحرك مسخراً بأمره، ذلك أن هذا الإيقاع بهذه الحقيقة الكونية كفيل بأن يهز القلب البشري هزاً وأن يستحثه من داخله على أن ينخرط في سلك العبادة المستسلمة فلا يكون هو وحده نشاراً في نظام الوجود كله! إن الرسل الكرام لا يدعون البشرية لأمر شاذ إنما يدعونها إلى الأصل الذي يقوم عليه الوجود كله وإلى الحقيقة المركوزة في ضمير هذا الوجود.. وهي ذاتها الحقيقة المركوزة في فطرة البشر والتي تهتف بها فطرتهم حين لا تلوى بها الشهوات، ولا يقودها الشيطان بعيداً عن حقيقتها الأصلية.)⁽¹⁾

2- ولما دعا نوح - عليه السلام - قومه إلى التوحيد كان أول من تصدى لدعوته الملا، فقالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَنَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: 60]، فلم يكن منه عليه السلام إلا أن رد عليهم قائلاً: ﴿قَالَ يَا قَوْمَ لَيْسَ بِي ضَلَالٌ أَّلِكِنِي رَسُولٌ مِّنْ رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 61] أي: لست ضالاً، وإنما أنا رسول الله الذي أمرني أن أرشدكم إلى توحيدك ومعرفة أوامره ونواهيه، ثم قال: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرُ مِنْ رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلَتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ [الأعراف: 63]، ولأن النفوس تنفر وتعجب من كل جديد يخالف ما اعتادوه ودرجوا عليه قال لهم: "لا تعجبوا من هذا، فإن هذا ليس يعجب أن يوحى الله إلى رجل منكم، رحمة بكم ولطفاً وإحساناً إليكم، لأنذركم ولتنقوا نسمة الله ولا تشركوا به، (ولعلكم ترحمون)⁽²⁾

(وانظر إلى كلمة (رجل منكم) وما فيها من التواضع وكرم النفس، واستتمالية القلوب، وتبيّن أنه رجل منهم، له ما لهم، وعليه ما عليهم، مع ما بينه وبينهم من صلة النسب والقرابة والدم؛ ليلفت انتباهم إلى الخوف النابع من المحبة لهم

(1) في ظلال القرآن (3/1307) مرجع سابق

(2) تفسير ابن كثير (2/308) مرجع سابق.

التي اقتضتها فطرة الله التي فطر الناس عليها، من محبة الإنسان لأهله وقومه وعشيرته⁽¹⁾

إذن فأنا منكم تجمعني بكم صلة وقربى وأنتم تعرفونني جيداً، قال هذا لطمائتهم ول يكن أقرب لقلوبهم.

(وقوله: (لَيُنذِرَكُمْ عَلَةً لِلْمُجِيءِ، أَيْ: ول يذركم العذاب والعقاب على الكفر والمعاصي، قوله: (وَلَتَنَّقُوا) علة ثانية مرتبة على العلة التي قبلها، أي: ولتوجد منكم التقوى، وهي الخشية من الله بسبب الإنذار، قوله: وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ علة ثالثة مترتبة على التي قبلها. أي: ولترحموا بسبب التقوى إن وجدت منكم، قال بعض العلماء: وهذا الترتيب في غاية الحسن، لأن المقصود من الإرسال الإنذار، ومن الإنذار التقوى. ومن التقوى الفوز بالرحمة).⁽²⁾

3- وفي سورة (نوح) رغبهم في الإيمان بالله وتوحيده، وأن ذلك سيكون سبباً لمغفرة ذنبهم وتأخيرهم إلى أجل مسمى برفع العذاب عنهم، قال تعالى:
﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِي ۚ يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّىٍ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخِّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: 4-2]، أي قال نوح لقومه: (يا قومي، إني لكم منذر من عذاب الله ومخوف إياكم، واضح الإنذار والإعلام. ومضمون دعوتي: أني أمركم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأن تؤدوا حقوقه، وتمثلوا أوامرها، وتجنبوا نواهيه التي توقعكم في العذاب، وتطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه، والتقوى: امتنال الأوامر، واجتناب المحرمات، وثمرة التكاليف أمران: أنه تعالى يستر لكم بعض ذنبكم، ويمدّ في أعماركم، ويؤخر موتك إلى أمد محدد قدره الله لكم، إن آمنتم وأطعتم. قوله: مِنْ ذُنُوبِكُمْ من للتبعيض، وهذا وعد كريم على الطاعة والعبادة بشيئين: دفع مضار الآخرة وهو غفران الذنوب، وتحقيق منافع الدنيا، وهو تأخير الأجل إلى وقت آخر).⁽³⁾

(1) أدب الأنبياء مع الخلق في القرآن الكريم رسالة ماجستير للباحث عبد الله الغامدي (ص 269) مقدمة لجامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين شعبة التفسير في العام الجامعي: 1429 هـ - 1430 هـ، والرسالة لم تتول طبعها دار نشر.

(2) التفسير الوسيط للقرآن للدكتور محمد سيد طنطاوي مرجع سابق (ص 300/5)

(3) التفسير الوسيط للزحيلي (ص 2743/3) ط دار الفكر - دمشق الطبعة الأولى - 1422 هـ

4- ولما رد نوح على قومه وأبطل كل حجتهم في عدم الإيمان به قالوا له:

﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَاءَتْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأَتَنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصَّادِقِينَ﴾ [هود: 32]، لما ألمتهم بالحجفة وجاءهم بالحق الناصع والبيان

الواضح قالوا له: على سبيل التحدي نحن مصرون على تكذيبك ولن نؤمن لك، فأتنا بما تعدهنا من العذاب الأليم إن كنت من الصادقين.

(و هذا شأن الجاهل المعاند، إنه يشهر السيف إذا أعجزته الحجة، و يعلن التحدي إذا يئس عن مواجهة الحق، فقال لهم عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيْكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِيْ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيْكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِيْ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُبْخِرُمُونَ﴾ [هود: 33-35]، ولكن نوها - عليه السلام - لم يخرجه هذا التحدي عن سنته الكريم، ولم يقعده عند قومه عن مداومة النصح لهم، وإرشادهم إلى الحقيقة التي ضلوا عنها، فقد رد عليهم بقوله إِنَّمَا يَأْتِيْكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ - وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ، أي: إنما يأتيكم بهذا العذاب الذي تستعجلونه الله - تعالى - وحده، إن شاء ذلك، لأنه هو الذي يملكه وما أنتم بمعجزين أي: وما أنت بمستطاعين الهروب من عذابه متى اقتضت مشيئته - سبحانه - إنزاله لكم، لأنه - تعالى - لا يعجزه شيء). ⁽¹⁾

5- ولما أمر الله - تعالى - نبيه نوحا بصنع السفينة، أخذ قومه يسخرون منه،

ويتهكمون عليه، كما بين ذلك الحق جل وعلا بقوله: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ

عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخِرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا

تَسْخِرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيْهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

[هود: 38-39]، فتوعدهم بقوله: (إن تسخروا منا لصنع هذه السفينة، فإنما سنسرخ منكم في المستقبل حين الغرق، كما تسخرون منا الآن، فسوف تعلمون قريبا

(1) التفسير الوسيط للقرآن للدكتور محمد سيد طنطاوي مرجع سابق (7/198)

بعد تمام العمل من يأتيه عذاب يهينه في الدنيا، وهو عذاب الغرق، ويحل عليه عذاب مقيم، أي دائم مستمر). ⁽¹⁾

المطلب الثالث: حثهم على الاستغفار:

وترغيبا في إيمان قومه بالله ورجوعهم عن غيهم وعد نوح - عليه السلام - قومه بخيرات وبركات، فقال لهم: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا﴾
﴿يُرِسِّلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: 10-12]، وكأنه يريد أن يقول لهم: إن المخرج من ضيق الأرزاق وقلة الأقوات هو العودة إلى الله والإيمان به وحده والتوبة والاستغفار من ذنبكم، (فوعدهم على التوبة من الكفر والعصيان بخمسة أشياء: إرسال المطر المتتابع، الكثير الغزاره ليكثر الخير والخصب، والإمداد بالأموال الكثيرة، وإكتثار الذرية والأولاد بسبب الأمان والرفاه، ومنهم بساتين نضرة عامرة بالأشجار والثمار، وجعل الأنهر جارية بالماء العذب، ليكثر الزرع والثمر والغلة). ⁽²⁾

المطلب الرابع: الترغيب في ذكر الله عند ركوب السفينة:

لما حانت ساعة وقوع العذاب على الكافرين وفار الماء من التنور كعلامة على بداية الطوفان؛ أشار نوح - عليه السلام - على المؤمنين بركوب السفينة قائلاً: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَحْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: 41]، وهو بذلك يذكر أتباعه المؤمنين بأن نجاتهم من الغرق بركوب السفينة إنما هو برحمه الله فإن جريانها ورسوها إنما يكون بقدرة الله، فقال لهم اركبوا: (بِسْمِ اللَّهِ يَكُونُ جَرِيْهَا عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، وَبِسْمِ اللَّهِ يَكُونُ مُنْتَهَى سَيِّرِهَا، وَهُوَ رُسُوْهَا). ⁽³⁾

ولعلنبي الله نوح أراد بهذا أن يربى المؤمنين لتعلق قلوبهم بالله وحده فهو المجري للسفينة وهو المرسي لها، وكل نعمة تحدث فهي من فضله ومنته، فاذكروا الله الذي بيده الأمر كله ولا تخافوا من الغرق.

(1) التفسير الوسيط للزحيلي (2/1041)

(2) المرجع السابق (3/2744)

(3) تفسير ابن كثير (ص 602/2) مرجع سابق

"وجملة إن ربي لغفور رحيم تعليل للأمر بالركوب المقيد بالملابس لذكر اسم الله تعالى، ففي التعليل بالمغفرة والرحمة رمز إلى أن الله وعده بنجاتهم، وذلك من غفرانه ورحمته، وأكد بيان ولام الابداء تحقيقاً لأتباعه بأن الله رحمهم بالإنجاء من الغرق".⁽¹⁾

المبحث الثالث/ الترهيب

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف معنى الترهيب.

المطلب الثاني: الترهيب من عذاب الله.

المطلب الثالث: الدعاء على العصاة بالهلاك.

المطلب الأول: تعريف معنى الترهيب:

الترهيب لغة: من الفعل رهب: أي خاف، ورعب الشيء: خافه. والرعب: الخوف والفزع.⁽²⁾

وفي نصرة النعيم: "أما الترهيب فهو مصدر قوله: رعبه من الشيء بمعنى أخافه منه خوفاً شديداً ترتد له فرائصه، ويتحقق بذلك رهبة منه تخلج شعوره وتدفع صاحبها إلى البعد عنه وعما يؤدي إليه من أعمال في هذه الحياة الدنيا".⁽³⁾

وعلى هذا فإن معنى الترهيب: التخويف والتوعيد بحصول شيء.

واصطلاحاً: "كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله".⁽⁴⁾

(1) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (12/74) مرجع سابق

(2) ينظر لسان العرب مادة "رعب" (3/1748) والمعجم الوسيط مادة "رعب" (1/376)

(3) موسوعة نصرة النعيم (6/2170)

(4) أصول الدعوة (ص 437) مرجع سابق

المطلب الثاني: الترهيب من عذاب الله:

إذا كان الترغيب عاملاً مهماً من عوامل الاستجابة لله والإيمان به، فإن التخويف عامل آخر، بل إنه العامل الأقوى؛ ذلك لأنه لا شيء يعدل سلامـة الإنسان ونجاته من العذاب، ولذلك توعـد الله عز وجل الكفار من قـوم نوح بالعذاب الأليم، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59]، قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: 25-26]، قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [تـوحـدـ: 1] والعذاب الأليم يـحـتمـلـ أنـ يكونـ فيـ الدـنـيـاـ، ويـحـتمـلـ أنـ يكونـ فيـ الـآـخـرـةـ، أوـ فيهـماـ جـمـيـعاـ، وكـلاـهـماـ فـيـهـ هـلـاكـ لـلـإـنـسـانـ، وإنـ كانـ العـذـابـ الـآـخـرـوـيـ هوـ أـشـدـ وـأـنـكـيـ.

المطلب الثالث: الدعاء على العصاة بالهلاك:

مضى نـبـيـ اللهـ فيـ دـعـوـةـ قـوـمـهـ أـلـفـ سـنـةـ إـلـاـ خـمـسـينـ عـامـاـ، كـماـ ذـكـرـ القرـآنـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 14]، ومضى نـوـحـ طـوـالـ هـذـهـ المـدـةـ يـدـعـوـ قـوـمـهـ إـلـىـ التـوـحـيدـ وـنـبـذـ الشـرـكـ وـعـبـادـةـ الـأـصـنـامـ لـكـنـهـ تـمـادـوـاـ فـيـ غـيـرـهـ وـكـفـرـهـ حـتـىـ أـوـحـىـ اللهـ إـلـيـهـ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَسِّـنـ بـمـاـ كـانـواـ يـفـعـلـوـنـ﴾ [هـودـ: 36]

(فالقلوب المستعدة للإيمان قد آمنت، أما البقية فليس فيها استعداد ولا اتجاه، هـكـذـاـ أـوـحـىـ اللهـ إـلـىـ نـوـحـ، وـهـوـ أـعـلـمـ بـعـبـادـهـ، وـأـعـلـمـ بـالـمـمـكـنـ وـالـمـمـتـنـعـ، فـلـمـ يـقـيـقـ مـجـالـ للـمـضـيـ فـيـ دـعـوـةـ لـاـ تـفـيدـ، وـلـاـ عـلـيـكـ مـاـ كـانـواـ يـفـعـلـونـهـ مـنـ كـفـرـ وـتـكـذـيبـ وـتـحدـ وـاسـتـهـزـاءـ).⁽¹⁾، وـهـنـاـ دـعـاـ نـوـحـ رـبـهـ قـائـلاـ: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَارًا﴾ ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضْلُّوْ عَبَادَكَ وَلَا يَلِدُوْ إِلَّا فَاجِراً كَفَارًا﴾ [تـوحـدـ: 17]

(1) تفسير الظلال لـسـيـدـ قـطـبـ (صـ1876ـ/ـ4ـ) مـرـجـعـ سـابـقـ

[27-26] أي: (يا رب، لا تترك على الأرض من هؤلاء الكافرين واحداً يسكن داراً، بل اقطع دابرهم جميعاً، لا تترك منهم أحداً سالماً، بل أهلكهم جميعاً لأنك إن ترك منهم أحداً على أرضك بدون إهلاك، فإن هؤلاء المتروكين من دأبهم - كما رأيت منهم زماناً طويلاً - إضلal عبادك عن طريق الحق... لن يلدوا إلا من هو مثلهم في الفجور والكفران لأنهم قد نشأوا أولادهم على كراهية الحق، وعلى محبة الباطل).⁽¹⁾

هل يجوز الدعاء على الكافرين بالهلاك والاستئصال؟

في عصرنا الحاضر نسمع بعض الدعاء عندما يدعوا في النوازل، أو في قنوت الوتر في رمضان يدعوا بدعاء نبي الله نوح فيقول: (اللهم لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) أو يقول: (اللهم أهلك اليهود والنصارى أجمعين)، ومنهم من يفصل فيدعوا قائلاً: (اللهم يتم أطفالهم ورمل نسائهم.... الخ)

ولو تأملنا القرآن والسنة فلن نجد في القرآن أمراً بالدعاء على الكافرين بالإهلاك والتدمير، كما دعا نوح - عليه السلام -، ونوح قد دعا بذلك بعد أن أوحى الله إليه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمَكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَغِسْ إِمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: 36]⁽²⁾

إنما ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 250]، وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَتَحْسِنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: 85-86]

وكذلك هدي النبي صلى الله عليه وسلم لنجد من دعائه أنه دعا بعذاب الاستئصال على الكافرين، ومن دعائه في القنوت: (اللهم أنج سلمة بن هشام،

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي باختصار يسir (15/125) مرجع سابق

(2) أشار إلى هذا المعنى الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (18/312) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م

اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج المستضعفين
من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مصر، اللهم سنين كسني يوسف⁽¹⁾

ومن دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم: يوم الأحزاب على المشركين:
(ملائكة الله بيوتهم وقبورهم ناراً، شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت
الشمس)⁽²⁾

وقال أيضاً: (اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اللهم اهزم الأحزاب،
اللهم اهزمهم وزلزلهم)⁽³⁾

قال القاضي أبو بكر بن العربي⁽⁴⁾ في أحكام القرآن: (لقد دعا نوح على الكافرين أجمعين، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على من تحزب على المؤمنين، وألب عليهم، وكان هذا أصلاً في الدعاء على الكفار في الجملة، فأما كافر معين لم تعلم خاتمه فلا يدعى عليه؛ لأن ماله عندنا مجهول، وربما كان عند الله معلوم الخاتمة للسعادة؛ وإنما خص النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء على عتبة وشيبة وأصحابه لعلمه بمالهم، وما كشف له من الغطاء عن حالهم، والله أعلم)⁽⁵⁾

إذن فيجوز الدعاء على الكفار المحاربين المسلمين، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، أما الدعاء بهلاك الكفار أجمعين فهو من الاعتداء في الدعاء، وليس من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أيضاً يخالف ما يخبرنا به القرآن من

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة حديث رقم: (2774)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة حديث رقم: (2773)

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة حديث رقم: (2775)

(4) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمدالمعروف بابن العربي المعافري، من أهل إشبيلية وكان من أهل التقى في العلوم والاستبحار فيها، حسن المعاشرة وكثرة الاحتمال وكرم النفس، وتوفي رحمة الله تعالى في سنة 543هـ. انظر ترجمته في "الديبااج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" لابن فرحون، برهان الدين اليعمرى تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور (2/252) الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

(5) أحكام القرآن للقاضي أبو بكر بن العربي (4/312)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م

أن كفر الكافرين يقع بإذن الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ
كُلُّهُمْ جَحِيْعًا﴾ [يونس: 99]، فمن يستطيع أن يعارض إرادة رب العالمين؟⁽¹⁾

المبحث الرابع / التذكير بنعم الله

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف معنى التذكير بنعم الله.

المطلب الثاني: نعمة الخلق أطواراً.

المطلب الثالث: نعمة خلق السماوات، والأرض، والشمس، والقمر.

المطلب الرابع: نعمة جعل الأرض مسوطة والسبل الفجاج.

المطلب الخامس: التذكير بحمد الله على النجاة.

المطلب الأول: تعريف معنى التذكير بنعم الله:

الذكير لغة: من الفعل ذكر: وذكر الشيء حفظه واستحضره، وجرى على لسانه بعد نسيانه، وذكر النعمة شكرها، وذكر الشيء له: أعلمته به، وذكر حقه: حفظه ولم يضيعه، والتذكرة: ما تستذكر به الحاجة، وما يدعوك إلى الذكر والعبرة.
(2)

ونخلص من هذا أن التذكير هو التنبية من غفلة، أو استحضار شيء منسي.

واصطلاحاً: التذكير هو "تعريف الخلق نعم الله عز وجل عليهم وحثهم على شكره وتحذيرهم من مخالفته" ⁽³⁾

(1) ينظر أيضا خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، للدكتور يوسف القرضاوي (43) ط دار الشروق الطبعة الأولى 1424 هـ 2004 م

(2) ينظر لسان العرب مادة (ذكر) (3/1507)، والممعجم الوسيط مادة (ذكر)، ص (313)

(3) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة للشيخ علي محفوظ ص (71) طبعة دار الاعتصام الطبعة التاسعة 1399 هـ 1979 م

والنعم لغة: جمع النعمة: ضد البأساء، ونعمة العيش حسن وغضارته، والنعيم
ما استمتع به، وغضارة العيش وحسن الحال.⁽¹⁾
ونخلص من هذا أن كلمة "النعمة" في أصل اللغة تدل على رفاهية العيش
وحسن وطبيه.

وأصطلاحاً هناك عدة تعاريفات ذكرها العلماء منها:

- 1- "ما يقصد به الإحسان والنفع لا لغرض ولا لعوض"⁽²⁾
- 2- هي "ما يستلذه الإنسان أو يستطيعه، ولكنها هنا تفسر بأنها المنفعة التي تدوم، ويستطيعها القلب، سواء أكانت عاجلة أم آجلة، وسواء أكانت دنيوية أم كانت أخرى، وسواء أكانت مادية أم كانت روحية، وإن نعم الله تعالى على عباده لا يحصيها العدد ولا يحيط بها الحصر"⁽³⁾
- 3- النعمة: "عبارة عن المنفعة المفوعلة على جهة الإحسان إلى الغير."⁽⁴⁾
ونخلص من هذه التعاريفات أن النعمة أصطلاحاً هي: كل منفعة يستطيعها القلب يقصد بها الإحسان إلى الغير، لا لغرض أو عوض.

معنى التذكير بالنعيم: وبناء على هذا فإن التذكير بالنعيم يقصد به: السبيل التي يسلّكها الداعية للتذكير المدعوين، حيث يسلط الضوء على النعم التي وهبها الله لهم، محفزاً إياهم على تأمل هذه النعم والاعتراف بفضل الله، وذلك يعزّز إيمانهم بالله المنعم، ويقوي وعيهم بتلك النعم، ويوجههم نحو الشكر الصادق لله على هذه النعم.

المطلب الثاني: نعمة الخلق أطواراً:

ذكر نوح -عليه السلام- قومه ببعض نعم الله عليهم: ومنها نعمة الخلق من العدم وتكوينهم طوراً بعد طور، قال تعالى حكاية عن نوح: ﴿مَا لَكُمْ لَا

(1) ينظر لسان العرب مادة (نعم)، (6/4478) والمعجم الوسيط (مادة نعم)، ص (935)

(2) التعاريفات للجرجاني (242) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى 1403 هـ - 1983 م

(3) زهرة التفاسير للشيخ محمد أبو زهرة (1/69) ط: دار الفكر العربي.

(4) مفاتيح الغيب للرازي (1/220)

تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقُدْ خَلَقْكُمْ أَطْوَارًا [توح: 13-14]، قال ابن عباس: "أطواراً يعني نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، أي طوراً بعد طور إلى تمام الخلق، كما ذكر في سورة "المؤمنون"، والطور في اللغة: المرة، أي من فعل هذا وقدر عليه فهو أحق أن تعظمه. وقيل: أطواراً صبياناً، ثم شباباً، ثم شيوخاً وضعفاء، ثم أقوياء".⁽¹⁾

المطلب الثالث: نعمة خلق السموات، والأرض، والشمس، والقمر.

أراد نوح - عليه السلام - أن يمدوا أبصارهم إلى صفحة الكون المنظور أمامهم وما سخر لهم من النعم التي غفلوا عنها ولم يؤدوا شكرها، فذكرهم بنعيم خلق السموات، وتسخير الشمس والقمر، فقال: **مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**

وَقُدْ خَلَقْكُمْ أَطْوَارًا **أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا** **وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا** **وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا** **وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا** **ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا** **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا** **لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِي جَاجًا** [توح: 13-20]، أي: مالكم لا تبالون أن الله عظمة لقد علمتم ورأيتم أن الله - تعالى - هو الذي خلق سبع سماواتٍ بعضها فوق بعض وجعل سبحانه - بقدرته القمر في السماء الدنيا نوراً للأرض ومن فيها، وجعل الشمس كالسراج في إضاءتها وتوجهها وإزالة ظلمة الليل، ثم انتقل نوح - عليه السلام - من تنبيتهم إلى ما في خلق السموات والشمس والقمر من دلالة على وحدانية الله وقدرته إلى لفت أنظارهم إلى التأمل في خلق أنفسهم، وفي مبدئهم وإعادتهم إلى الحياة مرة أخرى بعد موتهم، فقال - كما حكى القرآن عنه: **وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا** **ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا** [توح: 18-17] ، أي: والله - تعالى - هو الذي أوجد وأنشأ أباكم آدم من الأرض إنشاء وجعلكم فروعاً عنه، ثم يعيدكم إلى هذه الأرض بعد موتكم لتكون قبوراً لكم، ثم يخرجكم منها يومبعث للحساب والجزاء.

المطلب الرابع: نعمة جعل الأرض ميسورة والسبل الفجاج.

(1) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (18/303)

ونعمة تذليل الأرض وما عليها للإنسان، ونعمة ما على الأرض من النعم والأرزاق والخيرات والثروات التي لا يحصيها إلا الله تعالى، قال تعالى حكاية عن نوح - عليه السلام : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ إِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُّلًا فِجَاجًا﴾ [توح: 19-20]، أي: والله - تعالى - وحده هو الذي جعل لكم - بفضله ومنتها - الأرض مبسوطة حيث تتقلبون عليها كما يتقلب النائم على البساط، وجعلها لكم كذلك لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُّلًا أي: لكي تتخذوا منها لأنفسكم طرقاً فجاجاً أي: متعددة جمع فج وهو الطريق الواسع). (1)

المطلب الخامس: التذكير بحمد الله على النجاة:

ثم أمره الله تعالى إذا رست بهم السفينة أن يحمد الله هو والمؤمنين من أتباعه أن نجاهم من القوم الظالمين، قال تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزَلَنِي مُنْزَلًا مُبَارَّكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ [المؤمنون: 28-29]، فيكون بذلك قد جمع بين ذكر الله في ابتدائه وحمده الثناء عليه عند انتهائه.

(وقد ألهمه الله بالوحي أن يحمد ربه على ما سهل له من سبيل النجاة، وأن يسأله نزولاً في منزل مبارك عقب ذلك الترحل، والدعاء لذلك يتضمن سؤال سلامة من غرق السفينة). (2)

إنها الربانية التي ينبغي أن يوطن الداعية نفسه عليها في كل أحواله وتقلباته، فهو (رباني الغاية والوجهة) (3)، وقلبه معلق بالله موصول به - سبحانه - في الشدة

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (ص119/15) باختصار يسير، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق (18/47)

(3) استعرت هذا التعبير من الدكتور يوسف القرضاوي - رحمه الله - من كتابه *الخصائص العامة للإسلام* حيث قال: فأما ربانية الغاية والوجهة، فمعنى بها: أن الإسلام يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد، هو حسن الصلة بالله - تبارك وتعالى -، والحصول على مرضاته، وهذه غاية الإسلام، وبالتالي هي غاية الإنسان، ووجهة الإنسان، ومنتهى أمله وسعيه وكده... الخ ما قال رحمه الله. من كتاب *الخصائص العامة للإسلام* ص (9) ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية (1404 هـ- 1983 م)

والرخاء، في الضيق والسعفة، في العسر واليسر، عند الكرب والفرج، وهو حماد
لربه في العطاء والمنع، في السراء والضراء.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة

نوح - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول / الاستفهام.

المبحث الثاني / الجدال.

المبحث الثالث / الحوار.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة نوح عليه السلام

تعريفه:

لغة مأخوذ من الفعل عقل: والعقل: الحجر والنهى ضد الحمق، والجمع عقول، ويقال رجل عاقل، وهو الجامع لأمره ورأيه، وهو مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، والعقل: التثبت في الأمور، وعقل عقلًا: أدرك الأشياء على حقيقتها.⁽¹⁾

والعقل: (العلم، أو بصفات الأشياء⁽²⁾ من حسنها وقبحها، وكمالها ونقصانها، أو العلم بخير الخيرين، وشر الشررين، أو مطلق لأمور، أو لقوة بها يكون التمييز بين القبح والحسن، ولمعان مجتمعة في الذهن يكون بمقدمات يستتب بها الأغراض والمصالح، ولهيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلامه).⁽³⁾

ونخلص من هذا إلى أن العقل هو إدراك الأشياء على وجهها الصحيح، والقدرة على التمييز بينها.

والعقل اصطلاحاً "أداة الإدراك والفهم، والنظر والتلقي، والتمييز والموازنة، وهو وسيلة الإنسان لأداء مسؤولية الوجود والفعل، في عالم الشهادة والحياة"⁽⁴⁾

وعلى هذا فإن تعريف المنهج العقلي هو: "النظام الدعوي الذي يرتكز على العقل، ويدعو إلى التفكير والتدبر والاعتبار."⁽⁵⁾

(1) ينظر لسان العرب مادة "عقل"(4/3046) والمعجم الوسيط (616)

(2) هكذا بالأصل وأظنه تصحيف الصواب: العلم بصفات الأشياء.

(3) القاموس المحيط للفيروزبادي (1033)

(4) أزمة العقل المسلم، د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان، ص (119)، الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية (1412هـ - 1992م)

(5) المدخل إلى علم الدعوة، ص (208) مرجع سابق.

وقد استخدم نبي الله نوح-عليه السلام- المنهج العقلي في دعوة قومه لإقامة الحجة عليهم بالعديد من فنون القول، من خلال عدة أساليب، سيتكلم عنها الباحث من خلال ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدال.

المبحث الثالث/ الحوار.

المبحث الأول/ الاستفهام

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاستفهام.

المطلب الثاني: تعجب نوح من إنكار قومه أن الله أرسله إليهم.

المطلب الثالث: تقرير أنه رسول من الله واستنكار إعراضهم.

المطلب الرابع: استنكاره عليهم أنهم لا يرجون الله وقارا.

المطلب الخامس: تقريره لهم بأن الله هو خالق السماوات، والأرض، والشمس، والقمر.

المطلب الأول: تعريف الاستفهام.

الاستفهام لغة مأخوذ من الفعل فهم وهو معرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء عقلته وعرفته، واستفهمه سأله أن يفهمه.⁽¹⁾

وعلى هذا فإن معنى الاستفهام لغة: السؤال عن الشيء لفهمه.

وأصطلاحا هو: "طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة مخصوصة."⁽²⁾

(1) ينظر لسان العرب مادة "فهم" (5/3481)

(2) من بлага القرآن المعاني -البيان - البديع" للدكتور محمد شعبان علوان، والدكتور نعمان شعبان علوان ص (51)، ط الدار العربية للنشر والتوزيع الطبعة الثانية 1998م

و هذا ما يعرف بالاستفهام الحقيقى، فالسائل يسأل ويحتاج الجواب، لكن قد يخرج الاستفهام من هذا الأصل إلى غرض بلاغي، ويكون السائل حينئذ لا يطلب جوابا، ومن هنا تعدد أغراضه البلاغية فيخرج من غرضه الأصلي إلى التقرير، أو التهكم والسخرية، أو النفي، أو الإنكار، أو التشويق، أو التعجب، أو الاستبعاد... الخ. ⁽¹⁾

وقد استعمل نبى الله نوح - عليه السلام- هذا الأسلوب مع قومه في عدة مواضع ذكرها القرآن الكريم، يذكرها الباحث في المطالب التالية:

المطلب الثاني: تعجب نوح من إنكار قومه أن الله أرسله إليهم:

قوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذُكْرٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلَتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ [الأعراف: 63] لما دعا نوح - عليه السلام- قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك ما هم عليه من عبادة الأصنام ما كان منهم إلا أن رموه بالضلال المبين فرد عليهم نافيا عن نفسه الضلال، وإنما هو رسول مهمته التبليغ عن الله- تعالى-. ثم أنكر عليهم استبعادهم أن يخصه الله بالنبوة فقال مستقهما: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذُكْرٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلَتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ [الأعراف: 63]، (والهمزة في أول الجملة للاستفهام الإنكري، والواو بعدها للعطف على محذوف مقدر بعد الهمزة، والمعنى: أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر أي موعظة من ربكم وخالقكم على لسان رجل من جنسكم، تعرفون مولده ونشأته، قوله: (ليُنذِرَكُمْ) علة للمجيء، أي: ولتحذركم العذاب والعقاب على الكفر والمعاصي، قوله: (ولَتَتَّقُوا) علة ثانية مرتبة على العلة التي قبلها، أي: ولتوجد منكم التقوى، وهي الخشية من الله بسبب الإنذار، قوله: (ولَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ) علة ثالثة مرتبة على التي قبلها. أي: ولترحموا بسبب التقوى إن وجدت منكم، قال بعض العلماء: وهذا الترتيب في غاية الحسن، لأن المقصود من الإرسال الإنذار، ومن الإنذار التقوى، ومن التقوى الفوز بالرحمة). ⁽²⁾

(1) انظر المرجع السابق ص (55) وما بعدها.

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (300/5) باختصار يسير ، مرجع سابق.

المطلب الثالث: تقرير أنه رسول من الله واستنكار إعراضهم:

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَّتْ عَلَيْكُمْ أَنْلَزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود: 28]، وهنا نرى أن النبي الله نوح – عليه السلام- استعمل الاستفهام مرة لتقرير حقيقة أنه رسول من الله ومرة لاستنكار إعراضهم على النحو التالي:

1- الاستفهام التقريري بقوله: يا قَوْمَ أَخْبُرُونِي إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ حِجَةٍ وَاضْحَىَ مِنْ رَبِّي، وَمِنْ حَنْيِ النَّبُوَةِ فَغَابَ عَنْكُمُ الْإِنْتَقَاعُ بِهَدَايَاتِهَا، فَحَجَبَهَا عَنْكُمْ جَهَلُكُمْ وَغَرْوَرُكُمْ.

2- الاستفهام الإنكاري في قوله: (أَنْلَزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) أي: (إذا كانت الهدایة إلى الخير التي جئتكم بها قد خفيت عليكم مع وضوحها وجلايتها، فهل أستطيع أنا وأتباعي أن نجبركم إجباراً، ونقسركم قسراً على الإيمان بي، وعلى التصديق بنبوتي، والحال أنكم كارهون لها نافرون منها، كلا إننا لا نستطيع ذلك لأن الإيمان الصادق يكون عن اقتناع و اختيار لا عن إكراه وإجبار). ⁽¹⁾

فهو يبين لهم أن لهم حرية الاختيار، لكنه يرجو أن يكون اختيارهم لطريق الرشد لا الغي، لأن اختيارهم للغي هو عمى عن رحمة الله التي أرسله بها إليهم، (وهكذا يتلطف نوح في توجيهه أنظارهم، ولم يمس وجدهم، وإثارة حساسيتهم لإدراك القيم الخفية عليهم، والخصائص التي يغفلون عنها في أمر الرسالة والاختيار لها، ويبيصرهم بأن الأمر ليس موكولاً إلى الظواهر السطحية التي يقيسون بها، وفي الوقت ذاته يقرر لهم المبدأ العظيم القويم مبدأ الاختيار في العقيدة، والاقتناع بالنظر والتدبر، لا بالقهر والسلطان والاستعلاء!) ⁽²⁾

المطلب الرابع: استنكاره عليهم أنهم لا يرجون الله وقارا:

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (193، 194/7) مرجع سابق.

(2) تفسير الظلل لسيد قطب (ص 4 / 1874) مرجع سابق

استعمل نوح -عليه السلام- الاستفهام الإنكاري؛ في قوله لقومه: ﴿مَا لَكُمْ
لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقْتُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: 13-14]، فالاستفهام هنا للتوبیخ
والإنكار عليهم.

المطلب الخامس: تقريره لهم بأن الله هو خالق السماوات والأرض والشمس
والقمر:

في قول نوح -عليه السلام- لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ
طِبَابًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: 15-16]، وكل هذه
الاستفهامات لا يُراد منها الجواب، بل المدعو سيجيب نفسه بنفسه عليها؛ فهي إما
لتوبیخ المدعو، أو لومه، أو إدانته، أو تقريره على أمر ما، ونحو ذلك.

المبحث الثاني/ الجدال

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الجدال.

المطلب الثاني: اتهامه بأنه في ضلال مبين.

المطلب الثالث: عيبه بأنه بشر مثلهم واتباعه من أراذل القوم، واتهامه بالكذب.

المطلب الأول: تعريف الجدال:

الجدال لغة مأخوذ من الفعل جدل، والجدل: شدة الفتل، وجذلت الحبل أجده جدلاً
إذا شددت فنه وقتلته فتلها محكماً، والجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها،
ويقال: جادلت الرجل فجادلته جدلاً أي غلبته. ورجل جدل إذا كان أقوى في
الخصام، وجادله أي خاصمه مجادلة وجداً، والاسم الجدل، وهو شدة الخصومة،
والجدال طريقة في المناقشة والاستدلال⁽¹⁾

(1) ينظر لسان العرب مادة "جدل" (1/569) والمعجم الوسيط (111)

وأصطلاحاً عرفه الإمام النووي⁽¹⁾ بقوله: (جدل: الجدل والجادل والمجادلة): مقابلة الحجة بالحجة، وتكون بحق وباطل فإن كان للوقوف على الحق كان مموداً. قال الله تعالى: ﴿ وَجَادُلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: 125] وإن كان في مرافعة أو كان جدلاً بغير علم كان مذوماً؛ قال الله تعالى: ﴿ مَا يُجادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [غافر: 4] وأصله الخصومة الشديدة وسمى جدلاً لأن كل واحد منها يحكم خصومته وحجته إحكاماً بليغاً على قدر طاقته تشبها بجدل الحبل، وهو إحكام فتلـه، يقال جادله يجادله مجادلة وجداـلـه⁽²⁾.

وقد استعمل نبي الله نوح هذا الأسلوب الدعوي القائم على المنطق القويم، والحجة القوية، والرأي السديد في دعوته لقومه إلى عبادة الله تعالى وحده وعدم الإشراك به، فلم يثمر ذلك معهم شيئاً.

المطلب الثاني: اتهامه بأنه في ضلال مبين:

وقد تناول القرآن هذه الشبهة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف: 60]، لما دعا نوح -عليه السلام قومه إلى توحيد الله وترك عبادة الأصنام قال الملا له: (إِنَّا لَنَرَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [الأعراف: 60]، سبحان الله!نبي مرسل إليهم من عند الله في ضلال مبين؟!

" وهكذا يبلغ الضلال من الضلال أن يحسب من يدعوه إلى الهدى هو الضال! بل هكذا يبلغ التبجح الواقع بعد ما يبلغ المسوخ في الفطر! هكذا تنقلب

(1) هو الإمام يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، ولد بنوى سنة 631 هـ (من قرى حوران، بسوريا) وإليها نسبته، تعلم في دمشق، وأقام بها زماناً طويلاً، وله مؤلفات عديدة من أشهرها: "رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين" و"المنهج في شرح صحيح مسلم"، توفي سنة 676 هـ بنوى، ودفن هناك، رحمه الله. ينظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير (17/540) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م، وطبقات الشافعية الكبرى لتابع الدين السبكي (8/395)، بتحقيق د. محمود محمد الطناхи، و د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، 1413 هـ والأعلام للزرکلي (149/8) مرجع سابق.

(2) تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي (3/48) ط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، بدون تاريخ طباعة.

الموازين، وتبطل الضوابط، ويحكم الهوى ما دام أن الميزان ليس هو ميزان الله الذي لا ينحرف ولا يميل." ^(١)

وكان بوسع نوح - عليه السلام أن يرد القائلين إلى صوابهم ويقول لهم : بل أنتم الذين في ضلال مبين ... أنتم من اتخذ أصناما وسموها آلهة وعبدتها من دون الله ؛ أنتم من انغمستم في النعم، وكفرتم بالمنعم، وشكrtتم غيره ، لكن لم يشغل بالردد عليهم عن المهمة التي أرسل بها ، إنما رد عليهم قائلا: ﴿قَالَ يَا

قَوْمَ لَيْسَ بِي ضَلَالًا وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي
وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّنْ
رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلَتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف: 61-63]

أي: (قال نوح لقومه مستهلا لقلوبهم: يا قوم ليس بي أدنى شيء مما يسمى بالضلال فضلا عن الضلال المبين الذي ربوني به، فقد نفي الضلال عن نفسه الكريمة على أبلغ وجه، لأن التاء في- ضلاله- للمرة الواحدة منه، ونفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى، والمقام يقتضي ذلك، لأنهم لما بالغوا في رميء بالضلال المبين، رد عليهم بما يبرئه من أي لون من الوانه، وفي تقديم الطرف (بي) تعريض بأنهم هم في ضلال واضح، ثم قفى على نفي الضلال عنه بإثبات مقابلها لنفسه وهي الهدایة والتبلیغ عن الله- تعالى- فقال: ﴿قَالَ يَا قَوْمَ لَيْسَ بِي ضَلَالًا وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأعراف: 62-61] ^(٢)

فهنا نرى أن نبي الله نوح - عليه السلام- فند شبهاً قومه ورد عليهم على النحو التالي:

1- نفي الضلال عن نفسه هو إثبات لصحة ما جاءهم به: توحيد الله، وإثبات أنه رسول من رب العالمين.

(1) تفسير الظلال (ص 1309/3) مرجع سابق

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (5/298) مرجع سابق

- 2- أن مهمته البلاغ والنصيحة وأن عنده علم من الله ليس عندهم.
- 3- استنكر عليهم تكذيبهم وعجبهم أن الله اختصه من دونهم بالرسالة.
- 4- التذكير بأنه رجل منهم يعرفونه جيداً جاءهم يخوفهم من عذاب الله.
- 5- لم يرد إساءتهم له بإساءة مثلها، إنما اكتفى بنفي الضلال عن نفسه.

المطلب الثالث: عيبه بأنه بشر مثلهم واتباعه من أراذل القوم، واتهامه بالكذب:

وقد تناول القرآن هذه الشبهة في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُلَنَا بَادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ قال يا قوم أرأيتم إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْلِزِ مُكْمُوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ وَيَا قَوْمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ وَيَا قَوْمَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزَدَّرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 27-31]

بعد التأمل في هذه الآيات الكريمة نرى أن الملايين الذين كفروا من قومه جادلوه ببعض الشبهات وهي:

- 1- أنه بشر مثلهم.
- 2- أن الذين اتبعوه الضعفاء والفقراً وأنهم اتبعوه دون تفكير، لأنهم لا يحسنون التدبر في الأمور.
- 3- أنه لا مزية ولا فضل لنوح ومن معه حتى يتركوا مكانتهم في السيادة والزعامة وينقادوا لنوح – عليه السلام -.
- 4- أنها نظن أنكم مفترون فيما زعمتموه لأنفسكم من فضل.

فرد نوح - عليه السلام - عليهم في رفق وحكمة، ناقضا هذه الشبه والاتهامات الباطلة، وجادلهم بالتي هي أحسن، من باب العناية بإظهار الحق الذي يدعوه إليه، وعسى أن يفيتوا إلى الصواب، فقال:

1- يا قوم إني لا أزعم أنت أمتاز عليكم فإبني بشر مثلكم، ولكن أخبروني عن رأيكم فيما أعرضه عليكم: إن الله سبحانه قد هداني إليه فآمنت به، وتفضل على بنعمة خصني بها من عنده وهي الرسالة، وأمرني بإبلاغها إليكم، وقد بلغت الرسالة وأديت الأمانة فخفى أمرها عليكم حين بادرتم إلى تكذيبها دون تدبر أو تأمل، فأخبروني ماذا أفعل لكم أنا ومن معي من المؤمنين بعد ذلك؟ أنر غمكم على العمل بشرع الله التي رحمة بها وأنتم لها كارهون.

2- وفي هذا عدم إغلاق طريق الرجعة والتوبة، فإذا كانت النبوة أو الرحمة التي أوتتها نوح عليه السلام قد عميت عليهم، فإنها الآن ظاهرة واضحة، فليفتحوا لها أبصارهم ويرفعوا العمى عنها ليروها.

3- نفى عن نفسه أي منفعة دنيوية فقال: يا قوم إني لا أريد منكم مالا على أداء هذه الرسالة، مما أجري إلا على الله وحده فما بالكم ترفضون ما دعوتم إلينه من الحق.

4- الصراحة والوضوح، فقد صرحت لهم ألا يمكن أن يتخلوا عن آمن رسالته، ولا أن يغلق الطريق أمام من انقاد لأمر ربه عز وجل، وهل يعقل أن يدعوه إلى الإيمان بربهم وأن يبنذوا عبادة الأصنام والأوثان ثم يتذكر لهم ويطردهم من مجلسه؛ ليس قبل فيه الأشراف والсадة؟!

5- ثم قدم لهم شخصه ورسالته مجردتين عن كل زخرف، ليقرر لهم القيم الحقيقة، ويزدرى أمامهم القيم الظاهرة، بتخليه عنها، فمن شاء الرسالة كما هي، بقيمتها، فليتقدم إليها مجردة خالصة لله.

6- وعند هذا الحد كان الملا من قوم نوح قد يئسوا من مناهضة الحجة فإذا بهم وقد أخذتهم العزة بالإثم، واستکبروا أن تغلبهم الحجة، إذا بهم يتذرون الجدل إلى التحدي قائلين: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْنَا فَأَكْثَرْنَا حِدَالَنَا فَأَتَنَا بِمَا تَعِنُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: 32]، بل بلغ بهم الحال أن طلبوا من نبيهم أن ينزل عليهم ما خوفهم به من العذاب، ولما سألوه ذلك قال لهم: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيْكُمْ بِهِ

اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣﴾ وَلَا يَنْقُعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرْدَثُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ
إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤﴾ [هود: 34-33] ^(١)

المبحث الثالث/ الحوار

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الحوار.

المطلب الثاني: حواره مع قومه.

المطلب الثالث: حواره مع ولده.

المطلب الرابع: حواره مع رب العالمين.

المطلب الأول: تعريف الحوار:

الحوار لغة: مأخذ من الفعل "حور" والحور: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، والحور: النقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال، وأحار عليه جوابه: رده، والمحاورة: المعاونة، والتحاور: التجاوب؛ والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. ⁽²⁾

وأصطلاحاً يقصد به: (نوع من الحديث بين شخصين، أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب) ⁽³⁾

والحوار هو أمثل أسلوب لعرض الدعوة، والدفاع عنها وتفنيـد الشبه المثارـة حولها، وتضييق مساحة الخلاف، وتقرـيب وجهات النظر، وإقامة الحـجة على

(1) ينظر: تفسير الظلال لسيد قطب (4/1874)، والتفسير الوسيط (188:183) / 4

(2) ينظر لسان العرب مادة "حور" (2/1042)

(3) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ليحيى زمزمي (ص22) ط دار التربية والتراث مكة المكرمة، ودار رمادي للنشر بالدمام الطبعة الأولى 1994م

المخالفين والمعاندين، وبيان ما هم عليه من الباطل لعلهم يرجعون إلى الحق، ولئلا يغتر بكلامهم بقية الناس فيختار كل واحد طريقه عن بينة وبرهان، وفي إظهار الحق وإبطال الباطل إظهار لعزة الإسلام وقوته في نفوس أتباعه، بل ومخالفيه.⁽¹⁾

المطلب الثاني: حواره مع قومه:

1- ابتدأ النبي الله نوح - عليه السلام - حواره مع قومه بدعوتهم إلى التوحيد، وبين شفقته عليهم مذرا إياهم إن عصوه من عذاب يوم اليم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنَّ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَمِ﴾ [هود: 25]

2- وبعد دعوتهم لتوحيد الله أنكروا أن يكون رسولا من عند الله لأنه بشر، وكيف يرسل الله رسولا بشرا؟ ويكون أتباعه من أراذلهم؟ قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بَادِئَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: 27]

3- استمع النبي الله نوح - عليه السلام- لما قالوا، وتناول شبهاهم وفندها واحدة تلو الأخرى، ورد عليهم بحلم وحكمة بدون غضب أو مقابلة لإساءتهم له ولمن آمن معه بإساءة مثلها مبينا أنه رسول من عند الله.

4- ويبدو من رد نوح - عليه السلام - تجرده للحق وحرصه على هداية قومه، وأن الله آتاه رحمة من عنده فلم يهتدوا إليها، وأنه لا يريد أن يلزمهم بها مكرهين إنما يريد منهم أن ينقادوا الله مختارين قال تعالى حكاية عن نوح: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ

(1) وإنما للفائدة: ما الفرق بين الجدل وال الحوار؟ الجدل وال الحوار "يلتقيان في كونهما حديثاً أو مراجعة للكلام بين طرفين، ويفترقان في أن الجدال فيه لدد في الخصومة، وشدة في الكلام مع التمسك بالرأي، والتعصب له، وأما الحوار فهو مجرد مراجعة الكلام بين الطرفين دون وجود خصومة بالضرورة، بل الغالب عليه الهدوء والبعد عن التعصب ونحوه، فالحوار أعم من الجدل من هذا الوجه." المرجع السابق ص (26)

أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّيْ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَّتْ عَلَيْكُمْ أَنْلَزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ》 [هود: 28]، وهذا يسمونه التسليم الجدي للخصم وقد كثر هذا الأسلوب في الحوار على السنة الأنبياء عليهم السلام أن يطلبوا (من أقوامهم أن يفترضوا ولو مجرد افتراض - أن يكونوا مرسلين من عند الله، وأن يفترضوا أن معهم حجة وبينة، ولا شك في صدق الأنبياء وثقتهم في ربهم، ولكنه من باب التنزل مع الخصم لتقريب الأمر إليه وزعزعة موقفه) (1)

5- ثم بين عليه السلام في بقية حواره مع قومه أنه لا يرجو من وراء دعوته أي منفعة دنيوية، فهو لا يرجو مالا على دعوته ولا يتطلع إلى شهرة فما نصحكم ولا دعوتك إلا ابتغاء وجه الله، قال: ﴿وَيَا قَوْمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: 29]

6- ثم رد على شبهتهم بقولهم أنه ما اتبعه إلا الضعفاء وأراذل القوم فقال : ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: 29] ، وكأنهم طلبوا منه أن يطردهم من مجلسه استنكافاً أن يجالسونهم (وكان هذا جهلاً منهم، لأنهم عابوانبي الله صلى الله عليه وسلم بما لا عيب فيه، لأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، إنما عليهم أن يأتوا بالبراهين والآيات، وليس عليهم تعغير الصور والهياكل، وهم يرسلون إلى الناس جميعاً، فإذا أسلم منهم الدنيء لم يلحقهم من ذلك نقصان، لأن عليهم أن يقبلوا إسلام كل من أسلم منهم) (2)

7- ثم دعاهم إلى الإنفاق وإعادة النظر في كلامهم عن أتباعه من المؤمنين ثم تساءل مستنكراً: ﴿وَيَا قَوْمَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: 30] وهذا كله إظهاراً للحق وتفنيداً للشبهة برد الأباطيل التي قالوها.

8- ثم قدم لهم نفسه بتجدد وشفافية وتواضع ، وبدون تزكية أو تمجيد لنفسه قائلاً: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ

(1) الحوار أدابه وضوابطه ليعي زرمي (ص303) مرجع سابق

(2) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (ص9/23)

لِلَّذِينَ تَزَدَّرُى أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمْ
الظَّالِمِينَ [هود: 31]، فهو بشر مثلهم ليس عنده مال وفير أو خزانة وكنوز، وليس
 عنده قدرة لمعرفة الغيب؛ فلا يعلم الغيب إلا الله، ولا يقول إنه من جنس الملائكة
 ليتميز عنهم وفيها نفي لشبهة قولهم : (مَا تَرَنَّاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا) [هود: 27] ، ولا
 يقول أيضاً لمن تحقرن من المؤمنين أن الله لن يعطيهم أجورهم، فليس لي إلا
 ظاهرون، والله أعلم بما في مواطنهم، وإلا سأكون ظالماً إن ادعيت ذلك.

9- وهنا يقرر نوح - عليه السلام - في حواره مع قومه مبدأ الإنصاف، وهذا من
 حكمةنبي الله نوح - عليه السلام - مع قومه أنه أراد حملهم على الإنصاف من
 أنفسهم بتقرير فكرته وحملهم عليها، مع قوة في الحجة، برد الاعتبار للمؤمنين
 من اتباعه وأنه كبشر لا يعلم إلا ظاهرون لهم فيعاملهم على أساسه، أما مواطنهم
 فعلمها عند الله.

10- وبعد أن فند نوح شبههم كلها وأبطلها واحدة تلو الأخرى لم يعد للقوم سبيل إلا
 أن يؤمنوا أو يستمرروا على تكذيبهم فيقع بهم العذاب الأليم، لكنهم وأسفاه
 اشتروا الضلال بالهوى واستعجلوا وقوع العذاب بهم، فقالوا: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ
 قَدْ جَادَلْنَا فَأَكْثَرْنَ جِدَالَنَا فَأَتَنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: 32]

ولم ينجحوا أبداً بردهم هذا في استفزازنبي الله نوح - عليه السلام - ولا
 استغضابه (فلا يخرجه هذا التكذيب والتحدي عن سمت النبي الكريم، ولا يقعده
 عن بيان الحق لهم، وإرشادهم إلى الحقيقة التي غفلوا عنها وجهلوها في طلبهم
 منه أن يأتياهم بما أوعدهم، وردهم إلى هذه الحقيقة وهي أنه ليس سوى رسول،
 وليس عليه إلا البلاغ، أما العذاب فمن أمر الله، وهو الذي يدير الأمر كله،
 ويقدر المصلحة في تعجيل العذاب أو تأجيله، وسننه هي التي تنفذ.. وما يملك
 هو أن يردها أو يحولها إنه رسول، وعليه أن يكشف عن الحق حتى اللحظة
 الأخيرة، فلا يقعده عن إبلاغه وبيانه أن القوم يكذبونه ويتحدونه: ﴿قَالَ إِنَّمَا
 يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾^{٣٣} وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ
 أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ^{٣٤} أَمْ يَقُولُونَ
 افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَى إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ^{٣٥}﴾ [هود: 33-35]

كانت سنة الله تقتضي أن تهلكوا بغوایتكم، فإن هذه السنة ستمضي فيكم، مهما بذلت لكم من النصح، لا لأن الله سيصدقكم عن الانتفاع بهذا النصح، ولكن لأن تصرفكم بأنفسكم يجعل سنة الله تقتضي أن تضلوا، وما أنتم بمعجزين الله عن أن ينالكم ما يقدر لكم، فأنتم دائمًا في قبضته، وهو المدبر والمقدر لأمركم كله، ولا مفر لكم من لقائه وحسابه وجزاءه.⁽¹⁾

رد على سخرية قومه منه:

وبعد دعوة نوح لقومه ألف سنة إلا خمسين عاماً أوحى الله إليه أن يصنع سفينه تكون مركباً للنجاة عند وقوع العذاب بقومه، لكن قومه سخروا منه واستهزأوا بما يصنع، وقد سجل لنا القرآن هذا المشهد في قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ

الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾٣٩﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾٤٠﴿ [هود: 39-40] ، في بعض الأحيان لا يجدي مع الخصم الرفق

واللين، فلا بد من إيقافه عند حده بقوة وصرامة، فهنا لما سخر قوم نوح منه، فكانوا يتضاحكون ويقولون له: يا نوح، صرت نجاراً بعد ما كنتنبياً؟ رد عليهم بما يوافقهم في أسلوبهم ، فهنا نوح - عليه السلام - يجيبهم جواب الواثق بربه ويخبرهم في اعتزاز وثقة وطمأنينة واستعلاء أنه يبادلهم سخرية بسخرية ، فكما تَسْخَرُونَ منا الساعة فَإِنَّا سَنَسْخَرُ مِنْكُمْ في المستقبل مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة؛ لأنكم لا تدركون ما وراء هذا العمل من تدبير الله وما ينتظركم من مصير.⁽²⁾

المطلب الثالث: حواره مع ولده:

إنه حوار اللحظات الأخيرة إما نجاة برکوب السفينة، أو هلاك مع القوم الكافرين، قال تعالى: ﴿وَهَيْ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي

(1) تفسير الطلال لسيد قطب (ص 1875 / 4) مرجع سابق

(2) ينظر تفسير الزمخشري المسمى (الكتاف) عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقوال في وجوه التأويل (2/393) للإمام الزمخشري، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة: الثالثة 1407 هـ - 1987 م، وتفسير الطلال (4/1877) مرجع سابق.

مَعْزِلٌ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٦﴾ [هود: 42-43]، ركب نوح -عليه السلام- السفينة مع الذين آمنوا معه ، وقبل إبحارها نادى الأب على ابنه ، وكلماته تفيض بالرقة والحنان والخوف على ولده من المصير المنتظر للكافرين، قال: يا بني اركب معنا فهذه سفينة النجاة من لم يركب معنا فهو مع الهالكين ، وكان ابنه في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن المؤمنين وقتما كانوا على الشاطئ يستعدون لركوب السفينة، فيرد الابن العاق معنا عصيانه وإصراره على الكفر قائلا: (سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) [هود: 43] ، سألاً جبل مرتفع يحمي من الماء ويعني تسلقه من الغرق بالطوفان، لم يدرك الابن بعد حجم الهلاك الذي سيحدث للجميع دون ركاب السفينة وظن أن الجبل يحميه فمهما بلغ الماء فلن يبلغ قمة الجبل هكذا ظن أو مثني نفسه، ولم يدر بخلده أنها النهاية، ومن هنا قالها نوح الأب الشقيق قبل أن يحول الموج بينه وبين ولده المغرور (قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ) [هود: 43] ، لم يستمع الابن إلى نصيحة أبيه، وقام الموج حائلاً بين نوح وابنه فاجتباه إليه، وكان هذا الولد من جملة الذين أغرقهم الله بالطوفان من الكفار أمثاله.^(١)

ونلاحظ في هذا الحوار عدة أمور:

- 1- طول نفس نوح -عليه السلام- وصبره وعدم يأسه من دعوة ابنه إلى الإيمان، وتوجيهه نحو الطريق الصحيح ولو في اللحظات الأخيرة رغم بداية الطوفان.
- 2- عاطفة الأبوة والتي يغلب عليها الشفقة والخوف، والتحذير من الهلاك.
- 3- إصرار الابن وعناده وتنمية نفسه بالنجاة باللجوء إلى جبل يعصمه من الماء.
- 4- مشهد النهاية يبين أن كل امرئ مسؤول عن نفسه، ويتحمل نتيجة اختياره.

(1) ينظر التفسير الوسيط (196:197) مرجع سابق

المطلب الرابع: حواره مع رب العالمين:

وبعد انتهاء الطوفان واستواء السفينة على الجودي نادى نوح ربه وهو الأب الشقيق الذي أحزنه إصرار ابنه على الكفر وهلاكه مع الهالكين، فأراد نفعه في الآخرة بعد اليأس من نجاته في الدنيا، فسأل الله المغفرة لولده، وألا يعامله معاملة الكافرين في الآخرة. ⁽¹⁾

قال تعالى : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحُقْقُ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ ^(٤٦) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ^(٤٧) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ^(٤٨) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَّكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمِّ مِمْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابُ أَلِيمٌ ^(٤٩) [هود: 45-48] ، قال لها نوح يستتجز ربه وعده في نجاة أهله، ويستتجزه حكمته في الوعد والقضاء، وجاءه الرد بالحقيقة التي غفل عنها؛ فالأهل ليسوا قربة الدم، إنما هم قربة العقيدة، وهذا الولد لم يكن مؤمناً، فليس إذن من أهله ، جاءه الرد هكذا في قوة وتقرير وتوكيد: ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [هود: 46] ، لأن نوحاً دعا دعاء من يستتجز وعداً لا يراه قد تحقق.. كان الرد عليه يحمل رائحة التأنيب والتهديد: إنني أعظم خشية أن تكون من الجاهلين بحقيقة الوسائل والروابط، ويرتجف نوح ارتجافة العبد المؤمن يخشى أن يكون قد زل في حق ربه، فيلجاً إليه، يعوذ به، ويطلب غفرانه ورحمته: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود: 47] ، وأدركت رحمة الله نوحاً، تطمئن

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (ص 12/83) مرجع سابق

قلبه، وتباركه هو والصالح من نسله، فأما الآخرون فيمسهم عذاب أليم: ﴿قَيْلَ يَا
نُوحُ اهْبِطْ إِسْلَامٍ مِّنَا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّةٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّةٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ
يَمْسُّهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: 48] ⁽¹⁾

ونلاحظ في هذا الحوار:

- 1- أدب العبودية وكيف ينادي العبد مولاه وسيده وكيف يستغفر ويستعتب إن أخطأ.
- 2- بيان أن رابطة العقيدة هي الأبقى وليس رابطة النسب، فلا ينفع النسب عند الله مع الكفر.
- 3- تجرد نوح وإخلاصه لله، وركونه إليه في كل شيء، وثقته في عدل الله ورحمته.
- 4- عبودية نوح لله وانكساره، واعترافه بضعفه أمام عظمة الله وجلاله، واستسلامه لحكم الله وقضائه.
- 5- اصطفاء الله لنوح والذين آمنوا معه ليكونوا نواة لعمارة الأرض من جديد بعد الطوفان.

(1) ينظر تفسير الظلال (ص 1879/4) مرجع سابق

الفصل الثالث

المنهج الحسني في دعوة

نوح - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول / الاستغفار سبب للنعم.

**المبحث الثاني / الاستدلال على عظمته الله
بالآيات الكونية.**

المبحث الثالث / معجزة السفينة.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة نوح عليه السلام

تعريفه:

لغة: كلمة الحسي مأخوذ من الفعل [حسس] والحس والحسيس: الصوت الخفي، والحس أيضاً: وجع يأخذ النساء بعد الولادة، والحس أيضاً: مصدر قولك حس له، أي رق له، والحواس: المشاعر الخمس: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. ويقال أيضاً: أصابتهم حاسة، وذلك إذا أضر البرد أو غيره بالكلأ، ويقال أيضاً: حست بالخبر وأحسست به، أي أيقنت به.⁽¹⁾

والمعنى الذي يعنيها هنا أن الحس في اللغة بمعنى الإدراك، والإحساس الناتج عن الحواس الخمس بالنسبة للإنسان.

وأصطلاحاً المنهج الحسي: "هو النظام الدعوي الذي يرتكز على الحواس، ويعتمد على المشاهدات والتجارب."⁽²⁾

ويعد هذا المنهج من أبرز مناهج الدعوة التي ينبغي أن يسلكها الدعاة إلى الله، لسرعة تأثيره في النفوس لأنه يعتمد على لفت الأنظار للأمور المشاهدة والمحسوسة، ولا شتراك الناس جميعاً في أنواع الحس أو بعضها⁽³⁾

وقد استخدم النبي الله نوح هذا المنهج في الدعوة في عدد من المواقف يتناولها الباحث في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الاستغفار سبب للنعم.

المبحث الثاني/ الاستدلال على عظمة الله بالأيات الكونية.

المبحث الثالث/ سفينة النجاة (الفلك المشحون).

(1) ينظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى، تحقيق: أحمد عبد الغفور (3/916)، مادة "حسس" طبعة دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م.

(2) المدخل إلى علم الدعوة للبيانونى (ص 214) مرجع سابق

(3) ينظر المرجع السابق ص (218)

المبحث الأول/ الاستغفار سبب للنعم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاستغفار لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: ثمرات الاستغفار.

المطلب الأول: تعريف الاستغفار لغة واصطلاحا:

الاستغفار لغة: غفر: أصل الغفر التغطية والستر ، ويقال: غفر الله ذنبه أي سترها؛ والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب، والاستغفار: طلب المغفرة قولاً وفعلاً.⁽¹⁾

واصطلاحا هو: "طلب الغفر، وهو الستر، والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرٍ أو معصية"⁽²⁾

المطلب الثاني: ثمرات الاستغفار:

دعا نوح – عليه السلام- قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً ومن الطرق التي سلكها في إقناع قومه تبصيرهم بأن المعاصي سبب لزوال النعم ، وأن الإيمان بالله سبب لنزول الخيرات والبركات، فأراد أن يرغبهم في خير الدنيا والآخرة، كما قال تعالى حكاية عن نوح : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ عَفَّارًا ۚ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۚ وَيُمْدِدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ۚ﴾ [توب: 10-12] ، فقد كانوا أهل دنيا فأراد ترغيبهم بالكثير من الخيرات إذا أخذوا سبباً واحداً؛ وهو التوبة إلى الله (أطمئنهم في

(1) ينظر لسان العرب مادة (غفر)، (5/3273)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (4/135) تحقيق: محمد علي النجار، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: 1416 هـ - 1996 م

(2) تفسير الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (2/471)، تصحيح: محمد على شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ

الغفران إذا استغفروا ربهم فهو- سبحانه- غفار للذنوب: (فَقُلْتُ أَسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ إِنَّهُوَ كَانَ غَفَارًا) [نوح: 10] ، وأطمعهم في الرزق الوفير الميسور من
 أسبابه التي يعرفونها ويرجونها وهي المطر الغزير، الذي تنبت به الزروع،
 وتسلل به الأنهر، كما وعدهم برزقهم الآخر من الذرية التي يحبونها- وهي
 البنين- والأموال التي يطلبونها ويعزونها: ﴿يُرِسِّلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا
 ۝ وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: 11].
(1) [12]

فأراد -عليه السلام- أن يلفت حس قومه بأن حدوث هذه النعم التي حرموا
 منها ⁽²⁾ إنما يكون بالتوبة إلى الله غفار الذنوب، واستمطار فضله وإنعامه مما
 حرموه بسبب كفرهم وعنادهم.

المبحث الثاني/ الاستدلال على عظمة الله بالأيات الكونية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: آيات الله في الكون المنظور.

المطلب الثاني: آية خلق السماوات والأرض.

المطلب الثالث: آيتا الشمس والقمر.

المطلب الرابع: آية الخلق من الأرض والعودة إليها ثم البعث والنشور.

المطلب الخامس: آية بسط الأرض.

(1) تفسير الظلال (6/3713) مرجع سابق

(2) قال الإمام البغوي في تفسيره (وذلك أن قوم نوح لما كذبوا زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت أولادهم وأموالهم ومواثيقهم، فقال لهم نوح: استغفروا ربكم من الشرك، أي استدعوا المغفرة بالتوحيد، يرسل السماء عليكم مدرارا.) تفسير البغوي معالم التنزيل في تفسير القرآن (ص 5/156) بتحقيق عبد الرزاق المهدى، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ

المطلب الأول: آيات الله في الكون المنظور:

أراد نوح - عليه السلام - أن يلفت أنظار قومه إلى بعض آيات الله في الكون المنظور أمامهم، وقد رأي فيهم استخفافا بجلال الله وعظمته وعنادا وصودقا عن قبول الحق فتوجه إليهم بالسؤال مستتركا عليهم عدم إيمانهم بالله فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا١٣ وَقَدْ خَلَقْتُمْ أَطْوَارًا١٤﴾ [توب: 13-14]، قال ابن عباس: لا تعظمون الله حق عظمته، أي: لا تخافون من بأسه ونقمته.⁽¹⁾

مالكم لا تعظمون الله وقد خلقكم أطوارا ، وقد جاءهم بهذه الصورة (لأن الأطوار التي يعلمونها دالة على رفقه بهم في ذلك التطور، فهذا تعريض بکفرهم النعمة، ولأن الأطوار دالة على حكمة الخالق وعلمه وقدرته، فإن تطور الخلق من طور النطفة إلى طور الجنين إلى طور خروجه طفلا إلى طور الصبا إلى طور بلوغ الأشد إلى طور الشيخوخة وطور الموت على الحياة وطور البلى على الأجساد بعد الموت، كل ذلك والذات واحدة، فهو دليل على تمكن الخالق من كيفيات الخلق والتبديل في الأطوار، وهم يدركون ذلك بأدئني التفاتات الذهن، فكانوا محقوقين بأن يتوصلا به إلى معرفة عظمة الله وتوقع عقابه لأن الدلاله على ذلك قائمة بأنفسهم وهل التصرف فيهم بالعقاب والإثابة إلا دون التصرف فيهم بالكون والفساد).⁽²⁾

فاستدل على عظمة الله وأنه المستحق للعبادة دون غيره بالنظر في أنفسهم فهي أقرب شيء إليهم، والتأمل في آية خلقهم من العدم، وإنعامه عليهم بنعمة الوجود، وتطور خلقهم من نطفة إلى علقة إلى مضغة.

المطلب الثاني: آية خلق السماوات والأرض:

ثم وجههم إلى آية أخرى أعظم من خلق الإنسان، وهي آية خلق السماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: 57]، وكأنه يسألهم ماذا خلقت آهلكم المزعومة حتى تشركونها في عبادة الله (ألم تشاهدوا أيها القوم عظمة الله، وكمال قدرته فيما أبدع من آيات كونية، وتنظروا إليها نظر تفكرا واعتبار، كيف خلق

(1) تفسير ابن كثير (ص 565/4) مرجع سابق

(2) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (ص 201/29) مرجع سابق

الله العظيم سبع سماوات متطابقة من غير مماسة، بعضها فوق بعض، وهي في
غاية الإحكام والإتقان وإبداع الصنع⁽¹⁾

وهذا كله دال على عظمته وتفرده بالخلق، ووجب لإيمان به ربا خالقا
مبدعا وإلها واحدا معبودا ليس له شركاء ولا أنداد.

المطلب الثالث: آيات الشمس والقمر:

ويواصل نبي الله نوح -عليه السلام - دعوة قومه لإنعام الحس والفكر
والنظر إلى آية أخرى، وهي: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: 16]، أي: (وَجَعَلَ) سبحانه بقدرته القمر في السماء الدنيا نورا للأرض ومن
فيها، وَجَعَلَ الشَّمْسَ كالسراج في إضاءتها وتوهجها وإزالة ظلمة الليل، إذ السراج
هو المصباح الظاهر نوره، الذي يضيء ما حوله.⁽²⁾

فهذه النعم لو سلبت منهم أو اختل مسيرها لهلكوا جميعا فهي آيات دالة عليه
سبحانه، وعلى وجوب إفراده بالعبادة، وآيات على قدرته سبحانه في تدبيرها
وتقديرها وتسخيرها.

المطلب الرابع: آية الخلق من الأرض والعودة إليها ثم البعث والنشور:

ثم انتقل نوح -عليه السلام- من تنبيهم إلى ما في خلق السماوات
والشمس والقمر من دلالة على وحدانية الله وقدرته.. إلى لفت أنظارهم إلى
التأمل في خلق أنفسهم، وفي مبدئهم وإعادتهم إلى الحياة مرة أخرى بعد موتهم،
فقال - كما حكى القرآن عنه - ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ
فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: 17-18]⁽³⁾

فالله سبحانه وتعالي خلق الإنسان، بل الكون كله من العدم، وكل شيء
عده الله عز وجل مخلوق له خاضع لأمره، فإذا كان الحق جل وعلا هو الخالق
المبدع.. فإنه إذن وحده المستحق للعبادة والمستحق للشكرا، وعبادة غيره ظلم

(1) التفسير الوسيط مجمع البحوث (10/1599) مرجع سابق

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (15/119) مرجع سابق

(3) المرجع السابق (15/120)

لنفس وحياد عن الحق، وفي ذلك يقول جل شأنه: (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) [النحل: 20]، وكما خلق الله الخلق من العدم فإنهم
سيموتون ثم يبعثهم الله من قبورهم فيجازيهم على أعمالهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا
وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: 18]

المطلب الخامس: آية بسط الأرض:

ثم ختم نوح- عليه السلام- حديثه لقومه عن نعم الله بلفت أنظارهم إلى
نعمه الأرض التي يعيشون عليها، فقال: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ إِسَاطًا
لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِي جَاجَانٍ﴾ [نوح: 19-20]

أي: (والله- تعالى- وحده هو الذي جعل لكم- بفضله ومنتها- الأرض
مبسوطة، حيث تنقلبون عليها كما يتقلب النائم على البساط، وجعلها لكم كذلك
لتسلكوا منها سُبُلًا أي: لكي تتخذوا منها لأنفسكم طرقاً فجاجاً أي: متسعة جمع فج
وهو الطريق الواسع، قوله: بساطاً تشبيه بلية. أي: جعلها لكم كالبساط، وهذا لا
يتناهى مع كون الأرض كروية، لأن الكرة إذا عظمت جداً، كانت القطعة منها
كالسطح والبساط في إمكان الانتفاع بها، والتقلب على أرجائها). ⁽¹⁾

فهنا نرى كيف أن النبي الله نوح - عليه السلام - حاول أن يصل إلى عقول
قومه وقلوبهم، مستدلاً على الإيمان بالله بهذه الآيات الكونية التي ساقها لهم، ولكن
 القوم كانوا قد بلغوا الغاية في العناد والكفر، والصد عن سبيل الله - تعالى -.

المبحث الثالث/ سفينة النجاة (الفلك المشحون)

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أمر الله نوح ببناء السفينة.

المطلب الثاني: صنع السفينة بعناية الله ووحيه.

المطلب الثالث: احمل فيها من كل زوجين اثنين.

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (15/121) مرجع سابق

المطلب الرابع: وفار التنور.

المطلب الخامس: وهي تجري بهم في موج كالجبار.

المطلب الأول: أمر الله لنوح ببناء السفينة:

أوحى الله - عز وجل - إلى نبيه نوح - عليه السلام - بأنه لن يؤمن أحد بدعوته إلا من آمن، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَيْسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: 36]، ثم أمره الله - تعالى - أن يصنع سفينه، وعلمه كيف يتقن صنعها، ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبِنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [هود: 37]، وقد كانت تلك السفينه آية من آيات الله - عز وجل - الدالة على قدرته وعظمته، بناها نوح - عليه السلام - بوعي وتعليم من الله، ولا نعرف حجمها ولا شكلها ولا تصميمها، وكل ماورد من ذلك أقوال مرسلة لا دليل عليها، لأن (القرآن في إيراده للقصص والأخبار، لا يهتم إلا بإبراز النافع المفيد منها، أما ما عدا ذلك مما لا فائدة من ذكره، فيهمل القرآن الحديث عنه، فمثلاً في قصة نوح - عليه السلام - هنا، لم يتعرض القرآن لبيان المدة التي قضتها نوح في صنع السفينه، ولا لبيان طول السفينه وعرضها وارتفاعها، ولا لتفاصيل الأنواع التي حملها معه في السفينه، ولا لبيان الفترة التي عاشها نوح ومن معه فيها، ولا لبيان المكان الذي هبط فيه نوح بعد أن استوت السفينه على الجودي.. ولا لبيان الزمان الذي استغرقه الطوفان فوق الأرض، وما ورد في ذلك من أقوال وأخبار، أكثرها من الإسرائيليات التي لا يؤيدتها دليل من الشرع أو العقل).⁽¹⁾

لكن لا شك أنها كانت آية لأهل الأرض، دالة على عظمة الله وقدرته، كما قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: 15] وقال سبحانه: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَسْحُونِ﴾ [يس: 41]

المطلب الثاني: صنع السفينه بعنایة الله ووحيه:

(1) المرجع السابق (7/217، 218)

وصنع نوح - عليه السلام- السفينة بوحي من الله، فهو لا يعرف شيئاً عن صناعة السفن من قبل، قال تعالى: (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيَنَا) [المؤمنون: 27]. ودل قول الله تعالى: (بأعيننا ووحينا) على: (أن التنفيذ وخطة العمل، وهندسة بناء السفينة، وتحديد المواد التي تصنع منها، وطريقة التنفيذ أمور مسبوقة بالوحي، ومحفوفة بالعناية والمراقبة التوجيهية، والتسديد المتتابع، حتى تبلغ الفلك الغاية المقصودة من إحكام الصنع للأمر الذي ثُهيأ له كل هذا ضمن إمكانات نوح - عليه السلام- المتاحة له في زمانه).⁽¹⁾

المطلب الثالث: احمل فيها من كل زوجين اثنين:

أتمَ نوح - عليه السلام- صنع السفينة، وحمل فيها الذين آمنوا معه، ومن كل حيوان وطير وسائر المخلوقات زوجين اثنين، تنفيذا لأمر الله، ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: 40]

المطلب الرابع: عالمة بداية الطوفان: (وفار التنور):

هذه عالمة بداية الطوفان (وفار التنور)، فما هو التنور؟ التنور الفرن الذي يخز فيه، وهو قول أكثر المفسرين، ورجح هذا القول شيخ المفسرين ابن جرير الطبرى⁽²⁾ فقال: "وأولى الأقوال عندنا بتأويل قوله: "التنور" قول من قال: "هو التنور الذي يخز فيه"، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة على شيء

(1) تفسير معارج التفكير ودقائق التدبر لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (10/387)، ط دار القلم – دمشق الطبعة الأولى 2006

(2) هو الإمام محمد بن جرير بن يزيد الطبرى، أبو جعفر (310-224) المؤرخ المفسر الإمام. ولد في أمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها، له كتب عديدة منها: أخبار الرسل والملوك، ويعرف بتاريخ الطبرى، وجامع البيان في تفسير القرآن، ويعرف بتفسير الطبرى، وغيرها من الكتب النافعة، وهو من ثقات المؤرخين، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق. ينظر ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي (2/212)، بتحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى الناشر: دار إحياء التراث - بيروت عام النشر: 1420 هـ- 2000م، ومعجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، للحموى (6/24416)، بتحقيق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م، والأعلام للزرکلي (6/69)

منه بخلاف ذلك، فيسلم لها، وذك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به لِإفهامهم معنى ما خاطبهم به".⁽¹⁾

أمره الله –عز وجل– بتسير السفينة وكانت عالمة ببدء الطوفان أن يفور التنور بالماء ، أي أن الله سينزل السماء بالماء بالمنهم ، ويفجر الأرض كلها عيونا؛ لدرجة أن التنور ، وهو الفرن الذي يخبز فيه الذي يكون محل النار في العادة ، وأبعد ما يكون عن الماء ، سيتفجر منه الماء ، حينئذ عليه أن يحمل معه المؤمنين ، ومن كل زوجين اثنين ، وأما من كفر من قومه فعاقبته الغرق بالطوفان ، قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْتَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقُولُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: 40] ، وركب نوح السفينة مع المؤمنين : ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: 41] ، والعجب أنها سفينة تحمل فيضان الماء ، وارتفاع الأمواج العاتية ، التي وصفها عز وجل بقوله تعالى : (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ) [هود: 42] ، وهذا التعبير القرآني الموجز البليغ يهدف إلى : (تقديم صورة ببدء جري الفلك في الماء العظيم ، الذي صار الموج فيه كالجبال الصغرى شكلاً وارتفاعاً ، ولا تكون الأمواج في البحر متعلقة بحسب السنة المعتادة ، إلا إذا كانت الرياح العاتيات تحركها ، فوصف الموج بأنه كالجبال أغنى عن ذكر الرياح العاتيات في الصورة ، لأنّ الذهن يستدعيها في التصور) ⁽²⁾

كانت السفينة تجري مسرعة في الماء ، الذي يغمرها من تحتها ومن فوقها ، ويحتويها من كل جوانبها ، ومعتاد أن السفن تمشي فوق الماء ، أما هذه السفينة

(1) تفسير جامع البيان الطبراني : (12/406) ، ومما هو جدير بالذكر ؛ ما ذكره الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء ، فقد ذكر قوله لبعض المفسرين وهو : أن قوله تعالى : (وَفَارَ التَّنُورُ) يشير إلى أن سفينته نوح كان بخارية مستدلاً بقوله (وَفَارَ التَّنُورُ) وأن قوم نوح كان قد بلغوا في المدينة شاؤا بعيداً فاستخدمو البخار وأجرموا به السفن ، ثم قال : ولست أميل إلى هذا لأنّه يقتضي أن التنور يفور من نفسه ، بل الذي أفهمه أن الأرض لما هيأ الله الطوفان كانت ممتلئة بالماء من تحتها وإشارة إلى قربه ، ففار تنور أهله الذي يخبزون فيه . أ. هـ كلامه ، من كتابه قصص الأنبياء ص (60) طـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان الطبعة الأولى (1425-2005)

(2) المرجع السابق (ص 10/396)

فقد تحملت الماء المندفع من الأرض ، والماء المنهر من السماء، قال تعالى:

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِّرٍ وَجَرَنَا الْأَرْضَ عَيْوَنًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاجِ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفَّارًا﴾ [القمر: 11-14] ، فهذا الماء بهذه الكثرة يستحيل أن تتجو منه أي سفينة عادية ، لكن لا غرابة في ذلك فهي تجري بأمر الله ، وقد تعهد لها سبحانه وتعالي أثناء جريانها وعند مرساها بالعناية والرعاية .

المطلب الخامس: وهي تجري بهم في موج كالجبال:

ومن الأمور التي تتوقف عندها: ركاب السفينة فقد شُحنت السفينة بكل من آمن مع نوح من البشر، وكل الحيوانات والطيور والحشرات، من كل صنف زوجين اثنين، على اختلاف بيئاتها، وطبعاتها، ومع اختلاف طرق معيشتها، ونوعية غذائها، والتناقض والتضاد بينها، وفيها من هو عدو للأخر، إلا أنها تعايشت بسلام مع بعضها إلى أن وصلت السفينة محطتها الأخيرة، واستقرت على جبل الجودي، وقد وصفها رب العزة بالسفينة المشحونة، وتعهد بنجاة كل من فيها من كانوا مع نوح - عليه السلام - من المؤمنين، وغيرهم من شحنت بهم السفينة، قال تعالى: (فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ وَفِي الْقُلُكِ الْمَشْحُونِ) [الشعراء: 119]، وبذلك تعد السفينة في صناعتها، وقوة تحملها وسرعتها، وحمولتها، وركابها، آية للعالمين تفوق قدرات البشر ، وكانت وقت الطوفان مركب النجاة للمؤمنين معه والأزواج التي حملها من سائر الكائنات.

الباب الثاني

المناهج الدعوية في رسالته

هود - عليه السلام -

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول / المنهج العاطفي.

الفصل الثاني / المنهج العقلي.

الفصل الثالث / المنهج المحسني.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة

هود - عليه السلام -

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول / الرفق وإظهار

العاطفة.

المبحث الثاني / الترغيب.

المبحث الثالث / الترهيب.

المبحث الرابع / التذكير بنعم الله.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة هود عليه السلام

عند تتبع الآيات القرآنية التي ذكرت قصة نبي الله هود – عليه السلام- نجد أنه قد استخدم المنهج العاطفي في عدة مواقف يتناولها الباحث في أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة

و فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوههم.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)

المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه.

المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوههم:

وقد ورد هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: 65]، فكلمة (أخاهم) تعني أخوة النسب لا الدين، فنبي الله هود رجل من قومه معروف لديهم، وهي أيضاً كلمة "تشعر بأشياء كثيرة؛ إنه من جنسهم، ولغته لغتهم، وأنسهم به، ويعرفون كل شيء وكل تاريخ عنه، وكل ذلك إشارات تعطى الأنس بالرسول؛

فلم يأت لهم برسول أجنبي عاش بعيداً عنهم حتى لا يقولوا: لقد جاء ليصنع لنفسه سيادة علينا، بل جاء لهم بوحدة منهم وأرسل إليهم «أخاهم»⁽¹⁾

المطلب الثاني: نداء على قومه (يا قوم):

وقد تكرر نداء هود - عليه السلام - على قومه بقوله: (يا قوم) عدة مرات كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: 50]، قال: (يا قوم)، ولا يخفى علينا ما في هذا النداء من التلطف في النصح، وتأليف القلوب، قالها هود - عليه السلام - "بهذا التودد، والتذكير بالأوصار التي تجمعهم، لعل ذلك يستثير مشاعرهم ويحقق اطمئنانهم إليه فيما يقول، فالرائد لا يكذب أهله، والناصح لا يغش قومه".⁽²⁾

المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه:

فقد بين النبي الله هود لقومه خوفه عليهم إن استمروا على ضلالهم وكفرهم بالله فقال لهم: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: 135]

وقوله: (إنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ) فيه بيان شفنته وحرصه على هدايتهم، وأيضاً هو (تعليق لإنكار عدم تقوتهم وللأمر بالتقى)، أي أخاف عليكم عذاباً إن لم تتقوا، فإن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده، والعذاب يجوز أن يريد به عذاباً في الدنيا توعدهم الله به على لسانه، ويجوز أن يريد به عذاب يوم القيمة، ووصف يوم بـ (عظيم) على طريقة المجاز العقلي، أي عظيم ما يحصل فيه من الأحوال).⁽³⁾

المبحث الثاني / الترغيب

ويشتمل على مطابقين:

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله.

(1) تفسير الشعراوي (8/4205)

(2) تفسير الظلال (4/1896) مرجع سابق

(3) التحرير والتنوير (19/170) مرجع سابق.

المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار.

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله:

وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: 50]، فدعا قومه إلى عبادة الله وحده فلا إله غيره ولا رب سواه، واستحثهم على ذلك فقال (أفلا تتقون) الله فتخافون عقابه.

(وجملة: "أفلا تتقون" استفهامية إنكارية معطوفة بفاء التفريع على جملة: "ما لكم من إله غيره" والمراد بالتفوى الحذر من عقاب الله تعالى على إشراكهم غيره في العبادة واعتقاد الإلهية، وفيه تعريض بوعيدهم إن استمروا على ذلك، وإنما ابتدأ بالإنكار عليهم إغلاضاً في الدعوة، وتهويلاً لفظاعة الشرك إن كان قال ذلك في ابتداء دعوته، ويحتمل أن ذلك حكاية قول من أقواله في تكرير الدعوة بعد أن دعاهم المرة بعد المرة ووعظهم) ⁽¹⁾

المطلب الثاني / حثهم على الاستغفار:

وكان قوم عاد ذوي قوة أدت بهم إلى الغرور والاستكبار، كما قال تعالى: ﴿فَآمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحُقْقِ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: 15] ، فذكرهم نبيهم هود - عليه السلام - بهذه النعمة، وهي أن الله زاد في قوتهم؛ فهم مميزون عن بقية الخلق، وبما أن الله هو الذي أعطاكم هذه النعمة فأولى بكم شكرها لتدوم عليكم، بل وبشرهم بزيادة هذه النعمة ووعدهم بنزول المطر الغزير إذا هم تابوا إلى الله واستغفروا فقال: ﴿وَيَا قَوْمَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْنَا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: 51]

يا قوم استغفروا ربكم بما ارتكبتم من الشرك، ثم توبوا إليه بترك تلك الذنوب، فإذا فعلتم ذلك، فسيزيد الله تعالى نعمه عليكم ويعنكم القوة للاستفادة من تلك النعم، فإن النعم إذا لم تكن متاحة أصاب الإنسان الشقاء في حياته، وإذا كانت متاحة، ولكنكم مرضى أو ضعفاء لا تقوون على تحصيلها فأنتم أيضاً في شقاء،

(1) المرجع السابق (202 / 8 ب)

أما عندما تتزايد النعم وتتوفر القوة الكاملة للاستفادة منها، فإنها ستكون سبباً لسعادتكم وعدم شقائكم في هذه الدنيا.

هل الاستغفار سبب لقوة البدن حقيقة؟

وما المانع من ذلك أليس الله عز وجل هو مالك الملك ومدير الأمور كلها وببيده خرائن كل شيء، فإذا أطيع الله وسع على عباده وأغناهم، وإذا كفروا به منع عنهم نعمه وعطاءه، فهذه سنة جارية وقانون ثابت من قوانين الكون قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخْذَنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96]، فادرار المطر، ومضاعفة القوة للعباد، إن هم استغفروا وتابوا إلى الله أمر جار وفق سنة الله - تبارك وتعالى - في الكون.

(فَإِنَّمَا زِيادةَ الْقُوَّةِ فِي الْأَمْرِ فِيهَا قُرْبٌ مُّيسُورٌ، بَلْ وَاقِعٌ مُشَهُودٌ، فَإِنْ نَظَافَةُ الْقَلْبِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ فِي الْأَرْضِ يُزَيِّدُانَ التَّائِبِينَ الْعَالَمِينَ قُوَّةً؛ يُزَيِّدُانَهُمْ صَحَّةً فِي الْجَسْمِ بِالْاعْدَالِ وَالْإِقْتَصَارِ عَلَى الطَّبِيبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ وَرَاحَةَ الْبَصِيرِ وَهَدْوَءَ الْأَعْصَابِ وَالْأَطْمَئْنَانِ إِلَى اللَّهِ وَالثَّقَةِ بِرَحْمَتِهِ فِي كُلِّ أَنْ وَيُزَيِّدُانَهُمْ صَحَّةً فِي الْمُجَمَّعِ بِسِيَادَةِ شَرِيعَةِ اللَّهِ الصَّالِحةِ الَّتِي تُطْلُقُ النَّاسَ أَحْرَارًا كَرَامًا لَا يَدِينُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ عَلَى قَدْمِ الْمَسَاوَةِ بَيْنَهُمْ أَمَامَ قَهَّارٍ وَاحِدٍ تَعْنُو لَهُ الْجَبَاهُ؛ كَمَا تُطْلُقُ طَاقَاتِ النَّاسِ لِيَعْمَلُوا وَيَنْجُوا، وَيُؤَدِّوا تَكَالِيفَ الْخَلَافَةِ فِي الْأَرْضِ.)⁽¹⁾

المبحث الثالث / الترهيب

وفي مطلب:

المطلب الأول: الترهيب من عذاب عظيم.

المطلب الثاني: الترهيب بأن يحل غضب الله بهم.

المطلب الأول: الترهيب من عذاب عظيم:

أراد النبي الله هود - عليه السلام - أن يذكر قومه بنعم الله عليهم ويخوفهم من عاقبة التكذيب فقال لهم كما ذكر الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي

(1) تفسير الظلال (ص 1906/4) مرجع سابق

أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٦﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٧﴾ إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٨﴾ [الشعراء: 131-135]

أي: اتقوا عقاب الله أيها القوم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، وانتهوا عن اللهو واللعب، وظلم الناس، وقهروا بالغلبة والفساد في الأرض، واحذروا سخط الذي أعطاكم من عنده ما تعلمون، وأعانكم به من الأنعام والبنين، والبساتين والأنهار، أي سخر ذلك لكم وتفضل بها عليكم، فهو الذي يجب أن يعبد ويشرك ولا يكفر.

وجملة (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) تعليل لإنكار عدم تقواهم وللأمر بالتقوى، أي: أخاف عليكم عذاباً إن لم تتقوا، فإن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده، والعذاب يجوز أن يريد به عذاباً في الدنيا توعدهم الله به على لسانه، ويجوز أن يريد به عذاب يوم القيمة، فدعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب، مما نفع فيهم.⁽¹⁾

المطلب الثاني: الترهيب بأن يحل غضب الله بهم:

لما دعانبي الله هود – عليه السلام – قومه إلى عبادة الله وحده قالوا على سبيل الإنكار والاستهزاء: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: 70]، وهكذا استعجلوا العذاب وتحدوا رسولهم، فأجابهم جواباً حاسماً: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتَجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَيْتُهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوْا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ﴾ [الأعراف: 71] أي: (قد وجب عليكم بمقالتكم هذه من ربكم رجس وغضب، والرجس قيل: هو مقلوب من رجز. وعن ابن عباس: معناه السخط والغضب. {أتجادلوني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم} أي: أتحاجوني في هذه الأصنام التي سميتوها أنتم وآباؤكم آلها، وهي لا تضر ولا تنفع، ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلاً؛ ولهذا

(1) ينظر: تفسير ابن جرير الطبرى (377/19) وتفسير القرطبي (125/13)، وتفسير ابن كثير (ص 153/6) وتفسير التحرير والتورير (170/19)

قال: {ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرین} وهذا تهديد ووعيد من الرسول لقومه.⁽¹⁾

المبحث الرابع/ التذكير بنعيم الله

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التذكير بأن الله جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح.

المطلب الثاني: التذكير بأن الله أ美的هم بأنعام، وبنين، وجنات، وعيون.

المطلب الأول: التذكير بأن الله جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح:

القوم عاد هم من أبناء المؤمنين الذين أنجاهم الله مع نوح – عليه السلام. كما قال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحاً اهْبِطْ إِسْلَامٌ مِّنَّا وَبَرَّاكٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّةٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّةٌ سَنُمْتَعُهُمْ ثُمَّ يَمْسُّهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: 48]

"وكان بنو نوح قد تکاثروا وانتشروا في الأرض، في أرمينية والموصـل والعراق وبـلـادـ الـعـربـ، وـكانـواـ أـمـاـ كـثـيرـةـ، أوـ كانـتـ عـادـ أـعـظـمـ تـلـكـ الأـمـمـ وأـصـحـابـ السـيـادـةـ عـلـىـ سـائـرـ الأـمـمـ، وـليـسـ المـرـادـ أـنـهـمـ خـلـفـواـ قـوـمـ نـوـحـ فـيـ دـيـارـ هـمـ لـأـنـ مـنـازـلـ عـادـ غـيـرـ مـنـازـلـ قـوـمـ نـوـحـ عـنـدـ الـمـؤـرـخـينـ"⁽²⁾

لكنـهمـ معـ مرـورـ الـوقـتـ وـقـعواـ فـيـ الشـرـكـ وـعـبـادـةـ الـأـصـنـامـ، وـفيـ سـيـاقـ التـذـكـيرـ بـنـعـيمـ اللهـ عـلـيـهـمـ ذـكـرـهـ نـبـيـ اللهـ هـوـدـ – عـلـيـهـ السـلـامـ بـأـنـ اللهـ اـسـتـخـلـفـهـمـ بـعـدـ قـوـمـ نـوـحـ – عـلـيـهـ السـلـامـ –، فـقـالـ لـهـمـ: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذُكْرُ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَإِذْ كُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فـي الـخـلـقـ بـسـطـةـ فـإـذـ كـرـوـاـ آـلـةـ اللهـ لـعـلـلـكـمـ تـفـلـحـونـ﴾ [الأـعـرـافـ: 69] ، أيـ: وـانـذـرـواـ نـعـمةـ اللهـ عـلـيـكـمـ إـذـ جـعـلـكـمـ خـلـفـاءـ مـنـ بـعـدـ قـوـمـ نـوـحـ، وـهـذـاـ التـذـكـيرـ تـصـرـيـحـ بـالـنـعـمـةـ، وـتـعـرـيـضـ بـالـنـذـارـةـ وـالـوـعـيـدـ بـأـنـ قـوـمـ نـوـحـ إـنـمـاـ اـسـتـأـصـلـهـمـ وـأـبـادـهـمـ عـذـابـ مـنـ اللهـ عـلـىـ شـرـكـهـمـ، فـمـنـ اـتـعـهـمـ فـيـ صـنـعـهـمـ يـوـشـكـ أـنـ يـحلـ بـهـ عـذـابـ أـيـضاـ، وـقـوـلـهـ (وـزـادـكـمـ فـيـ الـخـلـقـ

(1) ينظر تفسير ابن كثير (3/435) مرجع سابق

(2) تفسير التحرير والتنوير (205/8b) مرجع سابق

بسطة) أي: ومن نعم الله عليكم أن زاد طولكم على الناس فجعلكم أطول من أبناء جنسكم، (فاذكروا آلاء الله) أي: نعمه ومنته عليكم (لعلكم تفلحون) والمقصود منه أن تذكر النعم العظيمة يوجب الرغبة والمحبة ورُوْال النفرة والعداوة، ورتب على ذكر نعم الله رجاء أن يفلحوا لأن ذكر النعم يؤدي إلى تكرير شكر المنعم، فيحمل المنعم عليه على مقابلة النعم بالطاعة.⁽¹⁾

المطلب الثاني: التذكير بأن الله أ美的هم بأنعام وبنين وجنات وعيون:

ذكرهم نبي الله هود - عليه السلام - بنعم أخرى في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِإِنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: 131-134]، فهنا ذكرهم نبي الله هود - عليه السلام - بالعديد من نعم الله عليهم، وهي:

- أ美的هم بالأنعام- وهي الإبل والبقر والغنم-
- وأ美的هم بالأولاد زينة الحياة الدنيا.
- وأ美的هم بالبساتين المثمرة.
- وبالعيون التي ينتفعون بمائتها العذب.

"وابتدأ في تعداد النعم بذكر الأنعام لأنها أجل نعمة على أهل ذلك البلد، لأن منها أقواتهم ولباسهم وعليها أسفارهم وكانوا أهل نجعة فهي سبب بقائهم، وعطفهم عليها البنين لأنهم نعمة عظيمة بأنها أنسهم وعونهم على أسباب الحياة وبقاء ذكرهم بعدهم وكثرة أمتهم، وعطفهم الجنات والعيون لأنها بها رفاهية حالهم واتساع رزقهم وعيش أنعامهم".⁽²⁾

وبذلك نرى أن هودا - عليه السلام - قد جمع في نصيحة لقومه بين الترهيب والترغيب، والتذكير بنعم الله عليهم، ورغم هذه النصائح كلها، إلا أن قومه أصرروا على كفرهم واشتروا الضلال بالهوى، بل كان ردتهم عليهـ كما حكى

(1) ينظر: تفسير ابن كثير (3/434) مرجع سابق

(2) المرجع سابق (19/170)

القرآن عنهم:- ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أُمّ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾^{١٣٧} إِنْ هَذَا إِلَّا
خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾^{١٣٨} وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾^{١٣٩}﴾ [الشعراء: 136-138]^(١)

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة

هود - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول / الاستفهام.

المبحث الثاني / المجادل.

المبحث الثالث / الحوار.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة هود عليه السلام

وقد استخدمنبي الله هود - عليه السلام - المنهج العقلي في دعوة قومه لإقامة الحجة عليهم بالعديد من فنون القول، يتناوله الباحث من خلال ثلاثة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدال.

المبحث الثالث/ الحوار.

المبحث الأول/ الاستفهام

من الأساليب البلاغية التي تعتمد على المخاطبات العقلية: أسلوب الاستفهام الذي يخرج لأسباب بلاغية عن حقيقته إلى أغراض بلاغية، كالاستفهام الاستنكاري الذي يكون لاستكثار أمر يقره العقل لمراجعة المخاطب نفسه أو لتبنيه فيدخل ويرتدع.⁽¹⁾

وقد استعملنبي الله هود - عليه السلام أسلوب الاستفهام الاستنكاري في عدة مواضع في دعوته لقومه يتناولها الباحث في خمسة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: إنكاره عليهم عجبهم أن الله أرسله إليهم.

المطلب الثالث: إنكاره عبادة قومه أصناما سموها آلهة تقليدا لآبائهم.

المطلب الرابع: إنكاره عدم إعمال عقولهم وأنه لا يريد لهم إلا الخير.

المطلب الخامس: إنكاره العبث في كل بناء يبنونه.

(1) ينظر: علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» لأحمد بن مصطفى المراغي، ص (69)

، ط. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان الطبعة الثالثة 1993م

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 65]، وجملة: (أفلا تتقون) استفهامية إنكارية معطوفة بفاء التفريع على جملة: (ما لكم من إله غيره)، والمراد بالتفوى الحذر من عقاب الله تعالى على إشراكهم غيره في العبادة واعتقاد الإلهية، وفيه تعريض بوعيدهم إن استمروا على ذلك، وإنما ابتدأ بالإنكار عليهم إغلاضاً في الدعوة وتهويلاً لفظاعة الشرك) ⁽¹⁾

المطلب الثاني: إنكاره عليهم عجبهم أن الله أرسله إليهم:

قال تعالى حكاية عن هود - عليه السلام - ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ [الأعراف: 69]، ونلاحظ مشابهة كلامه في رده على قومه بكلام نبي الله نوح - عليه السلام - لكن لا عجب من ذلك فإن مصدر التلقى عند الأنبياء واحد وهو الوحي المنزل من السماء، والهمزة في قوله: (أَوَعَجِبْتُمْ) للاستفهام الإنكري، والمعنى: "لا تعجبوا أن بعث الله إليكم رسولاً من أنفسكم ليذركم أيام الله ولقاءه، بل احمدوا الله على ذاكم" ⁽²⁾

المطلب الثالث: إنكاره عبادة قومه أصناماً سموها آلهة تقليداً لآبائهم:

فقال لهم: ﴿أَتُجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمَيْتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَأَنْتَتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ﴾ [الأعراف: 71]، لما رفض قومه الاستجابة لدعوته إياهم إلى التوحيد وبرروا رفضهم بأنهم يقلدون آباءهم في عبادتهم إياها قال لهم مستفهمًا استفهام ساخر مستنكر: ﴿أَتُجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمَيْتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ [الأعراف: 71] ، أي: (أتحاجوني في هذه الأصنام التي سميتموها أنتم

(1) التحرير والتنوير 8/202

(2) تفسير ابن كثير (3/434) مرجع سابق

واباؤكم آلهة، وهي لا تضر ولا تنفع، ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلاً⁽¹⁾

المطلب الرابع: إنكاره عدم إعمال عقولهم وأنه لا يريد لهم إلا الخير:

قال تعالى حكاية عن هود - عليه السلام - ﴿يَا قَوْمٌ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: 51]، والهمزة في قوله: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) للاستفهام الإنكري، والمعنى: (اعقلوا ولا تجنبوا منهج الفهم السديد والعقل الرشيد... العقل عقلان: عقل علمي، وعقل إرادي، وكلاهما مأخوذان من الرابط).

فالعقل العلمي: يكون باستخدام قوى الإدراك والفهم في معرفة حقائق الأمور فهماً صحيحاً مطابقاً لما عليه في الواقع، وعقلها في الذاكرة، لتكون دافعة إلى السلوك القوي المؤدي إلى النتائج الفضلى.

والعقل الإرادي: يكون باستخدام الإرادة الحرة التي وهبها الله للإنسان، في عقل أهوائه وشهواته ورغبات نفسه، عن الانحراف والخروج عن صراط الله المستقيم عقيدة وعملاً⁽²⁾.

ويقصد هود - عليه السلام - من كلامه: يا قوم حركوا عقولكم وفكروا بطريقة واعية أني لا منفعة دنيوية لي أبداً من وراء دعوتي، ولا أسألكم عليها أجراً، فأنما متجرد بدعوتي لله، ولو كان لي من وراء دعوتي منفعة لجاز لكم أن تتهموني، فأين ذهبت عقولكم أتكذبونني وأنتم ترون ألا منفعة لي من وراء دعوتك؟

المطلب الخامس: إنكاره العبث في كل بناء يبنونه:

قال تعالى حكاية عن هود - عليه السلام - ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعِ آيَةً تَعْبَثُونَ ١٦٨ وَتَتَخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ١٦٩ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ ١٧٠﴾ [الشعراء: 128-130]، والهمزة في قوله: (أتبنون) للاستفهام الإنكري، والريع هو (المكان المرتفع عند جواد الطرق المشهورة)، تبنون هناك بناء محكماً باهراً هائلاً؛ ولهذا قال: (أتبنون بكل ريع آية) أي: معلمـاً بناء مشهوراً، (تعبثون) وإنما تفعلون ذلك عبثاً،

(1) تفسير ابن كثير (ص 3/435) مرجع سابق.

(2) تفسير معارج الفكر و دقائق التدبر (10/417) مرجع سابق.

لا للاحتياج إليه؛ بل لمجرد اللعب، واللهو وإظهار القوة؛ ولهذا أنكر عليهم نبيهم - عليه السلام - ذلك؛ لأنَّه تضييع للزمان، وإتِّعاب للأبدان في غير فائدة، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا، ولا في الآخرة.)⁽¹⁾

المبحث الثاني / الجدال

وقد استعمل النبي ﷺ - عليه السلام - هذا الأسلوب الدعوي في دعوته لإثبات ما جاء به من الحق، ودحض شبهاتهم الباطلة. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: شبهة اتهامه بالسفاهة والكذب.

المطلب الثاني: شبهة إبطاله لعبادة آلهتهم التي عبدها آباؤهم من قبل.

المطلب الثالث: شبهة أنه لم يأتهم ببينة وتهديده أن تنتقم منه الآلهة.

المطلب الرابع: شبهة أن رسولهم بشر وليس من الملائكة.

المطلب الأول: شبهة اتهامه بالسفاهة والكذب:

قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَادِيْنَ﴾ [الأعراف: 66] ، لما أرسل الله نبيه هودا - عليه السلام - لدعوة قومه إلى التوحيد ونبذ الشرك، كان الملاً من الكباء والساسة من قومه يعيشون في جهل أدى بهم للوقوع في أحوال الشرك؛ كانوا يرون أن رسولهم الذي أرسل إليهم به سفاهة، أي في حمق و خفة عقل⁽²⁾، وأنه كاذب غير مصدق عندهم فيما يقول، وهذا كله ناتج عن انتكاسة الفطرة والعمى عن صراط الله المستقيم، فيرون الدعوة إلى التوحيد ضلال، والرسول في سفاهة!

(وكانما كبر على الملاً الكباء من قومه أن يدعوهـم واحدـ من قومـهم إلى الـهدىـ، وأن يستـنكـرـ منهمـ قـلةـ التـقوـىـ وـرأـواـ فـيهـ سـفـاهـةـ وـحـمـاقـةـ، وـتـجاـزوـاـ لـحدـ

(1) تفسير ابن كثير (152/6) مرجع سابق.

(2) ينظر تفسير القرطبي (7/236)

وسوء تقدير للمقام! فانطلقوا يتهمون نبيهم بالسفاهة وبالكذب جمِيعاً في غير تحرج
ولا حياء⁽¹⁾

وقد رد عليهم النبي الله هود - عليه السلام - بقوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمَ لَيْسَ بِي
سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ أُبِلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ
أَمِينٌ ۖ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَإِذْ كُرُوا
إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخُلُقِ بَسْطَةً فَإِذْ كُرُوا آلَةَ اللَّهِ
لَعْلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۚ﴾ [الأعراف: 67-69]

هذا هو أدب الأنبياء - عليهم السلام - يتعرضون لما يتعرضون له ، وينسبون إليهم الضلاله والسفاهة فيردون في حلم وحكمة بنفي هذه التهم عنهم والانشغال بما هو أولى ألا وهو مصلحة الدعوة والانشغال بهداية الناس ، ففني هود - عليه السلام - عن نفسه تهمتهم بالسفاهة وأثبت لنفسه أنه رسول رب العالمين ونفي عن نفسه تهمة الكذب بأنه جاءهم ناصح أمين ، وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل البلاغة والنصح والأمانة، وأنبع ناصح بأمين وهو الموصوف بالأمانة لرد قولهم له: لنظنك من الكاذبين [الأعراف: 66] لأن الأمين هو الموصوف بالأمانة، والأمانة حالة في الإنسان تتبعه على حفظ ما يجب عليه من حق لغيره، وتنميه من إصواته، أو جعله لنفع نفسه، وضدها الخيانة، والأمانة من أعز أوصاف البشر ، وهي من أخلاق المسلمين.⁽²⁾

وهذا درس للدعاة في كل زمان ومكان فإن (في إجابة الأنبياء عليهم السلام- من نسبهم إلى الضلال والسفاهة، بما أجابوه به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة، بما قالوا لهم مع علمهم بأنّ خصومهم أضلّ الناس وأسفهم- أدب حسن، وخلق عظيم، وحكاية الله عزّ وجلّ ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذى لهم على ما يكون منهم ناصح أمين أي عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة، فما حقي أن أتهم. أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه، أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه)⁽³⁾

(1) تفسير الظلال (3/1311)

(2) ينظر تفسير ابن كثير (3/434) وتفسير التحرير والتتوير (8/203)

(3) تفسير الزمخشري (2/116)

ثم قال لهم معزز ارده على شبهتهم: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذُكْرٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ
عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ [الأعراف: 69] أي: تساءل مستنكرا ومعجا من كلامهم،
ما وجه العجب عندكم وقد أراد الله بكم الخير؟ فأرسل إليكم رسولا منكم تعرفونه
جيذا ليحذركم، ويخوفكم من عذاب الله إن أنتم بقيتم على ما أنتم عليه من الشرك.

المطلب الثاني: شبهة إبطاله لعبادة آلهتهم التي عبدها آباؤهم من قبل:
بعد أن دعا هود - عليه السلام - قومه إلى التوحيد تساءلوا مستنكرين:
﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتَيْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: 70]، أجيئنا لنعبد إليها واحدا، وترك ما أفناه واعتدىنا عليه من
 العبادة آبائنا؟!

وبدلا من مقابلة الحجة، والاستعداد لقبول الحق قالوا، وقد سيطر
عليهم التقليد الأعمى لآبائهم: (فَأَتَيْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الأعراف: 70]
أي عجل لنا بالعذاب إذا كنت صادقا فيما تقول، ومعنى هذا إن لم يأت العذاب
فلست صادقا، وغاب عن القوم أنه إذا وقع العذاب فلا مرد له من الله، وغاب عنهم
أن أخذه أليم شديد.

وجاء الجواب من هود - عليه السلام - حاسماً: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّنْ
رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا
مِنْ سُلْطَانٍ فَإِنَّهُمْ لَا يُنْتَظِرُونَ﴾ [الأعراف: 71]

والمعنى: (قال هود لقومه: قد حق ووجب عليكم من ربكم عذاب وسخط
بسبيب إصراركم على الكفر والعناد، وعبر عن العذاب المتوقع وقوعه بأنه قد وقع
مبالغة في تحقيق الواقع، وأنه أمر لا مفر لهم منه، وعطف الغضب على الرجس،
للإشارة إلى ما سينزل بهم من عذاب هو انتقام لا يمكن دفعه، لأنه صادر من الله
الذي غضب عليهم بسبب كفرهم، وبعد أن أذرهم هدمهم بوقوع العذاب عليهم،
و Robbie على مجادلتهم إيه بدون علم فقال: (أَتُجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُوهَا
أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) أي: أتجادلونني وتخاصموني في شأن أشياء ما هي إلا أسماء ليس
تحتها مسميات، لأنكم تسمونها آلة مع أن معنى الإلهية فيها معروم ومحال وجوده
إذ المستحق للعبادة إنما هو الله الذي خلق كل شيء، أما هذه الأصنام التي زعمتم
أنها آلة فهي لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا.

فأنت ترى أن هودا - عليه السلام - قد حول آهتهم إلى مجرد أسماء لا تبلغ أن تكون شيئاً وراء الاسم الذي يطلق عليها، وهذا أعمق في الإنكار عليهم، والاستهزاء بعقولهم، قوله: (ما نَزَّ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلطَانٍ) أي: ما نزل الله بها من حجة أو دليل يؤيد زعمكم في ألوهيتها أو في كونها شفاء لكم عند الله، وإنما هي أصنام باطلة قد تم إبادتها بدون علم أو تفكير، ثم هدد بالعقوبة المقررة المحتملة فقال: (فَإِنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ) أي: فانتظروا نزول العذاب الذي استعجلتموه وطلبتموه حين قلتم فَإِنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنَّمَا مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ لما سيحل بكم بسبب شرككم وتكذيبكم.⁽¹⁾

المطلب الثالث / أنه لم يأتهم ببينة وتهديده أن تنتقم منه الآلهة:

لما دعا هود - عليه السلام - قومه إلى توحيد الله وترك ما هم عليه من الشرك ردوا عليه بأربعة ردود، تدرجوا فيها من السيء إلى الأسوأ، ومن القبيح إلى الأقبح.. مما يدل على توغلهم في الطغيان، وبلغوهم النهاية في العناد والكفر والجحود، فقالوا: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِ الْهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بعْضُ الْهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشَهِّدُ اللَّهَ وَأَشَهُدُوا إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: 54-53]

هذه هي شبهاهم الأربع التي أنكروها على نبيهم:

1- (قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ) أي ما جئنا بحجة، ولا برهان على ما تدعوه.

2- (وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِ الْهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ) ولن نترك آهتنا بمجرد قولك: "اتركوهم" نتركهم، وفي هذا المعنى أيضا جاء قوله تعالى حكاية عنهم: (قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْ عَزْلَتْ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ) [الشعراء: 136-138]

3- (وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) وما نحن لك بمصدقين، بل عليك أن تيأس يأساً تماماً من استجابتنا لك.

(1) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (ص 307/5)

4- (إِن تَقُولُ إِلَّا أَعْتَرَنَكَ بَعْضُ آلَهَتِنَا بِسُوءٍ) ما نقول لك: إلا أنك شتمت آلهتنا فجعلتك مجنونا وأفسدت عقلك انتقاما منها على سوء فعلك، فمن ثم تتكلم بكلام المجانين، ولم يقولوا: «اعتراف آلهتنا بسوء» بل قالوا: بَعْضُ آلَهَتِنَا تهديدا له وإشارة إلى أنه لو تصدت له جميع الآلهة لأهلكته إهلاكا.

وقد رد عليهم نبيهم قائلا: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهِدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾^{٥٦}
 مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾^{٥٧} إِنِّي تَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾^{٥٨} [هود: 54-56]

1- (قَالَ إِنِّي أَشْهِدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ)، أي: قال هود- عليه السلام- للطغاة من قومه بعزة وثقة إِنِّي أَشْهِدُ اللَّهَ الذي لا رب سواه على براءتي من عبادتكم لغيره، وَأَشْهَدُوا أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ؛ أي: على براءتي من كل عبادة تعبدونها لغير الله- تعالى- لأنها عبادة باطلة.

فهو يعلن احتقاره لآلهتهم، وبراءته من شركهم، واستخفافه بأصنامهم التي زعموا أن بعضها قد أصابه بسوء، ويوثق هذه البراءة بإشهاد الله- تعالى- وإشهادهم.

2- ثم ينتقل من براءته من شركهم، إلى تحديهم بثقة واطمئنان فيقول: (فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ) أي: لقد أعلنت أمامكم بكل قوة ووضوح أنى بري من شرككم، وهو أنا ذا في مواجهتكم، فانضموا إلى آهلكم، وحاربوني بما شئتم من ألوان المحاربة والأذى بدون ترثٍ أو إمهال، فإني لن أكف عن الجهر بدعوي، ولن أتراجع عن احتقار الباطل الذي أنتم عليه، وهذا من أعظم الآيات، أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشا إلى إراقة دمه، يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه، وأنه يعصمه منهم، فلا تتشب فيه مخالبهم.

والامر بـ(كيدوني) مستعمل في الإباحة كنایة عن التعجيز بالنسبة للأصنام وبالنسبة لقومه، قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ [المرسلات: 39]، وهذا إبطال لقولهم: ﴿إِنْ تَقُولُ إِلَّا أَعْتَرَكَ بَعْضُ آلَهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: 54] وثم للتراخي الرببي تحداهم بأن يكيدوه، ثم ارتقى في رتبة التعجيز والاحتقار فنهاهم عن التأثير بكيدهم إيه، وذلك نهاية الاستخفاف بأصنامهم وبهم وكناية عن كونهم لا يصلون إلى ذلك.

3- ثم ينتقل بعد ذلك إلى بيان السبب الذي دعاه إلى البراءة من شركهم، وإلى عدم المبالغة بهم فقال: **(إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ أَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** [هود: 56]، والمعنى: إنني اعتمدت على الله ربِّي وربِّكم: ما من دابة تدب على وجه الأرض إلا والله- تعالى- مالكها وقاهر لها، وقدر عليها، ومتصرف فيها كما يتصرف المالك في ملكه.

وجملة إنني توكلت تعليلاً لمضمون فكيدوني وهو التمجيز والاحتقار، يعني: أنه واثق بعجزهم عن كيده لأنَّه متوكِّل على الله، وأجرى على اسم الجلالـة صفة الربوبية استدلالاً على صحة التوكل عليه في دفع ضرهم عنه، لأنَّه مالكـهم جميعاً يدفع ظلم بعضهم بعضاً، وقد تضمن هذا المقام حجة باللغة ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به، وبطْلـان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جماد لا تسمع، ولا تبصر، ولا تؤالي ولا تعادي، وإنما يستحق إخلاص العبادة للله وحده لا شريك له، الذي بيده الملك، وله التصرف، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانـه، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه، أي: إنني فوضت أمري إلى الله الذي هو ربِّي وربِّكم، وممالك أمري وأمركم، والذي لا يقع في هذا الكون شيء إلا بإرادته ومشيئته، وفي قوله: **(رَبِّي وَرَبِّكُمْ)** مواجهة لهم بالحقيقة التي ينكرونها، لإفهامـهم أنَّ إنكارـهم لا قيمة له، وأنَّه إنكارـ عن جـود وعـنـاد.. فهو- سبحانه- ربـهم سـوـاء أـقـبـلـوا ذـلـكـ أمـ رـفـضـوهـ.

وقوله: **(مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ أَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا)** والناصية: ما انسدـلـ على الجبهـةـ من شـعـرـ الرـأـسـ، والأـخـذـ بالـناـصـيـةـ هناـ تمـثـيلـ لـلـتـمـكـنـ، تـشـبـيـهـاـ بـهـيـئةـ إـمـسـاكـ إـلـيـانـسـانـ منـ نـاصـيـتـهـ حيثـ يـكـونـ رـأـسـهـ بـيـدـ آـخـذـهـ فـلـاـ يـسـتـطـيـعـ انـفـلـاتـاـ.

وفي هذا التعبير الحكيم صورة حسية بدـيعةـ تـنـاسـبـ المـقـامـ، كـماـ تـنـاسـبـ غـلـظـةـ قـوـمـ هـوـدـ وـشـدـتـهـمـ، وـصـلـابـةـ أـجـسـامـهـمـ وـبـنـيـتـهـمـ، وـجـفـافـ حـسـهـمـ وـمـشـاعـرـهـمـ.. فـكـأنـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ. يـقـولـ لـهـمـ: إـنـكـمـ مـهـمـاـ بـلـغـتـمـ مـنـ القـوـةـ وـالـبـطـشـ، فـمـاـ أـنـتـمـ إـلـاـ دـوـابـ مـنـ تـلـكـ الدـوـابـ التـيـ يـأـخـذـ رـبـيـ بـنـاصـيـتـهـ، وـيـقـهـرـهـ بـقـوـتـهـ قـهـراـ يـهـلـكـهاـ. إـذـاـ شـاءـ ذـلـكـ فـكـيفـ أـخـشـىـ جـوـابـاـ مـثـلـكـمـ مـعـ توـكـلـيـ عـلـىـ اللهـ رـبـيـ وـرـبـكـ؟ـ!

ثم يـتـبعـ هـذـاـ الوـصـفـ الدـالـ عـلـىـ شـمـولـ قـدـرـةـ اللهـ. تعالىـ. بـوـصـفـ آخرـ يـدـلـ عـلـىـ عـدـالـتـهـ وـتـنـزـهـهـ عـنـ الـظـلـمـ فـيـقـولـ: **(إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** أي: إنَّ رَبِّي قد اقتضـتـ سـنـتـهـ أـنـ يـسـلـكـ فـيـ أـحـكـامـ طـرـيقـ الـحـقـ وـالـعـدـلـ وـمـاـ دـامـ الـأـمـرـ كـذـلـكـ فـلـنـ يـسـلـطـكـمـ عـلـىـ لـأـنـهـ حـاشـاهـ. أـنـ يـسـلـطـمـ منـ كـانـ مـتـمـسـكاـ بـالـبـاطـلـ، عـلـىـ مـنـ كـانـ مـتـمـسـكاـ بـالـحـقـ، وـاـكـتـفـيـ هـنـاـ بـإـضـافـةـ الـرـبـ إـلـىـ نـفـسـهـ، لـلـإـشـارـةـ إـلـىـ أـنـ لـطـفـهـ. سبحانهـ. يـشـمـلـ هـوـدـاـ وـحـدـهـ وـلـاـ يـشـمـلـهـمـ، لـأـنـهـمـ أـشـرـكـواـ مـعـهـ فـيـ الـعـبـادـةـ آـلـهـةـ أـخـرىـ.

وجملة (إن ربِّي عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ) تعليل لجملة إني توكلت على الله، أي توكلت عليه لأنَّه أهل لتوكلي عليه، لأنَّه متصف بِإجراهُ أفعاله على طريق العدل والتأييد لرسله.

4- ثم ختم هود- عليه السلام- رده على قومه، بتحذيرهم من سوء عاقبة إصرارهم على كفرهم فقال كما ذكر الحق سبحانه: ﴿فَإِنْ تَوَلُوا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخِلُّفُ رَبِّيْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضْرُونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّيْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: 57] أي: فإن تولوا عن دعوتي، وتعرضوا عن الحق الذي جئتكم به من عند ربِّي، فتكون عاقبتكم خسرا، وأمركم فرطا، أما أنا فقد أديت واجبي، وأبلغتكم ما أرسلت به إليكم من عند ربِّي بدون تكاسل أو تقدير.

وقوله: (وَيَسْتَخِلُّفُ رَبِّيْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضْرُونَهُ شَيْئًا) وعيد لهم بإهلاكهم وإحلال غيرهم محلهم، أي: وهو- سبحانه- سيهلككم بسبب إصراركم على كفركم في الوقت الذي يشاؤه، ويختلف من بعدكم قوما آخرين سواكم، يرثون دياركم وأموالكم، ولن تضرروا الله شيئاً من الضرر بسبب إصراركم على كفركم، وإنما أنتم الذين تضررون أنفسكم بتعریضها للدمار في الدنيا، وللعقاب الدائم في الآخرة.

وقوله: (إِنَّ رَبِّيْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) والحفيف: أصله مبالغة الحافظ، وهو الذي يضع المحفوظ بحيث لا يناله أحد غير حافظه، وهو هنا كناية عن القدرة والقهر، أي: إن ربِّي قائم على كل شيء بالحفظ والرقابة والهيمنة، وقد اقتضت سنته- سبحانه- أن يحفظ رسلاه وأولياءه، وأن يخذل أعداءه. (1)

(1) ينظر: تفسير ابن جرير الطبرى (12/445 وما بعدها)، وتفسير الزمخشري (2/403 وما بعدها)، وتفسير الرازى (18/364 وما بعدها)، وتفسير القرطبي (9/52 وما بعدها)، وتفسير ابن كثير (329/ 4 وما بعدها)، وتفسير التحرير والتنوير (97/ 12 وما بعدها)، والتفسير الوسيط لطنطاوى (7/224 وما بعدها)

المطلب الرابع / أن رسولهم بشر وليس من الملائكة:

قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذِرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَّثَمُودٍ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: 13-14]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءَ الْآخِرَةِ وَأَثْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطْعَتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ [المؤمنون: 33-34]، [المؤمنون: 34-33].

وهذه الشبهة متكررة عند كثير من الأمم، وهي قولهم لماذا يأتي الرسول بشراً مثلكما يأكل مما نأكل، ويشرب مما نشرب؟⁽²⁾

بل إن هذه الشبهة من أكبر أسباب صدود الناس عن الإيمان، كما ذكر الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: 94]، وقد جاء رد الرسل على هذه الشبهة بقولهم كما ذكر القرآن

(1) لم يذكر اسم نبي الله هود - عليه السلام - ولا قومه عاد في هذه الآيات صراحة لكن السياق يقتضي أن الحديث عن هود - عليه السلام - وقومه بدلالة قوله تعالى بعد إهلاك قوم نوح: ﴿لَمْ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَآ أَخَرِينَ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: 32-31]

(2) يقول الدكتور وهبة الزحيلي: "إن أبسط مبادئ الرسالة أو السفاراة أن يكون الرسول أو السفير من جنس المرسل إليهم، لتحقيق أهداف الرسالة من أيسر الطرق، وتمكين الرسول والمرسل إليه من النقاش وال الحوار المؤدي للغاية، لذا كان الأنبياء والرسل من جنس البشر المرسل إليهم، بل من أقوامهم وإخوانهم، أو من بنى جلدتهم وعشيرتهم، حتى يكون اللقاء أو الخطاب مثمناً، ولكن المشركيين من عهد نوح عليه السلام إلى عهد خاتم النبيين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم اشتبه عليهم أمر الرسالة، وظنوا أن الرسول ينبغي أن يكون من جنس أسمى أو أعلى من المرسل إليه، فأنكروا بشرية الرسل، وطالبوه بأن يكون النبي المرسل أحد الملائكة." من التفسير الوسيط للدكتور وهبة الزحيلي (2/1790) الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى - 1422 هـ

الكريم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [ابراهيم: 11]، رد الرسل على أقوامهم بقولهم: نعم نحن بشر مثلكم، وهذه الطريقة تعرف بطريقة مجازة الخصم، ومجمل هذه الطريقة أن يسلم المجادل ببعض مقدمات الخصم؛ للإشارة إلى أن هذه المقدمات لا تنتج ما يريد أن يستنتاجه، وإنما هي بعيدة عنه؛ فدعوى الخصم أن الرسل بشر، والبشر لا يستطيعون أن يتلقوا وحي الله، وهم بدعوى الرسالة يريدون صد أقوامهم عن عبادة الآباء والأسلاف وبملاحظة رد الرسل عليهم نرى التسلیم للخصوم بأنهم بشر، ويذكرون أن البشرية لا تتنافى أن يمن الله بالرسالة على من يشاء من البشر، وفي هذا النوع من الجدل استدراج للخصم واستجلاب لإصغائه، وربما كان من الممكن بهذه الطريقة ثنيه عن الإنكار، بعد بيان فساد العلاقة بين القضية المسلمة والنتيجة التي رُتب خطأ عليها. ⁽¹⁾

وفي هذه المعنى يقول العلامة ابن عاشور⁽²⁾: (قول الرسل: (إن نحن إلا بشر مثلكم) جواب بطريق القول بالموجب في علم آداب البحث، وهو تسلیم الدليل مع بقاء الأنواع ببيان محل الاستدلال غير تمام الإنتاج، وفيه إطماء في الموافقة، ثم كر على استدلالهم المقصود بالإبطال بتبيين خطئهم، ونظيره قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعْزَزِ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8]

وهذا النوع من القوادح في علم الجدل شديد الواقع على المناظر، فليس قول الرسل (إن نحن إلا بشر مثلكم) تقريراً للدليل، ولكنه تمهد لبيان غلط المستدل في الاستنتاج من دليله، ومحل البيان هو الاستدراك في قوله (ولكن الله يمن على

(1) ينظر أصول الدعوة وطرقها 3، ص (369) من مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

(2) ابن عاشور هو : العلامة المفسر محمد الطّاهر بن محمد بن محمد الطّاهر بن عاشور ، ولد في تونس سنة (1327) هـ ، الموافق (1909) م ، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس ، وهو من أسرة علمية عريقة، برز في عدد من العلوم ونبغ فيها ، كعلم الشريعة واللغة والأدب ، وكان متقدماً لغة الفرنسيّة ، وعضوًا مارسًا في مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة ، تولى مناصب علمية وإدارية بارزة كالتدريس ، والقضاء ، والإفتاء ، وتم تعينه شيخاً لجامع الزيتونة، توفي في تونس سنة (1390) هـ الموافق: (1970) م ينظر ترجمته في الأعلام للزرکلي (6/174) ومن أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة (948) مرجع سابق.

من يشاء من عباده)، والمعنى: أن المماثلة في البشرية لا تقتضي المماثلة في زائد عليها فالبشر كلهم عباد الله، والله يمن على من يشاء من عباده بنعم لم يعطها غيرهم، فالاستدراك رفع لما توهموه من كون المماثلة في البشرية مقتضى الاستواء في كل خصلة).⁽¹⁾

المبحث الثالث/ الحوار

استعمال نبي الله هود - عليه السلام - أسلوب الحوار مع قومه، ليبين لهم حقيقة رسالته، وبيان بطلان ما يعتقدون، وتنذيرهم ببعض نعم الله عليهم، وتحذيرهم من غضب الله وعقابه.

وفي مطلب:

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة هود - عليه السلام.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار.

المطلب الأول: أهم نقاط الحوار في دعوة هود - عليه السلام:

1- ابتدأ نبي الله هود - عليه السلام - حواره مع قومه بدعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهذه دعوة الأنبياء جميعاً فقال: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: 50] وهذا ما يعرف في الحوار بالبدء بالقضايا الكبرى قبل الصغرى.

2- فما كان جواب قومه إلا أن أنكروا أن يكون رسولاً من عند الله واتهموه بالحمامة والذب كما في قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: 66]

3- ولم يقابل هود - عليه السلام - إساعتهم بمتلها ، إنما رد عليهم بأنه ليس به سفاهة وإنما هو رسول من الله ، مهمته البلاغ والنصيحة ، وأنه أمين فيما يبلغ عن الله، ولا يكذب فيما يقول لهم أبداً، وذكرهم بنعمة الله عليهم باستخلافهم بعد قوم نوح، وأنه سبحانه وتعالى قد زاد لهم في قوتهم عن غيرهم

(1) تفسير التحرير والتنوير (13/201) مرجع سابق.

من الناس ﴿ وَإِذْ كُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَقَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخُلُقِ بَسْطَةً فَإِذْ كُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: 69]، ويبدو من رد هود - عليه السلام - وحواره معهم حكمته وحلمه، وحرصه على هداية قومه، وأنه لا يريد بهم إلا الخير.

4- ثم بين عليه السلام التجرد والإخلاص التام في دعوته، وأنه لا يرجو من وراء دعوته مالا ولا ربحا، وأن دعوته ابتغاء وجه الله، قال: ﴿ يَا قَوْمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا عَلَى الدِّى فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [هود: 51]

5- ثم أراد أن يلين قلوبهم بدعوتهم إلى التوبة من ذنبهم، ووعدهم أنهم إذا تابوا واستغفروا فإن الله سينزل عليهم مطرًا غزيرًا مدرارًا يحمل الخصب والخير معه، ويزدهم الله قوة إلى قوتهم ، قال تعالى حكاية عن هود: ﴿ وَرَبِّا قَوْمٌ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثُوَبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْنَا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: 52]

6- ثم أراد هود - عليه السلام- أن يستدل على استحقاق الله وحده للعبادة بما وهبهم من النعم فذكر لهم بنعم الله عليهم، وحذرهم من الاغترار بقوتهم إن أصرروا على الكفر بالله وإيذاء الناس فقال: ﴿ أَتَبْيُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾ [١٦٨] وَتَتَخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ [١٦٩] وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ ﴾ [١٧٠] فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [١٧١] وَاتَّقُوا الدِّى أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ [١٧٢] أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴾ [١٧٣] وَجَنَّاتٍ وَعُيُونِ ﴾ [١٧٤] إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [١٧٥] [الشعراء: 128-135]، وهنا يقرر هود - عليه السلام- في حواره مع قومه أن دوام النعم بشكرها وصونها عن أن تكون في باطل، وأن عاقبة الغرور والبطش بالناس العذاب العظيم.

7- وبعد كل هذا الوضوح والبيان لم يبق للقوم عذرا أو حجة إلا أنهم اختاروا أن يستمرروا على تكذيبهم، واتهموا نبيهم بأنه يردد أسطير الأولين فقالوا: ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْ عَظَّتْ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾ [٣] إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقٌ

الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٢﴾ [الشعراء: 136-138]، والأعجب من هذا اتهامه بأن الآلهة أصابته بضرر من الجنون انتقاما منه بسبب تعرضه له فقالوا: **﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْنَا بِيَقِنَّةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِ الْهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ الْهَتِنَا بِسُوءٍ﴾** [هود: 53-54]

8- وأحيانا لا يجدي مع بعض النوعيات من البشر الرفق واللين فلا بد من تنبيهم بقوة وصرامة كما فعل هود - عليه السلام - فقد رد عليهم بكل قوة واستعلاء مبينا أن إصرارهم على الباطل ليس له إلا نتيجة واحدة هي وقوع غضب الله بهم فقال: **﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتَجَادُلُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمَيَّتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَإِنْ تَظْرِفُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ﴾** [الأعراف: 71]، وأعلن براءته من شركهم فقال: **﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ الْهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشَهِّدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٦﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴿٧﴾﴾** [هود: 54-55]

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار:

1- موضوع الحوار: الدعوة إلى التوحيد، اثبات الرسالة والدعوة إلى تصديق رسولهم.

2- تميز حوار هود - عليه السلام - بالوضوح، والبيان، وقوية الحجة، والموضوعية.

3- اختيار هود - عليه السلام - للألفاظ التي تكون أدلى لفتح القلوب والرغبة في الوصول للحق.

4- الرد بحكمة وحلم، وعدم الغضب أو الانشغال بمقابلة الإساءة بإساءة حتى لا تتحول الدعوة إلى حظر نفس، بل اكتفى بنفي التهم عن نفسه، وبيان مهمته التي أرسل من أجلها.

5- نفى أن يكون له منفعة دنيوية من وراء دعوته، بل هو متجرد لله في دعوته.

- 6- دعاهم إلى الاعتبار بأمة نوح التي جاءوا على إثرها.
- 7- ذكرهم بأن إيمانهم واستغفارهم سبب لزيادة الخير والقوة لهم، وأن الكفر سبب للشقاء والهلاك.
- 8- تميز الحوار أيضاً بالغضب لنصرة الحق، فإن هودا -عليه السلام- لما رأى أن الحوار تحول إلى حوار عقيم وفيه نوع من التهكم والازدراء، رد عليهم بعزة المؤمن، بقوة وصرامة وهددهم بوقوع غضب الله بهم.
- 9- تحرير المصطلحات والألفاظ فتسمية الأصنام آلة أمر ما أنزل الله به من سلطان.

الفصل الثالث

المنهج الحسني في دعوة

-هود -عليه السلام-

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الاعتبار بالسابقين.

**المبحث الثاني/ التحذير من اتخاذ النعم سببا للترف
والطغيان.**

المبحث الثالث/ هل كان لهود معجزة؟

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة هود - عليه السلام-

وقد استخدمنبي الله هود - عليه السلام - هذا المنهج في الدعوة مع قومه في عدة صور ، يتناولها الباحث من خلال ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الاعتبار بالسابقين.

المبحث الثاني/ التحذير من اتخاذ النعم سببا للترف والطغيان.

المبحث الثالث/ هل كان لهود معجزة؟

المبحث الأول/ الاعتبار بالسابقين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاعتبار.

المطلب الثاني: حث هود قومه على الاعتبار بالسابقين

المطلب الأول: تعريف الاعتبار:

الاعتبار لغة: مأخوذ من الفعل عبر وأصل العبر: تجاوز من حال إلى حال، **والاعتبار، والعبرة:** بالحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد. ⁽¹⁾

واصطلاحاً: الاعتبار هو: "النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها"⁽²⁾

وفي نصرة النعيم: "الاعتبار هو التّدّبر وقياس ما غاب على ما ظهر"⁽³⁾

(1) ينظر المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص (543) مادة "عبر"، بتحقيق صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى 1412 هـ

(2) تفسير الرازي مفاتيح الغيب (29/504)

(3) نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (2/380)

المطلب الثاني: حث هود قومه على الاعتبار بالسابقين:

أراد نبي الله هود – عليه السلام- أن يذكر قومه بأمر حسي يعرفونه جميعاً وهو أنهم أبناء المؤمنين الذين أنجاهم الله في السفينة مع نبي الله نوح – عليه السلام- وهذا أدعى أن يشكروا الله على هذه النعمة أن جعلهم الله خلفاء من بعد قوم نوح، وأن يتبرصروا بعاقبة من هلكوا حينما أغرقهم الله بالطوفان فلم ينج منهم أحداً، وقد ورد هذا في قوله تعالى حكاية عن هود: ﴿وَإِذْ كُرُوا إِذْ جَعَلْتُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ نُوحَ وَزَادْتُمْ فِي الْخُلُقِ بَسْطَةً فَإِذْ كُرُوا آلَاءُ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69] (ففقد كان من حق هذا الاستخلاف، وهذه القوة والبسطة، أن تستوجب شكر النعمة، والحضر من البطر، واتقاء مصير الغابرين، وهم لم يأخذوا على الله عهداً أن تتوقف سنته التي لا تتبدل، والتي تجري وفق الناموس المرسوم، بقدر معلوم، وذكر النعم يوحى بشكرها وشكر النعمة تتبعه المحافظة على أسبابها ومن ثم يكون الفلاح في الدنيا والآخرة).⁽¹⁾

المبحث الثاني/ التحذير من اتخاذ النعم سبباً للترف والطغيان

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العبث في البناء رغبة في التفاخر.

المطلب الثاني: اتخاذهم المصانع وكأنهم مخلدون بالدنيا.

المطلب الثالث: إفراطهم في الأذى والظلم.

المطلب الأول: العبث في البناء رغبة في التفاخر:

لما رأى هود- عليه السلام- قومه سادرين في غيهم وضلالهم مشركين بالله منشغلين بالدنيا؛ لا حظ لهم منها إلا إلى التّعاظم والتّفاخر، واللّهو واللّعب، منصرفين عن الآخرة، مسارعين إلى الهلاك بغرورهم وكبرهم، قال لهم مستنكراً: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبُثُونَ﴾ [الشعراء: 128]، فقد كانوا يبنون في الأماكن المرتفعات ما يبدو للناظر من بعد كأنه علامة، ليعرف بذلك غناهم تفاخراً

(1) تفسير الظلال (ص 1311/3) مرجع سابق.

وعبثاً، وبنوا في طرق أسفارهم أعلاماً ومنارات تدل على الطريق كيلاً يضل السائرون في تلك الرمال المتنقلة التي لا تبقى فيها آثار السائرين.

المطلب الثاني: اتخاذهم المصانع وكأنهم مخلدون بالدنيا:

ثم قال هود لقومه: ﴿وَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: 129]، فقد بلغ القوم من الحضارة الصناعية مبلغاً يذكر حتى لتنفذ المصانع لنحت الجبال وبناء القصور، وتشييد العلامات على المرتفعات، يرجون الخلد في الدنيا أو يشبه حالهم حال من يخلد، واحتferوا وشيدوا مصانع للمياه، وهي الصهاريج⁽¹⁾ تجمع ماء المطر في الشتاء، ليشرب منها المسافرون، ويتنقق بها الحاضرون في زمن قلة الأمطار، وهذا من الأعمال النافعة في ذاتها؛ لأن فيها حفظ الناس من الهالك في الفيافي بضلal الطريق، ومن الصلة عطشاً إذا فقدوا الماء وقت الحاجة إليه، فمثى أريد بها رضا الله تعالى بنفع عبيده كانت جديرة بالثناء عاجلاً والثواب آجلاً، فأما إذا أهمل إرضاء الله تعالى بها واتخذت للرياء والغرور بالعظمة وكأنوا معرضين عن التوحيد وعن عبادة الله انقلب عظمة دنيوية محضة لا ينظر فيها إلى جانب النفع، ولا تحت الناس على الاقتداء في تأسيس أمثالها ، وقصاراها التمدح بما وجدوه منها؛ فصار وجودها شبيها بالعبث؛ لأنها خلت عن روح المقاصد الحسنة، فلا عبرة عند الله بها؛ لأن الله خلق هذا العالم ليكون مظهر عبادته وطاعته، وكانوا أيضاً في الإعراض عن الآخرة والاقتصر على التزود للحياة الدنيا بمنزلة من يحسبون أنفسهم خالدين في الدنيا، فلذلك أنكرها عليهم رسولهم بالاستفهام الإنكاري .

المطلب الثالث: إفراطهم في الأذى والظلم:

ويمضي هود - عليه السلام - في استنكار ما عليه قومه فيقول: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: 130] أعقب به موعظتهم على اللهو واللعب، والحرص على الدنيا بأن وعظهم على الشدة على الخلق في العقوبة، وهذا من عدم التوازن في العقول فهم يبنون العلامات لإرشاد الساقية، ويصطنعون المصانع لإغاثة

(1) الصهاريج: جمع صهريج: وهي كالحياض يجتمع فيها الماء . ينظر لسان العرب مادة "صهريج" (4/2516)

العطاش، فكيف يلاقي هذا التفكير تفكيرا بالإفراط في الشدة على الناس في البطش بهم، أي: عقوبتهما، فالمعنى: إذا بطشتم كان بطشككم في حالة التجبر، أي: الإفراط في الأذى، وهو ظلم وشأن العقاب أن يكون له حد مناسب للذنب المعقاب عليه بلا إفراط ولا تغريط في البطش، فالإفراط استخفاف بحقوق الخلق، فهم قوم عتاة غلاط، يتجررون حين يبطشون ولا يتحرجون من القسوة في البطش. شأن المتجررين المعترضين بالقوة المادية التي يملكون.⁽¹⁾

لقد أغتر القوم بقوتهم، وإمكاناتهم وأصابهم العجب والغرور؛ فتجرروا على خلق الله، وطغوا في الأرض وما دار بخدمتهم أن الدنيا ذات أغيار وأن الأيام دول، وأن الباطل لا يدوم، ورغم أن نبيهم هود حذرهم وأنذرهم من عاقبة طغيانهم، إلا إنهم لم يستجيبوا له، وأعلنوا استمراراً لهم على التجبر والطغيان فقالوا لنبيهم: ﴿Qَالُّوْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أُمَّ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿Wَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: 136-138]

فكيف كانت عاقبة ظلمتهم؟

لقد عاجلهم الله بالعقوبة فسلط عليهم رinya صرضاً فأهلكتهم جميعاً فلم تبق منهم من أحد، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ تَخْلِي خَاوِيَةٍ ﴿Fَهُلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: 6-8]

(إن الحضارة المادية إذا بدت عن منهج الله، وتحكمت فيها الأهواء والأناانية والشهوة، فإنها تكون وبالاً على أصحابها، وبرهاناً على اضمحلالها وزوالها، وهذا هي حضارة "عاد" نمت وترعرعت في إطار الشهوات والأطماع، فأصابت أهلها بالكبر والغرور، وأخذوا يتباهون بها، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُ مِنَّا قُوَّةً أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقُوهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: 15] جحدوا في غمرة ضلالهم

(1) ينظر: تفسير ابن جرير الطبراني (373/19 وما بعدها)، وتفسير الرازمي (522/24 وما بعدها)، وتفسير ابن كثير (152/6 وما بعدها)، وتفسير التحرير والتنوير (165/19 وما بعدها)، وتفسير الظلال (2609/5 وما بعدها)

قدرة الله، وتصوروا أنفسهم الأشد قوة، وضلوا بذلك ضلالاً بعيداً، وكان ضياع حضارة "عاد" وتدميرها، مع هلاكهم وإبادتهم ... إن هذه سنة إلهية لا تتغير، وعلى العاقل أن ينظر في كل الحضارات، ويبحث عن أسباب انهيارها، وسوف يجده بإذن الله تعالى في هجر دين الله تعالى، وترك منهجه الذي شرعه لعباده، وذلك درس للإنسان على الزمان كله).⁽¹⁾

المبحث الثالث: هل كان لهود معجزة؟

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف المعجزة.

المطلب الثاني: أقوال العلماء في معجزة هود - عليه السلام-

المطلب الأول: تعريف المعجزة:

المعجزة لغة: من الفعل عجز، وأصل العجز التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الامر، أي مؤخّره، وصار في التعارف اسمًا للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة.⁽²⁾

وأصطلاحاً المعجزة هي: "أمر خارق للعادة مقرن بالتحدي سالم عن المعارضه".⁽³⁾

(1) دعوة الرسل عليهم السلام، للدكتور أحمد غلوش، ص (91)، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1423هـ-2002م

(2) ينظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (547) مادة "عجز"

(3) الإنقان في علوم القرآن للسيوطى (4/3)، وقد ذكر العلماء تعریفات متقاربة لهذا التعريف، منها تعريف الإمام القسطلاني الذي قال: المعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرن بالتحدي الدال على صدق الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام-، وسميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها، فعلم أن لها شروطاً: أحدها: أن تكون خارقة للعادة، كانشقاق القمر، وانفجار الماء من بين الأصابع، فخرج غير الخارق للعادة، كطلوع الشمس كل يوم. الثاني: أن تكون مقرونة بالتحدي وهو طلب المعارضه والمقابلة. والشرط الثالث: إلا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضه، وقد خرج بقيد «التحدي» الخارق من غير تحد، وهو الكرامة للولي، وبـ«المقارنة» الخارق المتقدم على التحدي، كإبطال الغمام، وشق الصدر، الواقعين لنبينا- صلى الله عليه وسلم قبل دعوى الرسالة، وكلام عيسى في المهد، وما شابه ذلك مما وقع من الخوارق قبل دعوى الرسالة، فإنها ليست معجزات إنما هي كرامات، ظهورها على الأولياء جائز، والأنبياء قبل نبوتهم لا

المطلب الثاني: أقوال العلماء في معجزة هود – عليه السلام:-

قال تعالى حكاية عن قوم عاد: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَاتٍ﴾ [هود: 53]، وقد تعددت أقوال العلماء في هذه القضية على النحو التالي:

القول الأول: قول شيخ الإسلام زكريا الأنصاري⁽¹⁾ قال: إن معجزة هود هي الريح الصرصر التي أهلك الله بها قوم عاد⁽²⁾

القول الثاني: لم يذكر القرآن أن هوداً كان معه معجزة ليبرهن على صدق دعوته، وقد ذكر هذا القول الأستاذ سيد قطب في تفسير في ظلال القرآن، وبرر ذلك بقوله: ولعل سبب ذلك قرب عهدهم بنوح، وأن سفينته نوح ما زالت شاهداً على نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين.⁽³⁾

القول الثالث: القول الثالث: أن آيته كثرة الخيرات والخشب والأولاد بصورة أكبر مما كان ذي قبل وأكثر من غيرهم، وقد ذكر هذا القول العلامة ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير فقال: "ولعل آيته أنه وعدهم عند بعثته بوفرة الأرزاق والأولاد واطراد الخصب وفراة مطردة لا تنالهم في خلالها نكبة ولا مصيبة بحيث كانت خارقة لعادة النعمة في الأمم، كما يشير إليه قوله تعالى: (وقالوا من أشد منا قوة) [فصلت: 15].⁽⁴⁾

يقصرؤن عن درجة الأولياء فيجوز ظهورها عليهم أيضاً، وحينئذ يسمى «إرهاصاً» أي تأسيساً للنبوة. نقا عن المواهب الدنية بالمنح المحمدية للإمام القسطلاني (2/235) باختصار يسير، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر.

(1) هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنوي ولد في سنينة بمصر، وتعلم في القاهرة وكف بصره سنة 906 هـ نساً فقيراً معدماً، ولما ظهر فضله تابعته إليه الهدايا والعطاء، وولاه السلطان قايتباي قضاة القضاة، فلم يقبله إلا بعد إلحاح، ولما ولد رأى من السلطان عدواً عن الحق، فكتب إليه يزجره، فعزله السلطان، فعاد إلى اشتغاله بالعلم إلى أن توفي. ينظر ترجمته في الضوء الامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين السخاوي (3/238)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، والأعلام للزرکلي (3/46)

(2) في كتابه: (فتح الرحمن بكشف ما التبس من القرآن) (266)، تحقيق الدكتور محمد علي الصابوني، ط: دار القرآن الكريم بيروت 1983م

(3) ينظر تفسير الظلال (4/1898)

(4) ينظر تفسير التحرير والتنوير (12/98) مرجع سابق.

القول الرابع: أن معجزة هود-عليه السلام- تتمثل في رسوخه وثباته على دعوة قومه إلى التوحيد ولم يخش قومه رغم أنهم أهل طغيان؛ وبطش، بل أعلنها صراحة في أسماعهم قائلاً: **(إِنِّي تَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ رَبِّيْ وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ أَخِذُ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ)** [هود: 56] وقد ذكر هذا القول الشيخ الشعراوي⁽¹⁾ في تفسيره فقال: (فالبِّنَةُ التي جاء بها هود أنه وقف أمامهم ودعاهم إلى ترك الكفر؛ وهو تحدي القادرین عليه؛ لأنهم أهل طغيان؛ وأهل بطش؛ ومع ذلك لم يقدروا عليه؛ مثلاً لم يقدر كفار قريش على رسولنا).⁽²⁾

مناقشة وترجيح.

بالنسبة للقول الأول: يرى الباحث أن هذا القول فيه نظر، إذ كيف يكون هلاكهم بالريح معجزة؟ والله جل وعلا يجري المعجزات على يدي رسله لإقامة الحجة على الناس على سبيل التحدي كما سبق في التعريف؛ فالعذاب نفسه لا يكون معجزة.

وأما القول الثاني: فقد نفى وجود معجزة لهود واعتبار سفينة نوح معجزة باقية دالة على صدقه.

وأما القول الثالث: فإن النعم التي أنعم الله عليهم بها من وفرة الأرزاق والأولاد والجنت والعيون ليس أمراً خارقاً للعادة. كما هو تعريف المعجزة. وإنما رب العالمين يبتلي الأمم بالسراء والضراء كما قال تعالى: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35]

أما القول الرابع: بأن المعجزة كانت في ثباته على دعوة قومه وعدم خشيته، فإن هذا أمر يشترك فيه الأنبياء جميعاً وأتباعهم من المؤمنين.

(1) هو الشيخ محمد متولي الشعراوي، ولد عام 1911م، بقرية دقادوس التابعة لمركز ميت غمر بمصر، اختير وزيراً للأوقاف عام 1976، وله العديد من المؤلفات أبرزها تفسيره "خواطري حول القرآن الكريم" وتوفي في 1998م، ينظر ترجمته في "أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة" (1002-1013) مرجع سابق.

(2) تفسير الشعراوي (11/ 6502) مرجع سابق.

والراجح لدى الباحث هو التوقف في هذا الأمر، وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيمة".⁽¹⁾، فقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: (ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر) هذه صيغة عموم مقتضاه وجود معجزة لكل رسول تكون شاهداً على صدقه.

قال الحافظ ابن حجر⁽²⁾ - رحمه الله -: (قوله ما من الأنبياء نبى إلا أعطى) هذا دال على أن النبي لا بد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدتها بصدقه ولا يضره من أصر على المعاندة.

قوله (من الآيات) أي المعجزات الخوارق.

قوله (ما مثله آمن عليه البشر) المثل يطلق ويراد به عين الشيء وما يساويه والمعنى أن كلنبي أعطي آية أو أكثر من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها.⁽³⁾

وبناء على هذا فقد يكون لهود - عليه السلام - معجزة مادية كباقي الأنبياء، ولكن لم يرد ذكرها في القرآن الكريم؛ فلا نستطيع الجزم بنفي ذلك أو تعين ما هي المعجزة التي كانت لنبي الله هود - عليه السلام.

(1) الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي، وأول ما نزل حديث رقم (4696)، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حديث رقم (152).

(2) الحافظ ابن حجر العسقلاني (773 - 852هـ) هو شيخ الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث، أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد، المعروف بابن حجر العسقلاني، زادت مؤلفاته على مئة وخمسين مصنفًا، ومن أشهرها: فتح الباري شرح صحيح البخاري، وتوفي سنة 852هـ، رحمه الله. ينظر ترجمته في: شذرات الذهب، لابن العماد الحنفي، (ج/ 9 ص 395 - 399).

(3) فتح الباري الجزء التاسع ص (6) بتصرف يسير.

الباب الثالث

المناهج الدعوية في رسالة

صالح -عليه السلام-

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول / المنهج العاطفي.

الفصل الثاني / المنهج العقلي.

الفصل الثالث / المنهج المحسني.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في رسالة

صالح - عليه السلام -

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني / الترغيب.

المبحث الثالث / الترهيب.

المبحث الرابع / التذكير بنعم الله.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة صالح عليه السلام

عند مدارسة وتدبر آيات القرآن التي ذكر فيها قصة نبي الله صالح – عليه السلام- نجد أنه قد استخدم المنهج العاطفي في عدة مواقف يتناولها الباحث في أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني / الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة

وقد بُرِزَ هذا الأسلوب في دعوة صالح – عليه السلام- لقومه بإخبار الله عنه أنه "أَخَاهُمْ" وتكرر نداءه على قومه بـ "يَا قَوْمٌ" تأليفاً لقلوبهم وتنذيرًا بالرابطة القوية التي تربطه بهم، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمٌ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: 61] ، وقد سبق بيان هذا في قصتينبي الله نوح وهود – عليهما السلام.-

المبحث الثاني / الترغيب

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله.

المطلب الثاني: الترغيب في الاستغفار.

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله:

وقد جاء ترغيب نبي الله صالح -عليه السلام -لقومه ليؤمنوا بالله وحده في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: 61] وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: 142-144]، فدعا قومه إلى عبادة الله وحده، ونصحهم بما نصح به هود ونوح قومهما من قبله، فقال: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ألا تخشون الله وأنتم تعبدون غيره، فأنا رسول الله إليكم، أمين فيما أبلغكم عن ربِّي، فاتقوا الله بأن تجعلوا بينكم وبين غضبه وقاية بتوحيده وطاعتي فيما أبلغكم عن ربِّي.

المطلب الثاني: الترغيب في الاستغفار:

وترغيباً لقومه في الاستغفار وترك ما هم عليه من الذنب قال لهم صالح -عليه السلام-: ﴿قَالَ يَا قَوْمَ لَمْ تَسْتَغْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: 146]

وقد جاء في تفسير استعمال السيئة قبل الحسنة وجهان:

(أحدهما): إن الذين كذبوا صالح عليه السلام لما لم ينفعهم الحاجاج توعدهم صالح عليه السلام بالعذاب، فقالوا: (أئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) [العنكبوت: 29] على وجه الاستهزاء، فعند ذلك قال صالح: (لم تستعملون بالسيئة قبل الحسنة) والمراد أن الله تعالى قد مكنكم من التوصل إلى رحمة الله تعالى وثوابه، فلماذا تعدلون عنه إلى استعمال عذابه؟

(وثانيهما): إنهم كانوا يقولون لجهلهم: إن العقوبة التي يعدها صالح إن وقعت على زعمه أتينا حينئذ واستغفروا، فحينئذ يقبل الله توبتنا ويدفع العذاب عنا، فخاطبهم

صالح على حسب اعتقادهم، وقال: هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب فإن استعجال الخير أولى من استعجال الشر.)⁽¹⁾

فتعجب صالح - عليه السلام - لحالهم واستعجالهم وقوع العذاب فقال لهم مرغباً: هلا تتوبون إلى الله من شركم، فتوحدوه - سبحانه - وتستغفرونه، فيغفر لكم، ويرفع عنكم العذاب وينزل عليكم رحمته؟

المبحث الثالث/ الترهيب

وفي مطلب:

المطلب الأول: الترهيب من مس الناقة بسوء.

المطلب الثاني: توعدهم بوقوع العذاب بهم بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة.

المطلب الأول: الترهيب من مس الناقة بسوء:

أظهر الله على يد نبيه صالح - عليه السلام - معجزة الناقة⁽²⁾، فحذر قومه من مسها بسوء فتكون العاقبة العذاب الأليم من الله، كما قال تعالى حكاية عن نبيه صالح - عليه السلام - : ﴿وَإِلَى ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتُكُمْ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 73]، وقال أيضاً: ﴿وَيَا قَوْمَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: 64]، فدعاهم النبي الله صالح - عليه السلام - إلى عبادة الله وحده، وبين لهم أن الله أظهر لهم بقدرةه بينة على صدق نبيهم، فأجرى على يديه معجزة الناقة، آية من آيات الله تخرج من الجبل، وقد حذرهم نبيهم من مسها بسوء، كما قال تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةُ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: 13]

(1) تفسير مفاتيح الغيب للرازي (24/560) مرجع سابق.

(2) والتي سيأتي الحديث عنها عند الحديث عن المنهج الحسي إن شاء الله.

أي: احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء، (وسقياها) أي: لا تعتدوا عليها في سقياها، فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم.⁽¹⁾

وقوله في سورة هود: (ولا تمسوها بسوء) أي بسوء يعوقها عن الرعي إما بموت أو بجرح، وقد جعل الله سلامته تلك الناقة علامة على سلامتهم من عذاب الاستئصال، ولذلك قال لهم صالح: (فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء)، لأنهم إذا مسها أحد بسوء، عن رضى من البقية، فقد دلوا على أنهم خلعوا حرمة الله تعالى وحقوا على رسوله - عليه السلام.⁽²⁾

المطلب الثاني: توعدهم بوقوع العذاب بهم بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة:

ورغم أن النبي الله صالح - عليه السلام - ربهم أن يعتدوا على الناقة وأخبرهم أن الاعتداء عليها موجب لعذاب قريب من الله ينزل بهم، وهذا العذاب سيكون أليما، إلا أن القوم أصرروا على الهلاك واستحقاق غضب الله فعقرו الناقة؛ بأن انتدبو أشقاهم فعقرها، وهم راضون مسرورون، فاستحقوا العقاب الشديد من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القمر: 29]، فقال لهم نبيهم: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: 65]، ورغم إمهالهم ثلاثة أيام إلا أنهم لم يدر بخلدهم أن يعودوا إلى الله ويتوبوا عن كفرهم فاستحقوا العذاب كما قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهْشِيمُ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: 31-30]، وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنِيهِمْ فَسَوَاهَا﴾ وَلَا يَخَافُ عَقْبَاهَا﴿ [الشمس: 14-15]

المبحث الرابع / التذكير بنعم الله وآلاته

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نعمة الخلق والإيجاد.

(1) تفسير ابن كثير (8/414) مرجع سابق.

(2) تفسير التحرير والتنوير (8/219) مرجع سابق

المطلب الثاني: نعمة الاستخلاف بعد عاد.

المطلب الثالث: إمداد الله لهم بالقوة والتمكين في الأرض.

المطلب الرابع: نعمة الأمان والإمداد بالماء العذب والزروع والثمار المنوعة.

المطلب الأول: نعمة الخلق والإيجاد:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيَ قَرِيبٌ مُحِيطٌ﴾ [هود: 61]، فذكر لهم نبيهم بأن الله تعالى هو الذي خلقهم من العدم وأنعم عليهم بنعمة الوجود، واستخلفهم في الأرض ليعمروها، (والإنشاء من الأرض خلق آدم من الأرض لأن إنشاءه إنساء لنسله)، وإنما ذكر تعلق خلقهم بالأرض لأنهم كانوا أهل غرس وزرع، كما قال في سورة الشعراة: ﴿أَتَرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾ في جناتٍ وعُيُونٍ ﴿وَرَزْرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ وَتَنْحِتونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشعراة: 146-149] ، ولأنهم كانوا ينحوون من جبال الأرض بيوتاً ويبنون في الأرض قصوراً، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَبَوَأْكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَغْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74] ، وكانت لهم منافع من الأرض تناسب نعمة إنسائهم من الأرض فلأجل منافعهم في الأرض قيدت نعمة الخلق بأنها من الأرض التي أنشؤوا منها، ولذلك عطف عليه واستعمركم فيها، والاستعمار: الإعمار، أي جعلكم عامريها، فالسين والتاء للمبالغة كالتالي في استبقى واستفاق. ومعنى الإعمار أنهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع لأن ذلك يعد تعميراً للأرض حتى سمي الحرف عمارة لأن المقصود منه عمر الأرض).⁽¹⁾

(1) تفسير التحرير والتنوير (12/108) مرجع سابق

أراد صالح – عليه السلام- أن يقول لهم: إذا كان الله سبحانه هو الخالق وهو المنعم أفلًا يعني هذا أنه وحده المستحق للعبادة.

المطلب الثاني: نعمة الاستخلاف بعد عاد:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ كُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ [الأعراف: 74]، ذكرهم نبيهم صالح – عليه السلام- بنعمة "استخلاف الله لهم من بعد عاد، وإن لم يكونوا في أرضهم ذاتها، ولكن يبدو أنهم كانوا أصحاب الحضارة العمرانية التالية في التاريخ لحضارة عاد." ⁽¹⁾

ذكرهم – عليه السلام - بنعمة الله عليهم إذ جعلهم خلفاء من بعد قوم عاد، وهذا التذكير يأتي في سياق ترغيبهم أن يُرووا الله من أنفسهم خيراً بعبادته وحده لا شريك له، وشكراً لأنه جعلهم مستخلفين في الأرض بعد هلاك قوم عاد.

ويقصد صالح – عليه السلام- أيضاً ترهيبهم أن يصيّبهم ما أصاب قوم عاد بسبب شركهم، فمن كفر بالله يوشك أن يحل به العذاب كما حل بقوم عاد.

المطلب الثالث: إمداد الله لهم بالقوة والتمكين في الأرض:

قال تعالى حكاية عن نبيه صالح: ﴿وَبَوَأْكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِثُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَإِذْ كُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74]

قوله تعالى: (وبوأكم في الأرض) أي: (بوأكم في الأرض منازل، (تتخذون من سهولها قصوراً) أي تبنون القصور بكل موضع، (وتحتلون الجبال بيوتاً) اتخذوا البيوت في الجبال لطول أعمارهم، فإن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم). ⁽²⁾

ذكرهم بنعمة الله عليهم بتمكينهم في الأرض فاتخذوا فيها منازل فكانوا يبنون في السهول قصوراً، وينحتون في الجبال بيوتاً، وهذا يدل على عظم منه

(1) ينظر تفسير الظلال (3/1313) مرجع سابق

(2) تفسير القرطبي (7/239) مرجع سابق.

الله عليهم أن أقدّرهم على ذلك ومكّنهم فيه، وكانوا بارعين حاذقين في نحّتهم الجبال بيوتاً كما في قوله تعالى حكاية عن صالح -عليه السلام-: (وَتَنْجِثُونَ مِنْ

الْجَبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ) [الشعراء: 149] ^(١)

(1) ينظر المرجع السابق (13/129)

المطلب الرابع: نعمة الأمان والإمداد بالماء العذب والزروع والثمار المنوعة:

أراد صالح -عليه السلام- أن يذكر هم بنعم الله عليهم، وما مكن لهم من نعم وخيرات، ورغم انغماسهم في هذه النعم إلا أنهم كانوا يعيشون في غفلة عن الله وعبادته وحده لا شريك له، فلا يفكرون فيمن وهبهم هذه النعم، ولا يشكرون المنعم الذي أعطاهم هذا النعيم، قال تعالى حكاية عن صالح -عليه السلام-:

﴿أَتُتَرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَرَزْرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الشعراء: 146-149]، فذكر هم بهذه النعم ليتدبروا ويعرفوا قيمة النعيم الذي هم فيه، ويحافظوا زواله، وفيما قاله لهم لمسات توقيط القلوب الغافية، وتتبه فيهم الحرص والخوف، وفيه حث على العمل لاستبقاء تلك النعم بأن يشكروا الله عليها، فقال لهم: (أَتُتَرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا) وقوله هذا إما أن يكون على سبيل الإنكار أي: إنكارا لأن يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزولون عنه، أو أن يكون تذكيرا بالنعمة، وما يتعمدون فيه من الجنات وغير ذلك، مع الأمان والدعة.

وقوله: (آمنين) تتبه على نعمة عظيمة، وهي نعمة الأمان التي هي من أعظم النعم ولا يتذوق طعم النعم الأخرى إلا بها، فجمع الله لهم بين الأمان ورفاهية العيش، أي: أتظنون أنكم متrocون لهذا الذي أنتم فيه من دعة ورخاء ومتعة ونعمة، أتركون في هذا كله آمنين بدون حساب أو سؤال من خالقكم- عز وجل-. وأنتم تتقلبون في نعمه التي منها ما أنتم فيه من بساتين وأنهار وزروع كثيرة متنوعة، إن كنتم تظنون ذلك، فأقلعوا عن هذا الظن، واعتقدوا بأنكم أنتم وما بين أيديكم من نعم، إلى زوال، وعليكم أن تخلصوا لخالقكم العبادة والشكر لكي يزيدكم من فضله..

ونلاحظ هنا أن- صالحـ عليه السلام قد استعمل مع قومه أرق ألوان الوعظ، لكي يوحي لهم الغافلة، نحو طاعة الله- تعالى- وشكره، وقد استعمل في وعظه لفت أنظارهم إلى ما يتقلبون فيه من نعم تشمل البساتين والعيون، والزروع المتعددة، والنخيل الجيدة الطلع، اللذيذة الطعم، حتى لكان ثمرها لجودته ولينه، لا

يحتاج إلى هضم في البطون، وتتركون في البيوت تتحتونها في الصخور بمهارة
وبراعة، وفي أناقة وفراهة؟⁽¹⁾

وبذلك نرى أن صالحًا عليه السلام - نوع في دعوته لقومه بين التر غيب
والتر هيـب، والتذكير بنعم الله عليهم، لشـكرها وعدم زوالها، إلا أن قومه أصرـوا
على كفرـهم وعـنـادـهم، وكان رـدهـمـ عـلـيـهـ. كما حـكـىـ القرآنـ عـنـهـمـ: ﴿قَالُوا إِنَّمَا
أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾^{١٥٣} مـاـ أـنـتـ إـلـاـ بـشـرـ مـثـلـنـاـ فـأـتـ بـآـيـةـ إـنـ كـنـتـ مـنـ الصـادـقـينـ﴾^{١٥٤}
[الشعراء: 154-153]

(1) ينظر: تفسير ابن كثير (155/6 وما بعدها)، وتفسير الطلال (2611/5 وما بعدها) وتفسير التحرير والتنوير (174/19 وما بعدها)، التفسير الوسيط لطنطاوي (10/269)

الفصل الثاني

المنهج العقلي في رسالة

صالح - عليه السلام -

و فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول / الاستفهام.

المبحث الثاني / الجدال.

المبحث الثالث / المخوار.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة صالح عليه السلام

وقد استخدم نبي الله صالح - عليه السلام - المنهج العقلي في دعوة قومه ورد شبهاتهم، وأقام الحجة، وحاصل لهم بالاستدلالات العقلية المختلفة عساهם يفكروا بعيداً عن الجمود والتقليد فيؤمنوا بالله وحده، ورسوله الذي أرسل إليهم، وسوف يتناول الباحث هذه الاستدلالات العقلية في ثلاثة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدال.

المبحث الثالث/ الحوار.

المبحث الأول/ الاستفهام

من الاستدلالات التي تعتمد على المخاطبات العقلية: أسلوب الاستفهام، والذي يأتي في سياق الكلام لأغراض بلاغية لاستنطاق الخصم بالحجّة، كالاستفهام الاستنكاري الذي يكون لاستنكار أمر يأبى العقل السليم رفضه ويكون الهدف هو حثّ الخصم على إعادة النظر والتفكير في اعتقاداته الخاطئة.

وقد استعمل نبي الله صالح - عليه السلام أسلوب الاستفهام الاستنكاري في عدة مواضع في دعوته لقومه من خلال أربعة مطالب على النحو التالي:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: استنكاره دعوة قومه له أن يترك الرسالة.

المطلب الثالث: إنكاره عليهم تمعهم بالنعم وكفرهم بالله.

المطلب الرابع: إنكاره عليهم العناد والتكذيب وعدم التوبة إلى الله.

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله:

قال تعالى: (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ صَلِّعُ أَلَا تَتَّقُونَ) [الشعراء: 142]. فقول صالح - عليه السلام - لقومه: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ استفهام إنكاري، أراد به أن ينكر حالهم من الكفر بالله وعبادة غيره، والإعراض عن رسوله الذي جاءهم بالهدى من ربهم، فخاطب عقولهم مستنكراً: ألا تتقوون عذاب الله بتوحيده واتباع رسوله.

المطلب الثاني: استنكاره دعوة قومه له أن يترك الرسالة:

لما أنكر قومه عليه دعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال لهم مستنكراً: (قَالَ يَقُولُ أَرَعِيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّيْ وَعَائِنِيْ مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرِنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ وَفَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَحْسِيْرِ) [هود: 63] يا قوم أخبروني إن كنت على حجة واضحة من ربِّيْ وَعَائِنِي من عنده رحمة، ألا وهي اختياره لي وتکلیفي بالرسالة، والاستفهام في قوله: (فَمَنْ يَنْصُرِنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ) استفهام إنكاري وقع جواب الشرط، وهو قوله (إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ) فأنكر عليهم تکذيبه، والتشکك في دعوته، والتعریض بأنه صار غير مرحباً به عندهم بعد أن كان مرجواً فيهم، أنكر عليهم ذلك قائلاً: من ذا الذي يجبرني من غضب الله، إذا خالفت أمره أو قصرت في تبليغ دعوته، احتفاظاً برجائكم في، ومسايرة لكم في باطلكم؟ ومعنى كلامه - عليه السلام - كلاً يا قوم، إني سأشترم في تبليغ ما أرسلت به إليكم، ولن يمنعني عن ذلك ترغيبكم أو ترهيبكم، والذي أنا عليه هو الحق الذي لا ريب فيه، ومختلفة أمر الله في ذلك توصل إلى الهلاك والخسران بالتعرض لسخط الله وحاشاي أن أخالف أمر ربِّيْ إرضاء لكم. ⁽¹⁾

المطلب الثالث: إنكاره عليهم تمعهم بالنعم وكفرهم بالله.

وذلك في قوله تعالى: (أَتَتَرَكُونَ فِي مَا هَلُّهُنَا آمِنِينَ) [الشعراء: 146]، في معرض تذکیر صالح - عليه السلام لقومه بنعم الله عليهم وتحذيرهم من عاقبة كفرهم بالله ورسوله خاطبهم بالاستفهام الإنكاري التوبيخي، قائلاً لهم: (أَيْتَرَكُمْ يَا قومَ رَبِّكُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا آمِنِينَ، لَا تَخَافُونَ شَيْئاً؟) ⁽²⁾

(1) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (ص 7/234) مرجع سابق.

(2) تفسير جامع البيان للطبراني (ص 19/380) مرجع سابق.

المطلب الرابع: إنكاره عليهم العناد والتكذيب وعدم التوبة إلى الله.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمَ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ [النمل: 46]، وهنا أيضاً استفهام إنكاره على توبتي فحينما دعاهم النبي الله صالح - عليه السلام - للتوجه ونبذ الشرك أبطأوا في الاستجابة له فاستنكر ذلك عليهم قائلاً: يا قوم لم تصررون على العناد والتكذيب فيحل بكم العذاب، فهلا تبتم إلى الله ف تكون توبتكم سبباً لرحمته؟

(فإن قلت: ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة؟ وإنما يكون ذلك إذا كانتا متوقعتين إداتها قبل الأخرى؟

قلت: كانوا يقولون لجهلهم: إن العقوبة التي يعدها صالح عليه السلام إن وقعت على زعمه، تبنا حينئذ واستغفرنا - مقدرين أن التوبة مقبولة في ذلك الوقت - ، وإن لم تقع، فنحن على ما نحن عليه، فخاطبهم صالح عليه السلام على حسب قولهم واعتقادهم، ثم قال لهم: هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب؟ لعلكم تُرَحَّمُونَ تنبئها لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلاً فيما اعتقدوا.)⁽¹⁾

المبحث الثاني: الجدال

وقد استعمل النبي الله صالح - عليه السلام - هذا الأسلوب الدعوي في دعوته لرد الشبهات التي أثارها قومه، وبيان الحق الذي جاءهم به، وسيتناول الباحث أهم الشبهات التي قالها قوم صالح - عليه السلام - في خمسة مطالب:

المطلب الأول: التشكيك في دعوته إلى التوحيد وترك آلهتهم.

المطلب الثاني: ادعاؤهم أن نبيهم من المسحريين.

المطلب الثالث: أن رسولهم بشر مثلهم وأنه كاذب أشر.

المطلب الرابع: الت Shawā'īm من نبيهم صالح - عليه السلام -.

المطلب الخامس: تشكيك المستكبرين للمؤمنين في اتباعهم لنبيهم.

(1) تفسير الزمخشري (ص 371/3) مرجع سابق.

المطلب الأول: التشكيك في دعوته إلى التوحيد وترك آلهتهم:

لما دعا نبي الله صالح - عليه السلام- قومه إلى عبادة الله وحده ردوا عليه قائلين: ﴿قَالُوا يَا صَالِحٍ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدُ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ [هود: 62]، ورد القوم يظہر ما كانوا عليه من الجهل والعناد فقالوا: (يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) وقد ذكر المفسرون لقولهم هذا عدة معانٍ:

- أي كنا نرجوك في عقلك قبل أن تقول ما قلت!
- كنا نرجو أن تكون فينا سيدا قبل هذا القول أي قبل دعوتك النبوة.
- كنت فاضلا خيرا نقدمك على جميـعا.
- لقد كنت تعطف على فقرائنا، وتعين ضعفـاءـنا، وتعود مرضـانا، فقوى رجاـونـا فيـكـ أـنـكـ منـ الـأـنـصـارـ وـالـأـحـبـابـ، فـكـيفـ أـظـهـرـتـ العـداـوةـ وـالـبغـضـاءـ؟

ثم إنهم أضافوا إلى هذا الكلام التعجب الشديد بقولهم: (أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدُ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) إنها للقاصمة! فكل شيء يا صالح إلا هذا! وما كنا لنتوقع أن تقولها! فيما لخيـبةـ الرـجـاءـ فيـكـ! ثم إنـاـ لـفـيـ شـكـ ماـ تـدـعـونـاـ إـلـيـهـ؛ـ شـكـ يـجـعـلـناـ نـرـتـابـ فيـكـ وـفـيـماـ تـقـولـ:ـ (وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ)ـ والـشـكـ هوـ أـنـ يـبـقـيـ الإـنـسـانـ متـوـقـفاـ بينـ النـفـيـ وـالـإـثـبـاتـ،ـ وـالـمـرـيـبـ هوـ الـذـيـ يـظـنـ بـهـ السـوـءـ،ـ فـقـولـهـمـ:ـ (وـإـنـاـ لـفـيـ شـكـ)ـ معـناـهـ أـنـهـ لمـ يـتـرـجـحـ فـيـ اـعـتـقـادـهـ صـحـةـ قـوـلـهـ،ـ وـقـولـهـمـ:ـ (مـرـيـبـ)ـ يـعـنيـ أـنـهـ تـرـجـحـ فـيـ اـعـتـقـادـهـ فـسـادـ قـوـلـهـ،ـ وـهـذـاـ مـبـالـغـةـ فـيـ تـزـيـيفـ كـلـامـهـ.

وهـكـذاـ يـعـجـبـ الـقـوـمـ مـاـ لـأـ عـجـبـ فـيـهـ،ـ بـلـ يـسـتـنـكـرـونـ مـاـ هـوـ وـاجـبـ وـحقـ،ـ وـيـدـهـشـونـ لـأـنـ يـدـعـوـهـمـ أـخـوـهـمـ صـالـحـ إـلـىـ عـبـادـةـ اللهـ وـحـدـهـ،ـ لـمـاـذاـ؟ـ

لـاحـجـةـ وـلـأـ لـبـرـهـانـ وـلـأـ لـتـفـكـيرـ،ـ وـلـكـنـ لـأـنـ آـبـاءـهـ يـعـبـدـونـ هـذـهـ الـآـلـهـةـ!ـ وـهـكـذاـ يـبـلـغـ التـحـجـرـ بـالـنـاسـ أـنـ يـعـجـبـواـ مـنـ الـحـقـ الـبـيـنـ،ـ وـأـنـ يـعـلـلـواـ الـعـقـائـدـ بـفـعـلـ الـآـبـاءـ!

فرد عليهم نبيـهمـ قـائـلاـ:ـ (قـالـ يـقـوـمـ أـرـعـيـثـمـ إـنـ كـنـتـ عـلـىـ بـيـتـةـ مـنـ رـبـيـ وـعـاتـيـ مـيـنـهـ رـحـمـةـ فـمـنـ يـنـصـرـفـ مـنـ اللهـ إـنـ عـصـيـتـهـ وـفـمـاـ تـزـيـدـوـنـيـ غـيـرـ تـخـسـيـنـ)ـ [هـودـ:~63~]

يقول: إن كنت على برهان وبيان من الله قد علمته وأيقنته، (وأتاني منه رحمة)
النبوة (فمن ينصرني من الله إن عصيته)، يقول: فمن الذي يدفع عني عقابه إذا
عاقبني أنا عصيته، فيخلصني منه (فما تزيدونني)، بعذركم الذي تعذرون به،
من أنكم تعبدون ما كان يعبد آباؤكم، (غير تخسير)

وفي تفسير هذه الكلمة وجهاً:

الأول: أن على هذا التقدير تخسرن أعمالي وتبطلونها، أي: ما تزيدونني إلا
خسارة على خسارة، غضب الله وحرماني شرف الرسالة وخزي الدنيا وعذاب
الآخرة.

الثاني: أن يكون التقدير: مما تزيدونني بما تقولون لي وتحملوني عليه غير أن
أخسركم - أي أنسبكم إلى الخسارة - أو ما تزيدونني باحتجاجكم بدين آبائكم غير
 بصيرة بخسارتهم.

والقول الأول أقرب؛ لأن قوله: (فمن ينصرني من الله إن عصيته) كالدلالة على
أنه أراد إن تتبعكم فيما أنتم عليه من الكفر الذي دعوتموني إليه لم أزدد إلا خسارانا
في الدين، فأصير من الهالكين الخاسرين.

وقوله: (إن كنت على بيضة من ربِّي) ورد بحرف الشك، وكان على يقين
تم في أمره، إلا أن خطاب المخالف على هذا الوجه أقرب إلى القبول، فكانه قال:
قدروا أنني على بيضة من ربِّي، وأنني نبي على الحقيقة، وانظروا أنني إن تابعتم
وعصيت ربِّي في أوامره فمن يمنعني من عذاب الله، مما تزيدونني على هذا
التقدير غير تخسير. ^(١)

فرد صالح - عليه السلام - شبهتهم بآيات:

- أنه نبي يوحى إليه من الله.
- أن متابعته لهم في ضلالهم ليكون مرجوا عندهم لن يزيده إلا خسارة.
- أنه لن يترك اليقين الذي هو عليه إلى الباطل الذي هم فيه.

(١) ينظر: تفسير ابن جرير الطبرى (369/15 وما بعدها)، وتفسير الرازى (367/18 وما
بعدها)، وتفسير القرطبى (59/9 وما بعدها)، وتفسير الظلال (1907/4 وما بعدها)

- أن آهتكم عاجزة ضعيفة لن تنصره أو تمنع عنه غضب الله إن أطاعهم فيما يطلبون.

المطلب الثاني: ادعاؤهم أن نبيهم من المسحريين:

لما قال صالح - عليه السلام- لقومه: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: 151-152]، أي: (لا تطعوا أيها القوم أمر المسرفين على أنفسهم في تماديهم في معصية الله، واجترائهم على سخطه، وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض، ولا يصلحون من ثمود الذين وصفهم الله جل ثناؤه بقوله: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: 48] ⁽¹⁾)

فردوا عليه قائلين: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحَرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَتِ بِآيَةً إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَادِقِينَ﴾ [الشعراء: 153-154]، أي قد أصابك السحر مرات ومرات قالوها على سبيل المبالغة في الاتهام لأن (المسحر): الذي سحر مرة فمرة حتى فسد عقله ومسه الخبر، يقال لغة: «سحر الساحر فلاناً»، أي: سحره مرة فمرة حتى تخبل عقله، وضاع رشه، فاتهم كبراء ثمود رسولهم صالحًا عليهم السلام بأنه مسحر، وليس مجرد مسحور، أي: إن السحر الذي سلط عليه جعله مختل العقل مخبلاً، لا يقدر خطورة ما يقول بشأن كبراء قومه. ⁽²⁾

وهكذا نرى تخططاً عجيباً في شأن هؤلاء المتكبرين المعاندين، وبعد تكذيبهم له نراهم هنا يصفونه أنه مسحور بلغ به السحر مبلغاً، حتى أصابه الخبر وصار يهذي فلا يدرى ما يقول!

والسؤال هنا: وهل دعوة نبيهم لتوحيد الله صار ضرباً من الجنون؟! وهل ما يقوله نبيهم هذيان - كما زعموا - أم حق وصدق؟

وهكذا نرى القوم يكابرون ويعاندون، وهم على يقين من سلامته نبيهم من كل آفة ونقص.

(1) تفسير الطبرى (384/19) مرجع سابق.

(2) تفسير معارج التفكير و دقائق التدبر (674/8) مرجع سابق.

المطلب الثالث: أن رسولهم بشر مثالم وأنه كذاب أشد:

وبعد وصفهم لنبيهم أنه مسحر عابوا عليه أنه بشر فقالوا: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأَتِ بِآيَةً إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: 154] ، وهل إرسال الله رسوله بشراً ليكون قدوة لمن أرسل إليهم مدعاه للتكذيب؟ وما العيب في أن الرسول بشر مثالم يعرفهم ويعرفونه ويرونه في كل أحواله فيتأسون به؟

إنها نفس شبهة قوم نوح وقوم عاد من قبل، (وذلك هي الشبهة التي ظلت تخاليل البشرية كلما جاءها رسول، فقد كان تصور البشرية القاصر للرسول للرسول عجيباً دائماً وما كانت تدرك حكمة الله في أن يكون الرسول بشراً، وما كانت تدرك كذلك تكريماً لهذا الجنس البشري باختيار الرسل منه ليكونوا رواد البشرية المتصلين بمصدر الهدى والنور).

وكانت البشرية تتصور الرسول خلقاً آخر غير البشر، أو هكذا ينبغي أن يكون ما دام يأتي إليها بخير السماء، وخبر الغيب، وخبر العالم المحجوب عن البشر.. ذلك أنها ما كانت تدرك سر هذا الإنسان الذي كرمه الله به، وهو أنه موهوب القدرة على الاتصال بالملائكة الأعلى وهو على هذه الأرض مقيم، يأكل وينام ويتزوج، ويمشي في الأسواق، ويعالج ما يعالج سائر البشر من المشاعر والنوازع، وهو متصل بذلك السر العظيم.⁽¹⁾

إذن أرسل الله رسوله بشراً لعدة حكم:

- أن يطبق منهج الله الذي جاءهم به.
- أن يكون قدوة في أخلاقه الحسنة بين قومه.
- أن يروه وينسوا بالحديث معه والتعلم منه وسؤاله فيما أشكل عليهم.
- كونه بشراً يكون أقرب لأنفسهم وقلوبهم لسماع مواعظه.

(1) تفسير الظلال (ص 2612/5) مرجع سابق.

- صعوبة الاتصال بالملائكة ورؤيتهم قال -تعالى-: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا

لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَّبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ) [الأنعام: 9]

المطلب الرابع: التشاوم من نبيهم صالح -عليه السلام-:

قال تعالى حكاية عن قوم ثمود: ﴿قَالُوا اطْئِرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ
عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: 47]

لما دعاهم نبيهم إلى التوحيد وسألهم عن سبب استعمالهم وقوع العذاب ردوا عليه قائلين: (اطئرنا بك وبمن معك) أي: نشاءمنا بك وبمن معك من أتباعنا، وزجرنا الطير بأننا سيصيغينا بك وبهم المكاره وال المصائب، فأجابهم صالح فقال لهم (طائركم عند الله) أي ما زجرتم من الطير لما يصيغكم من المكاره عند الله علمه، لا يدرى أي ذلك كائن، إما تظنون من المصائب أو المكاره، أم ما لا ترجونه من العافية والرجاء والمحاب؟⁽¹⁾

والله إنه لعجب أن يكون الرسول المرسل بالهدى ودين الحق يدعو قومه لما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، ثم يتهمونه بأنه شؤم عليهم، وأن ظهوره فيهم بالرسالة سيكون سبباً لوقوع البلاء بهم!!

فيجيبهم نبيهم مبطلاً زعمهم الكاذب قائلاً: إن كل شيء يجري إنما يجري بمقادير الله فمن اتبع سنة الله -تبارك وتعالى-، وسار على هداه، فهناك الخير، ومن انحرف عن السنة، وحاد عن السواء، فهناك الشر، بدون حاجة إلى التشاوم والتظير، (بل أنتم قوم تفترون) تفتتون بنعمة الله، وتختبرون بما يقع لكم من خير ومن شر، فالقيقة وتدبر السنن، وتتبع الحوادث والشعور بما وراءها من فتنه وابتلاء هو الكفيل بتحقيق الخير في النهاية، لا التشاوم والتظير ببعض خلق الله من الطير ومن الناس سواء.

والهدف من كلام نبيهم أن يوضح لهم أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش مقطوع الصلة بالله خالق الكون ومدبره، وبالنواتميس التي تدبر هذا الكون وتحفظه بأمر

(1) تفسير ابن جرير الطبراني (ص 19/477) مرجع سابق.

الخالق المدبر الحكيم، ولكن هذا المنطق المستقيم إنما تستجيب له القلوب التي لم تفسد، ولم تتحرف الانحراف الذي لا رجعة منه.⁽¹⁾

المطلب الخامس: تشكيك المستكبرين للمؤمنين في اتباعهم لنبيهم:

انقسم قوم صالح - عليه السلام - في الإيمان بدعوته فريقين:

أ- فريق المستكبرين الكافرين، وهم الملا.

ب- فريق المستضعفين المؤمنين، وهم بقية قومه.

وقد وردت هذه الشبهة في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَاحِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: 75-76]، وقد مر بنا في قصتي نوح وهود مع قومهما أن الحوار كان بين القوم ونبيهم، لكن الملاحظ هنا أن الملا الذين استكبروا عدوا عن مجادلة صالح - عليه السلام - إلى جدال الذين آمنوا به، ومحاولة إلقاء الشك في نفوسهم، ولما كان خطابهم للمؤمنين مقصودا به إفساد دعوة صالح - عليه السلام - كان خطابهم بمنزلة المحاوره مع صالح - عليه السلام -، وقد تركز الحوار في عدة نقاط:

1- التشكيك في دعوة صالح - عليه السلام- ببدأوا بالاستفهام قائلاً: (أتعلمون) للتشكيك والإنكار، أي: ما نظنكم آمنتم بصالح - عليه السلام - عن علم بصدقه، ولكنكم اتبعتموه عن عمى وضلال غير موقنين.

2- أيضاً في قولهم: (أتعلمون) نشم فيه رائحة السخرية والتهكم، لأنهم ليسوا متاكدين أصادق هو أم كاذب؟ فأرادوا السخرية من تصديقهم له في دعوه الرسالة من ربها.

3- واضح من طريقة السؤال وهم السادة والكبار أنه سؤال للتهديد والتخييف، وكان الإيمان بصالح - عليه السلام- تهمة.

4- وصف أولئك الكفار بكونهم مستكبرين، هو وصف ذم لهم، ووصف أولئك المؤمنين بكونهم مستضعفين معناه: أن غيرهم يستضعفهم ويستقرهم،

(1) ينظر تفسير الظلال (ص 2645/5) مرجع سابق.

وهذا ليس فعلاً صادراً عنهم، بل عن غيرهم، فهو لا يكون صفة نم في حقهم، بل الذي عائد إلى الذين يستحقرنهم ويستضعفونهم.

5- في رد المؤمنين على الملا المستكبرين دلالة على أنهم لم يعودوا ضعافاً، لقد سكب الإيمان بالله القوة في قلوبهم، والثقة في نفوسهم، والاطمئنان في منطقهم.. إنهم على يقين من أمرهم، فماذا يجدي التهديد والتخويف؟ وماذا تجدي السخرية والاستكار؟

فرد المؤمنون بقوة ووضوح قائلين: (إِنَّا بِمَا أُرْسَلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ) فنحن موقنون مصدقون بما جاء به صالح، لا شك ولا ريب كما ظننتم.

6- ومن ثم يعلن الملا عن موقفهم في صراحة تحمل طابع التهديد، والإصرار على الباطل والمعاندة: (إِنَّا بِالَّذِي ءامَنُتُمْ بِهِ كَفَرُونَ) نحن كافرون بما جاء به صالح، والسر في هذا أن الملا هم آخر من يؤمن بدعوة تجردهم من السلطان في الأرض، وترده إلى إله واحد هو رب العالمين.⁽¹⁾

المبحث الثالث/ الحوار

استعمل النبي الله صالح - عليه السلام - أسلوب الحوار مع قومه، ليبين لهم ما أرسل به من الله، وبيان بطلان ما يعبدون من أصنام باطلة، وتحذيرهم من غضب الله وعقابه.

وسيتناول الباحث هذا الأسلوب في مطابقين:

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة صالح - عليه السلام.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار.

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة صالح - عليه السلام:

(1) ينظر: تفسير الرازي (14/307)، وتفسير الطلال (3/1313 وما بعدها) وتفسير التحرير والتتوير (8ب، 222/ وما بعدها)

1. ابتدأ نبي الله صالح - عليه السلام - حواره مع قومه بدعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: 61] وهذا ما يعرف في الحوار بالباء بالنقطة الأهم واعطائها الأولوية الكبرى في الحوار.

2. فما كان جواب قومه إلا أن أنكروا أن يكون رسولا من عند الله واتهموه بأنه كان مرجوا فيهم يسمع لرأيه ويأخذون بمشورته، وهذا فيه تعريض واتهام له أنه صار متهما عندهم بسوء الرأي والعقل، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا يَا صَالِحًّا قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَا نَعْبُدُ مَا يَعْبُدُ آباؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ [هود: 62]

3- ولم يقابل صالح - عليه السلام - إساءتهم بمثلها - وهذا دأب الرسل جميعا- إنما رد عليهم بسؤالهم قائلا: ﴿قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بِيَنَّةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرِي﴾ [هود: 63] وهذا ما يعرف بأسلوب مجازة الخصم كأنه يقول : لو سلمت جدلا بقولكم وقد آتاني الله النبوة فإني أكون حينئذ خاسرا إن تابعتم فيما أنتم عليه من ضلال، وهنا أيضا تعريض بهم أن طريقهم طريق الخسار والهلاك، وأن طريقه طريق الرحمة والهدایة.

4- ثم أراد أن يبين لهم دليلا حسيا على صدقه، وأنه رسول رب العالمين ، فقد أجرى الله على يده هذه المعجزة، فقال: ﴿وَيَا قَوْمَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: 64]، فهذه ناقة الله تخرج لهم من الجبل بقدرة الله، وأمرهم ألا يتعرضوا لها بسوء، وإلا أصابهم عذاب قريب من الله عز وجل.

5- ثم أراد صالح - عليه السلام- في حواره مع قومه أن يذكرهم بنعم الله عليهم، فقال: ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْتُكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِثُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آلَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ

مُفْسِدِينَ ﴿الأعراف: 74﴾، فذكرهم بنعمة استخلافهم بعد عاد، وفيه تحذير لهم أن يصيّبهم ما أصاب قوم عاد لما كفروا بالله ورسوله، وذكرهم بما منحهم الله من القوة والإمكانات فقد مكّنهم الله في الأرض، وبنوا القصور في سهولها ونحتوا الجبال بيotta، فذكرهم ببعض نعم الله عليهم لأن دوام النعم بشكرها والثناء على الله بها، فكيف قابلتم نعم الله بالجحود والنكران، وحذرهم من الإفساد في الأرض بالمعاصي فإن المعاصي مؤذنة بالهلاك والعذاب العظيم.

6- وبعد كل هذا البيان استمر القوم في غيّهم وضلالهم وعقرّوا الناقة فعمّهم الله بعذاب من عنده.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار:

- 1- موضوع الحوار: الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له.
- 2- تذكيرهم بنعمة الله عليهم حيث خلقهم من العدم، وأنعم عليهم بنعمة الوجود، وأن هذا الخلق لحكمة وهي عبادة الله الذي خلق، وعمارة الأرض لأن الإنسان مستخلف فيها.
- 3- اثبات أنه رسول الله بإقامة الحجة على قومه بمحاورتهم ثم معجزة الناقة التي كانت آية حسية دالة على صدقه.
- 4- دعاهم إلى عدم استعجال العذاب واستغفار الله من ذنوبهم، وأن الاستغفار سبب لنيل رحمة الله عز وجل.
- 5- تميز حوار صالح -عليه السلام- بالهدوء والحلم والحرص على هداية قومه.
- 6- دعاهم إلى الاعتبار بأمة عاد التي هلكت بسبب تمردّهم على أمر الله وكفروا به وبرسوله.
- 7- بين لهم أن الكفر فساد في الأرض مؤذن بالخراب والدمار.

الفصل الثالث

المنهج الحسني في رسالة

صالح -عليه السلام-

وفيه مبحثان:

المبحث الأول / معجزة الناقة.

المبحث الثاني / الاعتبار بالسابقين.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة صالح - عليه السلام-

وقد استخدم نبي الله صالح - عليه السلام - هذا المنهج في الدعوة إلى الله مع قومه في عدة صور، يتناولها الباحث من خلال مبحثين:

المبحث الأول/ معجزة الناقة.

المبحث الثاني/ الاعتبار بالسابقين.

المبحث الأول/ معجزة الناقة

كان القوم ينحتون الجبال بيوتاً فهم خبراء بالمنطقة الجبلية ويعرّفون كيفية التعامل مع هذه الصخور القاسية الصلدة ويعرفون الجبال المحيطة بهم جيداً، فأجرى الله على يد نبيهم آية خارقة ومعجزة تدلّ على صدقه، فأخرج لهم نبيهم بقدرة الله آية بينة ألا وهي الناقة، قال تعالى حكاية عن نبيه صالح: ﴿وَيَا قَوْمَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَدَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: 64]، فجعل الله لنبيه صالح - عليه السلام هذه الآية بينة، والمعجزة الواضحة، دليلاً على نبوته، وكانت ناقة خاصة في خلقها وصفاتها، ليست كباقي النباق التي عندهم، أما خلق الناقة، وكيفية خلقها، فلا نعرف عنه شيئاً، ولم تخربنا الآيات عنه، ولا توجد أحاديث صحيحة توضح ذلك، ونحن لا نذهب للخرافات والإسرائييليات، والآية الخارقة دليل صدق النبي، لأن الله يصدقه بها، وكأنه يقول لقومه: صدق عبدي فيما يرويه عنِّي، وهذه الآية المعجزة تصدق مني له.⁽¹⁾

وقد أضيفت الناقة إلى الله: (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةُ اللَّهِ وَسُقِيَّهَا) [الشمس: 13]، وهي إضافة تشريف وتكرير للناقة، لأنها خاصة في خلقها وجودها بينهم، وكانت الناقة لها شرب يوم، ولجميع ثمود شرب يوم، قال تعالى حكاية عن صالح - عليه السلام - (قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمٌ مَّعْلُومٌ) [الشعراء: 155]، وكانوا في يوم شربها يحلبون منها القدر الذي يقوم لهم مقام الماء في يوم شربهم،

(1) ينظر القصص القرآني للخلادي (ص 279/1)

وَحْذَرُهُمْ نَبِيُّهُمْ مِنْ أَنْ يَمْسُوُهَا بِسُوءٍ، لِأَنَّ ذَلِكَ مَؤْذِنٌ بِوُقُوعِ الْعَذَابِ بِهِمْ، فَقَالَ: ﴿وَيَا قَوْمَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوْهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: 64]، فَتَأْمَرَ الْقَوْمَ عَلَى قَتْلِ النَّاقَةِ وَانْتَدَبُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ لِذَلِكَ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القمر: 29]، وَلَا نَهُمْ اشْتَرَكُوا جَمِيعًا فِي مُؤْامِرَةِ قَتْلِ النَّاقَةِ إِنَّ نَبِيَّهُمْ تَوْعِدُهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةً أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: 65]، وَأَنْزَلَ اللَّهُ الْعَذَابَ بِالْقَوْمِ فَهَلَكُوا جَمِيعًا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهْشِيمُ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: 30-31]

المبحث الثاني: الاعتبار بالسابقين:

أَرَادَ نَبِيُّ اللَّهِ صَالِحٌ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– أَنْ يَدْعُوْ قَوْمَهُ لِتَذَكَّرْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَالنَّظَرُ فِي مَصَانِيرِ الْغَابِرِيْنَ، وَالشَّكْرُ عَلَى نِعْمَةِ الْاسْتِخْلَافِ بَعْدِ هُؤُلَاءِ الْغَابِرِيْنَ فَقَالَ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ حَكَايَةً عَنْهُ: ﴿وَإِذْ كُرُوا إِذْ جَعَلْتُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِثُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَإِذْ كُرُوا آلَّا إِنَّ اللَّهَ وَلَا تَعْنَوْهُ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِيْنَ﴾ [الأعراف: 74]، وَصَالِحٌ يَذَكُّرُهُمْ اسْتِخْلَافُ اللَّهِ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَادٍ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوْا فِي أَرْضِهِمْ ذَاتِهِمْ، وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّهُمْ كَانُوا أَصْحَابَ الْحَضَارَةِ الْعُمَرَانِيَّةِ التَّالِيَّةِ فِي التَّارِيْخِ لِحَضَارَةِ عَادٍ، وَأَنْ سُلْطَانَهُمْ امْتَدَّ خَارِجَ الْحَجَرِ أَيْضًا، وَبِذَلِكَ صَارُوْا خُلَفَاءَ مُمْكِنِيْنَ فِي الْأَرْضِ، مُحَكَّمِيْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْاِنْطِلَاقِ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ، اغْتَرَارًا بِالْقُوَّةِ وَالْتَّمْكِينِ، وَأَمَامَهُمُ الْعِبْرَةُ مَائِلَةً فِي عَادِ الْغَابِرِيْنَ! ⁽¹⁾

(1) يَنْظَرُ تَقْسِيرُ الظَّلَالِ (3/1313)

الباب الرابع

المناهج الدعوية في رسالة

لوط - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول / المنهج العاطفي.

المبحث الثاني / المنهج العقلي.

المبحث الثالث / المنهج الحسني.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في رسالة

لوط - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني / الترغيب.

المبحث الثالث / الترهيب.

المبحث الرابع / التذكير بنعم الله.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة لوط عليه السلام

عند مدارسة وتدبر آيات القرآن التي ذكر فيها قصة نبي الله لوط – عليه السلام- نجد أنه قد استخدم المنهج العاطفي بعدة أساليب يتناولها الباحث في أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نداء لوط على قومه (يا قوم).

المطلب الثاني: التعبير عنه بلفظ (أخوهم لوط).

المطلب الثالث: تسميته لنساء قومه بـ (بناتي).

المطلب الأول: نداء لوط على قومه (يا قوم):

وهذا النداء من نبي الله لوط لقومه بقوله (يا قوم) في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمَ هُؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَظْهَرُ لَكُم﴾ [هود: 78] ترقيقاً لقلوبهم وإشعاراً بقوة الرابطة بينه وبينهم وقد مر بنا الكلام عن هذا في قصص الأنبياء: نوح وهود وصالح بما يغني عن الإعادة.

المطلب الثاني: التعبير عنه بلفظ (أخوهم لوط):

أرسل الله رسله لهداية البشر وإرشادهم إلى الطريق القويم فكان من أبرز صفات الرسل تعاملهم مع أقوامهم بالرأفة واللين، ونجد هذا في دعوة لوط – عليه

السلام- لقومه بإخبار الله عنه أنه "أخاهم" إظهار للعاطفة التي تربطه بهم، قال تعالى: ﴿كَذَّبُ قَوْمٌ لُوطٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: 160]

[161]

هل لوط كان أخا لقومه فعلاً؟

نبي الله لوط هو الوحيد الذي آمن مع إبراهيم -عليه السلام- من الرجال، وهاجر معه، ولما نُبِّئَ أمره الله تعالى بالتوجه إلى ديار سدوم، ولم يكن لوط -عليه السلام- أخا لقومه ولم يكن من نسبهم، ولكنه لما استوطن بلادهم وحالفهم وتزوج منهم جعل أخا لهم، وقال تعالى في الآية الأخرى ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنٌ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ [ق: 13]، أو أن هذا من إطلاق الأخوة على ملازمة الشيء وممارسته كقول العرب: (يا أخا الحرب)، والسياق القرآني ذكر دعوة الأنبياء لأقوامهم بدءاً من نوح، فكانت المؤاخة متنوعة، بعضها: مؤاخاة النسب حقاً، وبعضها مؤاخة الإنسانية، وبعضها مؤاخاة اللفظ الدارج في لغة العرب؛ حيث ينادي الرجل عادة: (يا أخا العرب) ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كُفُورًا﴾ [الإسراء: 27].⁽¹⁾

ونخلص من هذا أن نسبة أخوة لوط -عليه السلام- لقومه لها سببان، وهما:

- المصاورة منهم.
- الإقامة بينهم، واستيطان بلادهم، ومعاشرتهم.

المطلب الثالث: تسميتها لنساء قومه بـ(بناتي):
لما جاءت الملائكة بيت لوط -عليه السلام- في صورة بشرية، وعلم قومه بخبرهم جاؤوا إلى بيته مسرعين، فقال لهم: ﴿يَا قَوْمَ هُؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَظَهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرُزُنِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: 78]
وقوله: (هؤلاء بناتي هن أظهر لكم) في تفسيره قوله:

(1) ينظر تفسير التحرير والتتوير (19/178) مرجع سابق.

القول الأول: قصد بناته وقد روي أنه كان له ابنتان، فعرض عليهم التزوج بهن، لكن هذا التفسير مردود لسببين:

الأول: أن إقدام الإنسان على عرض بناته على الأوباش والفجار أمر متبع لا يليق بأهل المروءة فكيف بأكابر الأنبياء؟

الثاني: أن القوم كانوا عدداً كثيراً فكيف تکفيهم بنتان أو ثلاثة؟

القول الثاني: أنه بقوله هذا يرشدهم إلى نسائهم، فقصد الزواج من بنات القبيلة لأن إطلاق البنات هنا من قبيل التشبيه البليغ، أي هؤلاء نساوهن كبناتي، لأنه كاننبياً لهم فكان كالاب لهم. قال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُم﴾ [الأحزاب: 6] فارشدتهم إلى ما هو أدنى لهم في الدنيا والآخرة.

فقد لوط - عليه السلام - أنه بمثابة أب لكل نساء القبيلة وأضافهن إلى نفسه لأن كلنبي أب لأمتة من حيث الشفقة وحسن التربية والتوجيه، وفي هذا الكلام استثاره للعاطفة في قومه وحثهم على ترك ما يقصدون من الرذيلة. ⁽¹⁾

المبحث الثاني / الترغيب

وفي ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله وطاعة رسولهم.

المطلب الثاني: هل دعا لوط قومه للتوحيد؟

المطلب الثالث: ما الحكمة أن القرآن لم ينص على أنه قال لقومه كما قال غيره

من الأنبياء: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾؟

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله وطاعة رسولهم:

دعا لوط - عليه السلام - قومه لطاعة الله وتقواه، وطاعة رسوله فقال لهم: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: 124-126]

(1) ينظر: تفسير الرازي (378/18، وما بعدها) وتفسير ابن كثير (4/337)، وتفسير التحرير والتووير (12/127، وما بعدها)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (7/248)

المطلب الثاني: هل دعا لوط قومه للتوحيد؟

لم ينص القرآن صراحة على دعوة لوط قومه لتوحيد الله، لكن لو تأملنا عموميات القرآن لعلمنا أنه ما من نبي إلا ودعا قومه إلى التوحيد، ونهاهم عن الشرك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]، وبما أن لوط عليه السلام هو من جملة الرسل الذين يصدق عليهم ما نصت عليه الآية، فلا شك أنه دعا قومه للتوحيد، وقد أشار عدد من المفسرين لهذا الأمر في تفسير عدة مواضع من القرآن:

1- قوله تعالى: ﴿كَذَّبُثْ قَوْمٌ لُّوْطٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوُهُمْ لُوْطٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 160-164] "فدعاهم إلى الله عز وجل، أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم، ونهاهم عن معصية الله، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم، مما لم يسبقهم الخالق إلى فعله، من إتيان الذكران دون الإناث" ⁽¹⁾

2- وفي قول لوط لقومه: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: 81]، أي: (في جمعكم إلى الشرك هذه الفاحشة.) ⁽²⁾

3- وفي قوله تعالى ﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: 36]

نلاحظ في هذه الآية من سورة العنكبوت أن النبي الله شعيب - عليه السلام - دعا قومه للتوحيد لكن في الآيات السابقة (لم يذكر عن لوط أنه أمر قومه بالعبادة والتوحيد، وذكر عن شعيب ذلك؟ فلنا قد ذكرنا أن لوطا كان له قوم وهو كان من قوم إبراهيم وفي زمانه، وإبراهيم سبقه بذلك واجتهد فيه حتى اشتهر الأمر بالتوحيد عند الخلق من إبراهيم فلم يذكره عن لوط وإنما ذكر منه ما اختص به

(1) تفسير ابن كثير (6/157)

(2) تفسير القرطبي (7/246)

من المنع عن الفاحشة وغيرها، وإن كان هو أيضاً يأمر بالتوحيد، إذ ما من رسول إلا ويكون أكثر كلامه في التوحيد⁽¹⁾

المطلب الثالث: ما الحكمة أن القرآن لم ينص على أنه قال لقومه كما قال غيره من الأنبياء: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾؟

يرى الباحث - والله أعلم - أن قوم لوط جاؤوا بفاحشة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، فكانت جريمتهم جريمة أخلاقية بشعة تخالف فطرة الله التي فطر الرجال عليها وهي اشتئاء النساء، والأقبح من هذا جهرهم بها واستحلالهم لها، حتى صار أمراً معتاداً في هذا المجتمع، ودعوتهم لطرد آل لوط - عليه السلام - لأنهم قوم يتظاهرون كما بين الله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَاتَلُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرِيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَّاسٌ يَتَظَاهِرُونَ﴾ [النمل: 56]، فجمعوا بين الشرك بالله، وعدم الإيمان بنبيهم لوط - عليه السلام - وبين فعل الفاحشة والمجاهرة بها، وقطع الطريق على المسافرين.

المبحث الثالث/ الترهيب

حضر لوط - عليه السلام - قومه من عاقبة جهرهم بهذه الفاحشة المنكرة الشنيعة في قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴽ [الأعراف: 80-81]

لقد نهاهم نبيهم - عليه السلام - عن هذه الرذيلة التي انتشرت بينهم (وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، "إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء" أي: عدلتم عن النساء، وما خلق لكم ربكم منها إلى الرجال، وهذا إسراف منكم وجهل؛ لأنه وضع الشيء في غير محله).⁽²⁾

(1) تفسير الرازي (27/54)

(2) تفسير ابن كثير (3/445) باختصار يسبر.

فهنا نرى أنه رهبهم من عاقبة إسرافهم ومجاوزتهم الحد في العصيان، فعقوبة الإسراف الهاك، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوا بِالثُّدُرِ﴾ [المراء: 36]، أي: "ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أذرهم بأس الله وعذابه، فما التفتوا إلى ذلك، ولا أصغوا إليه، بل شكوا فيه وتماروا به"⁽¹⁾

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله

أنكر لوط - عليه السلام - على قومه فعلتهم الشنيعة بنكاح الرجال، وتطور الأمر لشروع ذلك والجهر به، ثم لم يستحوا من فعل ذلك بالغرباء، فأراد لوط - عليه السلام - أن يذكرهم بنعمة الله عليهم بأن جعل فطرتهم السوية هي اشتقاء الرجل للمرأة، وليس اشتقاء الذكر ذكراً مثلاً، فهذه وسيلة الاستمتاع الفطري السوية، فقال لهم: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا حَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: 165-166]، أي : أنسيتم نعمة الله فيما خلق لكم من متعة حلال توافق الفطرة في نكاح الزوجات، مخالفين جميع العالمين من الأنواع التي فيها ذكور وإناث، فإنها لا يوجد فيها ما يأتي الذكور، فهذا تنبيه على أن هذا الفعل الفظيع مخالف للفطرة لا يقع من الحيوان العجم، فهو عمل ابتدعوه ما فعله غيرهم، فقد برأ الله الذكر والأنثى وفطر كلاً منهما على الميل إلى صاحبه لتحقيق حكمته ومشيئته في امتداد الحياة عن طريق النسل، الذي يتم باجتماع الذكر والأنثى، فكان هذا الميل طرفاً من الناموس الكوني العام، الذي يجعل كل من في الكون وكل ما في الكون في حالة تناقض وتعاون على إنفاذ المشيئة المدبرة لهذا الوجود، فاما إتيان الذكور فلا يرمي إلى هدف، ولا يحقق غاية، ولا يتمشى مع فطرة هذا الكون وقانونه.⁽²⁾

تقنيات الشذوذ الجنسي في عصرنا:

إن الغريزة الجنسية نعمة من الله جعلها الله في بني الإنسان ليتكاثر النسل وتعمر الأرض، والفطرة التي فطر الله الناس عليها أن الرجل يشتهي المرأة والمرأة تشتوي الرجل، ثم يحدد لهذه الفطرة مسارها السوي وهو الزواج، فزواج

(1) المرجع السابق (7/480)

(2) ينظر تفسير الظلال (5/2613) وتفصير التحرير والتنوير (19/179)

الرجل بالمرأة أمر فطري إنساني، وكل إنسان في قراره نفسه هذا الميل الطبيعي، وما ذلك الشذوذ إلا خروج وانتكاس عن الفطرة.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي⁽¹⁾: (وللأسف في عصرنا قامت الحضارة الحديثة، التي تسود العالم، لتعيد من جديد عادة قوم لوطن، قوم لوطن جاءوا بأن يستغنى الذكور بالذكور، فلم تكتفي بهذا الحضارة الحديثة، بل جاءت باستغاء الإناث بالإناث، زادوا بالطين بلة، والداء علة، ثم جعلوا هذا أمراً مقتناً، كان قوم لوطن أهل قرية من القرى، مهما فعلوا لن يؤثّر ذلك في العالم، ولكن الحضارة الغربية حضارة ممتدة واسعة، تؤثّر على بلاد كثيرة في العالم، جاءت بهذا الشذوذ الجنسي، بل لم يعودوا الآن يسمونه شذوذًا، بل يسمونه مثليّة، وسموا هؤلاء الشاذين بالمثليين، أي الذي يستغنى بمنته، الرجل يستغنى بالرجل، والمرأة تستغنى بالمرأة، وستُوا قوانين تبيح هذا الأمر، وتقرره وتعتبره أمراً مباحاً، ولو أنّ الناس استجابوا لهذه النزعة الشهوانية لأنقرضت البشرية بعد جيل أو جيلين؛ لأنّ البشرية لكي تبقى لا بدّ أن يظلّ الزواج الفطريّ الطبيعي الشرعيّ، الذي يرتبط فيه الذكر بالأنثى، أو ترتبط فيه المرأة بالرجل، هذا هو الذي يمكن أن يُنجِب أولاداً، لكن حين يكتفي الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة، ستقى البشرية، لو استجاب الناس لهذه النزعة سيفنون لا محالة... فللاسف، كيف رأينا البشرية قد ضللت الطريق، وكيف تلوّث سلوكُ الناس، وكيف بعُدت هذه الحضارة عن منهج الأنبياء، عن منهج رسول الله عليهم السلام).⁽²⁾

(1) الدكتور يوسف القرضاوي (1926- 2022) ولد بقرية صفت تراب بمدينة المحلة بمصر، تخرج من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وفي سنة 1961م أغير إلى دولة قطر، وتولى تأسيس وعمادة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وظل عميداً لها إلى نهاية عام 1990م، وحصل على جائزة الملك فيصل العالمية بالاشتراك في الدراسات الإسلامية لعام 1413هـ، وتولى رئاسة الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ورئيسة المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، وتوفي يوم 26 سبتمبر 2022 م في الدوحة. ينظر ترجمته على موقعه الرسمي على هذا الرابط <https://2u.pw/O3D5L3> (2023-11-26).

(2) تفسير سورة الحجر للقرضاوي (143:141) باختصار يسيراً.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة

لوط - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول / الاستفهام.

المبحث الثاني / الجدال.

المبحث الثالث / الحوار.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة لوط عليه السلام

وقد استخدم نبي الله لوط - عليه السلام - المنهج العقلي في دعوة قومه إلى الطريق القويم وترك ما هم عليه من الفواحش والمنكرات، ومخاطب عقولهم بالاستدلالات العقلية كالاستفهام والجدال، وغيرها، عسى أن يعودوا إلى الرشد والصواب.

وسوف يتناول الباحث هذه الاستدلالات العقلية من خلال ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول / الاستفهام.

المبحث الثاني / الجadal.

المبحث الثالث / الحوار.

المبحث الأول / الاستفهام

استعمل نبي الله لوط - عليه السلام أسلوب الاستفهام الإنكاري والتوبيخي في عدة مواضع في دعوته لقومه من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: إنكاره عليهم فعل الفاحشة.

المطلب الثالث: إنكاره عليهم تعرضهم لضيوفه.

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله:

وقد ورد هذا في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ لوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: 142]، فقول لوط - عليه السلام لقومه: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ استفهام إنكاري، أراد به أن ينكر ما هم عليه من الكفر بالله وإثبات الفواحش، فمخاطبهم مستنكراً: ألا تتقوون عذاب الله بطاعته وطاعة رسوله وترك المعاصي فتنتجون من عذابه.

المطلب الثاني: إنكاره عليهم فعل الفاحشة:

وقد ورد هذا في عدة مواضع في القرآن الكريم:

الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَّتُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: 80-81] ، فالاستفهام في (أتاهم) إنكارٍ توبيخيٍّ، أي: أتفعلون تلك الفعلة المتناهية في القبح، المتمادية في الشر والسوء، وقوله: (ما سبقكم بها من أحدٍ من العالمين) بعد أن أنكر عليهم إتيان الفاحشة، وبخهم بأنهم أحدثوها، ولم تكن معروفة في البشر فقد سنوا سنة سيئة للفاحشين في ذلك.⁽¹⁾

الموضع الثاني: في قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: 165-166] ، والاستفهام في قوله: (أتاهم) للإنكار والتوبيخ، والمعنى: (أتاهم الذكران مخالفين جميع العالمين من الأنواع التي فيها ذكور وإناث فإنها لا يوجد فيها ما يأتي الذكور؟ فهذا تنبيه على أن هذا الفعل الفظيع مخالف للفطرة لا يقع من الحيوان العجم فهو عمل ابتدعوه ما فعله غيرهم).⁽²⁾

الموضع الثالث: في قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: 54-55] ، فقوله: (أتاهم الفاحشة وانتم تبصرون أئنكم لاتاهم الرجال شهوهه) الاستفهام هنا أيضاً للإنكار والتوبيخ، وقوله (وأنتم تبصرون) أي: تفعلون ذلك علينا يبصر بعضكم بعضاً، فإن التجاهر بالمعصية معصية؛ لأنَّه يدل على استحسانها وذلك استخفاف بالنواهي.⁽³⁾

(1) ينظر تفسير (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (3/244)، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت

(2) تفسير التحرير والتنوير (179/19)

(3) ينظر المرجع السابق (288/19)

المطلب الثالث: إنكاره عليهم تعرضهم لضيوفه:

وقد ورد هذا في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: 78] والاستفهام هنا إنكار يتوبيخي، وسببه: أنه لما علم قوم لوط بوجود أضيف عند ذهاب كل صلافة يطلبون منه أن يخلّي بينهم وبين ضيوفه ﴿وَجَاءَهُوَ قَوْمٌ وَيُهَرَّعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ أَسْيَاطٍ﴾ [هود: 78] ، فإهانة الضيف مسبة لا يفعلها إلا أهل السفاهة، فأنكر عليهم لوط -عليه السلام- تملؤهم على الباطل وانعدام رجل رشيد من بينهم، وهذا إغراء لهم على التعقل ليظهر فيهم من يتقطن إلى فساد ما هم فيه فينهاهم، فإن ظهور الرشيد في الفئة الضالة يفتح باب الرشاد لهم، وبالعكس تملؤهم على الباطل يزيدهم ضراوة به.⁽¹⁾

المبحث الثاني/ الجدال

استعمل النبي الله لوط -عليه السلام- هذا الأسلوب الدعوي في دعوته لرد قومه إلى الحق ودحض الشبهات التي دفعتهم إلى التمسك بالفاحشة التي كانوا عليها، وأهم الشبهات التي قالها قوم لوط -عليه السلام- يس تعرضها الباحث في مطليبين:

المطلب الأول: قولهم عن آل لوط: "إنهم أناس يتظاهرون".

المطلب الثاني: رفضهم الزواج من النساء.

المطلب الأول: قولهم عن آل لوط: إنهم أناس يتظاهرون:

لما دعاهم لوط -عليه السلام- إلى ترك ما يفعلون من إتيان الرجال شهوة من دون النساء ما كان جوابهم إلا أن قالوا: ﴿أَخْرِجُوهُا أَلَّا لُوطٌ مِنْ قَرِيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَظَاهَرُونَ﴾ [النمل: 56]، و: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلْوُطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخَرَّجِينَ﴾ [الشعراء: 167]، هذا هو جواب القوم الحكم بنفي آل لوط من قريتهم! لماذا؟ ما هي جريمتهم؟ ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَظَاهَرُونَ﴾ فيا للعجب! أو من يتظاهر يخرج من القرية إخراجاً ليخلو الجو لهم لفعل الفاحشة كما يشاورون دون وخزة ضمير أو تأنيب من أحد؟

(1) ينظر تفسير الطلال (4/2149) وتفسير التحرير والتتوير (12/129)

ماذا قال لهم لوط؟

قال: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِّنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: 168]. أي: (المبغضين، لا أحبه ولا أرضي به؛ فأنا بريء منكم، ثم دعا الله عليهم قال: ﴿رَبِّنَحِنِي وَأَهْلِ مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: 169] ⁽¹⁾

المطلب الثاني: رفضهم الزواج من النساء:

لما جاءت الملائكة لوطا في صورة بشرية، وعلم قومه بخبرهم جاؤوا إليه مسرعين كما ذكر الله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمٌ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرُونَ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ ⁽²⁾ قالوا لقد علمنا ما لدنا في بناتك من حقيقة وإنك لتعلم ما نُريدُ ⁽³⁾ [هود: 78-79]، والمعنى: (أن لوطا - عليه السلام - عندما رأى تدافعيهم نحو بيته لارتكاب الفاحشة التي ما سبقهم بها من أحد من العالمين، قال لهم: برجل ورفق يا قوم هؤلاء نساوكم اللائي بمنزلة بناتي ارجعوا إليهن فاقضوا شهوتكم معهن فهن أطهر لكم نفسياً وحسياً من التلوث). ⁽²⁾

ولكن القوم رفضوا وقالوا في خبث شديد ووقاحة (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَدَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقِّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُريدُ ⁽⁴⁾) لقد علمت، أننا لا رغبة لنا في النساء، وإنك على علم برغبتنا في الرجال الذين نزلوا ضيوفاً عندك.

شذوذ قوم لوط عن الفطرة:

إن قصة هؤلاء القوم تكشف لنا (عن لون خاص من انحراف الفطرة؛ وقد شاءت سنة الله - تبارك وتعالى - أن يخلق البشر ذكراً وأنثى، وأن يجعلهما شقيين للنفس الواحدة تتكامل بهما؛ وأن يتم الامتداد في هذا الجنس عن طريق النسل؛ وأن يكون النسل من التقاء ذكر وأنثى.. ومن ثم ركبهما وفق هذه السنة صالحين لالقاء، صالحين للنسل عن طريق هذا الالقاء، مجهزين عضوياً ونفسياً لهذا

(1) تفسير ابن كثير (6/158)

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (7/248)

الالتقاء.. وجعل اللذة التي ينالانها عندئذ عميقة، والرغبة في إتيانها أصلية، وذلك لضمان أن يتلاقيا فيتحققا مشيئة الله في امتداد الحياة؛ ثم تكون هذه الرغبة الأصلية وتلك اللذة العميقة دافعا في مقابل المتابع التي يلقيانها بعد ذلك في الذريه من حمل ووضع ورضاعه، ومن نفقة وتربيه وكفاله.. ثم تكون كذلك ضمانا لبقاءهما ملتصقين في أسرة، تكفل الأطفال الناشئين، الذين تطول فترة حضانتهم أكثر من أطفال الحيوان، ويحتاجون إلى رعاية أطول من الجيل القديم!

هذه هي سنة الله التي يتصل إدراكها والعمل بمقتضاه بالاعتقاد في الله وحكمته ولطف تدبيره وتقديره. ومن ثم يكون الانحراف عنها متصلة بالانحراف عن العقيدة، وعن منهج الله للحياة.)⁽¹⁾

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "فهذا العمل الخبيث انتكاس في الفطرة، وانغماس في حماة القذارة، وإفساد للرجلة، وجناية على حق الأنوثة، وانتشار هذه الخطيبة القدرة في جماعة، يفسد عليهم حياتهم و يجعلهم عبيدا لها، وينسيهم كل خلق وعرف وذوق."⁽²⁾

ويقول: (والإنسان حينما يدمن شيئاً ويداوم عليه يفقد عقله، يفقد رشده، يفقد إرادته، يفقد إنسانيته، فهو لا فقدوا إنسانيتهم، فأصبحوا كالأنعام، بل هم أضل من الأنعام سبيلاً، فالبهائم لا تفعل ما يفعل هؤلاء، لا نجد ثوراً يطأ ثوراً، ولا كلباً يطأ كلباً. لا ثم لا، الكلب لا يطأ إلا كلبة، والثور لا يطأ إلا بقرة، لكن هؤلاء أصبحوا كالبهائم، بل أضل من الأنعام سبيلاً).⁽³⁾

وبناء على ذلك، وحتى لا يضيع الأمر بالمعرف، والنهي عن المنكر بين الناس إذا رضوا بهذا الفعل بلا إنكار ولا زجر، فإن واجب الدعاة في واقعنا المعاصر تذكير الناس بالفطرة التي فطر الله الناس عليها، وصون نعمة الله وتوظيفها في مكانها الصحيح وهو الزواج، وبيان أن الشذوذ الجنسي جريمة نكراء تؤدي إلى سخط الله، وتسبب العديد من الأمراض الفتاكه، وتسبب قلة الحياة

(1) ينظر تفسير الظلال (3/1315)

(2) الحلال والحرام للدكتور يوسف القرضاوي ص (151) ط مكتبة وهبة، الطبعة الثانية والعشرون (1418هـ - 1997)

(3) تفسير سورة الحجر للقرضاوي ص (138)

وانحطاط الأخلاق، وتأخر الزواج وانتشار ظاهرة العنوسية عند الفتيات بسبب انتشار هذه الفاحشة المحرمة.

المبحث الثالث/ الحوار

استعمل النبي الله لوط عليه السلام – أسلوب الحوار مع قومه، ليبين لهم بطلان ما كانوا يأتون من الفاحشة ومجاھرتهم بها، وتحذيرهم من غضب الله ومقته.

وسيتناول الباحث هذا الأسلوب في مطلبين:

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة لوط – عليه السلام.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار.

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة لوط – عليه السلام:

1- بدأ النبي الله لوط -عليه السلام – حواره مع قومه بالدعوة إلى تقوى الله؛ فهي وصية الله للأولين والآخرين، وهي مهمة الدعاة الأولى، فقال لهم: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ تَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: 161-163]، ومن لوازם تقوى الله فعل أوامرها واجتناب نواهيه، وكلامه هذا بمثابة تمهيد لحديثه معهم عن الفاحشة التي كانوا يقعون فيها.

2- ثم جاء استئثاره عليهم إثيان الفاحشة التي تفشت فيهم بأسلوب الاستفهام التوبخي مستنكراً شذوذهم عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي اشتئاه الرجل للمرأة، لأن هذا مظنة الحرج والولد، قال تعالى: ﴿وَلُوَطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأُثُونَ الْفَحْشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 80]

3- ثم أخبرهم - شأن جميع إخوانه الأنبياء عليهم السلام- أنه لا يسألهم أجرًا على دعوته لهم إلى الحق المبين، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 164]، فليس من وراء دعوتي لكم منفعة دنيوية أو سيادة ووجاهة، إنما أدعوكم مخلصاً لوجه الله.

4- كان رد فعل قومه يدل على خبثهم وسوء طويتهم ؛ فهددوا الوطأ أنهم سيقومون بنفيه هو وعائلته، وهو ما عبرت عنه الآيات الكريمة: ﴿وَمَا كَانَ

جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرِيَّتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَظَهَّرُونَ﴾
[الأعراف: 82]، فبدلا من حوار جاد ونقاش عاقل مع نبيهم لم يجدوا أمام قوة الحق الذي جاءهم به رسوله إلا أن يستعملوا حق القوة، بإبعاد آل لوط من قريتهم، والتهمة ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَظَهَّرُونَ﴾

5- كان رد لوط - عليه السلام - عليهم بإظهار كراحته وبغضه لهذا العمل الذي يفعلونه، ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِّنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: 168] ثم دعا ربه أن ينجيه من القوم الظالمين، فقال: ﴿رَبِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: 169]

6- حينما جاء القوم مسرعين يراودوه عن ضيفه - وكانوا ملائكة في صورة بشرية- حاول لوط - عليه السلام - أن يصرفهم عن الفاحشة التي يرتكبونها ﴿قَالَ يَقُولُمْ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُنُونَ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: 78]، و(البنات) في الآية المقصود به نساء قومه- كما مر بنا-، فاعتذروا إليه بأنهم لا يشتهون النساء لأن فطرتهم منكوسة، فهنا أحس لوط بحرج كبير، ماذا يفعل؟! وهو لا يستطيع رد هم ولا منعهم لكثرتهم، وقد ملكتهم شهواتهم فصاروا كالبهائم تقودهم غرائزهم لا عقل يميز ولا بقية حياء تمنع!!! ورفض القوم أية بدائل يطرحها عليهم لوط، وهذا هو حال الفطرة إذا انتكست، وارتكتست في أوحال الرذيلة؛ فالفاحشة التي يمارسونها هي الحق- في زعمهم- والطهر هو الباطل!!

7- هنا تمنى لوط - عليه السلام - لو أن له قوة باطasha، تردع قومه عن منكرهم، وتردهم عن باطلهم فقال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: 80] وجواب (لو) محدود لدلالة الكلام عليه، والتقدير: لمنعكم ولبالغت في دفعكم. (1)

(1) ينظر تفسير الرازي (18/380)

وقد ورد في الحديث: (يرحم الله لوطا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبئث في السجن ما لبئث يوسف، ثم أتاني الداعي لأجبيه)⁽¹⁾

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار

1- بدأ نبي الله لوط - عليه السلام - الحوار معهم بالدعوة إلى تقوى الله - عز وجل - ليمهره لأنكاره عليهم ما يفعلون من منكرات.

2- جاء الحوار معهم باستعمال أسلوب الاستفهام في أكثر من موضع (الآن تتقون) و(أتأنتون الفاحشة) و(أئنكم لتأتون الرجال) و(أليس منكم رجل) إنكاراً لما يفعلون ومحاولة منه لإزاحة الغشاوة عن قلوبهم وتحفيزهم للتفكير والتأمل في سوء ما يفعلون.

3- لفت أنظارهم إلى أن عملهم هذا لم تعرفه البشرية من قبل فهو انتكاسة للفطرة التي جعلها الله في جميع عباده، وهذا إبطال لأي تعليل يبررون به فعلتهم، فهم نشاز بين العالمين جميعاً.

4- التأكيد على صدقه بأنه لا منفعة دنيوية له ترجى من وراء نصحه، إنما ينصحهم لوجه الله، لا يريد على دعوته أجرًا.

5- بين نبي الله لوط - عليه السلام - في حواره أنه لا يكره ذواتهم إنما يكره معصيتهم وأفعالهم القبيحة، لأنها انتكاس للفطرة.

6- كان موقف نبي الله لوط - عليه السلام - حرجاً جداً؛ عندما جاءوا يراودونه عن أضيفائه، فذكرهم بأن الزواج من بنات القرية أطهر وأطيب، وأن موافقته لهم على طلبهم هو خزي له في أضيفائه الغرباء ماذا يقول لهم؟ ثم أراد منهم أن يفكروا ولو لمرة واحدة بعقل راشد لا تقوده شهوته (أليس منكم رجل رشيد؟)

7- كان حوار نبي الله لوط - عليه السلام - مع قومه عقلانياً إلى حد كبير محاولاً أن يردهم إلى الفطرة، وكان حليماً صبوراً عليهم، لكن القوم قادتهم فطرتهم المنكوبة إلى الهالك، واستحقوا غضب الله عليهم.

(1) الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء، باب: قول الله تعالى: {لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين} [يوسف: 7] حديث رقم (3207)، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان بباب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة حديث رقم (238)

الفصل الثالث

المنهج المحسني في رسالة

لوط - عليه السلام -

وفي مبحثان:

المبحث الأول / هل كان لوط - عليه

السلام - معجزة؟

المبحث الثاني / طمس أعين القوم

الذين راودوه عن ضيوفه.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة لوط - عليه السلام -

وفيه مبحثان:

المبحث الأول / هل كان لوط - عليه السلام - معجزة؟

المبحث الثاني / طمس أعين القوم الذين راودوه عن ضيفه.

المبحث الأول / هل كان لوط - عليه السلام - معجزة؟

لم يبين لنا القرآن معجزة واضحة لنبي الله لوط - عليه السلام - فقد دعا قومه لنتقوى الله بطاعته وطاعة رسوله وهجران الفواحش، ولكن لم يستجيبوا حتى نجاه الله منهم.

المبحث الثاني / طمس أعين القوم الذين راودوه عن ضيفه.

ولو تأملنا الآيات في سورة القمر والتي تبين كيف واجهت الملائكة صلف القوم وغرورهم وجرأتهم مع نبي الله لوط - عليه السلام - بطلبهم فعل الفاحشة مع ضيفه لرأينا أن الله أظهر لهم بقدرته آية حسية، وهي طمس أعينهم لكن القوم كما أعمى الله أبصارهم عميت بصائرهم فهم في غيهم يعمهون، فطمس الله أعينهم فعميت فلم يعودوا يرون شيئاً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيْنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرٍ﴾ [القمر: 37-39]

الباب الخامس

المناهج الدعوية في رسالته

شعيب - عليه السلام -

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول / المنهج العاطفي.

الفصل الثاني / المنهج العقلي.

الفصل الثالث / المنهج المحسني.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة

شعيب - عليه السلام -

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول / الرفق وإظهار

العاطفة.

المبحث الثاني / الترغيب.

المبحث الثالث / الترهيب.

المبحث الرابع / التذكير بنعم الله.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة شعيب عليه السلام

عند تتبع الآيات القرآنية التي ذكرت قصة نبي الله شعيب – عليه السلام- نجد أنه قد استخدم المنهج العاطفي في دعوته لقومه يتناولها الباحث من خلال أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة

وقد بُرِزَ هذا الأسلوب في دعوة شعيب – عليه السلام- لقومه في عدة مواطن منها يتناولها الباحث من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوههم.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)

المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه.

المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوههم:

وقد ورد هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: 85]، فكلمة (أخاهم) تعني أخوة النسب لا الدين، فنبي الله شعيب رجل من قومه معروف لديهم، واستشعار القوم صلتة بهم أدى لقبول دعوته والاستماع إليه.

هل أصحاب الأئكة هم أهل مدین؟

ورد ذكر نبي الله شعيب – عليه السلام- في عدة مواضع من القرآن في سور الأعراف وهود والعنكبوت بلفظة: (أخاهم) قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: 85، هود: 84، العنكبوت: 36]

أما موضع الشعراء فنلاحظ فيه أمرتين:
الأول: جاء بدون ذكر (أخاهم)

الثاني: المواضع الثلاثة جاء فيها أنه أرسل لمدين أما موضع الشعراء فقد ذكر أنه أرسل لأصحاب الأيكة.

فهل أصحاب الأيكة هم أهل مدین أم هم قوم آخرون أرسل إليهم شعيب أيضا؟

قولان للعلماء:

القول الأول: أن أصحاب الأيكة قوم آخرون ساكنون في جوار مدین، فمدین قوم شعيب وأصحاب الأيكة سكان الباية ، أرسل الله إليهما شعيبا ، وقالوا إن الذي يشهد لذلك ويرجحه أن القرآن لما ذكر هذه القصة لأهل مدین وصف شعيبا بأنه أخوه، ولما ذكرها لأصحاب الأيكة لم يصف شعيبا بأنه أخوه؛ إذ لم يكن شعيب نسيبا، ولا صهرا لأصحاب الأيكة، ومما يرجح ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ

أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَلَّمِينَ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَيُؤَمِّلُ مُبِينٍ﴾ [الحجر: 78-79] فجعل

ضميرهم مثنى باعتبار أنهم مجموع قبيلتين: مدین وأصحاب الأيكة. (1)

القول الثاني: أهل مدین هم أصحاب الأيكة، وكان النبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هنا أخوه شعيب؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة، وقيل: شجر ملتف كالغليضة، كانوا يعبدونها؛ فلهذا لما قال: كذب أصحاب الأيكة المرسلين، لم يقل: "إذ قال لهم أخوه شعيب"، وإنما قال: (إذ قال لهم شعيب)، فقطع نسبة الأخوة بينهم؛ للمعنى الذي نسبوا إليه، وإن كان أخاهم نسبا. (2)
إذن فمدین اسم القبيلة، والأيكة اسم شجرة أو شجر كانوا يعبدونه.

المناقشة والترجيح:

يرى الباحث أن القول الثاني هو الأوجه، ويدل على صحته ما يلي:

(1) ينظر تفسير الزمخشري (3/332) وتفسير القرطبي (13/135)، وتفسير التحرير والتنوير (19/183)، وأغلب المفسرين على أن ضمير الثنوية في قوله تعالى (وَإِنَّهُمَا لَيُؤَمِّلُ مُبِينٍ) [الحجر: 79] يعود على قوم لوط وأصحاب الأيكة.

(2) ينظر تفسير ابن جرير الطبرى (19/390) وتفسير ابن كثير (6/158)

1- ورد في القرآن أن أهل مدين كانوا يدينون بما يدين به أصحاب الأيكة أيضاً، ونبي الله شعيب - عليه السلام- قال لأهل مدين **﴿يَقُولُونَ أَعْبُدُوا**
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَقَدْ جَاءَتُكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ
وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: 85] ، وقال لأصحاب
 الأيكة أيضاً **﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾** وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ
الْمُسْتَقِيمِ﴾ **وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾**
 [الشعراء: 181-183]

2- القول بأن شعيب - عليه السلام بعث لأمتين وليس أمة واحدة يخالف ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل الأنبياء قبله كانوا يبعثون إلى أقوامهم خاصة وخصه الله بأن أرسله للناس كافة، ففي الحديث عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة) ⁽¹⁾

فتبين من هذا أن أهل مدين وأصحاب الأيكة شيء واحد، وأنهم كانوا منغمسين في الشرك بالله، وكانوا يعيشون على التجارة التي كانوا يغشون فيها بإيقاص المكيال والميزان.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)

وقد تكرر نداء شعيب - عليه السلام - على قومه بقوله: (يا قوم) عدة مرات كما قال تعالى: **﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَقُولُونَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ**

(1) رواه البخاري كتاب أبواب المساجد، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) حديث رقم: (427) وأخرجه مسلم في أول كتاب المساجد وموضع الصلاة (حديث رقم 521)

غيره [الأعراف: 85]، وهذا النداء إظهار لشفقته عليهم وبيان حرصه على هدايتهم، وهذا أدعى لقبول قوله.

المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه:

فقد بين النبي الله شعيب - عليه السلام - لقومه خوفه عليهم إن استمروا على شركهم وبخسهم الناس حقوقهم، فقال لهم: **﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾** [هود: 84]، فلما نهاهم شعيب - عليه السلام - عن إنفاق المكيال والميزان قال معلناً نهيه لهم: **(إِنِّي أَرَكُمْ بِخَيْرٍ يَرِيدُ بِثُروة واسعة تغنيكم عن التطفيف)، أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون، أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه.)**⁽¹⁾

فمعنى كلامه إنكم لستم مضطرين لهذا الغش، فقد آتاكم الله ثروة واسعة وحالة رخاء تغنيكم عن ذلك، ثم علل نهيه بسبب آخر وهو أن هذا الإفساد موجب لعذاب الله في الآخرة.

المبحث الثاني/ الترغيب

رغم نبي الله شعيب - عليه السلام - قومه في الإيمان بالله، ونبذ ما هم عليه من عبادة غيره وسلوك معهم أسلوب الترغيب والذي ستناوله الباحث من خلال مطلبيين:

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله.

المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار والتوبة.

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله:

وقد جاء ذلك في قوله تعالى: **﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾** [العنكبوت: 36]، فهنا يخبر تعالى

(1) تفسير الزمخشري (2/417)

عن نبيه شعيب - عليه السلام -، أنه أنذر قومه، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأن تكون عندهم رغبة في اليوم الآخر ولقاء الله فيخافوا عذابه ويرجون رحمته، ثم نهاهم عن العيش في الأرض بالفساد، وهو السعي فيها والبغى على أهلها.⁽¹⁾

المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار والتوبة:

وترغبوا لقومه في طاعة الله والعودة إليه قال شعيب - عليه السلام - لقومه:
﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: 90]

فقوله: { واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه } أي: (استغفروه من سالف الذنوب، وتوبوا فيما تستقبلونه من الأعمال السيئة، {إن ربى رحيم ودود} أي: لمن تاب وأناب)⁽²⁾

والفرق بين الاستغفار والتوبة: أن الاستغفار طلب المغفرة من الله بالدعاء، ويتبعه التوبة بالندم على ما وقع من معاشر، والإقلال عنها، والعزمية ألا يعود إليها،⁽³⁾

فطلب شعيب - عليه السلام - من قومه أن يسألوا الله المغفرة من الذنوب، ويتوبوا إلى الله بالندم على ما فعلوا، وترك الذنوب التي اقترفوها من الشرك بالله والغش بإيقاص المكيال والميزان، وبخس الناس حقهم، وبشرهم بأن الله رحيم ودود يرحم من تاب إليه وأناب.

(وجملة إن ربى رحيم ودود تعليل الأمر باستغفاره والتوبة إليه، وهو تعليل لما يقتضيه الأمر من رجاء العفو عنهم إذا استغفروا وتابوا)⁽⁴⁾

والسر في أن شعيب - عليه السلام - قرن بين اسمي الرحيم والودود في قوله {إن ربى رحيم ودود} هو أن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك

(1) ينظر تفسير ابن كثير (6/277)

(2) تفسير ابن كثير (4/346)

(3) ينظر "معجم الفروق اللغوية" للغوية لأبي هلال الحسن العسكري، (ص 235) تحقيق محمد إبراهيم سليم، ط دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر

(4) تفسير التحرير والتنوير (12/147)

قد يرحم من لا يحبه، والرب تعالى يغفر لعبد إِذَا تاب إِلَيْهِ، ويرحمه ويحبه، مع ذلك فإنه يحب التوابين، وإذا تاب إِلَيْهِ عبده أَحَبَّهُ، ولو كان منه ما كان.⁽¹⁾

المبحث الثالث / الترهيب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الترهيب من عذاب يوم محيط.

المطلب الثاني: الترهيب من عاقبة تكذيب رسولهم.

المطلب الأول: الترهيب من عذاب يوم محيط:

أراد نبي الله شعيب – عليه السلام – أن يذكر قومه بنعم الله عليهم ويخوفهم من عاقبة إنفاس المكيال والميزان وبخس الناس أشياءهم فقال لهم كما ذكر الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكِيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَنْتُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: 84]

فقوله: (وإنني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) ترهيب من وقوع عقاب الله بهم، إن هم استمروا على ما هم فيه من المعاصي والفساد، والعذاب هو عذاب الاستئصال في الدنيا كما في حق سائر الأنبياء، أو هو عذاب الآخرة، لأنه اليوم الذي نصب لإحاطة العذاب بالمعذبين، والأقرب دخول كل عذاب فيه، وهذا تحذير من عواقب كفران النعمة وعصيان واهبها، ووصف شعيب – عليه السلام – العذاب بأنه محيط القصد منه الترهيب من عذاب يحيط بهم بحيث لا يخرج منه أحد، فيحيط بهم العذاب بإحاطة الدائرة بما في داخلها، فينالهم من كل وجه، وذلك مبالغة في الوعيد.⁽²⁾

(1) ينظر «التبیان فی أیمان القرآن» للإمام ابن القیم ص145، بتحقيق عبد الله بن سالم البطاطی، ط دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بیروت) الطبعة: الرابعة، 1440 هـ - 2019 م

(2) ينظر تفسیر مفاتیح الغیب للرازی (18/384)

المطلب الثاني: الترهيب من عاقبة تكذيب رسولهم:

بعد أن دعا شعيب - عليه السلام - قومه وبين ما هم عليه من ضلاله قال لهم مرهباً ومتوعداً: ﴿وَإِنْ كَانَ گَانَ ظَاهِفَةً مِنْكُمْ إِيمَانُوا بِاللَّهِ أَرْسَلْتُ بِهِ وَظَاهِفَةً لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: 87]

أي: اصبروا فتربيصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا، بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم، وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم، وهو أيضاً عذة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم، وهو خير الحاكمين لأن حكمه حق وعدل، لا يخاف فيه الحيف.⁽¹⁾

وهذا صدر عن ثقة شعيب - عليه السلام - بأن الله سيحكم بينه وبين قومه استناداً لوعده إياه بالنصر على قومه، أو لعلمه بسنة الله في رسالته ومن كذبهم بإخبار الله تعالى إياه بذلك، ولو لا ذلك لجاز أن يتأخر الحكم بين الفريقين إلى يوم الحساب، وجملة: (وهو خير الحاكمين) تذليل بالثناء على الله بأن حكمه عدل محض لا يتحمل الظلم عمداً ولا خطأ، وغيره من الحاكمين يقع منه أحد الأمرين أو كلاهما.⁽²⁾

وفي سورة هود قال لهم شعيب: ﴿وَيَقُولُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِتِكُمْ إِنِّي عَمِيلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كاذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: 93]، أي: (اعملوا كل ما في إمكانكم عمله معي، وابذلوا في تهديدي ووعيدي ما شئتم، فإن ذلك لن يضرني، وكيف يضرني وأنا المتكفل على الله المعتمد على عونه ورعايته ...؟ وإنني سأقابل عملكم السيئ هذا بعمل آخر حسن من جنبي، وهو الدعوة إلى وحدانية الله - تعالى - وإلى مكارم الأخلاق).

وقوله: (سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كاذِبٌ) استئناف مؤكّد لتهديده لهم، أي: اعملوا ما شئتم وأنا سأعمل ما شئت فإنكم بعد ذلك سوف تعلمون من منا الذي ينزل به عذاب يخزيه ويفضحه وبهينه، ومن منا الذي هو

(1) ينظر تفسير الزمخشري (2/128)

(2) ينظر تفسير التحرير والتنوير (250/ 8 ب)

كاذب في قوله و عمله، و ارْتَقُبُوا عاقبة تكذيبكم للحق إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ أي: إنني معكم منظر ومراقب لما يفعله الله - تعالى - بكم. ⁽¹⁾

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التذكير بما وسع الله عليهم من الخيرات والنعم.

المطلب الثاني: التذكير بنعمة الخلق من العدم.

المطلب الثالث: التذكير بتكثير الله لهم.

المطلب الأول: التذكير بما وسع الله عليهم من الخيرات والنعم.

لما أمر شعيب - عليه السلام - قومه أن يوفوا الكيل والميزان بالقسط ونهاهم عن بخس الناس أشياءهم ذكرهم بنعمة الله عليهم فقال: ﴿بَقَيَّثُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾ [هود: 86] رزق الله خير لكم من بخسم الناس، وما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس. ⁽²⁾

فأنتم لا تفعلون ذلك من فقر وعز، إنما أنتم في خير ونعمه من الله تغnyكم عن التطفيه، فصونوا نعمة الله بشكرها وترك الغش في معاملتكم للناس، وما يبقى لكم من حلال فيه بركة أفضل من حرام محموق البركة.

إن الغش في المكيال والميزان نوع من أنواع الفساد في الأرض ويؤدي إلى خلل اقتصادي كبير، ويؤدي إلى انهيار الأسواق، وكسر التجارة، ويفقد الناس الثقة والأمان فيحجمون عن الشراء، فالناجر الصادق ينال السعادة والراحة، برواج تجارتة وأقبال الناس عليه، والغش قد يؤدي إلى التراء السريع، ولكن يؤدي إلى الخسران في الدنيا والآخرة.

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (7/264)

(2) ينظر تفسير ابن كثير (4/343)

المطلب الثاني: التذكير بنعمة الخلق من العدم:

وَمَا ذَكَرُوهُمْ بِهِ شَعِيبٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقْتُمْ وَالْجِبْلَةُ الْأَوَّلَيْنَ﴾ [الشَّعْرَاءَ: 184]، وَالْجِبْلَةُ: (الْجَمَاعَةُ الْكَثِيرَةُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِ قَوْمِ شَعِيبٍ. وَالْمَقْصُودُ بِهِمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا ذُوِّي قُوَّةٍ كَأُنْهَا الْجَبَالُ فِي صَلَابَتِهَا، كَوْمُ هُودٍ وَأَمْثَالُهُمْ مِمَّنْ اغْتَرَوْا بِقُوَّتِهِمْ، فَأَخْذَهُمُ اللَّهُ أَخْذُ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ).⁽¹⁾

أي خافوا عقاب الله بأن يجعلوا بينكم وبينه وقاية بالعمل الصالح وترك المعاصي فهو سبحانه الذي خلقكم وخَلَقَ الْأُمَّةَ قَبْلَكُمْ من العدم - وأنعم عليكم بنعمة الوجود، وفي الآية تذكير بنعمة الله وترهيب من إهلاك الله لهم كما أهلك من قبلهم من الأمم الظالمة.

المطلب الثالث: التذكير بتكثير الله لهم:

وذكرهم شعيب عليه السلام - أيضاً بأنهم كانوا قلة مستضعفين فصاروا أمة قوية ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثُرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦]

أي: (اذكروا ذلك الزمان الذي كنتم فيه قليلي العدد فكتركم الله بأن جعلكم موفوري العدد، وكنتم في قلة من الأموال فأفاضها الله بين أيديكم، فمن الواجب عليكم أن تشکروه على هذه النعم، وأن تفردوه بالعبادة والطاعة.)⁽²⁾

* * * * *

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (10/275)

(2) المرجع السابق (5/322)

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة

شعيّب - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول / الاستفهام.

المبحث الثاني / الجدال.

المبحث الثالث / الحوار.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة شعيب عليه السلام

وقد استخدم نبي الله شعيب - عليه السلام - المنهج العقلي في دعوة قومه بالعديد من فنون القول، يستعرضها الباحث من خلال ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول / الاستفهام.

المبحث الثاني / الجدال.

المبحث الثالث / الحوار.

المبحث الأول / الاستفهام

وقد استعمل نبي الله شعيب - عليه السلام أسلوب الاستفهام الاستنكاري في عدة مواضع في دعوته لقومه، يتعرض لها الباحث في ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: أو لو كنا كارهين؟

المطلب الثالث: أرهطي أعز عليكم من الله؟

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

وقد ورد هذا في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: 177]، فقوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ استفهام إنكارى، وكأنه يقول لهم: كيف بكم وقد تماديتم في الشرك بعبادة غير الله وغشكم في الكيل والميزان، أليس لهذه المعاصي من آخر فتنتهم وتنقون الله.

المطلب الثاني: أو لو كنا كارهين؟

وقد ورد هذا الاستفهام في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ أَسْتَكَبُرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَسْعَيْبُ وَالَّذِينَ عَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِيْبَتَنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف: 88] واجه الملا المستكرون شعيباً والمؤمنين معه بتهدidهم

بالنفي من قرietenم أو العودة إلى ملتهم فقال لهم شعيب - عليه السلام- متعمباً مستنكراً: (أَوْلُو كُنَّا كارهين) أي: (أتجرروننا على العودة إلى ملتهم حتى ولو كنا كارهين لها، لاعتقادنا أنها باطلة وقبيحة ومنافية للعقل السليمة والأخلاق المستقيمة لا لن نعود إليها بأي حال من الأحوال، فالهمزة لإنكار الواقع ونفيه، والتعجب من أحوالهم الغريبة حيث جهلو أن الدخول في العقائد اختياري محض ولا ينفع فيه الإجبار أو الإكراه).⁽¹⁾

المطلب الثالث: أرهطي أعز عليكم من الله؟

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَقُومٌ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [هود: 92] لما دعا شعيب - عليه السلام- قومه، وأقام عليهم الحجة ورد شبهاً لهم قالوا له: ﴿قَالُوا يَشْعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَنَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: 91] فالقوم يسمعون كلامه، ولكنهم لم يقبلوا قوله، بل وأمحوا إلى إيذائه وقتلته بقولهم: (وَإِنَّا لَنَرَنَاكَ فِينَا ضَعِيفًا)، وما يمنعهم من ذلك إلا رهطه، وكلامهم هذا يبين ما غلب على القوم من عناد ومكابرة وعدم قبول للحق بعد أن أقام عليهم نبيهم شعيب - عليه السلام- الحجة فقال لهم مستنكراً: (قَالَ يَقُومٌ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [هود: 92]

فقوله: (يَقُومٌ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم) استفهام إنكارى، أي: (أنتركوني لأجل قومي، ولا تتركوني إعظاماً لجناب الله أن تناولوا نبيه بمساءة، وقد اتخذتم جانب الله (وراءكم ظهرياً) أي: نبذتموه خلفكم، لا تطیعونه ولا تعظمونه، (إن ربى بما تعملون محيط) أي: هو يعلم جميع أعمالكم وسيجزيكم بها).⁽²⁾

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (5/326)

(2) تفسير ابن كثير (4/347)

المبحث الثاني/ الجدال

وقد استعمل النبي الله شعيب -عليه السلام- هذا الأسلوب الدعوي لإثبات صحة الحق الذي جاء به، ورد الشبهات التي قالها الملاً من قومه وبين القرآن الكريم ذلك في عدة مواضع يتعرض لها الباحث في ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: استنكار ما يأمرهم به من التوحيد، والأمانة وعدم الغش والتطفيق.

المطلب الثاني: ادعاؤهم أن نبيهم من المسحريين وأنه بشر مثلهم.

المطلب الثالث: التمسك بملة الكفر والتهديد بالنفي.

المطلب الرابع: ادعاؤهم عدم فهم كلامه وأنه فيهم ضعيف.

المطلب الأول: استنكار ما يأمرهم به من التوحيد، والأمانة وعدم الغش والتطفيق:

لما دعا شعيب -عليه السلام- قومه إلى عبادة الله وحده وترك ما هم عليه من فساد ببخس الناس أشياءهم وإنفاس المكيال والميزان؛ ما كان من القوم إلا أن قالوا متهكمين على نبيهم: ﴿قَالُوا يَشْعَيْبُ أَصْلَوْتَكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَنْتَرِكَ مَا يَعْبُدُ إِبَآءُونَا أَوْ أَنْ تَنْفَعَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَوْطُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْخَلِيلُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: 87]

أمرهم شعيب -عليه السلام - بشيئين:

(بالتوحيد وترك البخس، فالقوم أنكروا عليه أمره بهذين النوعين من الطاعة، قوله: (أن نترك ما يعبد آباءنا) إشارة إلى أنه أمرهم بالتوحيد وقوله: (أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء) إشارة إلى أنه أمرهم بترك البخس).

أما الأول: فقد أشاروا فيه إلى التمسك بطريقة التقليد؛ لأنهم استبعدوا منه أن يأمرهم بترك عبادة ما كان يعبد آباءهم، يعني الطريقة التي أخذناها من آبائنا وأسلافنا كيف تركوها، وذلك تمسك بمحض التقليد.

ولفظ الصلاة المراد منه الدين والإيمان؛ لأن الصلاة أظهر شعار الدين، فجعلوا ذكر الصلاة كنایة عن الدين، فقصدوا بقولهم: (أصلاتك تأمرك السخريّة).⁽¹⁾

(وجملة «إذك لانت الحليم الرشيد» زيادة منهم في السخريّة منه. عليه السلام- وفي التهكم عليه، فكأنهم- قبحهم الله- يقولون له: كيف تأمرنا بترك عبادة الأصنام، وبترك النقص في الكيل والميزان، مع علمك اليقيني بأن هذين الأمررين قد بنينا عليهما حياتنا، ومع زعمك لنا بأنك لانت الحليم الذي يتأنى ويتروى في أحکامه، الرشيد الذي يرشد غيره إلى ما ينفعه؟ إن هذين الوصفين لا يليقان بك، ما دمت تأمرنا بذلك، وإنما اللائق بك أضدادهما، أي الجهالة والسفه والعجلة في الأحكام).⁽²⁾

رد شعيب - عليه السلام - على هذه الشبهة:

وقد رد شعيب - عليه السلام - على قوله: ﴿قَالَ يَقُومُ أَرْءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّي وَرَزْقِنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُحَاكِلَكُمْ إِلَىٰ مَا آتَهُنَّكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِلَّا إِلَاصْلَاحَ مَا أُسْتَطِعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]، يقول شعيب - عليه السلام - يا قوم أخبروني إن كنت على بينة من ربي ماذا ينجيكم من عاقبة تكذيبني، وهو تحذير لهم على فرض احتمال أن يكون صادقاً، أي فالحزم أن تأخذوا بهذا الاحتمال، أو فالحزم أن تنتظروا في كنه ما نهيتكم عنه لتعلموا أنه لصلاحكم، وما أريد مما نهيتكم عنه أن أمنعكم أفعالاً وأنا أفعلها، أي لم أكن لأنهاكم عن شيء وأنا أفعله، ففي هذا إظهار أن ما نهاهم عنه ينبع أيضاً نفسه عنه، وفي هذا تنبيه لهم على ما في النهي من المصلحة، وعلى أن شأنه ليس شأن الجبارية الذين ينهون عن أعمال وهم يأتونها؛ لأن مثل ذلك ينبي بعدم النصح فيما يأمرون وينهون، إذ لو كانوا يريدون النصح والخير في ذلك لاختاروه لأنفسهم.

وجملة (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) المراد إثباته هو الإصلاح في جميع أوقات استطاعته بتحصيل الإصلاح، فالقصر قصر قلب.

(1) ينظر تفسير مفاتيح الغيب للرازي (18/386 وما بعدها)

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (7/260)

ولما بين لهم حقيقة عمله وكان في بيانه ما يجر الثناء على نفسه أعقبه بإرجاع الفضل في ذلك إلى الله فقال (وَمَا تُوفِيقٰ إِلَّا بِاللهِ) فسمى إرادته الإصلاح توفيقاً وجعله من الله لا يحصل في وقت إلا بالله، أي بإرادته وهديه.⁽¹⁾

المطلب الثاني: ادعاؤهم أن نبيهم من المسحريين وأنه بشر مثلهم.

لما دعاهم شعيب إلى توحيد الله ونهاهم عن الإفساد في الأرض بخس الناس أشياءهم قالوا: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنَّ نَّظَنْنَاكَ لَمِنَ الْكَذَّابِينَ فَأَسْقَطْتُ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّدِيقِينَ﴾ [الشعراء: 185-187]، فلم يتأثروا بأي كلام وجهه لهم نبيهم، بل اتهموه في عقله وفي صدقه، فقالوا له بسفاهة وغرور: إنما أنت يا شعيب من الذين أصيروا بسحر عظيم يجعلهم لا يعقلون ما يقولون، وما أنت إلا بشر مثلك، ولا مزية لك برسالة أو بنبوة علينا، وما نظنك إلا من الكاذبين فيما تدعيه، فإن كنت صادقاً في دعوى الرسالة فأسقط علينا قطعاً من العذاب الكائن من جهة السماء.⁽²⁾

وكون الرسول بشراً ليس عيباً فيه ولا شبهة، فقد أرسل الله رسوله بشراً ليكون قدوة يقتدون به في كل أحواله، ويطبق المنهج الذي جاءهم به، وهي نفس شبهة قوم نوح وعاد وثمود من قبل.⁽³⁾

فبماذا أجابهم شعيب - عليه السلام -؟ ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: 188]، أي: (أنَّ الله أعلم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب، فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل، وإن أراد عقاباً آخر فإليه الحكم والمشيئة)⁽⁴⁾

(1) ينظر تفسير التحرير والتوير (143/12 وما بعدها)

(2) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (276/10)

(3) مر بنا تفنيد هذه الشبهة بما يعني عن الإعادة.

(4) تفسير الزمخشري (333/3)

المطلب الثالث: التمسك بملة الكفر والتهديد بالنفي:

وقد وردت هذه الشبهة في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ أَسْتَكَبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْخَرَجْنَكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِيَّتَنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: 88]

لقد يئس القوم من شعيب بعد تهديده؛ ولذلك لجأوا إلى التهديد بالنفي والاستبعاد، فقالوا بكل وقاحة وكبر لنبيهم، اختر لنفسك يا شعيب إما النفي أنت والذين آمنوا معك، أو العودة إلى ديننا.

هل كان شعيب على ملة قومه؟

التعبير بقولهم: (أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا) يفهم منه أن شعيباً والذين آمنوا معه كانوا على ملة قومهم ثم خرجوا منها، وهذا مقبول في أتباع شعيب أما في حقه - عليه السلام - فهو محال، فإن الأنبياء معصومون - حتى قبل النبوة - عن ارتكاب الكبائر فضلاً عن الشرك.

وقد أجب عن ذلك (بأن المستكبرين قد قالوا ما قالوا من باب التغليب، فقالوا: (لَئِنْخَرَجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِيَّتَنَا) فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا: لتعودن فغلب الجماعة على الواحد، فجعلوه عائدين جميعاً، إجراء الكلام على حكم التغليب، وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال: (إِنْ عَدْنَا فِي مُلْكِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا)، وهو يريد عود قومه، إلا أنه نظم نفسه في جملتهم) ⁽¹⁾

فرد شعيب عليهم قائلاً: ﴿قَالَ أَوْلُو كُنَّا كَارِهِينَ قَدْ أُفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسَعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمَنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: 88-89] ، قوله - عليه السلام -: (أَوْلُو كُنَّا كَارِهِينَ) أي: أتجبروننا على العودة إلى مللكم حتى ولو كنا كارهين لها، لا عتقادنا أنها باطلة وقبيحة ومنافية للعقل السليم والأخلاق المستقيمة لا. لن نعود إليها بأي حال من الأحوال.

(1) تفسير الزمخشري (2/129)

ثم صارحهم برفضه التام لما يتوهمون من العودة إلى ملتهم فقال: (قد افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلْتَكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا) أي: قد اخترقنا على الله- تعالى- أشنع أنواع الكذب إن عدنا في ملتهم الباطلة بعد إذ نجانا الله بهدايتنا إلى الدين الحق وتنزيتها عن الإشراك به- سبحانه ، ولا يتأنى منا أن نعود في ملتهم الباطلة في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات إلا في حال أو في وقت مشيئة الله- المتصرف في جميع الشئون- عودتنا إليها، فهو وحده القادر على ذلك ولا يقدر عليه غيره لا أنتم ولا نحن، لأننا موقنون بأن ملتهم باطلة وملتنا هي الحق والموقن لا يستطيع إزالته يقينه ولا تغييره وإنما ذلك بيد مقلب القلوب، الذي وسع علمه كل شيء.

وهذا اللون من الأدب العالي، حكاه القرآن عن الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- في مخاطبتهم، فأنت ترى أن شعيبا- عليه السلام- مع ثقته المطلقة في أنه لن يعود هو وأتباعه إلى ملة الكفر أبداً، مع ذلك هو يفوض الأمر إلى الله تأدبه معه، فلا يجزم بمشيئته هو، بل يترك الأمر لله، فقد يكون في علمه سبحانه ما يخفى على البشر، مما تقتضيه حكمته وإرادته.

ثم يترك شعيب- عليه السلام- قومه وتهديدهم ووعيدهم، ويتوجه إلى الله بالاعتماد والدعاء فيقول: (عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) أي: على الله وحده وكلنا أمرنا، فهو الذي يكفينا أمر تهديكم ووعيدهم، ومن يتوكى على الله فهو حسنه، ربنا أحكم بيننا وبين قومنا الذين ظلمونا بالحق وأنت خير الحاكمين، لخلو حكمك عن الجور والحييف، فقوله: (عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا) إظهار للعجز من جانب شعيب، وأنه في مواجهته لأولئك المستكبرين لا يعتمد إلا على الله وحده، ولا يأوي إلا إلى ركنه المكين، وحصنه الحسين.

وقوله: (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا) إعراض عن مجادلتهم ومفاوضتهم بعد أن تبين لهم عنادهم وسفههم، وإقبال على الله- تعالى- بالتضرع والدعاء.

والفتاح: أصله إزاله الأغلاق عن الشيء، واستعمل في الحكم، لما فيه من إزاله الأشكال في الأمر.

والخلاصة: أنك إذا تأملت في رد شعيب- عليه السلام- على ما قاله المستكرون من قومه، تراه يمثل أسمى ألوان الحكمة وحسن البيان، فهو يرد على وعيدهم وتهديدهم بالرفض التام لما يبغون، والبغض السافر لما يريدونه منه، ثم يكل الأمور كلها إلى الله، مظهرا الاعتماد عليه وحده، ثم يتوجه إليه- سبحانه-

بالدعاء متلمسا منه أن يفصل بينه وبين قومه بالحق الذي مضت به سنته في التنازع بين المرسلين والكافرين، وبين سائر المحقين والمبطلين.⁽¹⁾

المطلب الرابع: ادعاؤهم عدم فهم كلامه وأنه فيهم ضعيف.

بعد أن دعاهم نبيهم شعيب - عليه السلام - وأقام عليهم الحجة وبان للقوم وضوح الحق انتقلوا إلى التهديد، فقالوا: - كما حكى الله عنهم- ﴿قَالُوا يَسْعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَنَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: 91] ، وليس المراد عدم فهم كلامه لأن شعيبا - عليه السلام - كان مقوياً فصحيحاً؛ فالمعني: إنك تقول ما لا تصدق به، وهذا مقدمة لإدانته واستحقاقه الذم والعقاب عندهم في قولهم: (ولولا رهطك لرجمناك)، ولذلك عطفوا عليه (ولأنه لراك فيما ضعيفاً) أي وإنك فيما ضعيف، أي غير ذي قوة ولا منعة، فالمراد الضعف عن المدافعة إذا راموا أذاه، وذلك مما يرى لأنه ترى دلائله وسماته، وعطفوا على هذا قولهم: (ولولا رهطك لرجمناك) وهو المقصود مما مهد إليه من المقدمات، أي لا يصدنا عن رجمك شيء إلا مكان رهطك فيما، لأنك أوجبت رجمك بطعنك في ديننا، والرجم: القتل بالحجارة رميها، وهو قتلة حقاره وخزي. وفيه دلالة على أن حكم من يخلع دينه الرجم في عوائدهم.

وجملة: (وما أنت علينا بعزيز) مؤكدة لمضمون (ولولا رهطك لرجمناك) لأنه إذا انتفى كونه قوياً في نفوسهم تعين أن كفهم عن رجمه مع استحقاقه إياه في اعتقادهم ما كان إلا لأجل إكرامهم رهطه لا للخوف منهم.

(وما أنت علينا بعزيز) أي أنك لا يعجزنا قتلك ولا يشتد على نفوسنا، أي لأنك هين علينا ومحقر عندنا وليس لك من ينصرك منا.⁽²⁾

وقد رد عليهم بقوله: ﴿قَالَ يَقُولُمْ أَرْهَطْيَ أَعْزُ عَلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَأَنْخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [هود: 92]، والاستفهام إنكار أي: الله أعز من رهطي، وهو كنایة عن اعترافه بالله لا برهطه فلا يريمه عدم عزة رهطه عليهم، وهذا تهديد لهم بأن الله ناصره لأنه أرسله فعزته بعزة مرسله.

(1) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (5/326 وما بعدها)

(2) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (12/148 وما بعدها)

والظاهري- بكسر الظاء- نسبة إلى الظهر على غير قياس، والمراد بالظاهري الكناية عن النسيان، أو الاستعارة لأن الشيء الم موضوع بالوراء ينسى لقلة مشاهدته، فهو يشبه الشيء المجنول خلف الظهر في ذلك، فوق ظهريا حالاً مؤكدة للظرف في قوله: وراءكم إغراقا في معنى النسيان لأنهم اشتغلوا بالأصنام عن معرفة الله أو عن ملاحظة صفاته.

وقوله: (إن ربي بما تعلمون محيط) تعریض بالتهديد، وأن الله يوشك أن يعاقبهم على ما علمه من أعمالهم.⁽¹⁾

ثم قال لهم مهدا ومرهبا إياهم من عذاب الله: ﴿وَيَقُولُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِيلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعْكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: 93]، أي: (اعملوا ما شئتم وأنا سأعمل ما شئت فإنكم بعد ذلك سوف تعلمون من من الذي ينزل به عذاب يخزيه ويفضحه ويهينه، ومن من الذي هو كاذب في قوله وعمله، وارتقبوا عاقبة تكذيبكم للحق إنني معكم رقيب أي: إنني معكم منتظرا ومراقب لما يفعله الله- تعالى- بكم).

وبذلك نرى شعيبا- عليه السلام- في هاتين الآيتين، قد استعمل مع قومه أسلوبا آخر في المخاطبة، يمتاز بالشدة عليهم والتهديد لهم، لا غضبا لنفسه، وإنما لأجل حرمات الله- تعالى-، والدفاع عن دينه.

ولم يطل انتظار شعيب- عليه السلام- ومراقبته لما يحدث لقومه، بل جاء عقاب الله- تعالى- لهم بسرعة وحسم، بعد أن لجوا في طغيانهم، وقد ذكر- سبحانه- ذلك فقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شَعِيبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَبِرَحْمَةِ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيْرِهِمْ جَاثِمِينَ كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعْدَتْ ثَمُودًا﴾ [هود: 94-95]⁽²⁾

(1) ينظر المرجع السابق (12/152 وما بعدها)

(2) ينظر المرجع السابق (7/264)

المبحث الثالث / الحوار

استعمل نبي الله شعيب - عليه السلام - أسلوب الحوار مع قومه، ليبين لهم مراد الله تعالى منهم، بعبادته وحده لا شريك له وترك ما هم عليه من غش وإفساد في الأرض، محذرا إياهم من غضب الله وعقابه.

ويشتمل على مطابقين:

المطلب الأول: أهم نقاط الحوار في دعوة شعيب - عليه السلام-

المطلب الثاني: التعقيب على الحوار.

المطلب الأول: أهم نقاط الحوار في دعوة شعيب - عليه السلام-

1- ابتدأ نبي الله شعيب - عليه السلام - حواره مع قومه بأن دعاهم إلى توحيد الله شأن جميع الرسل قبله، وقد عرف قومه بأصحاب الأيكة إشارة إلى معبودهم من دون الله عزوجل، فقال: ﴿يَقُولُونَ أَعْبُدُوْا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 85] وهذا ما يعرف في الحوار بالبداء بالقضايا الكبرى قبل الصغرى- كما سبق بيانه-.

2- وبعد أن أمرهم بالتوجه نهادهم عن الإفساد في المعاملات التجارية، فنهاهم عن التطفيف في الكيل والميزان الذي كان متفشياً فيهم فقال- كما حكى القرآن عنه: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ وَيَا قَوْمَ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: 84-85]

3- ثم أراد شعيب - عليه السلام - تحريك مشاعر الإيمان في قلوبهم فقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 85] فهو يشير إلى أن الإيمان بالله والإصلاح في الأرض يجلب لأهله خيري الدنيا والآخرة، وهذا ترقيق لقلوبهم وترغيب لهم في الاستجابة لأمر الله وطاعة رسولهم.

4- ثم بين لهم أن الذي دعاهم إلى أمرهم ونهيهم حرصه على هدايتهم ونجاتهم من عذاب الله، فقال: ﴿إِنِّي أَرْنَتُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: 84]

5- فماذا كان رد قومه عليه؟ قالوا له متعجبين متهمين: ﴿قَالُوا يَسْعَى بِأَصْلَوْتَكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أُمُوْلَنَا مَا نَشَوْا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: 87]، وقولهم: «إنك لأنك الحليم الشديد» زيادة منهم في السخرية منه. عليه السلام- وكأنهم يعرضون في الكلام بأن الوصف اللائق بك أصاددهما، أي السفة والعجلة في الأمور، وهذا من سوء أدبهم مع نبيهم.

6- فرد عليهم شعيب بأدب الأنبياء قائلاً: ﴿قَالَ يَقُولُ أَرَعِيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رِّبِّيْ وَرَزَقَنِيْ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِلْاصَالَحَ مَا أُسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88] فأنا رسول من الله أنعم الله علي بنعمة النبوة وكلوني بمهمة البلاغ، ثم قال لهم بنبرة الصادق الأمين: أنا رسول الله إليكم يطابق قولي فعلى، وما أريد بما أنصحكم به إلا إصلاح ما أفسدتموه قبل البوار والخسران، ثم يفوض الأمور إلى الله- تعالى- فيقول: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]، فرد شبهتهم وتهكمهم عليه ببيان الحق الذي جاءهم به ، وتطمينهم أنه قدوة لهم لن يأمرهم بشيء ويفعله ، وأنه معتمد على الله في كل أموره فهو خير معين.

7- ثم انتقل شعيب - عليه السلام - إلى نهיהם عن الصد عن سبيل الله، وإرهاب من آمن به وتخويفه، فقال: ﴿وَلَا تَقْعُدُوْا بِكُلِّ صِرَاطٍ ثُوِعَدُوْنَ وَتَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءاْمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوْجَاجًا وَأَذْكُرُوْا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَأَنْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِيْنَ﴾ [الأعراف: 86] ، أي: ولا تقعدوا بكل طريق تهددون من آمن بالله ورسوله بتخويفه بالأذى والخسران، وتلقون عليهم الشبه والتهم بادعائكم أنني كذاب، أو أن اتباعكم لي سيكون طريقا للبوار والكساد في أموالكم، أي: إذا منعتم الخير عن أنفسكم فلا

تمنعه عن غيركم بصدكم عن سبيل الله، وذكرهم بنعمة الله عليهم بأن يتذكروا عندما كانوا قليلاً العدد فكثرهم الله وكانوا في قلة من الأموال فرزقهم وسع عليهم، فمن الواجب عليكم أن تشكروه على هذه النعم، وأن تفردوه بالعبادة والطاعة.

8- ثم اتبع هذا التذكير بالنعم بالترهيب من عواقب الإفساد فقال: وانظروا نظر تأمل واعتبار كيف كانت عاقبة المفسدين من الأمم الخالية، فقال: ﴿وَيَقُولُ لَا يَجِدُ مِنْكُمْ شِقَاقيَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمًا نُوحَ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ يَبْعَدُ﴾ [هود: 89]

9- وبعد الترهيب يأتي الترغيب فذكرهم برحمة الله الذي يتوب على من تاب فدعاهم إلى الاستغفار والتوبة قائلاً: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُبُوْا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: 90]

10- وهذا نجد شعيباً عليه السلام - وهو خطيب الأنبياء - ينوع لقومه في أساليب النصح والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ولكن القوم كانوا مستعينين معاندين، فقد ردوا على هذه النصائح بقولهم: ﴿قَالُوا يَشْعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَيْكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: 91]، والمقصود من كلامهم الاستهانة به وبدعوته - عليه السلام -، والصدود عنه، وتلويعهم بإيدائه بقولهم: (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا) ، ولو لا عشيرتك التي هي على ملتنا وشرىعتنا لرجمناك بالحجارة حتى الموت، وما أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ بل أنت فينا مكروه ضعيف!!

لقد سيطر الكبر والعناد على عقلية هؤلاء القوم، وغلاطة طباعهم دفعتهم لسوء الأدب مع نبيهم الكريم.

11- ولما رأى شعيباً عليه السلام - أن اللين لا يجدي مع هذه الغطرسة انتقل إلى الشدة، والإنكار عليهم بسبب مقاييسهم الزائفة وأوضاعهم المقلوبة فقال: (قَالَ يَقُولُمْ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَنْخَذْتُمُوهُ وَرَأَءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا

تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ [هود: 92]، يا قوم أتقيمون لعشيرتي وزنا وتعملون لهم حسابا فلا تؤذوني ولا تخافون الله، الذي جعلتم أوامره ونواهيه وراء ظهوركم بسبب كفركم وطغيانكم؟ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ، وسيجازيكم عليها بما تستحقون من عذاب مهين.

12- وفي سورة الأعراف هددوا نبيه وأتباعه بالنفي أو العودة إلى ملة الكفر التي كانوا عليها فقالوا: **﴿لَئِنْخَرِجَنَّكَ يَسْعَيْنُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِيتَنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾** [الأعراف: 88]، ووعيدهم هذا بدلا من مقابلة الكلمة بالكلمة والحجة بالحجة قابلوا قوة البيان من شعيب بالتهديد والوعيد فقالوا بغلظة واستعلاء: إما النفي لك ولاتبعاك، وإما العودة إلى ملتنا!! قال لهم شعيب بعزة المؤمن الواثق بربه مستنكرا وعيدهم: **﴿قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾** [الأعراف: 88] أتجبروننا على العودة إلى ملتكم حتى ولو كنا كارهين لها، لاعتقادنا ببطلانها، ثم قالوها لهم بكل قوة وصراحة راضا وعيدهم: **﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عَدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسَعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾** [الأعراف: 89]، فنحن موقنون بأن ملتكم باطلة وملتنا هي الحق والموقن بالحق لا يتزحزح عنه ولا يتغير موقفه، وأما وعيدهم فلن يرهبنا لأننا على الله وحده متوكلون، فهو الذي يكفينا شركم ووعيدهم، ربنا افتح بحكمك بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين.

وفي هذا بيان للمغرورين المستكبرين من قومه أن المعركة بينهم وبين الله، وإنما هو عبد الله يتوكل على مولاه وهو كافيه شرهم وكيدهم، قوله هذا - عليه السلام- إعراض عن الحوار معهم ومجادلتهم بعد أن تبين له عنادهم وأن الحوار معهم صار عقيما لا يجدي نفعا، وهذا من حكمته - عليه السلام- في مواجهته للملا المستكبرين من قومه.

13- ثم زاد في توبتهم وتهديدهم فقال **﴿وَيَقُولُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِتِكُمْ إِنِّي عَمِيلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَآرَاقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾** [هود: 93] اعملوا كل ما في وسعكم وقدرتكم أن تعملوه معي عمله

معي، فإن ذلك لن يخيفني أو يرهبني، وسوف تعلمون من من الذي ينزل به عذاب يخزيه ويهينه، ومن من كاذب في قوله وعمله، وَارْتَقُبُوا عاقبتكم إِنّي مَعَكُمْ مِرَاقبُ لِمَا يفْعَلُهُ اللَّهُ - تعالى - بِكُمْ.

وبذلك نرى شعيباً عليه السلام قد استعمل مع قومه أسلوباً آخر في الحوار، وهو أسلوب الشدة عليهم والتهديد لهم، حيث لا يجدي اللين ولا الموعظة الهدائة شيئاً.

14- وبعد هذه المحاورات والمجادلات التي دارت بين شعيب وقومه، جاءت الخاتمة التي حكها القرآن في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتُهُمُ الْرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوْا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِيْنَ﴾ [الأعراف: 91]

المطلب الثاني: التعقيب على الحوار:

نلاحظ في حوار النبي الله شعيب مع قومه عدة أمور:

1- موضوع الحوار: القضية الكبرى والأساسية التي أرسل بها جميع الأنبياء قبله: الدعوة إلى التوحيد، وترك الشرك.

2- كان قوم شعيب مفسدون في المعاملات التجارية بالغش والتطفيف في المكافيل والموازين فنبههم شعيب عليه السلام على خطورة ما يفعلون وأن مآلهم خراب وكсад للاقتصاد والتجارة.

3- تميز حوار شعيب - عليه السلام - بالموضوعية وقوة الحجة والبيان.

4- تكرار شعيب - عليه السلام - النداء على قومه (يا قوم) رغبة في تهيئة قلوبهم لقبول ما يدعوههم إليه.

5- صبر شعيب - عليه السلام - وسعة صدره وحمله في الرد على سفاهات قومه وتهكمهم عليه وانشغل به ببيان مهمته التي أرسل من أجلها وهذا درس مهم للدعاة في كل زمان ومكان.

6- دعاهم إلى الاعتبار بالأمم قبلهم، وهذا شيء حسي يعلمونه غير خاف عنهم.

7- رغبهم في الاستغفار والتوبة إلى رب الرحيم الودود الذي يتوب على من تاب من عباده.

8- تميز الحوار أيضاً بإبراز شعيب لقوة إيمان الداعية بربه وتكلمه عليه وإبراز الحق وقوته بإظهار التحدي لهم ولقوتهم الموهومة بجانب قوة الله الذي لا يعجزه شيء.

9- التوقف عن المجادلة عندما يتحول الحوار إلى حوار عقيم، وفيه ما فيه من التهكم والازدراء.

10- عزة الداعية وثقته بربه حينما رد عليهم متوعداً إياهم بوقوع العذاب في مقابل تهديدهم إياه بالنفي تارة وترجمه حتى الموت تارة.

الفصل الثالث

المنهج الحسني في دعوة

شعيب -عليه السلام-

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ البينة التي جاء بها قومه.

المبحث الثاني/ القدوة العملية.

المبحث الثالث/ الاعتبار بالسابقين.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة شعيب - عليه السلام

وقد استخدم نبي الله شعيب - عليه السلام - هذا المنهج في الدعوة إلى الله مع قومه في عدة صور، يستعرضها الباحث من خلال ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ البينة التي جاء بها قومه.

المبحث الثاني/ القدوة العملية.

المبحث الثالث/ الاعتبار بالسابقين.

المبحث الأول/ البينة التي جاء بها قومه

قال نبي الله شعيب - عليه السلام – لقومه: ﴿قَدْ جَاءَتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾

[الأعراف: 85]

فما هي هذه البينة؟

لعلماء التفسير قولان:

الأول: أنها معجزة قامت بها الحجة عليهم لم يذكرها القرآن الكريم، كما أنه لم يذكر معجزة هود ونوح عليهم السلام، وأنه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه، وإلا لم تصح دعواه. ⁽¹⁾

الثاني: أن المراد بالبينة حجة أقامها على بطلان ما هم عليه من الشرك وسوء الفعل، وعجزوا عن مجادلته فيها، فقادمت عليهم الحجة مثل المجادلة التي حكى في سورة هود فتكون البينة أطاحت على ما يبين صدق الداعي، لا على خصوص خارق العادة، أو أن يكون أراد بالبينة ما أشار إليه بقوله: ﴿فَأَصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بِيَقِنَّاتٍ﴾ [الأعراف: 87] أي يكون أنذرهم بعذاب يحل بهم إن لم يؤمنوا، كما قال في

(1) يراجع في هذا تفسير الزمخشري (2/127)، وتفسير الرازمي مفاتيح الغيب (14/313)، وتفسير الألوسي روح المعاني (4/413) بتحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ

الآلية الأخرى ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّدِيقِينَ﴾ [الشعراء: ١]

(1) [187]

الترجمة:

يرى الباحث أن الراجح هو القول الأول، وهو أن النبي الله شعيب -عليه السلام- معجزة لم يذكرها القرآن وإنما جاءت الإشارة إليها فقط، لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتته وحيًا أو حاه الله إلى، فأرجو أن أكثرهم تابعاً يوم القيمة)⁽²⁾ وهذه صيغة عموم مقتضاها وجود معجزة لكل رسول وإن لم يذكرها القرآن الكريم، كما مر بنا في قصة هود-عليه السلام-

المبحث الثاني/ القدوة العملية

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف معنى القدوة.

المطلب الثاني: شعيب قدوة لقومه.

المطلب الأول: تعريف معنى القدوة:

القدوة لغة: من القدو وهو: أصل البناء الذي ينشعب منه تصريف الاقداء، والقدوة أيضاً: التقدم، ويقال فلان قدوة إذا كان يقتدى به، ويقال: فلان لا يقاديه أحد ولا يماديه ولا يباريه ولا يجاريه، وذلك إذا برز في الخلال كلها، وتقدت به دابته: لزمت سنن الطريق، وتقدى هو عليها.⁽³⁾

ومن هنا نخلص إلى أن القدوة تطلق ويراد بها الاقداء، ويعبر عنه بالأصل، فهو أصل يُهتدى به، والشخص القدوة إمام يتقدم غيره ليقتدي به.

(1) يراجع في هذا القول تفسير التحرير والتنوير (241/8ب)

(2) سبق تخرجه ص (200)

(3) ينظر لسان العرب مادة قد (5/3556) والمجمع الوسيط (720)

وأصطلاحاً: القدوة هي: "الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً، وإن ساراً وإن ضاراً" ⁽¹⁾

المطلب الثاني: شعيب قدوة لقومه.

لما دعا شعيب - عليه السلام - قومه تهكموا عليه وأنكروا ما جاءهم به فرد عليهم قائلاً: ﴿قَالَ يَقُولُمْ أَرَعَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّنْ رَّبِّيْ وَرَزَقَنِيْ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا أُلْإِصْلَاحَ مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]، فقوله (ومَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ) معناه أنه سيكون إمامهم وقدوتهم في كل ما جاءهم به، فيكون أول من ينتهي عما نهاهم عنه، ولا يليق به وهونبي مرسل أن يأمرهم بشيء ثم يتركه أو ينهاهم عن شيء ثم يفعله، وهذا أمر حسي يشاهدون ويعاينونه بأبصارهم من نبيهم شعيب ومعرفتهم بأحواله ومخالطتهم له، ولأنه بشر قد يعتريه ما يعتري البشر ربط الأمر بالاستطاعة وتوفيق الله له، فهو متوكلاً عليه منيب إليه - سبحانه وتعالى -

أهمية القدوة الحسنة للداعية:

إن نبي الله شعيب هنا يضرب المثل للدعاة جمِيعاً بأن الداعية يجب أن يكون قدوة للناس جميعاً فهو محل أنظار الناس، فالقدوة (من الوسائل المهمة جداً في تبليغ الدعوة إلى الله، وجذب الناس إلى الإسلام، وامتثال أوامرها، واجتناب نواهيه، القدوة الطيبة للداعي وأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزاكية مما يجعله أسوة حسنة لغيره، يكون بها أنموذجاً يقرأ فيه الناس معانى الإسلام فيقبلون عليها وينجذبون إليها، لأن التأثر بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثر بالكلام وحده).

إن الإسلام انتشر في كثير من بلاد الدنيا بالقدوة الطيبة للمسلمين؛ التي كانت تبهر أنظار غير المسلمين، وتحملهم على اعتناق الإسلام، فالقدوة الحسنة التي يتحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل بها سليم الفطرة راجح العقل من غير المسلمين على أن الإسلام حق من عند الله). ⁽²⁾

(1) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص (76)

(2) القدوة مبادئ ونماذج للدكتور صالح بن عبد الله بن حميد، ص (7) الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

المبحث الثالث/ الاعتبار بالسابقين

أراد نبي الله شعيب – عليه السلام- أن يذكر قومه بالأمم السابقة قبلهم قوم نوح، وعاد وثمود وقوم لوط، وأن يتبعوا بعاقبة من هلكوا وهذا أمر حسي يعرفونه جميراً وكانوا قريباً للعهد والمكان بقوم لوط، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ لَا يَجِدُ مِنْكُمْ شِقَاقٍ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ يَبْعَدُ﴾ [هود: 89]

والمعنى: لا تجر إليكم عداوتكم إياي إصابتكم بمثل ما أصاب قوم نوح إلى آخره، والمقصود بهم عن أن يجعلوا الشفاعة سبباً للإعراض عن النظر في دعوته، فيوقعوا أنفسهم في أن يصيبهم عذاب مثلكم ما أصاب الأمم قبلهم فيحسبوا أنهم يمكرون به بإعراضهم وما يمكرون إلا بأنفسهم.⁽¹⁾

فدعوا قومه أن يفكروا تفكيراً عaculaً واعياً، ليدركون سوء عاقبة إصرارهم على الكفر واستمرارهم في العناد مخالفة له وكراهيته لما جاء به، وأن مآل هذا كله أن يكونوا كالأمم السابقة الذين أهلكهم الله وصاروا أثراً بعد عين.

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير (146/12 وما بعدها)

الباب السادس

المناهج الدعوية في رسالته

موسى -عليه السلام-

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول / المنهج العاطفي.

الفصل الثاني / المنهج العقلي.

الفصل الثالث / المنهج المحسني.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة

موسى -عليه السلام-

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني: الترغيب.

المبحث الثالث: الترهيب.

المبحث الرابع: التذكير بنعم الله.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة موسى - عليه السلام -

ذكر القرآن الكريم الكثير من المواقف الدعوية والتربيوية في حياة نبي الله موسى - عليه السلام - سواء مع فرعون، أو مع بنى إسرائيل، وسنركز في هذا المبحث على المنهج العاطفي الذي استخدمه موسى - عليه السلام - في عدة مواقف من دعوته من خلال أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني: الترغيب.

المبحث الثالث: الترهيب.

المبحث الرابع: التذكير بنعم الله.

المبحث الأول: الرفق وإظهار العاطفة

وفي مطلبان:

المطلب الأول: الرفق واللين مع فرعون الطاغية.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم).

المطلب الأول: الرفق واللين مع فرعون الطاغية:

خاطب الله نبييه الكريمين موسى - عليه السلام - وهارون - عليهما السلام - حينما كلفهما بالذهاب إلى فرعون ليردّاه عن طغيانه فقال: ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ وَطَغَى فَقُولَا لَهُ وَقَوْلًا لَّيْسَنَا لَعَلَّهُ وَيَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: 43-44]، والقول اللين:

الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال، بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق ويميز به بين الحق والباطل مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجاهله.

ومن اللين في دعوة موسى - عليه السلام - لفرعون قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَى أَن تَزَّكَ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات: 18-19]، قوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه: 47] إذ المقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء لا إظهار العظمة وغلوظة القول بدون جدوى. ⁽¹⁾

وهذا التوجيه الرباني لنبيه الكريم موسى وهارون - عليهما السلام - هو توجيه للدعاة بعدهما في كل زمان ومكان وخاصة مع الطغاة والمتكبرين (فالقول الذين لا يثير العزة بالإثم ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة، ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان، اذهبا إليه غير يائسين من هدايته، راجبين أن يتذكر ويخشى، فالداعية الذي ييأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها حرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار). ⁽²⁾

المطلب الثاني: نداء على قومه (يا قوم).

وقد تكرر نداء موسى - عليه السلام - على قومه بقوله: (يا قوم) عدة مرات منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُمْ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيهِكُمْ أَثْيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَعَانَكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنْ أَعْلَمِنَ﴾ [المائدة: 20] ، قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُمْ لَمْ تُؤْذُنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: 5] ، قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُمْ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاِنْخَازِكُمُ الْعِجلَ فَتُوَبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: 54]

"وفي نداء موسى - عليه السلام - لهم بقوله: «يا قوم» تلطف في الخطاب ليجذب قلوبهم إلى سمعه، وليحملهم على تلقى أوامرها بحسن الطاعة، وليشعرهم بأنهم قومه فهو منهم وهم منه، والشأن فيمن كان كذلك ألا يكذب عليهم أو يخدعهم، وإنما يريد لهم الخير" ⁽³⁾

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير (16/225)

(2) تفسير الظلال لسيد قطب (4/2336)

(3) التفسير الوسيط لطنطاوي (1/131)

وفي هذا النداء أيضاً إظهار للرابطة القوية التي تصله بهم فهو ينصحهم نصيحة المحب الشقيق، الحرير على هداية قومه والأخذ بأيديهم إلى طريق الله الصحيح، وقد مر بنا مثل هذا في جميع إخوانه من الأنبياء الذين سبق ذكرهم.

المبحث الثاني/ الترغيب

كان لنبي الله موسى -عليه السلام- مواقف عدّة مع فرعون ثم سحرته وموافق مع قومه بني إسرائيل، سُلِكَ فيها أسلوب الترغيب.

وللوقوف على هذه المعنى يستعرض الباحث هذا الأسلوب من خلال

أربعة مطالب:

المطلب الأول: الترغيب في شكر نعم الله وأنه سبب المزيد.

المطلب الثاني: توبته إلى الله من القتل الخطأ.

المطلب الثالث: حث قومه على الاستعانة بالله والصبر على البلاء.

المطلب الرابع: حث قومه على الاستغفار والتوبة بعد عبادة العجل.

المطلب الأول: الترغيب في شكر نعم الله وأنه سبب المزيد

وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَا زِيَادَةَ كُمْ
وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]، والشكرا هو: (ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة، والشكرا مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكرا للمشكرا، وحبه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره؛ فهذه الخمسة هي أساس الشكرا، وبناؤه عليها، فمتى عدم منها واحدة اختلف من قواعد الشكرا قاعدة.)⁽¹⁾

(1) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، وآخرون. الناشر: دار عطاءات العلم بالرياض، دار ابن حزم بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م

فرغب النبي الله موسى - عليه السلام - قومه ببني إسرائيل في شكر الله على نعمه وأن ذلك سبب المزید، والمعنى: (لئن شكرتم ربكم، بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، (لأزيدنكم) في أياديه عندكم ونعمه عليكم، على ما قد أعطاكم من النجاة من آل فرعون والخلاص من عذابهم) ⁽¹⁾

فالشكر لله على نعمه هو إقرار له تبارك وتعالى بالخصوص والإجلال، ونسبة الفضل إليه وحده فهو المنعم على عباده تقضلاً، وتعظيم الله في قلوب الخلق بنسبة الفضل إليه وحده لا لغيره، واستعمال النعمة فيما لا معصية فيه كله مؤذن بالمزيد من الله الكريم الوهاب.

المطلب الثاني: توبته إلى الله من القتل الخطأ:

في يوم من الأيام، دخل موسى - عليه السلام - المدينة التي يسكنها فرعون وقومه فوجد فيها رجلى يتنازعان في أمر هذا من بني إسرائيل، وهذا من عدوه أي: من القبط، فاستغاثة الإسرائيلى لينصره على الرجل القبطي، فوكزه موسى فقتله، وهو لا يريد قتله، وإنما كان يريد دفعه ومنعه من ظلم الرجل الإسرائيلى، ولكن موسى - عليه السلام - بعد أن رأى القبطي جثة هامدة، استرجع وندم، وقال: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ وَعَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ قَالَ رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قَالَ رَبِّي بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: 17-15]، أي: قال موسى - عليه السلام -: "هذا الذي فعلته وهو قتل القبطي، من عمل الشيطان ومن وسوسته. ومن تزيينه إنه أي: الشيطان عدو للإنسان مضل له عن طريق الحق مبين أي: ظاهر العداوة والإضلal، ثم أضاف إلى هذا الندم والاسترجاع، ندما واستغفارا آخر فقال: (رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي، فغفر له)، أي: قال موسى بعد قتله القبطي بدون قصد - مكررا الندم والاستغفار: يا رب إني ظلمت نفسي، بتلك الضربة التي ترتب عليها الموت، فاغفر لي ذنبي، فغفر الله تعالى - له ذنبه، إنه - سبحانه - هو الغفور الرحيم، ثم أكد موسى للمرة الثالثة، توبته إلى ربه، وشكره إياه على نعمه، فقال: "رب بما أنعمت علي فلن أكون ظاهرا للمجرمين" ⁽²⁾)

(1) تفسير ابن جرير الطبرى (16/526)

(2) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (10/388)

وإقرار موسى -عليه السلام- بخطئه واستغفاره من هذا الذنب وتعهده لله عز وجل ألا يكون معاوناً للمجرمين هو تعليم للدعاة إلى الله بعده، وأن الدعاة إلى الله أسرع الناس ندماً إذا بدر منهم خطأ وأحوجهم للاستغفار وتجديد التوبة إلى الله، وأن يبقى نصيراً للحق وليس ظهيراً للمجرمين.

المطلب الثالث: حث قومه على الاستعانة بالله والصبر على البلاء.

وقد ورد هذا في مواضعين من القرآن الكريم :

الموضع الأول : عندما انخذل فرعون وآمن السحرة الذين جاء بهم لنصرته فأمنوا جميعا ؛ قال الملا من قوم فرعون موسوسين له: أتترك موسى - عليه السلام- وقومه أحراراً آمنين ليفسدوا في الأرض تاركين عبادتك وعبادة الالهات؟، قال فرعون : ﴿ سَيُقْتَلُ أَبْنَاءُهُمْ وَنَسَاءُهُمْ وَإِنَّا فَوْقُهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [الأعراف: 127]، وهذا فزع بنو إسرائيل أن يعاود فرعون قتل أبنائهم ، فطمأنهم موسى - عليه السلام- قائلاً : ﴿ أَسْتَعِينُو بِاللَّهِ وَأَصْبِرُو أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: 128]، وقد أراد النبي الله موسى - عليه السلام- طمأنة قومه، فرغبهم في الاستعانة بالله والصبر على هذا الأذى، والتقليل من وعيid فرعون و هيمنته "إنها رؤية «النبي» لحقيقة الالوهية وإشراقتها في قلبه، ولحقيقة الواقع الكوني والقوى التي تعمل فيه، ولحقيقة السنة الإلهية وما يرجوه منها الصابرون.. إنه ليس لأصحاب الدعوة إلى رب العالمين إلا ملاذ واحد، وهو الملاذ الحصين الأمين، وإلا ولی واحد وهو الولي القوي المتنين، وعليهم أن يصبروا حتى يأذن الولي بالنصرة في الوقت الذي يقدر به حكمته وعلمه، وألا يعجلوا، فهم لا يطلعون الغيب، ولا يعلمون الخير.. وإن الأرض لله، وما فرعون وقومه إلا نزلاء فيها، والله يورثها من يشاء من عباده- وفق سنته وحكمته- . " (1)

وقوله: (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده) هو ترغيب لقومه أن تتعلق قلوبهم بالله وحده فهو مالك الملك يؤتى به من يشاء ، وينزعه عنمن يشاء ، وفيه أيضا: "كنية عن ترقب زوال استعباد فرعون إياهم، قصد منها صرف اليأس عن أنفسهم الناشئ عن مشاهدة قوة فرعون وسلطانه، بأن الله الذي خوله

(1) تفسير الظلال (3/1355)

ذلك السلطان قادر على نزعه منه لأن ملك الأرض كلها الله فهو الذي يقدر لمن يشاء ملك شيء منها وهو الذي يقدر نزعه."⁽¹⁾

الموضع الثاني : في سورة يونس رغبهم موسى - عليه السلام- في أن يفوضوا أمرهم إلى الله فإن من تمام الإيمان بالله حسن التوكل عليه، والاستعانة به على فرعون وإيذائه لهم فقال لهم : ﴿يَقُولُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكُّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 84] ، ومعنى كلامه - عليه السلام - "إن كنتم آمنتم بالله وصدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فإليه أنسدوا أمركم في العصمة من فرعون، ثم شرط في التوكل الإسلام، وهو أن يسلموا نفوسهم لله، أي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها، لأن التوكل لا يكون مع التخليلط."⁽²⁾

وقد استجاب القوم لدعوة نبيهم ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: 85-86]

وسارع بنو إسرائيل قائلين: على الله وحده اتكلنا وهو عmadنا، ثم دعوا الله: (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ الظَّالِمِينَ) وهذا "الدعاء بـألا يجعلهم الله فتنـةـ لـلـقـومـ الـظـالـمـينـ" مقصود به ألا يمكن القوم الظالمين منهم، فيظن القوم أن تمكـنـهـمـ منـ المؤـمنـينـ بالـلـهـ دـلـيـلـ علىـ أنـ عـقـيدـتـهـ هـمـ أـصـحـ ولـذـلـكـ اـنـتـصـرـوـاـ وـهـزـمـ المـؤـمـنـونـ!ـ ويـكـونـ هـذـاـ اـسـتـدـرـاجـاـ لـهـمـ مـنـ اللـهـ وـفـتـنـةـ لـيـلـجـوـاـ فـيـ ضـلـالـهـمـ،ـ فـالـمـؤـمـنـونـ يـدـعـونـ اللـهـ أـنـ يـعـصـمـهـمـ مـنـ تـسـلـطـ الـظـالـمـينـ عـلـيـهـمـ وـلـوـ لـاستـدـرـاجـ الـظـالـمـينـ.

والآية الثانية أصرح في النتيجة المطلوبة: (وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)، ودعـاؤـهـ اللـهـ أـلـاـ يـجـعـلـهـ فـتـنـةـ لـلـقـومـ الـظـالـمـينـ،ـ وـأـنـ يـنجـيـهـ بـرـحـمـتـهـ مـنـ القـومـ الـكـافـرـينـ،ـ لـاـ يـنـافـيـ الـاتـكـالـ عـلـىـ اللـهـ وـالـتـقـوـيـ بـهـ،ـ بـلـ هوـ أـدـلـ عـلـىـ التـوـجـهـ بـالـاتـكـالـ وـالـاعـتـمـادـ إـلـىـ اللـهـ،ـ وـالـمـؤـمـنـ لـاـ يـتـمـنـىـ الـبـلـاءـ،ـ وـلـكـ يـثـبـتـ عـنـ اللـقاءـ."⁽³⁾

(1) تفسير التحرير والتنوير (9/60)

(2) تفسير الزمخشري (2/364)

(3) تفسير الظلال (3/1816)

المطلب الرابع: حث قومه على الاستغفار والتوبة بعد عبادة العجل:

عندما ذهب نبي الله موسى -عليه السلام- إلى جبل الطور لم يقات ربه، وفي أثناء ذلك زين السامرئي لبني إسرائيل عبادة العجل من دون الله، وأطلع الله موسى -عليه السلام- بما فعل قوله فرجع غضبانأسفا، وعمد إلى العجل الذي عبده فأحرقه بالنار ورمى رماده في البحر، ثم توجه نحو بني إسرائيل وأخبرهم أن الله تبارك وتعالى هو الإله الذي يستحق العبادة وحده الذي لا إله غيره فقال لهم: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمْ أَلَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسَعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: 98] ، ثم بين النبي الله موسى -عليه السلام- لقومه أن الله يأمرهم بقتل أنفسهم فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُمْ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِأَنْتَخَذْتُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيْكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِيلُكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيْكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ وَهُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 54]، والمعنى: أن موسى -عليه السلام- قال لقومه: يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم وهبطتم بها إلى الحضيض بعبادتكم غير الله- تعالى- فإذا أردتم التكfir عن خطاياكم فتوبوا إلى ربكم توبة صادقة نصوها، واقتلو أنفسكم لتتالوا عفو ربكم، فذلكم خير لكم عند خالقكم من الإقامة على المعصية، ففعلتم ذلك فقبل الله توبتكم لأنه هو الذي يقبل التوبة عن عباده على كثرة ما يصدر عنهم من ذنب لأنه هو الواسع الرحمة لمن ين Hibb إلـيـه ويستقيم على صراطـه الواضحـ.

وقوله تعالى: (فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ) أمر من موسى -عليه السلام- لهم بقتلهم أنفسهم حتى تكون توبتهم مقبولة، وهذا الأمر بلغه موسى -عليه السلام- إياهم عن ربه، إذ مثل هذا الأمر لا يصدر إلا عن وحي لأنه تشريع من الله- تعالى-.

والمراد بقتلهم أنفسهم أن يقتل من لم يعبد العجل منهم عابديه، فيكون المعنى: ليقتل بعضكم ببعض، وقد ورد أنهم فعلوا ذلك، وأن الله- تعالى- رفع عنهم القتل وعفا عن بقى منهم على قيد الحياة كرما منه وفضلا، وهذا هو معنى التوبة في قوله تعالى «فتـاب عـلـيـكـم»، ومعنى العـفو في قوله تعالى: في الآية السابقة: (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِيلَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ⁽¹⁾

(1) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (1/134)

ولكن ما الحكم من هذه العقوبة القاسية على عابدي العجل؟

لقد وقع العصاة من بني إسرائيل في ذنب هو من أعظم الذنوب عند الله وهو الشرك بالله وعبادة العجل من دون الله، فكانت هذه العقوبة تطهيراً من الله لهم عما وقعوا فيه من إثم، وردعاً عن العودة لمثلها أبداً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخْذُوا الْعِجْلَ سَيِّئَالْهُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَّلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَأَمْنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: 152-153]

لقد كانت هذه العقوبة "تربيـة لتلك الطبيعة المنهارة الخوارة، التي لا تتماسـك عن شـر، ولا تـناهـى عن نـكـر. ولو تـناهـوا عن المـنـكـر في غـيـة نـبـيـهم ما عـبـدوا العـجـل. وإنـ لم يـتـناهـوا بـالـكـلام فـلـيـتـناهـوا بـالـحـسـام وـلـيـؤـدـوا الضـرـبـيـة الفـادـحة التـقـيـلة التي تـنـفعـهم وـتـرـبـيـهم! وـهـنـا تـدـرـكـهـم رـحـمـة الله بـعـدـ التـطـهـير «فـتـابـ عـلـيـكـم إـنـهـ هـوـ التـوـابـ الرـحـيم»⁽¹⁾

المبحث الثالث/ الترهيب

كان لنبي الله موسى -عليه السلام- مواقف عدة منها ما كان مع فرعون فحضره من عذاب الله ثم موقفه مع سحرة فرعون حذره من الافتراء على الله كذباً، ويتناولها الباحث من خلال مطلبين:

المطلب الأول/ الترهيب من عذاب الله لمن كذب وتولى.

المطلب الثاني/ الترهيب من الافتراء على الله كذبا.

المطلب الأول/ الترهيب من عذاب الله لمن كذب وتولى:

أراد نبي الله موسى -عليه السلام- أن يحذر فرعون من عاقبة تكذيبه فيما يدعوه إليه فقال: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلََّ﴾ [طه: 48] أي:

(1) تفسير الظلال (1/72)

"قد أخبرنا الله فيما أوحاه إلينا من الوحي المعصوم أن العذاب متحمض لمن كذب
بآيات الله وتولى عن طاعته." (1)

وفي هذا ترهيب لفرعون من أن يكذب بالحق ويتوالى عنه أن العاقبة هي
الوقوع في عذاب الله.

المطلب الثاني/ الترهيب من الافتراء على الله كذبا:

لما حصلت المواجهة بين نبي الله موسى -عليه السلام- وسحرة فرعون قال لهم:
﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلٌ كُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِّتُكُمْ بِعَذَابٍ ۚ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طه: 61]، أي: قال موسى للسحرة عند اجتماعهم: الويل والهلاك لكم،
"لا تخيلوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقيقة لها، وأنها مخلوقة، وليس
مخلوقة، فتكونون قد كذبتم على الله، {فيسيحتكم بعذاب} أي: يهلككم بعقوبة هلاكا
لا بقية له." (2)

وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ أي: وقد خاب وخسر كل من قال على الله-
تعالى- قوله لا حقيقة له، وفرعون أول المبطلين المفترين الخاسرين،
فاحذروا أن تسيروا في ركابه، أو أن تطيعوا له أمرا، ويبدو أن هذه النصيحة
الصادقة المخلصة كان لها أثرها الطيب في نفوس بعض السحرة، بدليل قوله-
تعالى- بعد ذلك ﴿فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ وَأَسْرُوا أَنْجُوئِي﴾ [طه: 62] (3)

فمن باب الترهيب والتحذير مما هم مقبلين عليه من تأييد للباطل استعمل
موسى -عليه السلام- ألفاظا قاسية مثل: (ويلكم، فيسيحتكم بعذاب، وقد خاب من
افترى)، وهذه الألفاظ توافق المقام لإيقاظ قلوبهم الغافلة، ولردعهم عما هم مقبلين
عليه من تأييد الباطل، فالمعركة ليست مع موسى -عليه السلام- إنما مع الله رب
العالمين.

(1) تفسير ابن كثير (5/297)

(2) المرجع السابق (5/301)

(3) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (9/121)

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله

تضمنت قصة موسى -عليه السلام- في القرآن التذكير بنعم الله عز وجل وعظم منته على عباده يتناولها الباحث من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تذكير الله -عز وجل- عبده موسى بنعمه عليه.

المطلب الثاني: تذكير موسى لفرعون وقومه نعم الله عليهم.

المطلب الثالث: تذكير موسى لبني إسرائيل بنعم الله عليهم.

وسوف يستعرض الباحث مواضعها من كتاب الله عز وجل على النحو التالي:

المطلب الأول: تذكير الله -عز وجل- عبده موسى بنعمه عليه.

1- حفظ الله لموسى من الذبح على يد فرعون وجنوده:

هاجر يعقوب-عليه السلام- وبنيه إلى مصر بدعوة من ابنه يوسف-عليه السلام- الذي كان وزيراً للخزانة أبان حكم الهكسوس آنذاك، واستقروا فيها وأقاموا بها خير مقام ، وبعد طرد الهكسوس من مصر ، وتولى الفراعنة حكمها رأى فرعون أن بني إسرائيل كثروا وتمددوا ، فأحس الطاغية أن هناك خطراً على عرشه وملكه من وجود هذه الطائفة في مصر ولم يكن يستطيع أن يطرد هم منها وهم جماعة كبيرة أصبحت تعد بمئات الألوف حتى لا يجتمعوا مع أعدائه ضده ، وكانوا -من وجهة نظره - عوناً للنظام البائد ، وكان لهم عقيدة غير عقيدته الوثنية هو وقومه ، فبدأ باضطهادهم وإذلالهم بتسييرهم في الشاق الخطر من الأعمال، وكانوا يعاملون من الأقباط أهل مصر معاملة قاسية مع السخرة والإذلال ، وإنمعانا منه في الإذلال أراد تقليل نسلهم فكان يذبح أولادهم الذكور ، ويبيقى الإناث ، كي لا يتکاثر عدد الرجال فيهم، وبذلك يضعف قوتهم بنقص عدد الذكور وزيادة عدد الإناث، فوق ما يصبه عليهم من نكال وعذاب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيَّعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحِيءُ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ وَكَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 4]

ثم إن بطانة فرعون خافوا على انقراض نسلبني إسرائيل؛ وهم القائمين بالخدمة وأعمال السخرة؛ فأشاروا على فرعون بأن يذبحوا الأطفال الذكور عاماً ويتركونهم عاماً، وقد ولد هارون في العام الذي ليس فيه ذبح، أما موسى -عليه السلام- فقد ولد في العام الذي فيه ذبح.⁽¹⁾

وفي ظل هذه الظروف التاريخية القاسية كانت ولادة رسول الله وكليه موسى -عليه السلام- وقد امتن الله على نبيه موسى -عليه السلام- بحفظه له ورعايته عند ولادته قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْ أُمّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتَ عَلَيْهِ فَالْقِيَهُ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزِنِي إِنَّا رَآدُوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7]، وكان لفرعون أناس موكلون بذلك، (الإشارة هنا للذبح) وقوابيل يدرن على النساء، فمن رأينها قد حملت أحصوا اسمها، فإذا كان وقت ولادتها لا يقبلها إلا نساء القبط، فإذا ولدت المرأة جارية تركتها وذهبن، وإن ولدت غلاما دخل أولئك الذاحلون، بأيديهم الشفار المرهفة⁽²⁾، فقتلوه ومضوا قبهم الله.

فلما حملت أم موسى به، لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها، ولم تقطن لها الديايات، ولكن لما وضعته ذكرا ضاقت به ذرعاً، وخافت عليه خوفاً شديداً وأحبته جداً، وكان موسى -عليه السلام- لا يراه أحد إلا أحبه، فالسعيد من أحبه طبعاً وشرعاً، قال الله تعالى: ﴿وَالْقِيَتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِي﴾ [طه: 39] فلما ضاقت ذرعاً به ألمت في سرها، وألقي في خلدها، ونفت في روعها، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْ أُمّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتَ عَلَيْهِ فَالْقِيَهُ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزِنِي إِنَّا رَآدُوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7] وذلك أنه كانت دارها على حافة النيل، فاتخذت تابوتاً، ومهدت فيه مهداً، وجعلت ترضع ولدها، فإذا دخل عليها أحد من تخاف جعلته في ذلك التابوت، وسيرته في البحر، وربطته بحبل

(1) ينظر في هذا تفسير ابن كثير (6/221 وما بعدها)، وتفسير الظلال (5/2677)، والعبارة من قصة موسى -عليه السلام- للباحث محمد خيري عدوي ص (241) وما بعدها، وهو في الأصل رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الملك عبد العزيز كلية الشريعة والدراسات الإسلامية سنة 1979م، وكتاب دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند للدكتور محمد ضياء الأعظمي ص (71) وما بعدها، ط مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثانية 2003م

(2) الشفار جمع شفرة، وهي: ما عرض وحدد من الحديد كحد السيف والسكين. ينظر القاموس المحيط مادة "شفر" ص (418)، ومرهفة: من رهف السيف أي رقه. ينظر القاموس المحيط مادة "رهف" ص (815)، وعلى هذا يكون معنى الشفار المرهفة: السيف الحادة القاطعة.

عندما كان ذات يوم دخل عليها من تجافه، فذهبت فوضعته في ذلك التابوت، وأرسلته في البحر وذهلت عن أن تربطه، فذهب مع الماء واحتمله، حتى مر به على دار فرعون، فال نقطه الجواري فاحتمله، فذهب به إلى امرأة فرعون، ولا يدرى ما فيه، وخشي أن يفتتن عليها في فتحه دونها، فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحله وأبهاه، فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه، وذلك لسعادتها وما أراد الله من كرامتها وشقاوتها بعلها؛ ولهذا قال

﴿فَالْتَّقْطُهُ ءَالْفِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 8] ⁽¹⁾

2- رد الله موسى لأمه بعد أن حرم عليه المراضع:

لما التقى آل فرعون موسى الطفل الرضيع، وفرحت به امرأة فرعون، قالت لزوجها: ﴿قُرَّتْ عَيْنِ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُهُ عَسَى أَنْ يَنْقَعَنَا أَوْ نَتَخِذُهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 9] والتمسوا له المراضع فلم يقبل موسى على أي منها، كما قال تعالى : ﴿وَحَرَّمَنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلِ فَقَالَتْ هَلْ أَدْلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَّنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقْرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَخْرُنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 12-13] ، وقد قدر الله - سبحانه - ذلك ليكون سبباً إلى رجوعه إلى أمه، لترضعه وهي آمنة، بعدما كانت خائفة، فلما رأتهما أخته حائرتين فيمن يرضعه قالت: (هل أدلكم على أهل بيتك ليفلوكنكم وهم له ناصحون) فلما قالت لهم ذلك (ذهبوا معها إلى منزلهم، فدخلوا به على أمه، فأعطته ثديها فالتقى، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً، وذهب البشير إلى امرأة الملك، فاستدعت أم موسى ، وأحسنت إليها، وأعطيتها عطاء جزيلاً وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة، ولكن لكونه وافق ثديها، ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضنه، فأبانت عليها وقالت: إن لي بعلا وأولاداً، ولا أقدر على المقام عندك، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت، فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك، وأجرت عليها النفقه والصلات والكساوي والإحسان الجليل، فرجعت أم موسى

(1) تفسير ابن كثير (6/221 وما بعدها)

بولدتها راضية مرضية، قد أبدلها الله من بعد خوفها أمنا، في عز وجله ورزق دار⁽¹⁾.

و هكذا عظمت منة الله وفضله على عبده موسى -عليه السلام-. فحفظه في الصغر وأعاده إلى أمه لم يمسسه سوءاً من فرعون وجنده، وقد ذكر الله نبيه موسى -عليه السلام-. بمنته عليه بعد أن كلفه بالرسالة فقال له: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا
عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾^{٣٧} إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى^{٣٨} أَنِ اقْدِفْهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفْهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوُّ لِي وَعَدُوُّهُ وَالْقَيْمُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي
وَلَتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي^{٣٩} إِذْ تَمْشِي أَخْثُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى مَنْ يَكُفُلُهُ
فَرَجَعْنَاكَ إِلَيْكَ أَمِّكَ كَيْ تَقْرَرَ عَيْنُهَا وَلَا تَخْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْقَمَ وَفَتَنَّاكَ
فَتُنَوَّنا فَلَبِثْتَ سِينِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ چَسَّ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى^{٤٠} وَاصْطَنَعْتَكَ
لِنَفْسِي^{٤١}﴾ [طه: 41-37]

المطلب الثاني: تذكير موسى لفرعون وقومه نعم الله عليهم:

لما دخل موسى وهارون -عليهما السلام-. على فرعون لدعوته لعبادة الله الواحد الأحد، وإرسالبني إسرائيل توجه فرعون إليهما بسؤال: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوِسِي﴾ [طه: 49]، من ربكم الذي أرسلكم فإني لا أعرفه؟

قال له موسى -عليه السلام-: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَثُمَّ هَدَى﴾ [طه: 50] أي أعطى خليقه كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به، أو أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به، فذكره بنعمة الله الذي خلق الخلق من العدم وهياهم لما خلقوا إليه وهدى فطرتهم ثم هداه إلى منكره، ومطعمه، ومشربه، ومسكنه.

(1) المرجع السابق (6/224)

قال فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَأْلَ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه: 51]، فقال موسى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضُلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: 52] لما سأله فرعون موسى عن أعمال القرون الأولى فأعلمه أنها محصاة عند الله تعالى، ومحفوظة عنده في كتاب، أي هي مكتوبة فسيجازيهم غداً بها وعليها، وعن الكتاب اللوح المحفوظ، ومعنى (لا يضل ربّي ولا ينسى) لا يضل عنه علم شيء من الأشياء ولا معرفتها، ولا ينسى ما علمه منها، ثم ذكر موسى فرعون وملأه ببعض نعم الله عليهم فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُّلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ تَبَاتٍ شَتَّىٰ كُلُّوا وَأْرَعُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ﴾ [طه: 54-53]

- النعمة الأولى: نعمة جعل الأرض مهداً أي فراشاً وقراراً تستقرون عليها.

- النعمة الثانية: (وصل لكم فيها سبل) أي طرقاً.

- النعمة الثالثة: (وأنزل من السماء ماء)، وهذا آخر كلام موسى - عليه

السلام- ثم قال الله تعالى: "فآخر جنا به"، وقيل: كله من كلام موسى -

عليه السلام- والمعنى (فآخر جنا به) أي بالحرث والمعالجة، لأن الماء

المنزل سبب خروج النبات، ومعنى (أزواجاً) أي أصنافاً من النبات

المختلفة الأزواج والألوان. ⁽¹⁾

فهنا يبين النبي الله موسى - عليه السلام- لفرعون وملئه بعض نعم الله تعالى فالله جعل الأرض ممهدة سهلة لسالكيها، وجعل فيها طرقاً يجتازها الناس في ذهابهم وإيابهم، وهو سبحانه الذي يسوق المطر فيخرج بقدرته أصنافاً متنوعة مما يأكل الناس وأنعامهم، (إن في ذلك آيات لأولي النهى) إن فيما ذكر من نعم الله - تعالى- آيات كونية واضحة لأصحاب العقول الرشيدة التي تستطيع أن تدرك أن للكون خالقاً عظيماً ومدبراً حكيمـاً.

المطلب الثالث: تذكير موسى لبني إسرائيل بنعم الله عليهم:

(1) ينظر تفسير القرطبي (11/205 وما بعدها)

1- نعمة نجاة بنى إسرائيل وإهلاك فرعون وجنوده:

أمر الله نبيه موسى -عليه السلام- أن يسري بقومه وينتقل بهم من هذه القرية الظالم أهلها فراراً بدينهم إلى مكان يستطيعون فيه أن يعبدوا ربهم ويظهروا دينهم ويؤدوا شعائرهم، فخرج بهم ليلاً متوجهاً إلى الأرض المقدسة، فلما بلغ فرعون خروجهم أبى أن يتركهم ومنعه غروره بقوته وجبروته أن يتركهم حتى يفروا، وأبى إلا أن يقضي عليهم ويبعدهم قائلاً: ﴿إِنَّ هُؤُلَاءِ لَشَرِذَمٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَايِطُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِيرُونَ﴾ [الشعراء: 54-56] ، فأتبع القوم بجنوده وأدركوه بالفعل عند شاطئ البحر، وبلغ الخوف بقوم موسى مداه، فلم يعد أمامهم أمل في النجاة، فالبحر أمامهم، وفرعون وجنوده من ورائهم، فلقينا بالهلاك ﴿فَلَمَّا تَرَءَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: 61] ، فقال موسى -عليه السلام- وهو الواثق بربه ونصرته وتأييده: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبٌ سَيِّهُدِينَ﴾ [الشعراء: 62] ، وجاء الجواب عاجلاً: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْ مُوسَى أَنِّ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْطَّوِيدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: 63] ، وأمر موسى - عليه السلام- بنى إسرائيل أن يعبروا فعبروا بين فرقى الماء دون أن يمسهم أذى، واقتفى فرعون وجنوده أثرهم طمعاً في إدراكم وعند ما عبر بنو إسرائيل البحر ولم يبق منهم أحد بين المياه المنحصرة، كان فرعون وجنه ما زالوا بين فرقى البحر، فأطبق عليهم وعاد كما كان أولاً، فغرقوا جميعاً، وبنو إسرائيل ينظرون إليهم في دهشة وسرور، وأسند- سبحانه- فرق البحر إلى ذاته الكريمة، ليدل على أن القوم عبوروه وقطعوه وهم بعاليته، وقوله تعالى: (فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ) بيان للمنة العظمى التي امتن بها عليهم، والتي ترتب على فرق البحر، لأن فرق البحر لهم ترتب عليه أمران: أولهما: نجاتهم، وثانيهما: إهلاك عدوهم وكلاهما نعمة عظيمة، ليعلم بنو إسرائيل أن الله ناصر عباده ومنجيهم، وليس للعبد إلا الأخذ بالسبب، فضرب البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم.. وأنجى الله موسى -عليه السلام- وقومه وأغرق فرعون وجنه. ⁽¹⁾

ومن تمام منة الله على بنى إسرائيل أن يريهم جثة فرعون بعد هلاكه تطفو فوق سطح الماء قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيَ بَيْنَنَاكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ

(1) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (1/125)

عَآيَةٌ وَإِنَّ كَفِيرًا مِّنَ الظَّالِمِينَ عَنْ عَآيَتِنَا لَقَفِلُونَ [يونس: 92] ، وقد امتن الله علىبني إسرائيل بهذه النعمة في مواضع عدة من القرآن منها قوله تعالى: **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيِونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ** **وَإِذْ فَرَقْنَا بَيْنَكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ** [البقرة: 49-50]، وفائدة قوله تعالى: (وأنتم تتظرون) أي: "وأغرقناهم وأنتم تتظرون؛ ليكون ذلك أشفي لصدوركم، وأبلغ في إهانة عدوكم."⁽¹⁾

فروية بنى إسرائيل لفرعون عدو الله وعدوهم ينظرون إليه هالكا بالغرق هو وجنوده قد تضمنت نعماً كثيرة على بنى إسرائيل في الدين والدنيا:

(أَمَا نَعَمُ الدِّينَ فَمَنْ وَجَاهَهُ أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ لَمَّا وَقَعُوا فِي ذَلِكَ الْمُضِيقِ الَّذِي مَنَّ وَرَأَهُمْ فَرْعَوْنُ وَجَنُودُهُ وَقَدَامُهُمُ الْبَحْرُ، فَإِنْ تَوَقَّفُوا أَدْرِكُهُمُ الْعُدُوُّ وَأَهْلُكُهُمْ بِأَشَدِهِ الْعَذَابِ وَإِنْ سَارُوا غَرَقُوا فَلَا خَوْفٌ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ نَجَاهُمْ بِفُلْقِ الْبَحْرِ فَلَا فَرْجٌ أَشَدُ مِنْ ذَلِكَ).

وثانيها: أن الله تعالى خصهم بهذه النعمة العظيمة والمعجزة الباهرة، وذلك سبب لظهور كرامتهم على الله تعالى.

وثالثها: أنهم شاهدوا أن الله تعالى أهلك أعداءهم ومعلوم أن الخلاص من مثل هذا البلاء من أعظم النعم، فكيف إذا حصل معه ذلك الإكرام العظيم وإهلاك العدو.

أما نعم الدين فمن وجوه:

أحدها: أن قوم موسى لما شاهدوا تلك المعجزة الباهرة زالت عن قلوبهم الشكوك والشبهات، فإن دلالة مثل هذا المعجز على وجود الصانع الحكيم وعلى صدق موسى تقرب من العلم الضروري، فكانه تعالى رفع عنهم تحمل النظر الدقيق والاستدلال الشاق.

(1) تفسير ابن كثير (1/259)

وثانيها: أنهم لما عاينوا ذلك صار داعياً لهم إلى الثبات على تصديق موسى - عليه السلام- والانقياد له وصار ذلك داعياً لقوم فرعون إلى ترك تكذيب موسى - عليه السلام- والإقدام على تكذيب فرعون.

وثالثها: أنهم عرفوا أن الأمور بيد الله فإنه لا عز في الدنيا أكمل مما كان لفرعون ولا شدة أشد مما كانت بيني إسرائيل، ثم إن الله تعالى في لحظة واحدة جعل العزيز ذليلاً والذليل عزيزاً، وذلك يوجب انقطاع القلب عن علائق الدنيا والإقبال بالكلية على خدمة الخالق والتوكيل عليه في كل الأمور.⁽¹⁾

فكان نعمة إهلاك الله عز وجل لفرعون وجنوده من أعظم النعم على بني إسرائيل، ذكرهم بها موسى - عليه السلام-، ليداوموا على شكر الله، ويتثنوا عليه بما هو أهله - سبحانه وتعالى - وذكر الله بها أحفادهم في القرآن أيضاً ليتبعوا نبيه محمداً صلّى الله عليه وسلم مؤمنين به مناصرين لدعوه.

2- نعم الله على بني إسرائيل عندما أقاموا بسيناء:

بعد نجاة بني إسرائيل من فرعون وجنوده وعبورهم البحر سلام أقاموا بسيناء فأنعم الله عليهم بالكثير من النعم، وقد ورد ذكر ذلك في عدة مواضع من القرآن الكريم على النحو التالي:

أ- تفضيلهم على العالمين في زمانهم:

قال تعالى: ﴿يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلٌ أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 47]، وهذا نداء من الله - تبارك وتعالى - على أحفاد بني إسرائيل من اليهود الذين كانوا يعيشون مع النبي صلّى الله عليه وسلم في المدينة، "وقد ذكر الله - تعالى - بنى إسرائيل المعاصرين للعهد النبوى بهذه النعم مع أنها كانت لآبائهم، كما يدل عليه سياق الآيات لأن النعم على الآباء نعم على الأبناء لكونهم منهم، ولأن شرف الأصول يسرى إلى الفروع، فكان التذكير بتلك النعم فيه شرف لهم، وحسن سمعة تعود عليهم، وتغريهم بالإيمان والطاعة - لو كانوا يعقلون -، ومن مظاهر تفضيل الله لبني إسرائيل على عالمي زمانهم، جمعه لهم من المحامد قبل بعثة النبي صلّى الله عليه وسلم. ما لم يجمع لغيرهم، فقد حياهم بكثير من النعم:

(1) تفسير الرازى (508/3 وما بعدها) باختصار يسبر

- بعث فيهم عدداً كبيراً من الأنبياء.
- ونجاهم من عدوهم.
- ولم يعدل العقوبة عليهم رغم عصيانهم واعتدائهم، واقترافهم شتى ألوان المنكرات عن تعمد وإصرار، ولم ينزل بهم قارعة تستأصلهم بذنبهم كما استأصل غيرهم كقوم عاد وثمود.⁽¹⁾

8- نعمة إنزال التوراة على موسى:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ ءاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهُتَّدُونَ﴾ [البقرة: 53]، والمراد بالكتاب التوراة التي أottiها موسى - عليه السلام - باتفاق المفسرين، أما الفرقان ففيه عدة أقوال أشهرها:

- الفرقان: هو التوراة، ويكون المراد بالعطف التفسير.
- الفرقان: مأخذ من الفرق وهو الفصل، استعير لتمييز الحق من الباطل.
- الفرقان: انfrac البحر له حتى صار فرقاً فعبروا.
- الفرقان الفرق بينهم وبين قوم فرعون أنجي هؤلاء وأغرق أولئك.⁽²⁾

والمعنى: وذكرنا يا بنى إسرائيل نعمة التوراة، التي آتها الله موسى - عليه السلام - وفيها منهج الله لكم وبيان الشرائع والأحكام، لكي تهتدوا بها إلى طريق الحق في الدنيا، والسعادة في الآخرة.

ج- تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى:

قال تعالى: ﴿وَظَلَّلَنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلَوَىٰ كُلُّوٌّ مِّنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمْوْنَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفَسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: 57]، ومن

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (1/116)

(2) ينظر تفسير القرطبي (399/1 وما بعدها)

نعم الله تعالى على بني إسرائيل أنهم وهم في الصحراء أرahlen الله آياته من تظليل الغمام لهم وما ساقه لهم من الطعام الطيب.

"وتذكر الروايات أن الله ساق لهم الغمام يظللهم من الهاجرة، والصحراء بغير مطر ولا سحب، حريم يفور بالنار، ويقذف بالشواطئ، وهي بالمطر والسحب رخية ندية تصح فيها الأجسام والأرواح.. وتذكر الروايات كذلك أن الله سخر لهم «المَنَّ» يجدونه على الأشجار حلوًّا كالعسل، وسخر لهم «السَّلْوَى» وهو طائر السمانى يجدونه بوفرة قريب الم nal، وبهذا توافر لهم الطعام الجيد، والمقام المرريح، وأحلت لهم هذه الطيبات. (1)

د- انفجار اثنتا عشرة عين ماء;

قال تعالى: ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَابَ الْحَجَرَ فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَانَىٰ إِنَّا مَشْرَبُهُمْ كُلُّهُ وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: 60]، فامتن الله علىبني إسرائيل بقوله لهم: "واذروا نعمتي عليكم في إجابتي لنبيكم موسى حين استسقاني لكم، وتيسيري لكم الماء، وإخراجه لكم من حجر يحمل معكم، وتفجيري الماء لكم منه من ثنتي عشرة عيناً كل سبط من أسباطكم عين قد عرفوها، فكلوا من المن والسلوى، وأشربوا من هذا الماء الذي أنبعته لكم بلا سعي منكم ولا كد، واعبدوا الذي سخر لكم ذلك، ولا تعثوا في الأرض مفسدين} ولا تقابلوا النعم بالعصيان فتسليبوها".⁽²⁾

وهذه النعمة كانت رحمة من الله بهم، ولو لا ذلك لهلعوا من العطش في الصحراء، وأيضا هي من دلائل قدرة الله ومعجزة أجراها على يد نبيه موسى - عليه السلام.

هـ - نعمة كثرة الأنبياء في بنى إسرائيل وجعلهم ملوكاً:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُمْ أَذْكُرُوْا نِعَمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيهِمْ أَثْيَاءً وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَعَاتَدُكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: 20]

(1) تفسير الظلل (1/72)

(2) تفسیر ابن کثیر (1/278)

أراد نبي الله موسى -عليه السلام- أن يقدم بين يدي إخباره لبني إسرائيل بأمر الله لهم أن يدخلوا الأرض المقدسة فقال: يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم ثم ذكر لهم ثلاث نعم أسبغها الله عليهم:

النعمـة الأولى: جعل الله فيهم أنبياء:

فقد اختار الله عدداً من الأنبياء من بني إسرائيل؛ كموسى وهارون، واسحق، ويعقوب، ويوسف، - عليهم السلام-، وقد أرسل الله تعالى- هؤلاء الأنبياء وغيرهم في بني إسرائيل، لكي يخرجوهم من ظلمات الكفر والفسق والعصيان، إلى نور الهدىة والطاعة والإيمان، والتذكير في قوله أنبياء للتذكير والتعظيم، أي: تذكروا يا بني إسرائيل نعم الله عليكم، وأحسنوا شكرها، حيث جعل فيكم أنبياء كثرين يهدونكم إلى الرشد.

النعمـة الثانية: جعلـهم الله ملوكاً:

أي: جعلـكم أحراراً تملكون أمر أنفسكم بعد أن كنتم مملوکين لفرعون وقومـه، الذين كانوا يسـمونكم سـوء العـذاب، فجعلـكم تملـكون المـساكن وتسـتعلـون الخـدم، بعد أن كـنتم لا تـملـكون شـيـئـاً من ذـلـك وـأـنـتـم تـحـت سـيـطـرـة فـرـعـوـن وـقـوـمـه، وـهـذـه النـعـمـة. أي: نـعـمـة الحرـية بـعـد الذـلـ، وـالـسـعـة بـعـد الضـيقـ. من النـعـمـ العـظـيمـيـ التي لا يـقـدرـها ويـحـافـظـ عـلـيـها إـلـا أـصـحـابـ النـفـوسـ الـكـبـيرـةـ، التي تعـافـ الـظـلـمـ، وـتـأـبـيـ الضـيـمـ، وـتـحـسـنـ الشـكـرـ للـهـ. تعالىـ.

النعمـة الثالثـةـ: آتـاهـمـ اللهـ ماـ لمـ يـؤـتـ أحدـاـ منـ العـالـمـينـ:

فقد آتـاهـمـ اللهـ - سبحانهـ. منـ الـأـلوـانـ الإـكـرـامـ وـالـمـنـ ماـ لمـ يـؤـتـ أحدـاـ منـ عـالـمـيـ زـمانـهـ، فقد فـلـقـ لـهـ الـبـحـرـ فـسـارـوـا فـي طـرـيقـ يـابـسـ حـتـىـ نـجـواـ وـغـرقـ عـدوـهـ، وـأـنـزـلـ عـلـيـهـمـ الـمـنـ وـالـسـلـوـىـ، ليـأـكـلـواـ مـنـ الطـبـيـاتـ، وـفـجـرـ لـهـمـ مـنـ الـحـجـرـ اـثـنـيـ عشرـةـ عـيـناـ حـتـىـ يـعـلـمـ كـلـ أـنـاسـ مـشـرـبـهـمـ. إـلـىـ غـيـرـ ذـلـكـ مـنـ الـأـلوـانـ النـعـمـ التـيـ حـبـاهـمـ اللهـ. تعالىـ. بـهـاـ، وـالـتـيـ كـانـتـ تـسـتـلـزـمـ مـنـهـمـ الـمـبـادـرـةـ إـلـىـ اـمـتـالـ أـوـامـرـهـ، وـاجـتـنـابـ نـوـاهـيـهـ. (1)

وهـكـذاـ نـجـدـ أـنـ اللهـ أـنـعـمـ عـلـىـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ نـعـماـ كـثـيرـةـ وـذـكـرـهـ بـهـاـ رـبـ الـعـزـةـ، وـأـيـضاـ نـبـيـهـمـ مـوـسـىـ - عليهـ السـلامـ. مـنـ بـابـ التـذـكـيرـ بـمـنـتـهـ وـفـضـلـهـ عـلـيـهـمـ، ليـقـرـواـ اللهـ

(1) يـنـظـرـ التـفـسـيرـ الوـسـيـطـ لـطـنـطـاوـيـ (4/104 وـمـاـ بـعـدـهـ)

بالفضل والمنة، ويثنوا عليه بما هو أهله، ويزدادوا إيماناً بالله ورسوله، ويرون
عليهم تكليف الله لهم بدخول الأرض المقدسة.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة

موسى - عليه السلام -

و فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول / الاستفهام.

المبحث الثاني / الجدال.

المبحث الثالث / الحوار.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة موسى - عليه السلام-

وقد استخدمنبي الله موسى - عليه السلام- المنهج العقلي في دعوته لفرعون وكذلك مع قومهبني إسرائيل بالعديد من فنون القول، يستعرضها الباحث في ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدال.

المبحث الثالث/ الحوار.

المبحث الأول/ الاستفهام

وقد استعملنبي الله موسى - عليه السلام- أسلوب الاستفهام الاستنكاري في عدة مواضع في دعوته يتناولها الباحث من خلال ستة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: الاستفهام للتشويق في خطابه لفرعون.

المطلب الثاني: إنكاره على قومه طلبهم طعاما غير المن والسلوى.

المطلب الثالث: إنكاره على قومه في طلبهم تقليد عبادة العجل.

المطلب الرابع: إنكاره على قومه عبادة العجل.

المطلب الخامس: إنكاره على أخيه هارون أنه لم يمنع عبادتهم العجل.

المطلب السادس: إنكاره على السامری إيقاع قومه في الشرك.

المطلب الأول: الاستفهام للتشويق في خطابه لفرعون:

في قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَيْنَا أَنْ تَرَكَ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات: 18-19]، وهذا القول من موسى - عليه السلام- في دعوته لفرعون قد أمره الله أن يلين القول له فقال مستفهمًا ومرغباً له لسماع كلامه:

(هل لك إلى أن ترَكَ)، والهدف من الاستفهام هنا -كما نفهم من السياق- تشويق فرعون إلى الخبر، وإثارة انتباهه، وجعله متربقاً لما سيقوله موسى.

المطلب الثاني: الاستفهام الإنكارى على قومه لطلبهم طعاماً غير المن وسلوى:

في قوله تعالى حكاية عن قول موسى لقومه: ﴿أَتَسْتَبِدُلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: 61]، مربنا أن بني إسرائيل لما كانوا بسيناء ظلل الله عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى فطلبوها طلباً عجيباً من موسى -عليه السلام- فقالوا له: ﴿لَن نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا ثُنِيَّتِ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِنَابِهَا وَفُؤَمِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: 61]، فتعجب موسى -عليه السلام- من طلبهم وقال مستفهمًا استنكاريًا: ﴿أَتَسْتَبِدُلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: 61] ، لقد كان طلب بني إسرائيل غريباً مستكرًا فهم بسيناء بأطيب عيش وأطيب ماء وطعام، ثم إذا بهم يتطلبون ما اعتادوا عليه بمصر، وصدروا كلامهم بما يفيد كراهيتهم لما أنعم الله عليهم به من المن والسلوى بقولهم: (لن نصبر) والصبر حبس النفس على مكروهه، والتعبير بـ(لن) المفيدة لتأييد النفي في اللغة العربية لأداء معنى كلامهم المحكي هنا في شدة الضجر وبلغ الكراهيّة منهم حدها الذي لا طاقة عنده.

وقول موسى -عليه السلام-: (أَتَسْتَبِدُلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) توبیخ شديد لأنّه جرده عن المقدّمات وعن الزجر، واقتصر على الاستفهام المقصود منه التعجب فالتبیخ، وفي الاستبدال للخير بالأدنى النداء بنهاية حماقتهم وسوء اختيارهم، ولذلك قال بعدها: (اهبطوا مصرًا) فالأمر في قوله: اهبطوا للإباحة المشوبة بالتوبیخ أي إن كان هذا همكم فاهبطوا بقرينة قوله: (أَتَسْتَبِدُلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ)، فالمعنى اهبطوا مصرًا من الأمصار، وفيه إعراض عن طلبهم إذ ليس حولهم يومنًا بل قریبًا يستطعون وصوله.

وقيل: أراد اهبطوا مصر أي بلد مصر بلد القبط أي ارجعوا إلى مصر التي خرجتم منها، والأمر لمجرد التوبیخ إذ لا يمكنهم الرجوع إلى مصر.⁽¹⁾

(1) ينظر تفسير التحریر والتنویر (1/520 وما بعدها)، وقال الطاهر ابن عاشور في تفصيل القول الثاني: واعلم أن مصر على هذا المعنى يجوز منعه من الصرف على تأويله بالبقعة فيكون

المطلب الثالث: الاستفهام الإنكاري على قومه في طلبهم تقليد عبادة العجل:

في قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَلَّكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 140]، لما أهلك الله فرعون وجنوده وأنجىبني إسرائيل، من بنو إسرائيل بقوم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها من دون الله فقالوا: ﴿يَمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ﴾ [الأعراف: 138]، وهذا يدل على أنبني إسرائيل قد انخلعوا في مدة إقامتهم بمصر عن عقيدة التوحيد، لأنهم لما كانوا في حال ذلة واستعباد ذهب علمهم وتاريخ مجدهم واندمجو في ديانة الغالبين لهم فلم تبق لهم ميزة تميزهم إلا أنهم خدمة وعبد، وكفى بالأمة خسة عقول أن تعد القبيح حسناً، وأن تتخذ المظاهر المزينة قدوة لها، وأن تنخلع عن كمالها في اتباع ناقص غيرها.

هنا غضب نبيهم موسى -عليه السلام- من كلامهم، وكان جوابه بعنف وغلظة، لأن ذلك هو المناسب لحالهم فقال: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هُؤُلَاءِ مُتَّبِرُ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 140-138]، والاستفهام بقوله: (أغير الله أبغيكم إليها) للإنكار والتعجب من طلبهم أن يجعل لهم إليها غير الله. (1)

المطلب الرابع: إنكاره على قومه عبادة العجل:

في قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿قَالَ يَقُولُ أَلَمْ يَعْدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعُدُّا حَسَنًا﴾ [طه: 86] ، بعد أن أهلك الله - تعالى - فرعون وجنوده، سار ببني إسرائيل متوجهة ناحية جبل الطور، ثم تركهم واستخلف عليهم أخاه هارون، وذهب لمناجاة ربه فأخبره - سبحانه - بما أحدثه بنو إسرائيل في غيبته عنهم، قال الله - تعالى - لموسى: ﴿وَمَا أَغْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ [٨٣] قال هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثْرِي وَعَجِلْتُ

فيه العلمية والتأنيث، ويجوز صرفه على تأويله بالمكان أو لأنه مؤنث ثلاثة ساكن الوسط مثل هند فهو في قراءة ابن مسعود بدون تنوين وأنه في مصحف أبي بن كعب بدون ألف وأنه ثبت بدون ألف في بعض مصاحف عثمان قاله ابن عطية. التحرير والتنوير (1/524)

(1) ينظر المرجع السابق (9/81 وما بعدها)

إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٥﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ

[طه: 85-83] ، لقد تفاجأً موسى -عليه السلام- بالأمر وفظاعته وأصابه الغضب الشديد بعد أن علم بضلالة قومه، وعبادتهم العجل كما ذكر القرآن الكريم: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ، غَضِبَنَ أَسِفًا قَالَ يَقُولُ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحْلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدِي﴾ [طه: 86] والاستفهام في قوله: (يا قوم ألم يعذلكم ربكم وعداً حسناً) وكذا قوله: (أفطال عليكم العهد) استفهام إنكارى، أي: "قال لهم على سبيل الزجر والتوبيخ: (يا قوم ألم يعذلكم ربكم وعداً حسناً) لا سبيل لكم إلى إنكاره، ومن هذا الوعد الحسن: إِنْزَال التوراة لهدايتكم وسعادتكم، وإهلاك عدوكم أمام أعينكم. فلماذا أعرضتم عن عبادته وطاعته مع أنكم تعيشون في خيره ورزقه؟ ثم زاد في تأنيبهم وفي الإنكار عليهم فقال: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحْلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدِي﴾ [طه: 86] ، فالاستفهام في قوله أفال.. للفي والإإنكار وأم منقطعة بمعنى، بل.

والمعنى: "أفطال عليكم الزمان الذي فارقتكم فيه؟ لا إنه لم يطل حتى تتتسوا ما أمرتكم به، بل إنكم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم، فأخلفتم موعدي الذي وعدتموني إياه وهو أن تثبتوا على إخلاص العبادة لله- تعالى."⁽¹⁾

المطلب الخامس: إنكاره على أخيه هارون أنه لم يمنع عبادتهم العجل:

في قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلَّوْا أَلَا تَتَبَعِنَ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: 93-92] ، والاستفهام هنا استنكاري ينكر على أخيه أنه لم يخبره أول وقوع الأمر وقد استخلفه على بنى إسرائيل؟

المطلب السادس: إنكاره على السامری إيقاع قومه في الشرك:

في قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿قَالَ فَمَا حَطَبُكَ يَسَّمِرِي﴾ [طه: 95] ، وبعد انتهاء موسى من سماع هارون، اتجه للتحقيق والمساءلة للسامري فقال له

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (9/138)

مستنكرًا وموباخاً: ﴿قَالَ فَمَا حَطَبُكَ يَسَّمِرٌ﴾ [طه: 95] ، فالاستفهام هنا للاستنكار والتوبيخ، أي: "ما حملك على ما صنعت؟ وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت؟"⁽¹⁾

المبحث الثاني/ الجدال

استعمل نبي الله موسى -عليه السلام- هذا الأسلوب الدعوي في تبليغه الرسالة لفرعون، ثم كان له مجادلة مع سحرة فرعون لردهم عن مناصرة الباطل بالباطل، ثم مع قومه بني إسرائيل، لبيان الرسالة التي أرسله الله بها، ورد الشبهات التي كان قومه يثيرونها بين الحين والآخر، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في عدة مواضع يتناولها الباحث من خلال مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: مجادلة موسى -عليه السلام- مع فرعون.

المطلب الثاني: مجادلة موسى -عليه السلام- مع السحر.

المطلب الثالث: مجادلة موسى -عليه السلام- مع قومه بني إسرائيل.

المطلب الرابع: مجادلة موسى -عليه السلام- لقومه في عبادة العجل.

المطلب الخامس: مجادلة موسى لأخيه هارون.

المطلب السادس: مجادلة موسى -عليه السلام- للسامري.

المطلب الأول: مجادلة موسى -عليه السلام- مع فرعون:

توجه موسى ومعه أخيه هارون – عليهم السلام – إلى فرعون وملئه لدعوتهم إلى الحق بعبادة الله وحده ورفع العذاب عن بني إسرائيل وقد جاءت الآيات مبينة هذا الحوار في قوله تعالى : ﴿فَأْتَيْا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ

(1) تفسير ابن كثير (5/313)

الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ أَنَّ أَرْسَلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢﴾ قَالَ أَلَمْ نُرِّبِكَ فِينَا وَلِيًّا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿٣﴾ وَقَعْلَتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٤﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٥﴾ فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَى أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٧﴾ [الشعراء: 22-16] ،
ويفهم من السياق أن هناك اختصار في الأحداث من ناحية دخول موسى -عليه السلام- وهارون على فرعون وقولهما إنا رسول رب العالمين، فبماذا أجاب فرعون؟ توجه فرعون بالخطاب لموسى فقط لأنه فهم أن المتكلم هو موسى وأن هارون تبع له، وقد أراد فرعون إبطال ما قاله موسى فقال:

1- ألم نربك فينا ولديا أي: ألم يسبق لك أنك عشت في منزلنا، ورعايك وأنت طفل صغير، ولبثت فينا من عمرك سنين عددا.

2- ثم ذكره بحادثة قتل القبطي فقال متهمها مستهزئا: (وفعلت فعلتك التي فعلت) بعد هذا قابلت ذلك الإحسان بتلك الفعلة، وهي قتلك لرجل من شيعتي، قوله هذا تهويل مراد به التفظيع وأنها مشهورة معلومة مع تحقيق الصاق تبعتها به حتى لا يجد تتصلا منها.

3- (وأنت من الكافرين) أي: وأنت من الجاحدين بعد ذلك لنعمتي التي أنعمتها عليك، بتربيتك ورعايتك، فهل هذا جزاء إحساني إليك؟ فجعل فرعون انتصار موسى لرجل من عشيرته كفرانا لنعمة فرعون لأنه يرى واجب موسى أن يعد نفسه من قوم فرعون فلا ينتصر لإسرائيلي !!

وهكذا جمع فرعون كل ما حسبه ردا قاتلا لا يملك موسى معه جوابا، ولا يستطيع مقاومة، وبخاصة حكاية القتل، وما يمكن أن يعقبها من قصاص، يتهدده به من وراء الكلمات!

فماذا كان رد موسى؟

قال موسى: أنا لا أنكر أني قد فعلت هذه الفعلة التي تذكرني بها، ولكنني فعلتها وأنا في ذلك الوقت من الضاللين، قبل أن يشرفني الله بوجيه، ويكلفني بحمل رسالته، وفضلا عن ذلك فأنا كنت أجهل أن هذه الوكزة تؤدى إلى قتل ذلك الرجل من شيعتك، لأنني ما قصدت قتله، وإنما قصدت تأدبيه، ومنعه من الظلم لغيره.

ثم أضاف موسى إلى هذا الرد الملزم لفرعون ردا آخر أشد إلزاماً وتوبيخاً، حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بنى إسرائيل، لأن تعبدهم وقصدهم بالذبح لأبنائهم هو السبب في وجوده عنده وتربيته، فكانه امتن عليه بتبني قومه، وتذليلهم واتخاذهم خدماء له، فهل هذا هو ما تمنه علي، وهل هذا هو فضلك العظيم؟!

ونلاحظ في هذه المجادلة عدة أمور:

1- ابتدأ فرعون رده على موسى بمحاولة تصغير شأنه للتقليل مما جاء به بذكر تربيته في قصر فرعون ولديها، ثم لوح بمعاقبته عن جريمته التي فعلها وهي قتل القبطي، ورماه بجحود النعمة والإحسان.

2- رد موسى -عليه السلام- في ثبات ورباطة جأش معترفاً بالفعلة، فابتدأ بالإقرار بفعلته ليعلم فرعون أنه لم يجد لكلامه مدخل تأثير في نفس موسى -عليه السلام-، وذكر ما نشأ عنها من خير له، ليدل على أنه حمد أثراها وإن كان قد اقترفها غير مقدر ما جرت له إلهي من خير.

3- ابتدأ موسى -عليه السلام- بالجواب عن الأهم من كلام فرعون وهو: (وَفَعَلْتُ فِعْلَتَكَ) [الشعراء: ١٩] ليظهر لفرعون أنه لا يخشى مطالبتهم إياه بثار ذلك القتيل ثقة بأن الله ينجيه من عدوائهم.

4- وبهذا يظهر وجه الاسترسال في الجواب بقوله: (فَوَهْبَ لِي رَبِّي حَكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمَرْسُلِينَ)، أي فكان فراري قد عقبه أن الله أنعم على فأصلح حالـي وعلـمنـي وهدـانـي واصـطـفـاني رسـولاً، وبهـذا الجـواب التـوبـيـخـي أفحـم مـوسـى -عليـه السـلامـ فـرعـونـ، وجـعلـه يـحـولـ الـحـدـيـثـ عـنـ هـذـهـ الـمـسـأـلـةـ الـتـي تـتـعـلـقـ بـتـرـبـيـتـهـ لـموـسـىـ إـلـىـ الـحـدـيـثـ عـنـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ، وـقـدـ حـكـىـ الـقـرـآنـ ذـلـكـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ حـكـاـيـةـ عـنـ فـرـعـونـ : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِيْنَ﴾ ﴿٢٣﴾ قـالـ رـبـ ﴿السـمـاـواتـ وـالـأـرـضـ وـمـاـ بـيـنـهـمـاـ إـنـ كـنـتـمـ مـوـقـنـيـنـ﴾ ﴿٢٤﴾ قـالـ لـمـنـ حـوـلـهـ أـلـاـ تـسـتـمـعـونـ ﴿٢٥﴾ قـالـ رـبـكـمـ وـرـبـ آـبـاـيـكـمـ الـأـوـلـيـنـ﴾ ﴿٢٦﴾ قـالـ إـنـ رـسـوـلـكـمـ الـذـيـ أـرـسـلـ إـلـيـكـمـ لـمـجـنـوـنـ﴾ ﴿٢٧﴾ قـالـ رـبـ الـمـشـرـقـ وـالـمـغـرـبـ وـمـاـ بـيـنـهـمـاـ إـنـ كـنـتـمـ تـعـقـلـوـنـ﴾ ﴿٢٨﴾ قـالـ لـيـنـ الـخـذـلـتـ إـلـهـاـ غـيـرـيـ لـأـجـعـلـنـكـ مـنـ الـمـسـجـوـنـيـنـ﴾ ﴿٢٩﴾ قـالـ أـوـلـوـ جـهـتـكـ بـشـئـيـعـ مـبـيـنـ﴾ ﴿٣٠﴾ قـالـ فـأـتـ بـهـ إـنـ كـنـتـ مـنـ الصـادـقـيـنـ﴾ ﴿٣١﴾ فـأـلـقـيـ عـصـاـهـ فـإـذـاـ هـيـ ثـعـبـانـ مـبـيـنـ﴾ ﴿٣٢﴾

وَنَزَعَ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلَّنَاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ [الشعراء: 23-33]، إذن المجادلة أخذت مسار السؤال والجواب، فكان فرعون يسأل، وموسى -عليه السلام- يجيب ثم يعقب فرعون على الجواب على النحو التالي:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 23]، وهذا السؤال يدل على طغيان فرعون- قبحه الله- وتجاوزه كل حد في الفجور، فإن هذا السؤال يحمل في طياته استنكار أن يكون هناك إله سواه، كما حكى عنه القرآن في قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا آيُهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38]، فهو ينكر رسالة موسى -عليه السلام- من أساسها. ^(١)

وهنا يرد موسى بقوله: ﴿قَالَ رَبُّ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: 24]

وهذا يلتفت فرعون إلى من حوله ليشاركونه التعجب مما قاله موسى ولি�صرفهم عن التأثر بما سمعوه منه: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ وَأَلَا تَسْتَعِمُونَ﴾ [الشعراء: 25]، وقد أراد فرعون من عجبه أن يصرفهم عن التأثر به، على طريقة الجبارين الذين يخسرون تسرب كلمات الحق البسيطة الصريحة إلى القلوب. ولكن موسى -عليه السلام- لم يمهلهم حتى يردوا على فرعون، بل أكد لهم وحدانية الله- تعالى- وهىمنته على هذا الكون فقال: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ إِبْرَاهِيمَ الْأَوَّلَيْنَ﴾ [الشعراء: 26]، فكيف تتركون عبادته، وتعبدون عبادا من عباده ومخلوقاته من مخلوقاته هو فرعون؟

(١) يقول العلامة الطاهر بن عاشور: (فقد كانت عقائد القبط تثبت آلية متفرقة قد اقتسمت التصرف في عناصر هذا العالم وأجناس الموجودات، وتلك العناصر هي العالمون ولا يدينون بإله واحد، فإن تعدد الآلهة المتصرفة ينافي وحدانية التصرف، فلما سمع فرعون من كلام موسى -عليه السلام- إثبات رب العالمين قرع سمعه بما لم يألفه من قبل لاقتضائه إثبات إله واحد وانتفاء الإلهية عن الآلهة المعروفة عندهم، على أنهم كانوا يزعمون أن فرعون هو المجتبى من الآلهة ليكون ملك مصر. فهو مظهر الآلهة الأخرى في تدبير المملكة (قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهر تجري من تحتي) [الزخرف: 51]، وبهذا الانتساب إلى الآلهة وتمثيله إرادتهم في الأرض كان فرعون يدعى إليها). أ. هـ من تفسير التحرير والتنوير (19/116)

وهنا لم يملك فرعون إلا الرد الدال على إفلاسه وعجزه، فقال ملتفتاً على سبيل السخرية بموسى مخاطباً أشراف قومه: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: 27]، وسماه رسولاً على سبيل الاستهزاء، وجعل رسالته إليهم لا إليه، لأنـهـ في زعم نفسهـ أكبرـ منـ أنـ يرسلـ إليهـ رسولـ. ولكنـ هذاـ التهكمـ وهذاـ القذفـ لاـ يـفـتـ فيـ عـضـدـ مـوـسـىـ -عليـهـ السـلامـ فيـمـضـيـ فيـ طـرـيقـهـ يـصـدـعـ بـكـلـمـةـ الـحـقـ الـتـيـ تـزـلـلـ الطـغـاـةـ وـالـمـتـجـبـرـيـنـ:ـ فـقـالـ:ـ ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا يَبْيَنُهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: 28]، ربـناـ ربـ المـشـرقـ وـالـمـغـرـبـ،ـ وـخـصـهـماـ بـالـذـكـرـ لـأـنـهـماـ مـنـ أـوـضـحـ الـأـدـلـةـ عـلـىـ وـهـدـانـيـةـ اللهـ تعالىـ.ـ وقدـرـتـهـ وـلـأـنـ فـرـعـونـ أوـ غـيرـهـ مـنـ الطـغـاـةـ لـاـ يـجـرـأـ وـلـاـ يـمـلـكـ اـدـعـاءـ تـصـرـيـفـهـماـ،ـ أـوـ التـحـكـمـ فـيـهـماـ عـلـىـ تـلـكـ الصـورـةـ الـبـدـيـعـةـ الـمـطـرـدـةـ،ـ وـالـتـيـ لـاـ اـخـتـلـالـ فـيـهـاـ وـلـاـ اـضـطـرـابـ،ـ وـجـمـلـةـ إـنـ كـنـتـمـ تـعـقـلـونـ حـضـ لـهـمـ عـلـىـ التـعـقـلـ وـالـتـدـبـرـ،ـ وـتـحـذـيرـ لـهـمـ مـنـ التـمـادـيـ فـيـ الـجـحـودـ وـالـعـنـادـ.

ولكن فرعون- وقد شعر بأن حجة موسى قد ألمته حبرا انتقل من أسلوب المحاوره في شأن رسالة موسى إلى التهديد والوعيد- شأن الطغاة عند ما يعجزون عن دفع الحجة بالحجـة، فقال لموسى: ﴿قَالَ لَيْنِ اتَّخَذْتَ إِلَّاهًا غَيْرِي لَا أَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: 29]، فهذا شأنـي مع كل من يتمرد على عبادتـي، ويخالفـ أمرـي.

ولكن موسى -عليه السلام- لم يخفة هذا التهديد والوعيد، بل رد عليه ردا حكيمًا فقال له: ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْنَاكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: 30]، يدل دلالة واضحة على صدقى في رسالتي، وعلى أنى رسول من رب العالمين؟ وعبر عن المعجزة التي أيده الله بها بأنها شيء مبين للتهويل من شأنها، والتغريم من أمرها.

وَهُنَا وَجَدَ فِرْعَوْنَ نَفْسَهُ مُضطَرِّاً أَنْ يَقُولَ لِمُوسَىٰ: ﴿قَالَ فَأُتِّبِ بِهِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْصَّادِقِينَ﴾ [الشّعراَء: 31]

و هنا كشف موسى -عليه السلام- عما أيده الله - تعالى - به من معجزات حسية خارقة ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ مُبِينٌ﴾ وَتَرَعَ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ

لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣﴾ [الشعراء: 32-33]، فألقى موسى عصاً على الأرض أمام فرعون وقومه فإذا هي ثعبان مبين، ونزع يده أي: من جيبيه فإذا هي بيضاء للناظرين بياضاً يخالف لون جسمه - عليه السلام -، من غير سوء ولا مرض.

وهنا أحس فرعون بالرعب يسرى في أوصاله، وبأن الوهيت المزعومة قد أوشكت على الانكشاف، وبأن معجزة موسى - عليه السلام - توشك أن تجعل الناس يؤمنون به، فالتفت إليهم وكأنه يحاول جذبهم إليه، واستطلاع رأيه فيما شاهدوه، ويحكى القرآن ذلك بأسلوبه البلوي فيقول: **﴿قَالَ لِمَلِإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا شَاهِدٌ مِّنْ أَنَا وَأَنْتَ لَكُمْ بِمَا كُنْتُ تَعْمَلُونَ﴾**

لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣﴾ قَالُوا أَرْجِهُ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٤﴾ يَأْتُوكُمْ بِكُلِّ سَحَارٍ عَلِيمٍ ﴿٥﴾ [الشعراء: 34-37]

فروج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة، ثم هيجهم وحرضهم على مخالفته، والكفر به، فقال {يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرؤن}؟ أي: أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا، فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم على دولتكم، فيأخذ البلد منكم، فأشاروا على فيه ماذا أصنع به؟ {قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم} أي: أخره وأخاه حتى تجمع له من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك كل سحار عليم يقابلونه، ويأتون بنظير ما جاء به، فتغلبه أنت وتكون لك النصرة والتاييد، فأجابهم إلى ذلك، وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم في ذلك؛ ليجتمع الناس في صعيد واحد، ولتظاهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار جهراً.

ونلاحظ من هذه المجادلة عدة أمور:

1- تميز حوار موسى مع فرعون بالوضوح في الدعوة وبيان الاعتقاد الصحيح في الله عز وجل، وبطلان ما كان يعتقد فرعون وقومه من عبادة غير الله وتأليه فرعون، وأيضاً في ردوده على شبكات فرعون نلاحظ قوتها في الحجة والبيان وعدم مجاملة أو موابة.

2- سؤال فرعون عن رب العالمين سؤال المتنكر للقول من أساسه، المتهكم على القول والسائل، المستغرب للمسألة كلها حتى ليراها غير ممكنة التصور، غير قابلة لأن تكون موضوع حديث!

3- جواب موسى -عليه السلام- يكفى ذلك التجاهل ويغطيه: إنه رب هذا الكون الهائل الذي لا يبلغ إليه سلطانك- يا فرعون- ولا علمك، وقصارى ما ادعاه فرعون أنه إله هذا الشعب وهذا الجزء من وادي النيل، وهو ملك صغير ضئيل، كالذرة أو الهباءة في ملکوت السماوات والأرض وما بينهما.

4- قول فرعون للملأ حوله (ألا تستمعون؟) نزلهم منزلة من لم يستمع تهيجا لنفوسهم كي لا تتمكن منهم حجة موسى -عليه السلام-.

5- أراد النبي الله موسى أن يطرق سمع فرعون بأن رب العالمين هو ربه، فما هو إلا واحد من عباده، لا إله كما يدعى بين قومه! وهو رب قومه، فليس فرعون ربهم كما يزعم عليهم! وهو رب آبائهم الأولين، فالوراثة التي تقوم عليها الوهية فرعون دعوى باطلة، فما كان من قبل إلا الله رب العالمين!

6- احتج فرعون ووصف موسى بالجنون، فهو يريد أن يتهكم على مسألة الرسالة في ذاتها، فيبعد القلوب عن تصديقها بهذا التهكم، لا أنه يريد الإقرار بها والاعتراف بامكانها.

7- وهذا نلاحظ انتقال موسى -عليه السلام- بهم من دليل إلى دليل على وحدانية الله وقدرته، ومن حجة إلى حجة، ومن أسلوب إلى أسلوب لكيلا يترك مجالا في عقولهم للتردد في قبول دعوته.

8- واستدلال موسى -عليه السلام- بالشرق والمغرب هو استدلال بمشهدين لا يجرؤ فرعون ولا غيره من التجاريين أن يدعى تصريفهما، فمن يصرفهما إذن ومن ينشئهما بهذا الاطراد الذي لا يتختلف مرة ولا يبطئ عن أجله المرسوم؟

9- أيضا دعاهم موسى -عليه السلام- للاستدلال العقلي لعدة أغراض: يدعوهם إلى التدبر والتفكير ليعاودوا النظر فيدركون وجه الاستدلال، أي إن كنتم تعملون عقولكم، وقوله هذا كنافية عن كون جميع الأرض ملکا لله، وهذا استدلال عرفي إذ لم يكونوا يعرفون يومئذ ملکا يملك ما بين المشرق والمغرب، وما كان ملک فرعون المؤله عندهم إلا لبلاد مصر والسودان، ومن اللطائف جعل ذلك مقابل قول فرعون: (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون) [الشعراء: 27]، لأن الجنون يقابل العقل، فقال: إن كنتم تعقلون أي إن كنتم أنتم العقلاة، أي فلا تكونوا أنتم المجانين.

10- تهديد فرعون لموسى -عليه السلام- بالسجن دليل العجز ، وعلامة الشعور بضعف الباطل أمام الحق الدافع.

11- قول موسى -عليه السلام- لفرعون: ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: 30] فيه إشارة أن التهديد لم يهزه، أو يغير موقفه، وأيضا فيه إراج لفرعون أمام الملايين الذين استمعوا لما سبق من قول موسى -عليه السلام- ولو رفض الإصغاء إلى برهانه المبين لدل على خوفه من حجته، وهو يدعى أنه مجنون.. ومن ثم وجد نفسه مضطرا أن يطلب منه الدليل: ﴿قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْصَّدِيقِينَ﴾ [الشعراء: 31]، فهو ما يزال يشك في موسى خيفة أن تترك حجته في نفوس القوم شيئا.

12- ظهور معجزة اليد والعصا في مقابل التهديد بالسجن إرعب لفرعون وإظهار لضعفه أمام الملايين، وتعرية له أمامهم وكشف لحقيقة وهي أنه بشر وليس إله ولا نصف إله.

13- إظهار موسى -عليه السلام- لهاتين الخارقتين جعل فرعون يحس بضخامة المعجزة وقوتها فأسرع يقاومها ويدفعها وهو يحس ضعف موقفه، ويقاد يتملق القوم من حوله ويهيج مخاوفهم من موسى وقومه، ليغطي على وقع المعجزة المزلزلة: ﴿قَالَ لِلْمَلِإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ يُريدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسُحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ [الشعراء: 34-35]

14- وفي قوله فرعون هذه يبدو إقراره بعظمة المعجزة وإن كان يسميها سحرا فهو يصف صاحبها بأنه ساحر « عليهم ». ويبدو ذعره من تأثير القوم بها فهو يغريهم به: « يُريدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسُحْرِهِ » ويبدو تضعضعه وتهاويه وتواضعه للقوم الذين يجعل نفسه لهم إليها، فيطلب أمرهم ومشورتهم: « فماذا تأمرؤن؟ » ومتى كان فرعون يطلب أمر أتباعه وهم له يسجدون ! ⁽¹⁾

وهكذا نجح موسى -عليه السلام- في مواجهته الأولى مع فرعون وملته أن يقيم عليهم الحجة، ويستدل عليها، ويبطل حجتهم الباهتة، وينتقل من المواجهة

(1) ينظر تفسير ابن كثير (137/6 وما بعدها) وتفسير الظلال (2590/5 وما بعدها) وتفسير التحرير والتنوير (110/19 وما بعدها) والتفسير الوسيط لطنطاوي (10/238)

المحدودة بقصر فرعون إلى المواجهة العلنية مع السحرة أمام الناس جمِيعاً وقت الضحى يوم عيدهم.

المطلب الثاني: مجادلة موسى - عليه السلام - مع السحرة:

لما أظهر الله معجزتي اليد والعصا على يد موسى - عليه السلام - أراد فرعون أن يظهر للملأ أن ما جاء به موسى إنما هو سحر، ونحن عندنا من السحرة الكثير ونستطيع إبطال سحرك يا موسى بسحر مثله، قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسُحْرٍ كَيْفَ بِسُحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ تَحْنُّ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوَى﴾ [طه: 56-57] ، ونلاحظ من نبرة فرعون في الكلام أنه يتكلم وكأنه متيقن من غلبة سحرته لسحر موسى كما زعم - بل وفوضه لاختيار الزمان والمكان، وطلب منه إلا يخلف الموعد، وقبل موسى التحدي فقال: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الْزِينَةِ وَأَنَّ يُخَشَّرَ الْنَّاسُ ضُحَى﴾ [طه: 58] والمراد بيوم الزينة: " يوم عيدهم ونيروزهم وتقر غهم من أعمالهم واجتماعهم جميعهم؛ ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء، ومعجزات الأنبياء، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية، ولهذا قال: {وَأَنْ يُخَشَّرَ النَّاسُ} أي: جميعهم {ضُحَى} أي: ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجل وأبين وأوضح، وهكذا شأن الأنبياء، كل أمرهم واضح، بين، ليس فيه خفاء ولا ترويج؛ ولهذا لم يقل "ليلا" ولكن نهارا ضحى "(1)"

إذن اختار موسى - عليه السلام - هذا الموعد لعدة أهداف:

- يوم العيد لأنَّه سيضمن بذلك حضور أكبر عدد من الناس لأنَّه يوم إجازة، وعادة الناس الخروج يوم العيد.
- جمع الناس وقت الضحى ليكون كل شيء واضح وبين.
- إظهار الحق برؤيه الناس جميعاً لمعجزة موسى - عليه السلام -.
- خزي فرعون وملئه على رؤوس الأشهاد.
- أن يتحدث من حضروا عمراًدوا بأعينهم، وهذا سيكون أكبر دعاية لدعوة موسى - عليه السلام - فيشيع أمره ذلك بين الجميع.

(1) تفسير ابن كثير (5/300)

وجمع فرعون أمهار السحراء، ونفهم هذا من قول الملا من قول فرعون ﴿يَا تُوكِبِكَلِ سَحَّارٍ عَلِيهِ﴾ [الشعراء: 37] فصيغة المبالغة تدل على اختيار من له براءة في السحر وكذلك وصفه بأنه عليم يدل على خبرته الطويلة في هذا الشأن، فجمع كبار سحرته من أطراف مملكته ثم أتى بهم في الموعد المحدد، ليتحدى موسى، وحضر الناس مجتمعين ، كما ذكر القرآن ذلك مفصلا في عدة مواضع منه ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ فِرْعَوْنَ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتُكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنَّ هَذَا نَسَاجِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسُخْرِيهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقِتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتَّهُوا صَفَّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا أَنَّا ثُلُقَيْ وَإِنَّا أَنَّ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقَوْا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصَمِيهِمْ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سُخْرِيهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخْفِفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حِينَئِذٍ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ [طه: 70-60]

وبدأت المناظرة بتوجيه موسى تحذيرا مباشرا وقويا للسحراء قائلا: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتُكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طه: 61] ويلكم جئتم لإثبات باطل فرعون بالسحر ، وتوافقونه في القول بأن ما جئت به سحرا ، وليس معجزة أجرها الله على يدي؟

"فلا تخيلوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقائق لها، وأنها مخلوقة،
وليس مخلوقة، فتكونون قد كذبتم على الله " (1)

(1) تفسير ابن كثير (5/301)

فإنكم بفعلكم هذا تستحقون الإهلاك من الله، فلا تخيبوا خيبة فرعون
بموافقته على افترائه وطاعة أمره.

وفي هذه النصيحة قبل المعاشرة عدة فوائد:

- توجيه الدعوة إلى السحرة بعدم مجازاة فرعون في باطله.
- إظهار قوة موسى -عليه السلام- وصلابته في الحق.
- أن الحق لا يعرف بالكثرة فلم يكن إلا موسى وأخاه هارون - عليهمما السلام- أمام فرعون ولملئه وعشرات السحرة، والآلاف من الناس.
- زعزعت هذه النصيحة الثقة في قلوب بعض السحرة وحدث نزاع بينهم هل موسى -عليه السلام- ساحر أمنبي حقاً؟ وهل هو صراع على الملك والسلطة، فجاء موسى -عليه السلام- ينazu فرعون في سلطانه ويريد أن يجعل المكانة والسلطة لبني إسرائيل، ويخرجنا من أرضنا، ويغير علينا ديننا؟ قال تعالى حكاية عنهم: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى قَالُوا إِنْ هَذَا نَسَاجِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِظَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَئْتُوا صَفَّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [طه: 62-64]

- فهاتان الآياتان تشيران إلى خوف السحرة من نصيحة موسى -عليه السلام- وإلى أنهم قاموا بالتاجي بينهم سرا بحيث لا يسمعهم أحد، وتواصلوا بجمع كلمتهم والاجتهاد في إحكام سحرهم، وعدم الالتفات لكلام موسى -عليه السلام- حتى لا يخسروا المواجهة، ويكون فوزهم سبباً للحظوة والمكانة عند فرعون، والشهرة الواسعة بين الناس.

وابتدأت المنازلة فقال السحرة لموسى: (قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِي وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى) [طه: 65] وقولهم هذا علامة على ثقفهم بأنفسهم وشعورهم بالذ هو والقوة والتحدي لموسى -عليه السلام-.

قال لهم موسى: (قَالَ بَلْ أَلْقَوْا) [طه: 66] فجعل البداء لهم (فَإِذَا جِبَاهُمْ وَعَصَيْهُمْ يُخْيِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى) [طه: 66] فإذا حباليهم وعصيهم التي طرحوها،

جعلت موسى -عليه السلام- لشدة اهتزازها واضطرابها- يخيل إليه من شدة سحرهم، أن هذه الحال والعصى حيات تسعي.

" وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد، بحيث يخيل للناظر أنها تسعي باختيارها، وإنما كانت حيلة، وكانوا جمّاً غفيراً، وجمعوا كثيراً فألقى كل منهم عصا وحبلًا حتى صار الوادي ملآن حيات، يركب بعضها ببعضها." ⁽¹⁾

وامتلأت أرض المبارزة بالحيات لدرجة أن موسى -عليه السلام- أضرم الخوف في نفسه بمقتضى الطبيعة البشرية، أو " خاف على الناس أن يفتنوا بسحرهم ويغتروا بهم قبل أن يلقى ما في يمينه " ⁽²⁾

فثبته الله- تعالى- وأوحى إليه بقوله: ﴿قُلْنَا لَا تَخْفِ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَالْأَقِيمَةِ فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حِينَ أَتَى﴾ [طه: 68-69] ، إنه مشهد جليل مهيب يلقي موسى -عليه السلام- عصاه فإذا هي تقلب حية حقيقة وليس سحراً لأعين الناس كما فعل السحرة، بل وهذه الحية تلتف ما صنعوا، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْ موسى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحُقُوقُ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَعُلِّيُّوا هُنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ [الأعراف: 117-119] ، فأقام الله حجته وظهر برها صدق رسوله، ثم كانت بعد ذلك المفاجأة العظيمة، فقد آمن السحرة وسجدوا لله رب العالمين حين رأوا بأعينهم برها صدق موسى -عليه السلام-، وهم أعرف الحاضرين بأن ما أتوا به هو سحر لأعين الناس، وأن ما جاؤوا به باطل وأن ما جاء به موسى هو الحق، قال تعالى: ﴿وَالْأَقِيمَةِ سَاجِدِينَ قَالُوا إِنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ موسى وَهَرُونَ﴾ [الأعراف: 120-122] " سبحان الله ما أتعجب أمرهم! قد ألقوا حالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشك والسجود، فما

(1) تفسير ابن كثير (5/302)

(2) المرجع السابق (5/302)

أعظم الفرق بين الإلقاءين! "(1)"

وقد جعل الله تعالى ما حدث برهاناً واضحاً لكل ذي عينين دالاً على صدق نبيه موسى -عليه السلام- ، وعلوه بالمعجزة التي أجرتها على يديه، وخذلان فرعون وخبيته يومئذ بإيمان السحرة الذين جاء بهم فرعون لإبطال معجزة موسى -عليه السلام- ، فانقلب الأمر عليه، وأمن السحرة أجمعين فتوعدهم قائلاً: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلِمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا أَقْطَعُنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَا تَعْلَمُنَّ أَيْنَا أَشَدُ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: 71] فلم يردهم ذلك أبداً عن يقينهم وإيمانهم بالله ورسوله فقالوا: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضِ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴿٧٦﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٧﴾ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٨﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلُوُّ ﴿٧٩﴾ جَنَّاثٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ ﴿٨٠﴾ [طه: 76-72] سبحان الله! " كانوا أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء ببررة" (2)

وهكذا انتهت المناظرة بخسارة فرعون وخذلانه، وسقوط هيبته أمام جموع الناس، بل وإيمان السحرة الذين استعن بهم على موسى -عليه السلام- عليه السلام-، وظهور أمر موسى -عليه السلام- وصدقه، وإيدان برفع الظلم عن قومه.

(1) تفسير الكشاف للزمخشري (3/75)

(2) تفسير ابن كثير (5/303)

المطلب الثالث: مجادلة موسى - عليه السلام- مع قومه بني إسرائيل:

1- طلبهم من نبيهم أن يجعل لهم أصناماً آلهة:

لما أهلك الله فرعون وجنوده بقدرته، وأنجى موسى - عليه السلام- وبني إسرائيل برحمته، أتى بنو إسرائيل على قوم يعبدون أصناماً لهم، فطلبوه من نبيهم أن يجعل لهم إلهًا كالآلهتهم!! قال تعالى: ﴿وَجَاءُوكُنَّا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: 138] ، لقد أراهم الله آية عظيمة، وأنعم عليهم بالنجاة، وأراهم غرق فرعون وجنوده، وكان المتوقع منهم استنكار أن يكون هناك من يعبد إلهًا غير الله، ويحمدوا الله ويعظموه ويؤدونه، والعجب أنهم يتطلبون من نبيهم هذا الطلب، أن يصنع لهم هو بنفسه هذا الصنم.

"وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ انْخَلَعُوا فِي مَدَةٍ إِقْلَامِهِمْ بِمِصْرَ عَنْ عِقِيدَةِ التَّوْحِيدِ وَحَنِيفِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَيَعْقُوبَ الَّتِي وَصَّى بَهَا فِي قَوْلِهِ: (فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [البقرة: 132] لِأَنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا فِي حَالٍ ذُلٍّ وَاسْتَعْبَادٍ ذَهَبُوا عَلَيْهِمْ وَتَارِيخُ مَجْدِهِمْ وَانْدَمْجُوا فِي دِيَانَةِ الْغَالِبِينَ لَهُمْ فَلَمْ تَبْقُ لَهُمْ مِيزَةٌ تَمْيِيزُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ خَدْمَةٌ وَعَبِيدٌ."⁽¹⁾

غضب موسى - عليه السلام- من كلامهم غضباً شديداً، ووصفهم بأنهم قوم يجهلون لا يفرقون بين التوحيد والشرك، أو بين الحق والضلal: ﴿وَجَاءُوكُنَّا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ^{١٣٨} إِنَّ هُؤُلَاءِ مُتَبَرِّرُ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^{١٣٩} ﴿قَالَ أَعْيَرَ اللَّهَ أَبْغِيَّكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَلَّكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ^{١٤٠} وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ^{١٤١}﴾ [الأعراف: 141-138] ، وبين لهم فساد ما عليه هؤلاء القوم الذين يريدون تقليلهم بأن ما هم عليه باطل وتالف، ولن تعود عبادته عليهم بنفع أو ضر، ثم ذكرهم بما أنعم الله عليهم من نعم جزيلة، يجب عليهم شكرها، وهي أنه أنعم عليهم بأن فضلهم على العالمين في

(1) تفسير التحرير والتنوير (9/81)

زمانهم فهو وحده -تبارك وتعالى- المستحق للعبادة، قال: (أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلکم على العالمين) ثم ذكرهم بنعمة إنجائهم من فرعون وجنوده الذين استعبدوهم واستذلوهم، وعاملوهم أسوأ معاملة، وكان من البلاء العظيم أنهم كانوا يقتلون أبناءهم ويستحيون نسائهم ليكن في خدمتهم ورهن إشارتهم، وهذا من أعظم الذل والمهانة، فالذكور تقتل والبنات تعد ليكن خادمات.

فتضمن رد موسى -عليه السلام- عدة أمور:

- التهكم على ما قالوا، واثبات جهلهم بربهم.
- التأكيد على فساد ما طلبوه وأنه باطل لا ينفع في الدنيا ولا في الآخرة.
- الغضب الشديد والاستكار.
- الله وحده هو المستحق للعبادة.
- التذكير بنعم الله العظيمة عليهم يقصد منه التوبية لمقابلتهم الإحسان من الله بالجحود وطلب عبادة غيره.

2- عدم صبرهم على أكل المن والسلوى:

لما أقام بنو إسرائيل في سيناء بعد نجاتهم من فرعون وجنوده أنعم الله عليهم، بنعم كثيرة فظلل عليهم الغمام وأنزل المن والسلوى، وتفجرت لهم اثنتا عشرة عيناً، فبدر منهم طلباً غريباً من نبيهم وكأنهم ملوا من النعمة، واشتاقوا لعيشهم الخشن قبل ذلك بمصر وقد كانوا يأكلون البقل والقثاء والثوم والعدس والبصل، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِي لَنْ تَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَأَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُثِبِّتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّاهَا وَفُؤَمَّهَا وَعَدَسَهَا وَبَصَلَهَا﴾ [البقرة: 61]، والتعبير بقولهم: (لن نصبر) يوحى بكرامة النعمة التي

أنعم الله بها عليهم إذ عبروا عن تناولها بالصبر - والصبر هو حمل النفس على الأمر المكرور، فهو تعبير يشعر بشدة ضجرهم، وبلغ الكراهة لهذا الطعام منهم منتهاتها؛ مع ما في صيغة طلبهم من الجفاء وقلة الأدب مع الرسول ومع المنعم إذ قالوا: لن نصبر فعبروا عن تناول المن والسلوى بالصبر المستلزم الكراهة وأتوا بما دل عليه (لن) فإن (لن) تدل على استغراق النفي لأزمنة فعل نصبر من أولها إلى آخرها وهو معنى التأبيد، وقولهم: فادع لنا ربك ولم يقولوا

ربنا، لعدم رسوخ الإيمان في قلوبهم، ولأنه سبحانه- قد اختصه بما لم يعط مثله من مناجاته وتتكليمه وإيتائه التوراة.⁽¹⁾

فوبتهم موسى -عليه السلام- بقوله: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: 61] أي: "اتختارون الذي هو أقل فائدة وأدنى لذة، وتنتركون المن والسلوى وهو خير مما تطلبون لذة وفائدة؟ انزلوا إلى مصر من الأمسار فإنكم تجدون به ما طلبتموه من القول وأشباهها".⁽²⁾

والجملة الكريمة: أستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير من مقول موسى -عليه السلام- لهم، وفيها توبیخ شديد لهم على سوء اختيارهم، وضعف عقولهم، لإيثارهم الأدنى وهو البقل وما عطف عليه، على ما هو خير منه وهو المن والسلوى، ثم أضاف موسى -عليه السلام- إلى توبیخهم السابق على بطرهم وجحودهم توبیخا آخر فقال لهم: اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألكم أي إذا كان هذا هو مرغوبكم، فاتركوا هذا المكان، وانزلوا إلى مصر من الأمسار، لكي تجدوا ما سألكموني إياه من البقل والثوم وأشباههما، لأن ما اخترتموه لا يوجد في المكان الذي حللتكم به، وإنما يوجد في الأمسار والقرى.

فالأمر في قوله: اهبطوا للإباحة المشوبة بالتوبیخ أي إن كان هذا همكم فاهبطوا بقرينة قوله: أستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير فالمعنى اهبطوا مصرًا من الأمسار يعني وفيه إعراض عن طلبهم إذ ليس حولهم يومئذ بلد قريب يستطيعون وصوله.⁽³⁾

فتتضمن رد موسى -عليه السلام- على قومه عدة أمور:

- التوبیخ الشديد على سوء اختيارهم وضعف عقولهم.
- أن الإنسان يسعد إذا ارتقى لما هو أعلى وليس إلى ما هو أدنى.
- أن مقابلة النعمة بالجحود والنكران سببا للحرمان.

(1) ينظر التحرير والتنوير (1/521) والتفسير الوسيط لطنطاوي (1/148)

(2) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (1/147) وما بعدها

(3) المرجع السابق (1/149)

- أن بعض الأنفس لا ترضى إلا بالدون من العيش.

3- الأمر بدخول الأرض المقدسة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيهِمْ أَنْبِيَاءً وَجَعَلَكُمْ مُلُوَّقِينَ وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمَ اذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنَقْلِبُوا حَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 20-21]

تعرض لنا هذه الآيات مشهدا من مشاهد المجادلة بين موسى -عليه السلام- وبني إسرائيل، لما أمرهم بدخول الأرض المقدسة "بيت المقدس" وبدأ الحديث معهم بتذكيرهم بنعم الله عليهم، وهذا تلطف منهم في الخطاب، وفتح للقلوب لشكر النعمة واستقبال التكليف الإلهي لهم بدخول الأرض المقدسة، فقال: (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) أن تدخلوها ووعدكم إياها.

وقوله: (كتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) فيه فائدة عظيمة:

"وهي أن القوم كانوا جبارين إلا أن الله - تعالى - لما وعد هؤلاء الضعفاء بأن تلك الأرض لهم، فإن كانوا مؤمنين مقررين بصدق موسى - عليه السلام - علموا قطعاً أن الله ينصرهم عليهم ويسلطهم عليهم فلا بد وأن يقدموا على قتالهم من غير جبن ولا خوف ولا هلع، فهذه هي الفائدة من هذه الكلمة".⁽¹⁾

ثم قال: (ولا ترتدوا على أدباركم) بعدم الاستجابة لأمر الله فتنصرفوا خائبين، ولكن القوم جادلوا نبيهم كعادتهم وقالوا له في جبن وخور: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَارِثِلُونَ﴾ [المائدة: 22] أي: "قال بنو إسرائيل لنبيهم موسى - عليه السلام - إن الأرض التي وعدتنا بدخولها فيها قوم متغلبون على من يقاتلهم، ولا قدرة لنا على لقائهم وإننا لن ندخل هذه الأرض المقدسة التي أمرتنا بدخولها مادام هؤلاء

(1) تفسير مفاتيح الغيب (11/332 وما بعدها)

الجبارون فيها، فإن يخرجو منها لأي سبب من الأسباب التي لا شأن لنا بها، فنحن على استعداد لدخولها في راحة ويسر، وبلا أدنى تعب أو جهد."⁽¹⁾

وطريقة كلامهم مع نبيهم تخبر عن قوم استولى عليهم الجبن والضعف، إنهم يريدون أن ينالوا النصر بالخوارق والمعجزات كما حدث لهم عندما عبروا البحر وكان فرعون وجنوده وراءهم، يريدون نصراً مريحاً لا تعب فيه ولا قتال، وقولهم: (لن ندخلها) إصرار على عدم القتال والمواجهة، وأن دخولهم للأرض المقدسة مر هون بخروج الجبارين منها، وخروج الجبارين بدون قتال أمر مستبعد، لكن هكذا قال القوم لنبيهم في سلبية متناهية.

وهنا أللهم الله رجلين مؤمنين استنكرا هذه السلبية والإعراض من قومهما فقالا لهم يستحثونهم على طاعة نبيهم: ﴿قَالَ رَجُلَاٰ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23]، وقد وصف الله تعالى- هذين الرجلين بوصفين:

الأول أنهم من الذين يخافون الله وحده ولا يخافون ما سواه
والثاني: أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا بِالإِيمَانِ وَالثَّقَةِ بِوَعْدِ اللَّهِ.

"هنا تبرز قيمة الإيمان بالله، والخوف منه.. فهذا رجلان من الذين يخافون الله، ينشئ لهما الخوف من الله استهانة بالجبارين! ويرزقهما شجاعة في وجه الخطر الم وهوم! وهذا مما يشهدان بقولهما هذه بقيمة الإيمان في ساعة الشدة وقيمة الخوف من الله في مواطن الخوف من الناس، فالله سبحانه لا يجمع في قلب واحد بين مخافتين: مخافته- جل جلاله- ومخافته الناس.. والذي يخاف الله لا يخاف أحداً بعده ولا يخاف شيئاً سواه."⁽²⁾

إذن فقد طلبوا من القوم أمرتين:

الأول: الأخذ بالأسباب (ادخلوا عليهم الباب)

الثاني: تعلق القلوب بالله (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فهو وحده الذي بيده النصر، وقد وعدكم الله بذلك على لسان نبيه.

(1) التفسير الوسيط لطقطاوي (4/107)

(2) تفسير الظلال (2/870)

فِيمَاذَا أَجَابَ الْقَوْمُ الَّذِينَ أَقْعَدُهُمُ الْجِنُونَ وَأَصْنَمُ أَسْمَاعَهُمْ؟

لقد قالوا في جرأة وسوء أدب مع نبيهم معلنين الإصرار على العصيان والمخالفة: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]، فجمع القوم في ردهم على نبيهم بين الجن وسوء الأدب مع الله -عز وجل-، ورسوله موسى -عليه السلام-

"والجبن والتوقع ليسا متناقضين ولا متباعد़ين، بل إنهم لصنوان في كثير من الأحيان. يدفع الجبان إلى الواجب فيجبن، فيخرج بأنه ناكٌ عن الواجب، فيسب هذا الواجب ويتوقع على دعوته التي تكلفه ما لا يريد! (فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا). إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ، هكذا في وقاحة العاجز، الذي لا تكلفه وقاحة اللسان إلا مد اللسان! أما النهوض بالواجب فيكلفه وخذ السنان! (فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ)! فليس بربهم إذا كانت ربوبيته ستتكلفهم القتال! (إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ).. لا نريد ملكاً، ولا نريد عزاً، ولا نريد أرض الميعاد.. دونها لقاء الجبارين!"⁽¹⁾

بل "وأكدوا امتناعهم عن دخول هذه الأرض في هذه المرة بثلاثة مؤكّدات، هي: إن، ولن، وكلمة أبداً، أي: لن ندخلها بأي حال من الأحوال مadam الجبارون على قيد الحياة ويسكنون فيها".⁽²⁾

وهنا توجه موسى -عليه السلام- بالشكوى إلى ربِّه بعد أن رأى ما رأى من عناد القوم وجبنهم وعدم ثقتهم في موعد الله بأنه سبحانه وتعالى قد كتب لهم النصر والظفر على هؤلاء الجبارين، فشكا لربِّه قائلاً: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَأَفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 25]

لكن لماذا ذكر موسى في دعائه أخيه هارون فقط؟ ولم يذكر الرجلين؟

والجواب على ذلك أن موسى -عليه السلام- لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن إلى ثباتهما، لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من أحوال قومه وتلوّنهم وقسوة قلوبهم، فلم يذكر إلا النبي المعصوم الذي لا شبهة في أمره.

(1) المرجع السابق (2/870)

(2) المرجع السابق (4/110)

ويجوز أن يقول ذلك لفط ضجره عند ما سمع منهم تقليلًا لمن يوافقه. ويجوز أن يريد: ومن يؤاخيني على ديني فافرق فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما تستحق، وتحكم عليهم بما يستحقون، وهو في معنى الدعاء عليهم.⁽¹⁾

وقد استجاب الله - تبارك وتعالى - دعاءه فيهم، فقال: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيمُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدah: 26]، لقد حرمها الله على هؤلاء الجبناء العصاة مدة أربعين سنة، يسيرون خلالها في الصحراء تائهين حيارى.

لماذا هذه العقوبة بالتحديد؟

لقد عاقبهم الله بأن حرمها عليهم أربعين سنة يتيمون في الأرض " والأرجح أنه حرمها على هذا الجيل منهم حتى تنبت نابتة جديدة وحتى ينشأ جيل غير هذا الجيل. جيل يعتبر بالدرس، وينشأ في خشونة الصحراء وحريتها صلب العود.. جيل غير هذا الجيل الذي أفسد الذل والاستعباد والطغيان في مصر، فلم يعد يصلح لهذا الأمر الجليل! والذل والاستعباد والطغيان يفسد فطرة الأفراد كما يفسد فطرة الشعوب.⁽²⁾

فحكمة ذلك التي أربعين سنة مقصودة، وهي فناء الجيل الذين كانوا بمصر وعاشوا في قبضة فرعون وجنوده وذاقوا الذل والقهر وفسدت فطرتهم، فينشأ جيل آخر يتربى على يد رسولين كريمين من رسول الله موسى وهارون - عليهما السلام - وينمو على العزة وينعم بالحرية، فلا يجبن إذا دعاه داعي الجهاد في سبيل الله.

ونلاحظ في هذه المجادلة بين موسى - عليه السلام - وبني إسرائيل عدة أمور:

1- أسلوب موسى - عليه السلام - في الدعوة إلى الله - تعالى - مع قومه أسلوب حكيم يتعلم منه الدعاء إلى الله، فقد بدأ بتذكير بنى إسرائيل بنعم الله عليهم، ليفتح قلوبهم لسماعه، ويستحيثهم على شكر نعم الله تعالى التي أسبغها عليهم بالاستجابة لأمره.

(1) تفسير الزمخشري (1/622)

(2) تفسير الظلال (2/871)

2- بيان الكثير من صفاتبني إسرائيل السيئة فهم لا يستجيبون لأمر الله مباشرة، بل لا بد من الجدال والعناد والعصيان، وهذه طبيعة فيهم برزت في أكثر من موطن.

3- ضعف إيمانهم بالله ورسوله وتناقلهم الشديد لتلقي أي تكاليف إلهية لهم، بل ولا يجدون غضاضة في إعلان العصيان والاشتراك على الله ورسوله.

4- ويبرر بعد تلك المجادلة شئم المعصية وأنها سبب الخسارة والعقوبة من الله كما عاقب بنو إسرائيل بالتنيه أربعين سنة.

5- أن الموقف الأمثل للمجادل بالحق حينما يرى عناد ومكابرة من يجادله أن يتوقف عن المجادلة لأنها لن تجدي نفعا، كما فعل موسى -عليه السلام- عندما توقف عن مجادلة قومه.

6- في القصة درس للدعاة إلى الله في سعة الصدر والحلم واللجوء إلى الله إذا أعيته الحيلة.

المطلب الرابع: مجادلة موسى -عليه السلام- لقومه في عبادة العجل:

ترك موسى -عليه السلام- قومه وراءه مستخلفا عليهم أخيه هارون، وذهب لمناجاة ربه فأخبره - سبحانه - بما أحدثه قومه في غيبته عنهم وهو عبادتهم العجل من دون الله، قال تعالى: ﴿وَمَا أَغْرَجْنَا عَنْ قُومٍ كَيْمَانًا مُّوسَى قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثْرِي وَعَجِلْنَا إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: 83-85] فرجع موسى -عليه السلام- إلى قومه - بعد مناجاته لربه وقد اشتد غضبه وحزنه من موقف قومه العجيب وسقوطهم في أول اختبار لهم، فخاطبهم قائلاً: ﴿قَالَ يَا قَوْمَ أَلَمْ يَعْذِنْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَنَا حَسَنًا أَفَظَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدِي﴾ [طه: 86]

بدأ موسى -عليه السلام- كلامه باستفهام يقصد منه الاستنكار والتوبیخ: ﴿قَالَ يَا قَوْمَ أَلَمْ يَعْذِنْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَنَا حَسَنًا﴾، أي: "ألم يعدكم ربكم أنه غفار لمن تاب وأمن وعمل صالحا ثم اهتدى؟" ويعدهم جانب الطور الأيمن، وينزل

عليكم المن والسلوى، فذلك وعد الله الحسنبني إسرائيل الذي قال لهم موسى -
عليه السلام: ألم يعدكموه ربكم" ⁽¹⁾

وقد قدم بهذه المقدمة بين يدي الكلام لأن هذه الوعود التي وعدهم الله
إياها قد تحققت ورأوها بأعينهم وليس شيئاً بعيداً لم يتحقق، ثم زاد في توبيقه
وزجره لهم قائلاً: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ
رَّبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدِي﴾ [طه: 86]، والمعنى: "أفطال عليكم الزمان الذي فارقتم
فيه؟ لا إنه لم يطل حتى تتتسوا ما أمرتم به، بل إنكم أردتم أن يحل عليكم
غضب من ربكم، فأخلقتم موعدي الذي وعدتموني إياه وهو أن تتبتوا على
إخلاص العبادة لله - تعالى - . ومعنى إرادتهم حلول الغضب عليهم، أنهم فعلوا ما
يستوجب ذلك وهو طاعتهم للسامري في عبادتهم للعجل." ⁽²⁾

فماذا كان رد بنى إسرائيل على نبيهم؟

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حَمِلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْفَنَاهَا
فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾^{٦٧} فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ
وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾^{٦٨} [طه: 87-88]، لقد اعتذر القوم عن عبادتهم العجل مبررين
فعلتهم بأنهم ما أخلفوا موعدهم بقدرتهم و اختيارهم وإنما كان عندهم سببين:
الأول: "تورعهم مما كان بأيديهم من حلي القبط الذي كانوا قد استعاروه منهم،
حين خرجوا من مصر، {فقدناها} أي: ألقيناها عنا." ⁽³⁾

الثاني: وهذه الحلي قذناها في النار بتوجيهه من السامری، فكما ألقينا ما معنا
أَلْقَى السَّامِرِيُّ ما معه من تلك الزينة.

"وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط، فألقواها
عنهم، وعبدوا العجل. فتورعوا عن الحقير وفعلوا الأمر الكبير" ⁽⁴⁾

(1) تفسير ابن جرير الطبرى (16/132)

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (9/138)

(3) تفسير ابن كثير (5/310)

(4) المرجع السابق (5/311)

قام السامری بعمل عجل لهم من سبائك الذهب الذي ألقوه، وجعل فيه منافذ إذا دخلت فيها الريح أخرجت منه صوتاً كصوت خوار البقر، فقال بنو إسرائيل عند ما رأوا العجل الذي صنعه لهم السامری: هذا إلهكم وإله موسى فاعبدوه، لأن موسى نسي إلهه هنا، وذهب ليبحث عنه في مكان آخر أو أن السامری هو الذي قال لهم ذلك فكرروا قوله، والضمير في قوله فَنَسِي يعود لموسى -عليه السلام-.⁽¹⁾

وقولهم هذا يدل على ضعف عقولهم، وضعف إيمانهم، لدرجة أنهم من فرط سذاجتهم لم يكتفوا بعبادة العجل، بل زعموا أو صدقوا زعم السامری أن نبيهم الداعي لهم إلى توحيد الله، قد كان يعبد العجل وأنه قد نسي مكانه فذهب يبحث عنه، ومن هنا جاء التعقيب من الله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: 89]، أعميت بصائرهم فلا يدركون أن هذا العجل الذي اتخذوه إلهًا، إذا دعوه فلن يجيبهم، وإذا سألوه فلن يعطينهم لأنه جماد لا يملك لهم ضرا ولا نفعا؟

"والمحظوظ أنه حتى لم يكن عجلاً حياً يسمع قولهم ويستجيب له على عادة العجول البقرية! فهو في درجة أقل من درجة الحيوانية، وهو بطبيعة الحال لا يملك لهم ضرا ولا نفعاً في أبسط صورة، فهو لا ينطح، ولا يرفس ولا يدير طاحونة ولا ساقية!"⁽²⁾

المطلب الخامس: مجادلة موسى لأخيه هارون:

كان هارون -عليه السلام- مشفقاً على قومه من وقوعهم في الفتنة، وعبادتهم عجلاً من دون الرَّحْمَن -جل جلاله-. فهو المستحق للعبادة، ولكن هذه النصيحة لم تجد أذناً صاغية، بل قابلوها بالتشكيك فيما قال، إذ لو كانوا قد صدقوا هارون فيما نصحهم به لأقلعوا عما هم فيه من شرك، ثم إنهم أخبروه أنهم سيظلون هكذا مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع إليهم موسى -عليه السلام-، قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونٌ مِنْ قَبْلٍ يَا قَوْمٍ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ

(1) ينظر تفسير ابن جرير الطبرى (139/16 وما بعدها)

(2) تفسير الظلال (4/2348)

رَبُّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٦﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٧﴾ [طه: 91-92]

وبعد أن تكلم موسى -عليه السلام- مع قومه وبخهم واستنكر ما فعلوا توجه باللوم والعتاب لأخيه هارون وقد بلغ الغضب منه مبلغاً فقد جر أخاه من رأسه ولحيته قائلاً: ﴿قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتُهُمْ ضَلُّوا أَلَا تَتَبَعَنِ ﴾ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٨﴾ [طه: 93-94] فسألته ما الذي حال دون منعك إياهم من الوقوع في الشرك بعبادة العجل؟ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي لِمَا قلتَ لَكَ: ﴿أَخْلُفُنِي فِي قَوْمٍ وَأَصْلِحُ وَلَا تَتَبَعَنِ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142] ففسر موسى -عليه السلام- ما حدث على أنه تهاون من أخيه هارون وكان الأجرد به اتخاذ موقف فيه حزم وشدة.

وهنا يرد هارون على أخيه موسى بهدوء تام واستعطاف ليهدي من غضبه، ويسمع لوجهة نظره في عدم أخذ الأمور بالشدة والحرز فقال: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي حَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: 94] يا ابن أمي لا تمسك بلحيني ولا برأسي على سبيل التأنيب لي، فإني لست عاصيا لأمرك، ولا معرضًا عن اتباعك.

وقد " خص الأم بالإضافة استعطافا وترقيقا لقلبه، لا لما قيل من أنه كان أخاه لأمه، فإن الجمهور على أنهما كانوا شقيقين."⁽¹⁾

فراءٍ هارون غضبة أخيه للحق وتقهم أنه شدته هذه هي لله، فخاطبه بما فيه تهيئة له، والتمنى أن يسمعه وأن يعرف عذرها.

"وَهَذَا نَجْدٌ هَارُونٌ أَهْدَأَ أَعْصَابًا وَأَمْلَكَ لَانْفَعَالَهُ مِنْ مُوسَى، فَهُوَ يَلْمِسُ فِي مَشَاعِرِهِ نَقْطَةَ حَسَاسَةٍ، وَيَجِيءُ لَهُ مِنْ نَاحِيَةِ الرَّحْمِ وَهِيَ أَشَدُ حَسَاسِيَّةً، وَيُعْرِضُ لَهُ وَجْهَهُ نَظَرَهُ فِي صُورَةِ الطَّاعَةِ لِأَمْرِهِ حَسْبَ تَقْدِيرِهِ وَأَنَّهُ خَشِيَّ إِنَّهُ هُوَ عَالِجُ الْأَمْرِ بِالْعَنْفِ أَنْ يَتَفَرَّقَ بَنُو إِسْرَائِيلَ شَيْعًا، بَعْضُهَا مَعَ الْعَجْلِ، وَبَعْضُهَا

(1) تفسير الألوسي (8 / 561)

مع نصيحة هارون، وقد أمره بأن يحافظ على بني إسرائيل ولا يحدث فيهم أمرا، فهي كذلك طاعة الأمر من ناحية أخرى."⁽¹⁾

المطلب السادس: مجادلة موسى - عليه السلام - للسامري:

وبعد انتهاء موسى من سماع أخيه هارون، اتجه إلى السامری، ورغم أنه رأس الفتنة ومدبرها، إلا أن موسى "لم يتوجه إليه منذ البدء، لأن القوم هم المسؤولون ألا يتبعوا كل ناعق، وهارون هو المسؤول أن يحول بينهم وبين اتباعه إذا هموا بذلك وهو قائدتهم المؤمن عليهم. فلما السامری فذنبه يجيء متاخرًا لأنه لم يفتنهم بالقوة، ولم يضرب على عقولهم، إنما أغواهم فغروا، وكانوا يملكون أن يثبتوا على هدى نبيهم الأول ونصح نبيهم الثاني، فالتبعة عليهم أولاً وعلى راعيهم بعد ذلك، ثم على صاحب الفتنة والغواية أخيرا."⁽²⁾

وقد ذكر الحق - سبحانه - ذلك في قوله : ﴿قَالَ فَمَا حَطْبُكَ يَا سَامِرِيٌّ﴾^{١٥}
قَالَ بَصَرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثْرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي^{١٦} ﴿قَالَ فَإِذْهَبْ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَثَحْرِيقَةً ثُمَّ لَتَنْسِفَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾^{١٧} إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا^{١٨﴾} [طه: 95-98]

من هو الرسول الذي قصده السامری؟

كان رد السامری أنه قال: ﴿قَالَ بَصَرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثْرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ [طه: 96] ، فمن هو الرسول الذي قصده السامری؟ لأنه بناء على الإجابة سيكون فهمنا لمعنى رده على موسى - عليه السلام -

هناك قولان للمفسرين:

الأول: أن الرسول هو موسى - عليه السلام -

(1) تفسير الظلال (4/2348)

(2) المرجع السابق (4/2348)

ويكون المراد بأثره: سنته ورسمه الذي أمر به، فيكون المعنى على لسان السامری: عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول أي شيئاً من سنتك ودينك فقدفته أي طرحته، فعند ذلك أعلم موسى -عليه السلام- بما له من العذاب في الدنيا والآخرة.

وأدلة هذا القول كما يلي:

1- أن جبريل -عليه السلام- ليس بمشهور باسم الرسول ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى تجعل لام التعريف إشارة إليه.

2- الرسول هو المبلغ لشرع الله المباشر للمبلغ، أما جبريل فهو رسول للرسول، ولم ير أحد فأطلقـت الرسول على حامل المنهج إلى المتـكلـمـ به.
(يقصد موسى -عليه السلام-)

3- أنه لا بد فيه من الإضمار وهو قبضة من أثر حافر فرس الرسول والإضمار خلاف الأصل.

4- أنه لا بد من التعسف في بيان أن السامری كيف اختص من بين جميع الناس برؤيه جبريل -عليه السلام -ومعرفته ثم كيف عرف أن لتراب حافر فرسه هذا الأثر والذي ذكروه من أن جبريل -عليه السلام- هو الذي رباه بعيداً⁽¹⁾.

القول الثاني: أن الرسول هو جبريل:

ويكون المراد بأثره: التراب الذي أخذه من موضع حافر فرسه، لأن السامری رأى جبريل، فألقي في روعه أنك إن أخذت من أثر هذا الفرس قبضة فألقيتها في شيء، فقلت له: كن فكان عجل له خوار.

وأدلة هذا القول كما يلي:

1- عهد في القرآن الكريم إطلاق الرسول على جبريل، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: 19] وعدم جريان ذكره فيما تقدم لا يمنع أن يكون معهوداً، ويجوز أن يكون إطلاق الرسول عليه كان شائعاً في بنى إسرائيل، لا سيما إن قلنا بصحة ما روی أنه عليه السلام كان يغذى من يلقى من أطفالهم في الغار في زمان قتل فرعون لهم.

(1) ينظر تفسير مفاتيح الغيب للرازي (22/96) وتفسير الشعراوي (15/9368)

2- تقدير المضاف في الكلام أكثر من أن يحصى، وقد عهد ذلك في كتاب الله غير مرة.

3- رؤية السامری دون غيره لجبریل، كان ابتلاء من الله- تعالى- ليقضی الله أمراً كان مفعولاً، ومعرفته تأثير ذلك الأثر دون غيره كانت بسبب ما ألقى في روعه من أنه لا يلقیه على شيء يقول له كن كذا إلا كان، ويحتمل أن يكون سمع ذلك من موسى -عليه السلام-.⁽¹⁾

الراجح: يرى الباحث قوة أدلة الرأي الأول لأن مبني ما استدل به أصحاب الرأي الثاني مبني على الإسرائیلیات وليس فيها سند صحيح إلى النبي صلی الله عليه وسلم.

عقوبة السامری :

هنا أصدر موسى -عليه السلام- الحكم على السامری الضال المضل بعد أن اعترف بجريمته النكراء وإغرائه لبني إسرائيل بالوقوع في الشرك، فقال - عليه السلام-: ﴿قَالَ فَأَذْهَبْ فِإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ﴾ [طه: 97] لقد كانت العقوبة هي الحكم عليه بالنفي فيكون منبوداً، لبعده عن الناس وبعد الناس عنه.⁽²⁾

" والسر في عقوبته على جنایته بما ذكر أنه ضد ما قصده من إظهار ذلك ليجتمع عليه الناس ويعززوه، فكان ما فعله سبباً لبعدهم عنه وتحقيره، وقيل: عوقب بذلك ليكون الجزاء من جنس العمل، حيث نبذ فنبذ، فإن ذلك التحامي أشبه شيء بالنبذ.⁽³⁾

ثم بين- سبحانه- عقوبة السامری في الآخرة، بعد بيان عقوبته في الدنيا فقال: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ [طه: 97] وإن لك موعداً في الآخرة لن يخلفك

(1) ينظر تفسیر ابن جریر الطبری (149/16 وما بعدها) وتفسیر القرطبی (239/11)، وتفسیر ابن کثیر (5/313) وتفسیر الألوسی روح المعانی (8/564)

(2) تفسیر القرطبی (241/11)

(3) ينظر تفسیر الألوسی (8/566)

الله- تعالى- إيه. بل سينجزه لك، فيعاقبك يومئذ العقاب الأليم الذي تستحقه بسبب ضلالك وإضلالك، كما عاقبك في الدنيا بعقوبة الطرد والنفور من الناس.

ثم حرق موسى -عليه السلام- العجل أمام أعينهم، ثم ذراه في البحر فلم يبق له أثر لتنتهي فتنة عبادة العجل في بني إسرائيل.

ويتجه موسى إلى بنى إسرائيل بخطاب واضح يختتم به هذا المشهد
فائلاً: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسَعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [ط: 98]

ونلاحظ في هذه المجادلة عدة أمور:

- 1- أن الأنبياء لا يعلمون الغيب إلا إذا أطلعهم الله -عز وجل.
 - 2- توبيخ موسى -عليه السلام- الشديد لقومه وإنكاره عليهم ما وقع منهم.
 - 3- ألمتهم الحجة التي لا مفر منها ألا وهي أنكم بعبادتكم العجل عرضتم أنفسكم لحلول غضب الله عليكم.
 - 4- كان عذربني إسرائيل غريباً مرفوضاً من أي عاقل؛ فهم أرادوا أن يتخلصوا من الحلي التي أخذوها من القبط عند خروجهم من مصر، فأعطوهها للسامري ليصنع بها عجلًا يعبدونه من دون الله، فور عليهم باهت وباطل، وموافقتهم للسامري لصنع عجل وعبادته باطل، والعجيب أنهم قالوا لموسى -عليه السلام- أنهم أجبروا على فعل ذلك فلا قدرة لهم ولا اختيار فيما فعلوه، ورائحة الكذب تفوح من كلامهم فلم يكن هناك مكره لهم، ولم يكن السامر ي إلا شيطان زين لهم الشرك بالله.
 - 5- أيضاً يتبيّن من المجادلة ضعف عقولهم وإيمانهم لدرجة أنهم من فرط سذاجتهم لم يكتفوا بعبادة العجل، بل صدقوا زعم السامر أن نبيهم كان يعبد العجل وأنه قد نسي مكانه فذهب يبحث عنه.
 - 6- أن هارون رأى أن حسم الأمر لن يكون إلا بمواجهة حتمية مع قومه وستؤدي إلى الاقتتال والتنازع بينبني إسرائيل، فرأى أن يكتفي بالنصيحة والإقناع أن هذا العجل ليس هو الإله كما زعم لهم السامر.
 - 7- أن عبدة العجل لما دعاهم هارون لم تكن عقولهم تصغي أبداً لصوت الحكمة والرجوع للحق، وهو التوحيد، بل هموا بقتله ﴿قَالَ أَبْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ أَسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِثُ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ

الْقَوْمُ الظَّلِيمِينَ ﴿الأعراف: 150﴾ ، وفي هذا درس للدعاة إلى الله بأن يوازنوا بين المصالح والمفاسد في دعوتهم بفعل أهون الشررين وأخف الضررين.

8- كان هارون على يقين أن شدة أخيه موسى عليه هي غضبة الله ولذلك استعطفه مستر حما بقوله له **﴿أَبْنَ أُمٍّ إِنَّ الْقَوْمَ أَسْتَعْفُونِي﴾** [الأعراف: 150]، ولما تبين لموسى -عليه السلام- الحق في كلام أخيه دعا له قائلاً: **﴿قَالَ رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلَا إِخْيٌ وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾** [الأعراف: 151] وهذا درس للدعاة إلى الله بالتأني والتبيّن وعدم العجلة في الأمور.

9- أن السامری كان شيطانا من شياطين الإنس هيا وزين وجمل لبني إسرائيل وصنع لهم العجل وكذب قائلاً: هذا هو إلهكم وإله موسى وانطلت دعوته على السذج من بنى إسرائيل وصدقوه، وعبدوا العجل معه من دون الله.

10- حكم على السامری بالنفي والوحدة والتوعّد بالعذاب الأليم في الآخرة بيان أن للعفو موضعه وللعقوبة موضعها وأن استعمال الشدة في مكانها وسياقها الصحيح هو من الحكمة في الدعوة إلى الله.

11- حرق العجل وتذریته في البحر برہان عملي لبني إسرائيل على أنه لو كان هذا إليها كما زعمتم لدافع عن نفسه فثبت لكم بالدليل العملي أنه ليس إله، وفيه تسفيه وإغاظة للسامری وهو يرى احتراق العجل ونهايته أمام عينه لتزداد حسرته وألمه.

11- ختام المشهد بعد حرق العجل ونفي السامری رأس الفتنة بتقرير التوحيد لله الذي لا إله غيره ولا رب سواه فقال موسى -عليه السلام- **﴿إِنَّمَا إِلَهُنَّمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾** [طه: 98]

المبحث الثالث/ الحوار

الحوار من أساليب المنهج العقلي وقد تعددت صور الحوار في قصة موسى -عليه السلام- على النحو التالي:

أولاً/ حوار موسى مع رب العزة.

ثانياً/ حواره مع فرعون.

ثالثاً/ حواره مع السحرة.

رابعاً/ حواره مع قومه.

وقد تناول الباحث فيما سبق ما جرى من حوار ومجادلة بين موسى -عليه السلام- وفرعون، وسحرة فرعون، ثم ما جرى بينه وبين قومه، بقي الحوار الذي كان بينه وبين رب العالمين جل جلاله.

حوار موسى مع رب العزة

موسى -عليه السلام- كليم الله ونبي بنى إسرائيل شرفه الله بتكليمه وكانت المرة الأولى عندما كلفه بالرسالة بالوادي المقدس طوى، والمرة الثانية عندما واعده بالمناجاة.

إذن حوار موسى مع رب العالمين فيه مطلبان:

المطلب الأول: حوار موسى مع الله جل جلاله بالوادي المقدس.

المطلب الثاني: حوار موسى مع الله- تبارك وتعالى- بجبل الطور.

المطلب الأول: حوار موسى مع الله جل جلاله بالوادي المقدس:

بعدما قضى موسى -عليه السلام- الأجل الذي كان بينه وبين صهره الرجل الصالح في رعاية الغنم سار بأهله قاصداً مصر بعد فراره منها منذ عشر سنين، فضلّ الطريق وكانت ليلة باردة مظلمة فأنس ناراً، فقال لأهله امكثوا لقد وجدت ناراً، فلما أتتها كان التشريف والتکلیف من الله بالرسالة، قال تعالى:

﴿وَهُلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنْسُتُ نَارًا لَعَلِّيٌّ
آتِيْكُمْ مِنْهَا بِقَبِيسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ۝﴾ [طه: 9-10]

وذهب موسى - عليه السلام - إلى النار فلما اقترب منها نُودي من قبل الله - عز وجل ، قال تعالى : ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ۝ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاقْرَأْ خَلْعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوَىٰ ۝ وَأَنَا أُخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۝﴾ [طه: 11-13] ، هذا الحوار بين رب العزة ذي الجلال وموسى - عليه السلام - يفيض جلاً ويرتجف القلب وهو يتصور هذه اللحظة التي وقع فيها النداء على قلب موسى (إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاقْرَأْ خَلْعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوَىٰ) إنه التكليف والتشريف العظيم لموسى فيما للتكرير ويما للعظمة أن يخبره الله تعالى (وَأَنَا أُخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ) ، اصطفاه الله وشرفه لحمل رسالته وتبلیغ منهجه وتوضیح مراده من الخلق ، فاستمع لما يوحى إليك سماع من ينفذ الأمر ويقوم به ، قال تعالى : ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۝ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيَهَا لِشَجَرَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۝ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ۝﴾ [طه: 14-16]

ونلاحظ من خلال هذا الحوار أنه تشريف وتکلیف وتحذیر:

- أما التشريف فهو اختيار الله له رسولاً لبني إسرائيل.
- وأما التکلیف فهو تکلیف بثلاثة أمور:
 - 1- الاعتقاد بوحدانية الله - عز وجل -.
 - 2- قصده وحده بالعبادة وخاص الصلاة بالذكر لشرفها.
 - 3- والإيمان بوقوع الساعة، لتجزى كل نفس بسعيها وعملها في الدنيا.
- وأما التحذیر فقد حذر من يكذبون بها ويشككون في وقوعها اتباعاً لأهوائهم فتهلك ، إن أنت أطعهم .

ثم قال تعالى لموسى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسى﴾ [طه: 17]، والله- تعالى- عالم بما في يمين موسى، فالمعنى المقصود من السؤال الإيناس والتقرير لأن موسى سيرى العصا التي بيمينه تقلب حية تسعى.

فأجاب موسى بقوله- كما حکى القرآن عنه: ﴿قَالَ هِيَ عَصَائِي أَتَوَكَّوْا عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنْمِي وَلَيْ فِيهَا مَعَارِبُ أُخْرَى﴾ [طه: 18]، واضح من الجواب أن موسى -عليه السلام- قد زالت عنه الوحشة وبدأ يشعر بالإيناس وكان يكفيه أن يقول: هذه عصا لكته أضاف إلى ذلك (أتوکاً عليها وأهش بها على غنمی) فذكر مهمة العصا، وكأنه أراد أن يطيل الحديث مع رب العالمين فقال: (ولي فيها مارب أخرى) ليس الله عز وجل وما هي هذه المارب، لكن السؤال كان تمهدًا للأية التي سيراهما، والتي لم تكن لتخطر بباله ولذلك قال له الله مباشرة :

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَٰ قَالَ حُذْهَا وَلَا تَخْفَ سَنِعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءِ آيَةٍ أُخْرَىٰ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ﴾ [طه: 19-23]

لقد ألقى موسى -عليه السلام- العصا فانقلبت حية، وغلبته فطرته البشرية فولى مدبرا كما ذكر الله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَرُ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلَنْ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [النمل: 10] ولكن الله- تعالى- ثبت فؤاده، وطمأنه قائلا:

﴿يَمُوسَىٰ لَا تَخْفَ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَنِي الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 10]، وأمره أن يمسك الحياة وأن الله سبحانه سيعيدها إلى هيئتها الأولى إلى عصا كما كانت من قبل.

ثم أراد الله- سبحانه- أن يري عبده موسى آية أخرى فقال: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءِ آيَةٍ أُخْرَىٰ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ﴾ [طه: 23-22] أي: أجعل يا موسى يدك تحت إبطك ثم أخرجها فإنها تخرج بيضاء من غير سوء أو مرض، وقد أراك الله هاتين الآيتين: معجزة العصا ومعجزة البد، لنريك من آياتنا الكبرى، الدالة على قدرتنا.

ثم يبين الله لموسى -عليه السلام- التكليف الإلهي له بالذهاب إلى فرعون فقال: ﴿أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ وَطَغَىٰ﴾ [طه: 24] اذهب إلى فرعون فقد تجاوز الحد

في العصيان، وزعم للناس أنه ربهم الأعلى، فادعه إلى عبادتي، ومره فليحسن إلى بنى إسرائيل ولا يعذبهم.

وهنا التمس موسى - عليه السلام - العون من خالقه، لكي يتسرى له أداء ما كلفه به فقال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِيٍ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِيٍ وَاحْلُلْ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِيٍ يَفْقَهُوا قَوْلِيٍ﴾ [طه: 25-28]، وبعد أن سأله نفسه أن يشرح صدره ويطلق لسانه تشفع لأخيه هارون ليكون ظهيرا له في تبليغ الرسالة للطاغية فرعون فقال: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِيٍ هَارُونَ أَخِيٍ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِيٍ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِيٍ كَيْ نُسْتِحْكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرْكَ كَثِيرًا٥٣ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: 35-39]، وبهذه الدعوات تلقى موسى - عليه السلام - التكليف من الله ليعينه ويسده فيما هو مقبل عليه، وقد أخبر الله أنه أجاب دعاءه فقال: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتُ سُؤْلَكَ يَمْوِسِي﴾ [طه: 36]، ثم ذكره الله تعالى بمنته عليه ورعايته له وهو طفل في المهد ونجاته من فرعون وجنوده الذين كانوا يذبحون الأبناء الذكور من بنى إسرائيل ، فقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى٥٤ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى٥٥ أَنِ اقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوُّ لِي وَعَدُوُّ لَهُ وَالْقَيْنُوتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي٥٦ إِذْ تَمْسِي أَخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَذْلِكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقْرَ عَيْنُهَا وَلَا تَخْرَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَقَتَنَاكَ فُثُونًا فَلَبِثْتَ سِينِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ چَثَتَ عَلَى قَدَرِ يَا مُوسَى٦٧ وَاصْطَنَعْتَكَ لِتَفْسِي﴾ [طه: 41-37]

وكل هذه من عظيمة من الله تبين رعاية الله لنبيه موسى - عليه السلام - وهو في المهد صغيرا ترعاه عنابة الله، ثم اصطفاه الله وكله بالرسالة، فقال تعالى: ﴿إِذْهَبْ أَنْتَ وَأَخْوَكَ بِأَيَّاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذُكْرِي٥٨ إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى٥٩ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى٥١٠ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغِي٥١١ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى٥١٢ فَأَتَيْاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولاً رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ حِشَنَاكَ بِأَيَّةٍ مِنْ رَبِّكَ

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤١﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلََّ ﴿٤٢﴾ [طه: 42-48]

هذا بيان من الله لنبيه الكريمين بما سيسيران عليه عند ذهابهما لدعوة فرعون، وأنهما لا يتراخيا في ذكر الله وطمأنهما أنه سبحانه معهما يسمع ويرى، وأمرهما أن يدعوا فرعون إلى ترك ما هو فيه من كفر وطغيان، وأن يخاطبه بالقول اللين، وهذا القول اللين الذي أمرهما الله تعالى - به هنا قد جاء ما يفسره في آيات أخرى، وهي قوله تعالى:- ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَرَىٰ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازات: 18-19]، ثم أمرهما رب العالمين بأن يخبراه أنهما رسولان من عند الله، وأن يطلبان منه أن يرسل معهما بنى إسرائيل وأن يدع عذابهم.

ونلاحظ من هذا الحوار النقاط التالية:

- 1- هذا حوار بين رب العزة وكلمه موسى - عليه السلام -، ذهب موسى يلتمس قبسا من نار فرجع مكلفا من الله بالرسالة، وهو حوار شريف بين رب العزة ذي الجلال، وعبد اصطفاه الله، واختاره ليتلقى أمانة التكليف بالرسالة.
- 2- بين الله لموسى - عليه السلام - بوضوح الاعتقاد الذي ينبغي أن يكون عليه، والمنهج الذي أرسله به، فأمره بالصلاوة والإيمان باليوم الآخر، وكل هذا بيان لركائز الدعوة التي سينطلق بها موسى - عليه السلام - لدعوة فرعون وقومه بنى إسرائيل.
- 3- مع جلال الحوار ورهبة الحديث بين الله عزوجل وموسى - عليه السلام - إلا أن موسى - عليه السلام - زالت عنه الرهبة واستشعر الأنس بالله.
- 4- في الحوار كرامة عظيمة لموسى - عليه السلام - فوق تكليفه بالرسالة، وهي: أن الله اصطفاه واختصه بكلامه بدون حجاب.
- 5- كان في الحوار تدريب عملي على استعمال العصا، وإلقاءها وانقلابها حية بعد أن كان موسى - عليه السلام - قد فر منها أول مرة عند إلقاءها.

6- علم موسى -عليه السلام- من التكليف الإلهي بالرسالة ثقل الأمر وتبعاته فسائل الله انشراح الصدر وتيسير الأمر وإطلاق اللسان ليتهيأ لهذه المهمة التي كلف بها وسائل الله أيضاً أن يردد معه أخيه هارون فاستجاب الله له.

7- وفي هذا الحوار نادى الله جل جلاله موسى -عليه السلام- باسمه خمس مرات وهذا فيه تكريم وإناس وأي تكريم أكبر من أن يذكر الكبير المتعال اسم عبد من العباد؟ ولكن فضل الله لا خازن له، ورحمة الله لا ممسك لها، فهو يغمر عبده بمزيد من فضله وفيض من رضاه، ليزيده أطمئناناً وأنساً.⁽¹⁾

8- في هذا الحوار تذكرة لموسى -عليه السلام-. كيف أنه سبحانه حفظه صغيراً من فرعون وجنته، وتربى موسى -عليه السلام- في قصره، وأنه هو سبحانه الذي سيحفظه كبيراً ليبلغ رسالة الله فلا يخاف طغيان فرعون فعناية الله تراقه.

9- وفي الحوار وصية الله لنبيه الكريمين بـألا يفتر عن ذكره {وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي} [طه: 42] فزاد القلوب هو الذكر، فالله يقول لموسى وهارون: أكثرًا من الذكر، فإنكما ستمران بـمواقف صعبة، وـتكاليف ضخمة، لا تستطيعان خوض غمارها إلا بأن تكونا دائمًا في ذكر وثناء وافتقار لجلالي، وهذا درس عظيم للدعاة بأن يطلب الداعية العون والمدد من الله دائمًا.

10- في الحوار درس كبير للدعاة وهو أن الحوار مع المخالف يكون باللين والرفق، "فالقول للذين لا يثير العزة بالإثم ولا يهيج الكرياء الزائف الذي يعيش به الطاغة، ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكرة ويخشى عاقبة الطغيان، اذهبا إليه غير يائسين من هدايته، راجين أن يتذكرة ويخشى، فالداعية الذي يبأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بحرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار."⁽²⁾

المطلب الثاني: حوار موسى مع الله- تبارك وتعالى- بجبل الطور:

لما أنجى الله موسى وبني إسرائيل من عدوهم أراد الله أن ينعم عليهم بإِنزال الشريعة التي ستكون منهاجاً لهم، فواعد كلّيْمه موسى ثلاثة ليلة، وأتمها بعشر، فصارت أربعين ليلة، ليتهيأ موسى لقاء ربّه، واستخلف موسى أخيه

(1) ينظر تفسير الطلال (4/2334)

(2) المرجع السابق (4/2336)

هارون على قومه وتوجه لمناجاة الله كما ذكر ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي
وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ
دَكَّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ ثُبُثْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قالَ
يَا مُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِّنَ
الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: 143-144]

طلب موسى - عليه السلام - من الله أن يراه (قالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ
لَنْ تَرَنِي) لن تقدر الآن علىرؤيتي؛ فإن الله تبارك وتعالى لم يخلق فيبني آدم
القدرة على تحمل رؤيته جل جلاله، وأراد الله أن يبين لموسى من خلال برهان
عملي أن الجبل لو استقر مكانه فسوف تراني قالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى
الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّا وَخَرَّ
موسى صاعقا) [الأعراف: 143]، أي: انهال الجبل مثل الرمل، ومن هول صوت
اندكاك الجبل خَرَّ موسى صاعقا فتبين له حينئذ أنه إذا لم يثبت الجبل لرؤيه الله،
 فهو أولى ألا يثبت لذلك، وهنا أدرك موسى ضعفه فاستغفر رباه لما صدر منه
(فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ ثُبُثْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) فعوضه الله باصطفائه
على الناس بالرسالة وتکلیمه الله بدون حجاب (قالَ يَمُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى
النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِّنَ الشَّاكِرِينَ) خذ ما آتیتك
بانشراح صدر، وَكُنْ مِّنَ الشَّاكِرِينَ لله على ما خصك وفضلك.

ولهذا الحوار تتمة وردت بسورة طه في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ
قَوْمِكَ يَمُوسَى قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثْرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا
قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ الْسَّامِرِيُّ﴾ [طه: 83-85] سأله الله تبارك وتعالى موسى -
عليه السلام - وهو سبحانه أعلم - سأله عن قومه وسبب عجلته بقدومه وحده
دونهم فقال إنهم قربانين مني، والذي عجلني إليك يا رب طلبا لرضاك، وشوقا

إليك، فبین له الله أن قومه فتنوا من بعده بعبادتهم للعجل، وأن رأس الفتنة الذي زین لهم ذلك هو السامری.

ونلاحظ من هذا الحوار النقاط التالية:

- 1- جاء لقاء موسى -عليه السلام- بربه جل وعلا على شوق ومحبة لتكليمه سبحانه وتعالى.
- 2- الاستدلال على قياس الأولى في عدم ثبات الجبل لما تجلى الله له فمن باب أولى ألا يستطيع موسى -عليه السلام- ذلك، وبناء عليه فإن رؤية البشر الله غير ممكنة لعدم قدرتهم في الدنيا على ذلك، ولكنها ممكنة للمؤمنين في الجنة كما صحت بذلك الأدلة.
- 3- أدب موسى -عليه السلام- في الحوار مع الله واستغفاره بعد صعقه من اندكاك الجبل واقراره لله بالعظمة وأنه أول المؤمنين بالله من بنى إسرائيل، وكل هذا يبيّن رقة قلوب الأنبياء وقوّة إيمانهم بالله وتعظيمهم وإجلالهم له سبحانه.
- 4- في الحوار بيان لمكانة موسى -عليه السلام- عند الله وإكرام الله له وأصطفائه بالرسالة والتكليم بدون حجاب، وأعطاء الألواح المشتملة على التوراة، وقيل: الألواح أعطيها موسى -عليه السلام- قبل التوراة، فالله أعلم. وعلى كل تقدير كانت كالتعويض له عما سأله من الرؤية ومنع منه، والله أعلم⁽¹⁾
- 5- إخبار الله لموسى -عليه السلام- أن قومه عبدوا العجل بيان أن الأنبياء لا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه.

(1) ينظر تفسير ابن كثیر (3/474)

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة

موسى - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول / الآيات والمعجزات الحسية.

المبحث الثاني / تغيير المنكر باليد (حرق العجل)

المبحث الثالث / الاعتبار بمصارع الظالمين.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة موسى - عليه السلام

وقد استخدمنبي الله موسى - عليه السلام- هذا المنهج في الدعوة إلى الله مع قومه في عدة صور، يستعرضها الباحث في ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الآيات والمعجزات الحسية.

المبحث الثاني/ تغيير المنكر باليد (حرق العجل)

المبحث الثالث/ الاعتبار بمصارع الظالمين.

المبحث الأول/ الآيات والمعجزات الحسية

أرسل الله الرسل ليقيم الحجة على خلقه، ويرشدهم إلى عبادته وحده لا شريك له، وأيد هؤلاء الرسل بالمعجزات، دليلاً على صدقهم وصحة ما يخبرون به عن الله تبارك وتعالى، وهذه الآيات التي أجراهما الله على يد كليمه موسى - عليه السلام- منها ما حدث مع فرعون وقومه، ومنها ما حدث مع بني إسرائيل، وسيتمتناولها من خلال مطلبين:

المطلب الأول: ما حدث مع فرعون وقومه.

المطلب الثاني: ما حدث مع بني إسرائيل.

المطلب الأول: ما حدث مع فرعون وقومه:

بعث الله سبحانه وتعالى موسى - عليه السلام- إلى فرعون الذي طغى وعلا في الأرض وأفسد فيها، وإقامة للحجارة عليه فقد أرسل الله إليه موسى وأيده بالآيات الكثيرة، والمعجزات الباهرة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَائِيَتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: 101]، وهذه الآيات التسع هي: اليد، والعصا، والسنين، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وقد تعددت أقوال

المفسرين في عدتها وبعضاً منهم يعد السنين ونقص الثمرات آية واحدة ويجعل الآية
التسعة معجزة انفلاق البحر⁽¹⁾

ونبدأ في عرض هذه الآيات في أربع مسائل على النحو التالي:

المسألة الأولى: عصا موسى - عليه السلام.

المسألة الثانية: اليد البيضاء.

المسألة الثالثة: السنين ونقص الثمرات.

المسألة الرابعة: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

المسألة الأولى: عصا موسى - عليه السلام:

كانت العصا هي أول الآيات، حيث كانت تتحول إلى حية عظيمة عندما يلقيها على الأرض، وحينما دعا موسى - عليه السلام - فرعون طلب منه فرعون دليلاً وبرهاناً على صدق نبوته، ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةً فَأُتِّبِعَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [١٦] فألقى عصاه فإذا هي ثعبانٌ مُّبِينٌ ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِ﴾ [١٠٨] [الأعراف: 106-108]

وقد عجز السحرة عن إبطال تلك المعجزة، وعرفوا أنها ليست من جنس السحر الذي يقومون به؛ لأنهم عندما ألقوا حبالهم وعصيهم وسحرموا أعين الناس فألقى موسى - عليه السلام - عصاه، فابتلعت كل ما ألقوه من الحال والعصي؛ فعند ذلك آمنوا به وصدقوا، بينما أصر فرعون وجنوده على الكفر.

المسألة الثانية: اليد البيضاء:

وهي المعجزة الثانية التي أيد الله تعالى بها موسى - عليه السلام - لما ذهب إلى فرعون، قل تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِ﴾ [الأعراف: 108]

(1) لمزيد من التفصيل يرجى تفسير ابن حجر الطبراني (564 / 17 وما بعدها)

أي: "أخرجها من درعه بعد ما أدخلها فيه فخر جت بيضاء تتلألأ من غير برص ولا مرض."⁽¹⁾

المسألة الثالثة: السنين ونقص الثمرات:

بعد المعاشرة التي تمت بين موسى -عليه السلام- وسحرة فرعون وانتهت بإيمان السحرة بالله رب العالمين توعد فرعون بنى إسرائيل بأن يعود قتل أبنائهم واستحياء نسائهم، فأوصى موسى -عليه السلام- بنى إسرائيل أن يستعينوا بالله وأن يصبروا، وسلط الله على أهل مصر الجدب ونقص الثمرات قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَّفِرْعَوْنَ بِالسَّيْنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الْثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 130] السنين: جمع سنة بمعنى الجدب لا بمعنى الزمن المقدر من الدهر، فالسنة في كلام العرب إذا عرفت باللام يراد بها سنة الجدب، والقطط، فابتلاهم الله بالقطط والجدب، وابتلاهم بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل عظة لهم وتذكرة لهم، لينزجروا عن ضلالتهم، ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة.⁽²⁾

والله سبحانه يبتلي عباده بالشدائد ليرغبوا إلى الله بالضراعة ويقرروا بخطئهم ويتوبوا إلى رشدهم، ويرى الجميع بأنفسهم ضعف فرعون المتجر عليهم، وعجزه أمام قدرة الله الذي بأمره يمطر السماء وينبت النبات وبأمره يمنع ذلك عنهم.

ولكن القوم لم يعتبروا بهذا القطط والنقص في الثمرات ؛ فقد فسدت فطرتهم فلم يقروا بوحدانية الله وصدق رسوله موسى -عليه السلام-، إنما كانوا إذا أصابهم المطر وما ينتج عنه من الخصب والرخاء، قالوا: ما جاء هذا الخير إلا بكدنا واجتهاهنا غافلين عن شكر الله جل وعلا ، وإن تصيبهم سيئة كجدب أو قحط ، تشاءموا بموسى -عليه السلام- ومن معه من المؤمنين، قال تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ أَلْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ يَظْهِرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ وَلَا إِنَّمَا طَرِيعُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 131]، بل لقد تمادي القوم في العناد والكبر فقالوا لكليم الله موسى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ

(1) تفسير ابن كثير (3/455)

(2) ينظر ابن حجر الطبراني (13/45) وتفسير التحرير والتنوير (9/63)

لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿الأعراف: 132﴾، فمهمما جئتنا بأي آية، لتصرفنا عن عقیدتنا رددها فلا قبلها منك، ولا نؤمن بك ولا بما جئت به. ⁽¹⁾

وكلامهم هذا يدل على أن القوم قد بلغوا مبلغاً من الكبر والعناد، وأن القوم مصرون على التكذيب مهما جاءهم نبيهم موسى -عليه السلام- بالمعجزات الدالة على صدقه فهنا ابتلاهم الله بالأيات التالية: **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الظُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقَمَلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَتِ مَقْصَلَتِ فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾** [الأعراف: 133]

المسألة الرابعة: الطوفان، والجراد، والقماء، والضفادع، والدم.

• **الطوفان:** كثرة الأمطار المغرقة المختلفة للزروع والثمار، سبحانه الله ابتلاهم الله في الآية السابقة بالجدب والقطط والآن يسلط عليهم كثرة الماء، سبحانه يفعل ما يشاء !!

• **الجراد:** وهو مهلك للزروع والشجر.

• **القماء:** السوس الذي يخرج من الحنطة، وقيل البراغيث.

• **الضفادع:** فملأت البيوت والأطعمة والآنية، فلا يكشف أحد ثوباً ولا طعاماً إلا وجد فيه الضفادع، قد غلت عليه.

• **الدم:** فصارت مياه آل فرعون دماً، لا يستقون من بئر ولا نهر، ولا يغترفون من إماء، إلا عاد دماً عبيطاً. ⁽²⁾

وقد سمي الله هذه آيات لأنها دالة على قدرة الله عز وجل، وصدق كلامه موسى، وفي المقابل فإنها دالة على ضعف فرعون وعجزه عن أن يرفع عنهم هذا البلاء، وقد كانوا في كل مرة يلجأون لموسى -عليه السلام- أن يدع ربه لرفع هذا البلاء عنهم كما قال تعالى: **﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوِي أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ لَيْنَ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَتُؤْمِنَّ لَكَ وَلَنْرُسَلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** [الأعراف: 134]، وكان موسى -عليه السلام- يدعو الله في كل آية فيكشف

(1) ينظر تفسير ابن كثير (3/461)

(2) ينظر تفسير ابن كثير (3/461، وما بعدها)

عنهم الضر، ولكنهم كانوا ينكثون العهد الذي قطعوه على أنفسهم، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوْهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾^{١٣٥} فَأَنْتَقْمَنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ إِنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾^{١٣٦}﴾ [الأعراف: 135-136]

المطلب الثاني: الآيات التي حصلت مع بنى إسرائيل:
وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: انفلاق البحر.

المسألة الثانية: تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى.

المسألة الثالثة: تفجر الماء من الحجر.

المسألة الرابعة: معجزة البقرة.

المسألة الأولى: انفلاق البحر:

وقد حدثت هذه الآية حينما خرج موسى -عليه السلام- مع بنى إسرائيل بأمر الله متوجهين إلى بيت المقدس، فلحقهم فرعون بجنوده، ولما وصلوا إلى ساحل البحر وأصبح كل جمع يرى الآخر خاف بنو إسرائيل من فرعون وجنوده، كما ذكر الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾^{٦١} قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيِّهِدِينَ ﴾^{٦٢} فَأَوْحَيْنَا إِلَيْ مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَإِنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالَّظُودِ الْعَظِيمِ ﴾^{٦٣}﴾ [الشعراء: 61-63]

إذن فالآية هنا عندما رأى بنو إسرائيل جيشا لا طاقة لهم به وأصابهم كرب عظيم أمر الله - سبحانه وتعالى - موسى -عليه السلام- أن يضرب البحر بعصاه لتحدث النجاة بأمر الله.

"وذلك أنه - عز وجل - أراد أن تكون الآية متصلة بموسى -عليه السلام- ومتعلقة بفعله تثبيتا لإيمان من آمن من قومه، وقضاء على الشك عند من شك منهم، وإلا فضرب العصا ليس بفالق للبحر ولا معين على ذلك بذاته إلا بما

اقترن به من قدرة الله - عز وجل - ولما انفلق عقب الضرب مباشرة صار فيه اثنا عشر طريقة على عدد أسباط بنى إسرائيل، ووقف الماء بينهما كالجبل العظيم، فلما خرج أصحاب موسى - عليه السلام - وتكامل آخر أصحاب فرعون داخله انصب عليهم الماء وغرق فرعون، فقال بعض أصحاب موسى - عليه السلام - : ما غرق فرعون، فنبذ على ساحل البحر حتى نظروا إليه.⁽¹⁾

المسألة الثانية: تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى:

لما أنجى الله بنى إسرائيل من فرعون وجنته ونزلوا بسيناء أجرى الله لهم آية وهي تظليل الغمام لهم ليقيهم حر الشمس، وأنزل عليهم المن والسلوى، قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَ وَالسَّلْوَى﴾ [البقرة: 57]

- **والغمام:** جمع غمامـة، وهو السحاب الأبيض، ظللوـا به في التـيـه ليـقـيـهم حر الشـمـس.
- **والمن:** شراب كان ينزل عليهم مثل العسل، فيمزجونـه بالـماء ثم يـشـرـبـونـه.
- **والسلوى:** طائر شبيـه بالـسمـانـى، كانوا يـأـكـلـونـ منه.⁽²⁾

المسألة الثالثة: تفجر الماء من الحجر.

ومع إنعام الله على بنى إسرائيل بـتـظلـيلـ الغـمـامـ وإنـزالـ المنـ والـسلـوىـ أنـعمـ اللهـ عـلـيـهـ بـنـعـمةـ المـاءـ فـأـمـرـ اللهـ تـعـالـىـ مـوـسىـ -ـ عـلـيـهـ السـلـامــ أـنـ يـضـرـبـ بـعـصـاهـ الـحـجـرـ فـانـفـجـرـتـ مـنـهـ اـثـنـتـنـتـاـ عـشـرـةـ عـيـنـةـ قـدـ عـلـيـمـ كـلـ أـنـاسـ مـشـرـبـهـمـ كـلـوـاـ وـأـشـرـبـوـاـ مـنـ رـزـقـ اللهـ وـلـاـ تـعـنـوـاـ فـيـ الـأـرـضـ مـفـسـدـيـنـ﴾ [البـقـرـةـ: 60]ـ،ـ وـالـعـنـىـ:ـ اـذـكـرـواـ يـاـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ "نعمـتيـ عـلـيـكـمـ فـيـ إـجـابـتـيـ لـنـبـيـكـمـ مـوـسـىـ حـيـنـ اـسـتـسـقـانـيـ لـكـمـ،ـ وـتـيسـيرـيـ لـكـمـ المـاءـ،ـ وـإـخـرـاجـهـ لـكـمـ مـنـ حـجـرـ يـحـمـلـ مـعـكـمـ،ـ وـتـفـجـيرـيـ المـاءـ لـكـمـ مـنـ ثـنـتـيـ عـشـرـةـ عـيـنـةـ لـكـلـ سـبـطـ مـنـ أـسـبـاطـكـمـ عـيـنـ قدـ عـرـفـهـاـ،ـ فـكـلـوـاـ مـنـ المنـ وـالـسلـوىـ،ـ وـأـشـرـبـوـاـ مـنـ هـذـاـ المـاءـ الـذـيـ أـنـبـعـتـهـ لـكـمـ بـلـاـ سـعـيـ مـنـكـمـ وـلـاـ كـدـ،ـ وـاعـبـدـواـ الـذـيـ

(1) التفسير الوسيط مجمع البحوث (7/1581 وما بعدها)

(2) ذكر هذه الأقوال في تفسير هذه الآيات الحافظ ابن كثير في تفسيره (1/266 وما بعدها)

سخر لكم ذلك. {ولَا تعثوا في الأرض مفسدين} ولا تقابلوا النعم بالعصيان فتسابوها".⁽¹⁾

وقد يقال: "إن الله قادر على أن يمنهم الماء بدون ضرب الحجر بالعصا، فلماذا لم يفعل؟

والجواب: أن الله تعالى، أراد أن يبين لهم كرامة نبيهم موسى -عليه السلام- على الله تعالى، ويؤكد لهم نبوته: بإجراء تلك المعجزة على يديه، بمجرد ضربه الحجر بعصاه، حتى يقوى إيمانهم بنبوته، التي يتشكرون فيها من آن لآخر، وقد مر قريباً أنهم قالوا له: (لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرًا) كما أن فيها تثبيت إيمانهم بالله، لأنه إيمان يتزلزل من آن لآخر.⁽²⁾

المسألة الرابعة: معجزة البقرة.

سميت أطول سورة في القرآن الكريم سورة البقرة؛ وذلك أن الله سبحانه ذكر في هذه السورة أحداث تلك القصة، وحاصل هذه القصة تبينه الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُرُونًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾٧٦﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكُرُّ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمِرُونَ ﴾٧٧﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقْعُ لَوْنُهَا تَسْرُّ الشَّاطِئِينَ ﴾٧٨﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْهَتَدُونَ ﴾٧٩﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولٌ شَيْرُ الْأَرْضِ وَلَا تَسْقِي الْحَرَثَ مُسَلَّمَةً لَا شِيَةً فِيهَا قَالُوا إِنَّا جِئْنَا بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾٨٠﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارُتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾٨١﴿ فَقُلْنَا اسْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَرَيْكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾٨٢﴿ ثُمَّ قَسْتَ قُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَّا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ

(1) المرجع السابق (1/278)

(2) التفسير الوسيط مجمع البحوث (1/114)

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
يَعْلَمُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ [البقرة: 74]

هذه أحداث القصة كما ذكرها القرآن ، وقد روى المفسرون عدة روايات خلاصتها : أنه كان في بني إسرائيل رجل غنى ، وله ابن أخ محتاج لا وارث له سواه ، فلما طال عليه موته قتله ليرثه ، وحمله إلى قرية أخرى فألقاه فيها ، ثم أصبح يطلب ثأره ، فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه ، فأخذهم وقال : قتلتم عمي ، فأدوا إلى ديته ، فرفعهم إلى موسى - عليه السلام - ، فقضى عليهم بالدية ، فقالوا له : يا رسول الله ، ادع الله لنا حتى يبين لنا من صاحبه ، فيؤخذ صاحب الجريمة فوالله إن ديته علينا لهينة ، ولكننا نستحيي أن نعيشه به ، فذلك حين يقول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَأَدْرِثْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 72]

وهذا أخبر موسى - عليه السلام - قومه بأمر الله عز وجل فقال لهم : (وَإِذْ
قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَخْذِنَا هُرُوقًا قَالَ أَعُوذُ
بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ [البقرة: 67]

"وقد أمرهم الله - تعالى - بذبح بقرة دون غيرها من الحيوانات لأنها من جنس ما عبده و هو العجل ، وفي أمرهم بذلك تهويش شأن هذا الحيوان الذي عظموه و عبدوه وأحبوه فكانه - سبحانه - يقول لهم : إن هذا البقر الذي يضرب به المثل في البلدة ، لا يصلح أن يكون معبودا من دون الله ، وإنما يصلح للحرث ، والسوق ، والعمل ، والذبح ." (2)

ولو عمدوا فذبحوا أي بقرة تنفيذا لأمر ربهم لكافهم ذلك ، ولكن طبيعة بني إسرائيل من التثاقل في تنفيذ أوامر الله غالبتهم عليهم فقالوا : ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُبَيِّنَ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ وَيَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكَرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا

(1) ينظر تفسير ابن جرير الطبراني (183/2 وما بعدها) ، وابن كثير (294/1 وما بعدها) وهناك روايات أخرى عن القصة ذكرها ابن جرير وغيره لا تختلف عن هذا السياق إلا في بعض التفاصيل.

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (164/1)

ما تؤمرون﴿ [البقرة: 68]، فمَّا هي بقرة لا مسنة ولا صغيرة، وسط بين ذلك، فافعلوا ما يأمركُم الله به، ومع ذلك أبى القوم إلا كثرة السؤال فقالوا: ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنَ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ وَيَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءٌ فَاقْعُدْ لَوْنُهَا تَسْرُّ الظَّرِيرِينَ﴾ [البقرة: 69] إذن فقد اتضح لكم الآن سُنُنها ولونها، فهلا أجبتم أمر الله؟ كلا فقد عاد القوم فسألوا نبيهم قائلين: ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنَ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَّهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْهَتِدُونَ﴾ ﴿قَالَ إِنَّهُ وَيَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولٌ تُشِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرَثَ مُسَلَّمَةً لَا شِيَةً فِيهَا قَالُوا إِنَّمَا جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: 70]

لقد زعموا أن البقر الموصوف بالأوصاف السابقة كثير، فاشتبه علينا أي واحدة منها نذبح، وإننا إن شاء الله لمهتدون إليها، فأجابهم موسى -عليه السلام- بقوله: إنها بقرة لا ذلول أي سائمة ليست مذلة بالعمل في الحراثة ولا في السقي، وهي سليمة من كل عيب، ليس فيها لون يخالف لونها (الصفرة الفاقعة)، فلما وجدوها بعد بحث وعناء قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون لكثرة أسئلتهم وترددتهم.

ثم أظهر الله -تعالى- لهم الحكمة من أمره لهم بذبح بقرة وعلاقة ذلك بالقتيل فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَأَدْرَثْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْثُمُونَ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِعَصِيمًا ۚ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ مَا أَيْتَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 72-73] ، فأظهر الله ما كتم من أمر القاتل، فقال على لسان رسوله موسى -عليه السلام-: أضرموا القتيل بأي جزء من البقرة، فلما ضربوه عادت الحياة -بإذن الله- إلى القتيل وأخبر عن قاتله، وهذا المشهد الذي رأيته وهو أيضا بيان لقدرة الله على إحياء الموتى، وفيه دلالة على أنه سبحانه على كل شيء قادر.

ما الحكمة أن القصة لم تقص على ترتيبها، بذكر خبر القتل أولا ثم الأمر بذبح البقرة ثانيا؟

والجواب عن ذلك السؤال هو أن "كل ما قص من قصص بنى إسرائيل إنما قص تعديداً لما وجد منهم من الجنایات، وتقريراً لهم عليها، ولما جدد فيهم من الآيات العظام، وهاتان قصتان كل واحدة منها مستقلة بنوع من التقرير وإن كانتا متصلتين متحدين، فال الأولى لتقريرهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك".

والثانية للتقرير على قتل النفس المحرّمة وما يتبعه من الآية العظيمة.
وإنما قدّمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل لأنّه لو عمل على عكسه
ل كانت قصة واحدة، ولذهب الغرض في تثنية التقرير، ولقد روّيـت نكتة بعد ما
استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت بالأولى، دلالة على اتحادهما
بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله: (اضْرِبُوهُ بِمَا يَعْصِيهَا) حتى تبين أنهما
قصستان فيما يرجع إلى التقرير وتثنيته بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع
تأخيرها، وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة⁽¹⁾

لماذا أنسد القتل إلى جميعهم في الآيات رغم أن القاتل واحد؟ ولماذا أنسد
القتل- أيضاً- إلى اليهود المعاصرين للعهد النبوـي؟

والجواب أن هذا "للإشعار بأن الأمة في مجموعها وتكافلها كالشخص
الواحد، وأنسد القتل- أيضاً- إلى اليهود المعاصرين للعهد النبوـي، لأنهم من
سلالات أولئك الذين حدثـ فيهم القتل، وكثيراً ما يستعمل القرآن الكريم هذا
الأسلوب للتبيـه على أن الخـلـفـ قد سار على طريقة السلفـ في الانحراف
والضلال."⁽²⁾

ما الحـكـمةـ من تعلـقـ إرادة اللهـ بـكـشفـ حالـ من قـتـلـ هـذـاـ القـتـيلـ.ـ معـ أنهـ ليسـ أولـ
قتـيلـ فيـ أـمـةـ منـ الـأـمـمـ؟

إنـماـ أـرادـ اللهـ بـحـكمـتهـ ذـلـكـ "ـإـكـرـامـاـ لـمـوسـىـ -ـعـلـيـهـ السـلـامـ.ـ أـنـ يـضـيـعـ دـمـ فـيـ
قـوـمـهـ وـهـوـ بـيـنـ أـظـهـرـهـ،ـ وـبـمـرـأـيـ وـمـسـمعـ مـنـهـ،ـ لـاـ سـيـماـ وـقـدـ قـصـدـ القـاتـلـونـ
استـغـفـالـهـ وـدـبـرـوـ الـمـكـيـدـةـ فـيـ إـظـهـارـ الـمـطـالـبـ بـدـمـهـ،ـ فـلـوـ لـمـ يـظـهـرـ اللهـ.ـ تـعـالـىـ.ـ هـذـاـ
الـدـمـ وـيـبـيـنـ سـافـكـهـ.ـ لـضـعـفـ يـقـيـنـ الـقـوـمـ بـرـسـوـلـهـ مـوسـىـ -ـعـلـيـهـ السـلـامـ.ـ وـلـكـانـ ذـلـكـ
مـاـ يـزـيدـ شـكـهـمـ فـيـ صـدـقـهـ فـيـنـقـلـبـوـاـ كـافـرـيـنـ،ـ فـكـانـ إـظـهـارـ الـقـاتـلـ الـحـقـيقـيـ إـكـرـامـاـ مـنـ
الـلـهـ تـعـالـىـ.ـ لـمـوسـىـ -ـعـلـيـهـ السـلـامـ.ـ وـرـحـمـةـ بـالـقـوـمـ لـئـلاـ يـضـلـوـاـ"⁽³⁾

وتـبـرـزـ هـنـاـ عـدـةـ دـلـالـاتـ فـيـ اـسـتـعـمـالـ الـمـنـهـجـ الـحـسـيـ فـيـ مـنـهـجـ نـبـيـ الـلـهـ مـوسـىـ
مـعـ قـوـمـهـ كـالـتـالـيـ:

1- أن الأنبياء لا يعلمون الغـيـبـ إـلـاـ مـاـ عـلـمـهـ اللـهـ إـيـاهـ وـأـطـلـعـهـمـ عـلـيـهـ؛ـ فـمـوسـىـ -ـ
عـلـيـهـ السـلـامـ.ـ لـمـ يـعـرـفـ مـنـ هـوـ الـقـاتـلـ عـنـدـمـاـ تـنـازـعـوـاـ فـيـ الـأـمـرـ أـمـامـهـ.

(1) تفسير الكشاف للزمخشري (1/154)

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (1/170)

(3) تفسير التحرير والتنوير (1/561)

2- صبر نبي الله موسى -عليه السلام- على فظاظة قومه وغلوتهم في التعامل معه.

3- التزام نبي الله موسى -عليه السلام- بما يوحيه الله إليه (إن الله يأمركم) و(قال إنه يقول) وهكذا فهو يخبرهم بما أوحى الله إليه.

4- رأى القوم بأعينهم دليلاً مادياً محسوساً على قدرة الله على إحياء الموتى من خلال هذه المعجزة وهي إحياء القتيل بجزء من بقرة مذبوحة، وتسميتها اسم قاتله.

5- ومن الدلالات الحسية على صدق نبي الله موسى -عليه السلام- ولizardad بنو إسرائيل يقيناً أنه رسول الله حقاً: أن القوم ذبحوا البقرة بأيديهم فصارت ميتة بعد حياة وضرروا القتيل ببعضها فرد الله عليه روحه فنطق بأمر الله، باشر القوم ذلك بأيديهم ورأوه بأعينهم، والذي أمرهم بذلك نبيهم موسى -عليه السلام- بولي من الله -تبارك وتعالى-.

6- وكما أنها تدل على صدق نبوة موسى -عليه السلام- وأنه رسول من رب العالمين، فإن ذكرها في القرآن فيه دلالة على صدق النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- فيما يبلغه عن ربه، فقد أخبر في هذه القصة الواقعية التي لم يشهد حوادثها بما أوحاه الله إليه وهذا الإخبار من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم.

7- والقصة فيها درس لجميع المؤمنين وهو التسليم لأمر الله، وإدراك العبد أن خفاء الحكمة عليه في أمر من أوامر الله لا يعني عدمها، إنما يعني أن عقولنا لم تدرك حكمة الله في هذا الأمر، فتسلم طاعة لأمر الله، فلو سلم بنو إسرائيل لأمر الله فعمدوا إلى ذبح أي بقرة لكتافهم ذلك، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، وقد أدى بهم هذا الجدال إلى تضييق دائرة اختيارهم للبقرة المطلوبة، فكانت عقوبة من الله على مماطلتهم وعدم تسليمهم لأمر الله.

المبحث الثاني/ تغيير المنكر باليد (حرق العجل)

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف معنى المنكر.

المطلب الثاني: نبی الله موسى يحرق العجل.

المطلب الأول: تعريف معنى المنكر:

المنكر لغةً: ضد المعروف، من نكر الشيء إذا جهله، والجمع مناكير، والنكر : الأمر الشديد، واستنكر الأمر استقباه، وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكره فهو منكر⁽¹⁾

وأصطلاحا هو: "كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباه واستحسانه العقول، فتحكم بقبحه الشريعة"⁽²⁾

وبناء على ذلك فإن معنى تغيير المنكر باليد إزالته وإنهاوه لأن به ينعدم هذا المنكر ويذول.

المطلب الثاني: نبی الله موسى يحرق العجل.

سبق الحديث أن السامری أضل بنی إسرائیل وصنع لهم عجلا، وزین لهم عبادته، وأطلع الله موسى -عليه السلام- على ما وقع لقومه، وبعد أن واجه موسى قومه ووبخهم على فعلتهم، وعاتب أخاه هارون، ثم توجه للسامری بالسؤال: ما حملك على ما صنعت؟ فلما تبين له أنه رأس الفتنة وأسها حکم عليه أن يعيش منبوداً كالأجرب الذي يفر منه الناس.

ثم أراد موسى -عليه السلام- أن يبيّن للسامری ولقومه أن الإله المزعوم الذي عبدتموه من دون الله ها هو أمم أعينكم يحرق فلا يملك لنفسه نفعا ولا

(1) ينظر لسان العرب مادة "نكر" (6/4539)، والمujam الوسيط (952)

(2) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (823)

ضرا فضلا عن أن ينفعكم أو يضركم، قال تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهَكَ الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنْحَرِقَنَّهُ وَتُمَّ لَّتَسْقِنَّهُ وَفِي أَلْبَيْمَ نَسْفًا﴾ [طه: 97]

" يجعل الاستدلال بالنظر إشارة إلى أنه دليل بين لا يحتاج المستدل به إلى أكثر من المشاهدة فإن دلالة المحسوسات أوضح من دلالة المعقولات، وأضاف الإله إلى ضمير السامر ي تهمما بالسامري وتحقير الله، ووصف ذلك الإله المزعوم بطريق المسؤولية لما تدل عليه الصلة من التنبية على الضلال والخطأ، أي الذي لا يستحق أن يعکف عليه" (1)

فكان حرقه أمامهم جميعاً دليلاً حسياً على بطلان كونه إلهها، ولذلك حسرة وندامة على من صنعه، وكذلك من افتتن به وعبده من دون الله من ضعاف العقول منبني إسرائيل ثم قال لهم مؤكداً على توحيد الله: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمْ أَلَّهُ أَلَّهِي لَآ إِلَهٌ إِلَّا هُوَ وَسَعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: 98]

المبحث الثالث/ الاعتبار بمصارع الظالمين:

أمر الله موسى أن يخرجبني إسرائيل ليلاً تجاه البحر ولما تراءى الجمuan حدثت معجزة انفلاق البحر وأنجى الله موسى -عليه السلام- وبني إسرائيل، وأغرق فرعون وجنوده، ومن بابأخذ العزة والاعتبار ذكر الله عباده بمصارع الظالمين وما خلفوه وراءهم من أموال وكنوز فلم تغن عنهم من الله شيئاً، قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْوَنٍ ۝ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝﴾ [الشعراء: 59-57] أي: "فخرجو من هذا النعيم إلى الجحيم، وتركوا تلك المنازل العالية والبساتين والأنهار والأموال والأرزاق والملك والجاه الوافر في الدنيا". (2)

وأيضاً الآيات في قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْوَنٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝ فَمَا

(1) تفسير التحرير والتنوير (16/299)

(2) تفسير ابن كثير (6/143)

بَكَثُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٥﴾ [الدخان: 25-29] لقد كان القوم يعيشون في نعم عظيمة من الله سبحانه وتعالى فلما كفروا بأنعمه، وباركوا ظلم فرعون وسفكه للدماء، وأيدوه في ادعائه الألوهية من دون الله نزل بهم بأس الله الذي لا يرد عن القوم المجرمين، فهلك فرعون وجنوده تاركين وراءهم جنات وعيون وقصور ونعم كثيرة كانوا منغمسيين فيها.

" ثم ذهب هؤلاء الطغاة الذين كانوا ملء الأعين والآفوس في هذه الأرض: ذهبوا فلم يأس على ذهابهم أحد، ولم تشعر بهم سماء ولا أرض ولم ينظروا أو يؤجلوا عند ما حل الميعاد: **﴿فَمَا بَكَثُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾** [الدخان: 29]، وهو تعبير يلقي ظلال الهوان، كما يلقي ظلال الجفاء.. فهو لاء الطغاة المتعالون لم يشعر بهم أحد في أرض ولا سماء، ولم يأس عليهم أحد في أرض ولا سماء، وذهبوا ذهاب النمال، وهم كانوا جبارين في الأرض يطأون الناس بالنعال! وذهبوا غير مأسوف عليهم فهذا الكون يمقتهم لأنفسهم عنه، وهو مؤمن بربه، وهم به كافرون! وهم أرواح خبيثة شريرة منبوذة من هذا الوجود وهي تعيش فيه!" (1)

(1) تفسير الظلال (5/3214)

الباب السابع

المناهج الدعوية

في رسالة خاتم الأنبياء

والمرسلين محمد

-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

وفيَّهُ ثَلَاثَةٌ فَصُولٌ:

المبحث الأول / المنهج العاطفي.

المبحث الثاني / المنهج العقلي.

المبحث الثالث / المنهج المحسني.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة

**خاتم الأنبياء والمرسلين محمد - صلى الله
عليه وسلم -**

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول/ تأليف القلوب.

المبحث الثاني/ الترغيب في العمل الصالح.

المبحث الثالث/ الترهيب من الشرك والمعاصي.

المبحث الرابع/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الخامس/ القصص العاطفية.

المبحث السادس/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول
المنهج العاطفي في دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين
محمد - صلى الله عليه وسلم -

سلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في دعوته عدة طرق وأساليب ليوصل من خلالها الدعوة إلى المدعوين على اختلاف أطيافهم، ومن ذلك استخدامه المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله، لأن مخاطبة العاطفة في القلب سبب لتقبل الكلام، وسرعة تأثر المدعوين به، وقد استخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المنهج العاطفي في أكثر من موقف يستعرضها الباحث من خلال سبعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ تأليف القلوب.

المبحث الثاني/ الترغيب في العمل الصالح.

المبحث الثالث/ الترهيب من الشرك والمعاصي.

المبحث الرابع/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الخامس/ القصص العاطفية.

المبحث السادس/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول/ تأليف القلوب

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف مفهوم تأليف القلوب

المطلب الثاني: تأليف القلوب بالمال.

المطلب الثالث: الحرص على دعوة الأقربين.

المطلب الرابع: التودد إلى الناس.

المطلب الخامس: تأليف القلوب بالدعاء.

المطلب السادس: تأليف القلوب بالعفو.

المطلب السابع: تأليف القلوب بزيارة المرضى.

المطلب الأول: تعريف مفهوم تأليف القلوب

تأليف القلوب لغة: من التألف، وهو: المداراة والإيناس ليثبتوا على الإسلام رغبة فيما يصل إليهم من المال، وتألف فلانا: داراه، وقاربه، ووصله حتى يستميله إليه⁽¹⁾

وبناء على هذا فإن التأليف قد يكون ماديا بتأليف القلوب بالمال، ومنه سهم المؤلفة قلوبهم في الزكاة، وهذا من مصارف الزكاة، وهم: "الذين يردد تأليف قلوبهم باستمالة إلى الإسلام، أو تقريرا لهم على الإسلام، أو كف شرهم عن المسلمين، أو نصرهم على عدو لهم، ونحو ذلك"⁽²⁾

وقد يكون التأليف معنويا باستمالة القلوب بالإحسان والكلمة الطيبة والدعاء والعفو عن إساءتهم، ولا شك أن كل ذلك يوجد المحبة في القلوب.

واصطلاحا: تأليف القلوب هو: قيام الداعية باستمالة قلوب الناس بعطاء مادي، أو بحسن المعاملة والمداراة بهدف تحبيبهم في الدين.

المطلب الثاني: تأليف القلوب بالمال:

ومن أمثلة ذلك: ما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - (أن رجلا سأله النبي - صلى الله عليه وسلم - فأعطاه غنما بين جبلين، فأتى قومه، فقال: يا قوم، أسلموا، فإن محمدا يعطي عطاء رجل لا يخاف الفاقة، وإن كان الرجل ليجيء إليه ما يريد إلا الدنيا، فما يمسى حتى يكون دينه أحب إليه من الدنيا بما فيها)⁽³⁾

(1) ينظر لسان العرب مادة "ألف" (1/107) والقاموس المحيط ص (793)

(2) الموسوعة الفقهية الكويتية (12/36) الصادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ)

(3) رواه مسلم برقم (2312) كتاب الفضائل "باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه"

وقد حرص النبي - صلى الله عليه وسلم - على تأليف بعض القلوب بالمال من باب المداراة في معاملة الناس ، وهذا من باب بذل الدنيا من أجل الدين تأليفاً للقلوب ، لأن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها ، ويجدر بالدعاة إلى الله أن يفرقوا في هذا الأمر بين المداراة والمداهنة ، لأن "المداراة صفة مدح ، والمداهنة صفة ذم ، والفرق بينهما: أن المداراة تلطف الإنسان بصاحبها حتى يستخرج منه الحق ، أو يرده عن الباطل ، وأما المداهنة ، فهو الذي يتلطّف مع صاحبه ليُقرّه على ذنب ، أو يتركه على هواه ، فالمداراة لأهل الإيمان ، والمداهنة لأهل النفاق" ⁽¹⁾

المطلب الثالث: الحرص على دعوة الأقربين:

اهتم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بدعوة الأقربين استجابة لأمر ربه - تبارك وتعالى - ففي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (لما أنزلت هذه الآية {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: 214]، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً، فاجتمعوا فعم وخاص، فقال: «يا بنى كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذني نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحمة سأبلّلها) ⁽²⁾

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: "والسر في الأمر بإذار الأقربين: أولاً: أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع، وألا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة فيحابيهم في الدعوة والتخييف، فلذلك نصّ له على إذارهم" ⁽³⁾

(1) الروح لابن القيم (230) ط. دار الكتب العلمية - بيروت

(2) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} برقم (204)

(3) فتح الباري (8/503)

وفي تخصيص أقاربه بالنداء والدعوة تأليفاً لقلوبهم على الإسلام، وفي قوله - صلى الله عليه وسلم - (أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ) فيه مدى حرصه الشديد على أقاربه وشفقته عليهم من عذاب الله.

وفي قوله: (غير أن لكم رحمة سأبلها ببلاطها) إشارة إلى حرصه على صلة رحمه وعدم قطعها، وأنه مستمر في صلاتهم وأداء حق الرحم، وكل هذا تأليف للقلوب.

المطلب الرابع: التودد إلى الناس:

بإخبار من يحب بأنه يحبه كما قال لمعاذ - رضي الله عنه -: (يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك)، فقال: (أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك) ⁽¹⁾

ولا يخفى علينا عظم قيمة قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لمعاذ " والله إني لأحبك " فلا شك أنه - صلى الله عليه وسلم - بذلك يربط القلوب على الحب في الله برباط وثيق؛ هذا فضلاً عن تواضعه، وتودده لأصحابه، وفي هذا تعليم للدعاة كيف يدعون الناس إلى الله بإظهار الود والمحبة.

المطلب الخامس: تأليف القلوب بالدعاء:

ومن وسائله - صلى الله عليه وسلم - في تأليف القلوب دعائه لأصحابه بالخير والبركة، ولا شك أن الفوز بدعائه - صلى الله عليه وسلم - من أسباب السعادة والعز والشرف للمدعو له، ومن ذلك:

- دعاؤه لأنس بن مالك خادمه:

عن أنس قال: جاءت بي أمي، أم أنس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد أزرته بنصف خمارها ورددتني بنصفه، فقالت: يا رسول الله! هذا أنيس، ابني. أتيتك به يخدمك، فادع الله له. فقال: "اللهم! أكثر ماله وولده.

(1) رواه أبو داود في سننه، باب تقرير أبواب الوتر بباب في الاستغفار (حديث رقم: 1522) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، بدون تاريخ طباعة

قال أنس: فوالله! إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المئة اليوم⁽¹⁾.

- دعاؤه لابن عباس:

عن ابن عباس، قال: ضمّني النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى صدره، وقال: (اللهم علمه الحكمة)⁽²⁾

وعنه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الخلاء، فوضعت له وضوئاً، قال: (من وضع هذا؟) فأخبر، فقال: (اللهم فقيه في الدين)⁽³⁾

والأمثلة على دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه كثيرة موجودة في الصحيحين وكتب السنن.

وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتألف القلوب بدعائه وربما دعا بالهدایة أو بالمغفرة، ولا شك أن هذا له أثر بالغ في قلوب المدعويين خاصة وأن الدعاء صادر عن خاتم الأنبياء والمرسلين.

المطلب السادس: تأليف القلوب بالعفو:

العفو من شيم الكرام، وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعفو عن ظلمه أو أساء إليه تأليفاً للقلوب، فلا يقابل الإساءة بالإساءة، بل يقابل الإساءة بالإحسان مطابقاً لقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]

والأمثلة على عفوه - صلى الله عليه وسلم - كثيرة أذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

عن عبد الله بن مسعود قال: قسم النبي - صلى الله عليه وسلم - قسمة كبعض ما كان يقسم فقال رجل من الأنصار: والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله! قلت: أما أنا لأقولن للنبي - صلى الله عليه وسلم - فأتيته وهو في أصحابه

(1) رواه مسلم في صحيحه بباب من فضائل أنس بن مالك، رضي الله عنه برقم (2481)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة بباب ذكر ابن عباس برقم (3546)

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب الوضوء بباب وضع الماء عند الخلاء برقم (143)

فساررته فشق ذلك على النبي - صلى الله عليه وسلم - وتغير وجهه وغضب حتى
وددت أنني لم أكن أخبرته ثم قال: (قد أودي موسى بأكثر من ذلك فصبر) ⁽¹⁾

لقد تغير وجه النبي صلى الله عليه وسلم غضباً من مقالة الرجل فيه
ووصفه بالظلم، ولم يعاقبه النبي - صلى الله عليه وسلم - على مقالته وإنما عفا
عنه وتأسى بأخيه موسى - عليه السلام -

ومن صور عفوه - صلى الله عليه وسلم - ما رواه جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما، أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد، فلما قفل
رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العصافير،
فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس في العصافير، يستظلون
بالشجر، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة فعلق بها سيفه. قال
جابر: فنمنا نومة، ثم إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئناه، فإذا عندنا
أعرابي جالس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذا اخترط سيفي وأنا
نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتنا، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فها هو
ذا جالس" ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ⁽²⁾

فهذا الأعرابي أراد النيل من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقتلته
وهو نائم فلما قذف الله في قلبه الرعب أخذ النبي - صلى الله عليه وسلم -
السيف، ورغم أن يقدر على معاقبته إلا أنه لم يفعل وعفا عنه، وقد ورد ذلك في
رواية أخرى للحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: من يمنعك
مني؟ فقال: كن خيراً أخذ، فقال: تشهد أن لا إله إلا الله، وأنني رسول الله؟ قال:
لا، ولكنني أعاهدك ألا أقاتلنك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فأتى
 أصحابه فقال: جئتم من عند خير الناس. ⁽³⁾

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب من أخير صاحبه بما يقال فيه برقم (5749)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب غزوة ذات الرقاع برقم (4135)

(3) رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنهما - برقم (14929)

وقال المحقق: حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيوخين غير سليمان بن فليس اليشكري
مسند الإمام أحمد بتحقيق شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، آخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة

فلاحظ هنا أثر العفو في تأليف القلوب، وأن الإحسان للناس بالعفو يفتح قلوبهم ويلينها، وبعد أن جاء الرجل متآمراً على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم رجع لقومه يقول: "جئتم من عند خير الناس".

المطلب السابع: تأليف القلوب بزيارة المرضى:

ومن هديه - صلى الله عليه وسلم - في تأليف القلوب زيارة المرضى حتى من غير المسلمين وقد ثبتت زيارته لغلام يهودي كان يخدمه ودعاه إلى الإسلام كما في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: (كان غلام يهودي يخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - فمرض، فأتاه النبي - صلى الله عليه وسلم - يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: (أسلم). فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبيا القاسم - صلى الله عليه وسلم -، فأسلم، فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه من النار).⁽¹⁾)

ف كانت زيارة النبي - صلى الله عليه وسلم - رحمة لهذا الغلام المريض على الرغم من صغر سنها، وكانت سبباً لتأليف قلبه ودعوته للإسلام، وقد كان على اليهودية كأبويه، وشجعه أبوه قائلاً: أطع أبيا القاسم، وقد فرح النبي - صلى الله عليه وسلم - بإسلامه وحمد الله الذي أنقذه بسبب زيارته ودعوته من النار.

المبحث الثاني/ الترغيب في العمل الصالح

فقد اهتم النبي - صلى الله عليه وسلم - بالتبشير بذكر الثواب المترتب على كثير من الأعمال الصالحة تشجيعاً للمؤمنين على فعلها، وتحفيزاً لهم، وتحبيباً للمؤمنين في عبادة ربهم، وحثا لهم على بذل المزيد من الأعمال الصالحة. وسيتناول الباحث هذا الأسلوب ببعض الأمثلة الدالة عليه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الترغيب في الثواب الجزيل من الله.

المطلب الثاني: العمل الصالح سبب للنجاة من الشدائد.

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام برقم (1290)

المطلب الثالث: العمل الصالح سبب لتكفير السيئات.

المطلب الأول: الترغيب في الثواب الجزيل من الله:

وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن ترغب في العمل الصالح، وتبيّن أن جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة، منها على سبيل المثال:

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ﴾ [البقرة: 25]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا آزِوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلَّاً ظَلِيلًا﴾ [النساء: 57]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ﴾ [الأعراف: 42]

فهذه الآيات ترغب في العمل الصالح وأنه سبب لمرضاة الله ودخول الجنة.

المطلب الثاني: العمل الصالح سبب للنجاة من الشدائـد:

كما في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (انطلق ثلاثة نفر من كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا: إنه لا ينجيك من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبع قبلهما أهلا، ولا مala فنـأـي بي طلب الشجر يوما فلم أرـحـ عليهم حتى ناما، فحلـبتـ لهم غـبـوقـهـما فوجـدـتهمـ نـائـمـينـ، فـكـرـتـ أـنـ أـوـقـظـهـمـاـ وـأـنـ أـغـبـقـهـمـاـ أـهـلاـ أوـ مـالـاـ، فـلـبـثـتـ وـالـقـدـحـ عـلـىـ يـدـيـ أـنـتـظـرـ اـسـتـيقـاظـهـمـاـ حـتـىـ بـرـقـ الـفـجـرـ وـالـصـبـيـةـ يـتـضـاغـونـ عـنـ قـدـميـ، فـاسـتـيقـظـاـ فـشـرـبـاـ غـبـوقـهـمـاـ، اللـهـمـ إـنـ كـنـتـ فـعـلـتـ ذـلـكـ اـبـتـغـاءـ وـجـهـكـ فـفـرـجـ عـنـ ماـ نـحـنـ فـيـهـ مـنـ هـذـهـ الصـخـرـةـ، فـانـفـرـجـتـ شـيـئـاـ لـاـ يـسـتـطـيـعـونـ الخـرـوجـ مـنـهـ. قالـ الآـخـرـ: اللـهـمـ إـنـ كـانـتـ لـيـ اـبـنـةـ عـمـ، كـانـتـ أـحـبـ النـاسـ إـلـيـ - وـفـيـ روـاـيـةـ: كـنـتـ أـحـبـهاـ كـأـشـدـ مـاـ يـحـبـ الرـجـالـ النـسـاءـ. فـأـرـدـتـهاـ عـلـىـ نـفـسـهـاـ فـامـتـعـتـ مـنـيـ حـتـىـ الـمـتـ بـهـ سـنـةـ مـنـ السـنـينـ فـجـاءـتـيـ فـأـعـطـيـتـهاـ عـشـرـينـ وـمـئـةـ دـيـنـارـ عـلـىـ أـنـ تـخـلـيـ بـيـنـيـ وـبـيـنـ نـفـسـهـاـ فـفـعـلـتـ، حـتـىـ إـذـاـ قـدـرـتـ عـلـيـهـاـ - وـفـيـ روـاـيـةـ: فـلـمـ قـعـدـتـ بـيـنـ رـجـلـيـهـاـ. قـالـتـ: اـتـقـ اللـهـ وـلـاـ تـقـضـ الـخـاتـمـ إـلـاـ بـحـقـهـ، فـانـصـرـفـتـ عـنـهـاـ وـهـيـ أـحـبـ النـاسـ إـلـيـ

وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله، أدى إلي أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق، قال: يا عبد الله، لا تستهزء بي! فقلت: لا تستهزء بك، فأخذه كله فاستافقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون) ⁽¹⁾

في هذا الحديث ساق النبي -صلى الله عليه وسلم- قصة ثلاثة من بني إسرائيل لجأوا إلى غار ليبيتوا فيه، فنزلت من أعلى الجبل صخرة فأغلقت مخرج الغار الذي يخرجون منه، فحبس الثلاثة داخل هذا الكهف، فتوسلوا إلى الله بما كان من عملهم الصالح؛ ليستجيب الله لهم، فيبعد تلك الصخرة عن باب الكهف.

فتوصي الأول إلى الله ببره بوالديه، وتوسل الثاني بتعففه عن الحرام، وتوسل الثالث بأمانته وحفظه لأجرة أجير عنده، وببركة عملهم الصالح كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انفرجت الصخرة، وفتح باب الغار، فخرجوا يمشون.

فساق النبي -صلى الله عليه وسلم- الحديث ليدل على أن العمل الصالح سبب للنجاة من الشدائدين، وأن الدعاء واللجوء إلى الله سبب لتقويض كل كرب.

المطلب الثالث: العمل الصالح سبب لتفكيير السيئات:

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب: {أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم} برقم (3278)، وأخرجه مسلم كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوصي بصالح الأعمال برقم (2743)

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلَاحَاتِ لَئِكَفَرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَئِنْجُزِيَّنَهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: 7]

وعن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (رأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً، ما تقول: ذلك يبقي من درنه) قالوا: لا يبقي من درنه شيئاً، قال: (فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله به الخطايا) ⁽¹⁾

المبحث الثالث/ الترهيب من الشرك والمعاصي

بعث الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- مبشرًا ونذيرًا، فما ترك خيراً يدعوه أمه له إلا وبينه وحثهم عليه، وما ترك شرًا إلا وحذرهم منه وبين عقوبته عند الله -عز وجل-.

وسينتناول الباحث هذا الأسلوب ببعض الأمثلة الدالة عليه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الترهيب من الشرك بالله.

المطلب الثاني: الترهيب من الإسراف والتبذير.

المطلب الثالث: الترهيب من الغيبة.

المطلب الأول: الترهيب من الشرك بالله:

جاء التحذير من الإشراك بالله في آيات كثيرة في القرآن منها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا أَوَّلَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب مواعيit الصلاة باب: الصلوات الخمس كفاره، حديث رقم: 505 وأخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا رقم (667)

أنصارٍ [المائدة: 72]، قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَيْسَ أَشْرَكُتَ لَيْحَبَطَنَ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾** [الزمر: 65]

ورهب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في كثير من الأحاديث من الشرك وعاقبته وأنه من أكبر الكبائر فقال: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ - ثلثاً، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكتئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت) ⁽¹⁾

وقال: (اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقدف المحسنات الغافلات المؤمنات) ⁽²⁾

المطلب الثاني: الترهيب من الإسراف والتبذير:

التبذير هو: "تفريق المال في غير وجهه، وهو مراد الإسراف، فإنفاقه في الفساد تبذير، ولو كان المقدار قليلاً، وإنفاقه في المباح إذا بلغ حد السرف تبذير، وإنفاقه في وجوه البر والصلاح ليس بتبذير" ⁽³⁾

وقد جاء النهي عن الإسراف والتبذير في القرآن في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيَاطِنُ لِرَبِّهِ كُفُورًا﴾** [الإسراء: 27]

ومعنى قوله **﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾** أي: "في التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب معصيته؛ ولهذا قال: **﴿وَكَانَ الشَّيَاطِنُ لِرَبِّهِ﴾**

(1) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها برقم (87)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب الوصايا، باب: قول الله تعالى: {إن الذين يأكلون أموال اليتامي ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً}، حديث رقم: (2615)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، برقم: (89)

(3) تفسير التحرير والتنوير (79/15)

كفراً ﴿ أي: جحوداً، لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته؛ بل أقبل على معصيته ومخالفته. ﴾⁽¹⁾

وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن ذلك أمر يكرهه الله، ولا يحبه من عباده المؤمنين فقال: (إن الله كره لكم ثلاثة: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال)⁽²⁾

قال الإمام النووي: "وأما إضاعة المال فهو صرفه في غير وجه الشرعية وتعریضه للتلف وسبب النهي أنه إفساد والله لا يجب المفسدين ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس وأما عقوق الأمهات فحرام وهو من الكبائر بإجماع العلماء."⁽³⁾

المطلب الثالث: الترهيب من الغيبة:

عَرِّفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغَيْبَةَ بِقَوْلِهِ مُخَاطِبًا أَصْحَابَهُ: (أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذَكْرُكُ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ). قَيْلٌ: أَفْرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِيِّي مَا أَقُولُ؟ قَالٌ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتْهُ).⁽⁴⁾

وجاء النهي عن الغيبة والترهيب من الواقع فيها في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَهُمْ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهُتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَابُ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات: 12]

المبحث الرابع/ الرفق وإظهار العاطفة

(1) تفسير ابن كثير (5/69)

(2) رواه مسلم في صحيحه كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة برقم (593) شرح النووي على مسلم (12/11)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ

(3) شرح النووي على مسلم (12/11)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ

(4) رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الغيبة برقم (2589)

كان النبي - صلى الله عليه وسلم- رحيمًا رفيفاً علينا كما قال الله تعالى:
﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيلًا لَّأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾
[آل عمران: 159]

فقوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159] أي: "بسبب رحمة عظيمة فياضة منك الله إياها يا محمد كنت لدينا مع أتباعك في كل أحوالك.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيلًا لَّأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159] أي:
"ولو كنت- يا محمد- كريمه الخلق، خشن الجانب، جافيا في أقوالك وأفعالك،
قاسي القلب لا تتأثر لما يصيب أصحابك.. ولو كنت كذلك لانفضوا من حولك
أي لتفرقوا عنك ونفروا منك ولم يسكنوا إليك." (1)

فكان النبي - صلى الله عليه وسلم- رفيفاً يحب الرفق، ويحيث المؤمنين عليه
فيقول: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه) (2)
والكلمة الطيبة اللينة تستميل القلوب "فالناس في حاجة إلى كنف رحيم،
وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحاء، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم
وضعفهم ونقصهم.. في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء
ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه ويجدون عنده دائمًا الاهتمام والرعاية والعطف
والسماحة والود والرضا...." (3)

وصور رفقه - صلى الله عليه وسلم- كثيرة في سيرته، وسيتناول الباحث هذا
الأسلوب ببعض الأمثلة الدالة عليه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: رفقه بالأمهات في الصلاة.

المطلب الثاني: رفقه بالأعرابي الذي بالمسجد.

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (2/316)

(2) رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق، برقم (2594)

(3) تفسير الظلال (1/500)

المطلب الثالث: رفقه بالأعرابي الذي جذبه من ثوبه.

المطلب الأول: رفقه بالأمهات في الصلاة:

عن أنس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه) ⁽¹⁾

لقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - نهرًا يتذوق بالرحمة، ومن رفقه ورحمته أنه يدخل الصلاة وهو يريد إطالتها فيسمع بكاء طفل صغير فيخفف - صلى الله عليه وسلم - الصلاة رحمة به وبأمها.

ولم يقم بعد الصلاة بالتنبيه على منع الأمهات من إتيان الجماعة، أو نهر الأم لبكاء ابنها، إنما خف في الصلاة، ليعلم الأئمة والداعية من بعده.

المطلب الثاني: رفقه بالأعرابي الذي بالمسجد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (قام أعرابي فبالمسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (دعوه وهرقوا على بوله سجلا من ماء، أو ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين)). ⁽²⁾

وهذه صورة أخرى من صور رفقه - صلى الله عليه وسلم - بهذا الأعرابي الذي يسكن الصحراء فرأى النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحبه يجلسون في ناحية من المسجد فذهب بيول في الجهة الأخرى، فقام الناس إليه لزجره ومنعه مما يفعل، فأمرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألا يفرغوه فيقطع بوله فيعود ذلك بالضرر عليه، وبعد انتهاءه عليهم أن يطهروا مكان البول بالماء.

فرق النبي صلى الله عليه وسلم بالجاهل، ومنع الناس أن ينالوا منه، وعلمه من غير تعنيف ولا غلظة.

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجمعة والإمامية، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، حديث رقم: (677)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد حديث رقم: (217)

المطلب الثالث: رفقه بالأعرابي الذي جذبه من ثوبه:

يقول أنس - رضي الله عنه: (كنت أمشي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذب بردائه جبدة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبنته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء).⁽¹⁾

وفي هذا الحديث جانب من عظيم خلقه وحمله ورفقه. صلى الله عليه وسلم-؛ فيحكي أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يمشي وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي يبدو من طبيعته غلظة وجلافة فأمسك النبي - صلى الله عليه وسلم- من ثوبه بشدة، حتى إن التوب أثر في جانب رقبته صلى الله عليه وسلم من شدة الجبدة، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، لم يغضب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد إساءة الرجل بإساءة مثلها أو أشد وهو من هو في مكانته بين المسلمين، إنما التفت إليه النبي صلى الله عليه وسلم ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء من المال!!

إنه درس للدعاة إلى الله على الصبر وسعة الصدر في الدعوة إلى الله واحتمال الجاهلين، ودفع السيئة بالحسنة.

المبحث الخامس/ القصص العاطفية

من الأساليب المؤثرة لدى المدعويين القصص العاطفية المؤثرة، وخاصة القصص النبوي، فهي ليست أساطير أو خرافات تردد، إنما وقائع حدثت في الماضي وذكرها النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه تربية للنفوس بما تتركه من أثر في تقوية الإيمان، وتزكية الأنفس وتقويمها والاعتزاز بما جرى في الأمم قبلنا.

وقد تتنوعت موضوعات القصص فمنها القصص التي تتكلم عن سعة رحمة الله وقبول التوبة، ومنها ما يتحدث عن ثواب العمل الصالح، وجزاء

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الخمس بباب "ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه" حديث رقم (2980) ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة بباب "إعطاء من يسأل بفتح وغلظة" حديث رقم (1057)

المحسن، وعاقبة الظالم، وسيتناول الباحث هذا الأسلوب ببعض الأمثلة الدالة عليه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قصة الرجل الذي قتل مئة نفس.

المطلب الثاني: فرح الله بتوبة عبده.

المطلب الثالث: دخلت امرأة النار في هرة.

المطلب الأول: قصة الرجل الذي قتل مئة نفس:

وهي قصة رجل من بنى إسرائيل أسرف على نفسه وقتل مئة نفس، ثم تاب إلى الله، فمات وهو خارج من قريته، فقبل الله توبته، وغفر له، وقد قص النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه القصة علينا فقال: (كان في بنى إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً، ثم خرج يسأل، فأتى راهباً فسأله فقال له: هل من توبة؟ قال: لا، فقتله)، فجعل يسأل، فقال له رجل: أئْتْ قرية كذا وكذا، فأدركه الموت، فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجد إلى هذه أقرب بشير، فغفر له). ⁽¹⁾

فهذه قصة رجل أسرف على نفسه وعاش حياته قاتلاً حتى بلغ من قتاله تسعة وتسعين نفساً، ومع كل هذا إلا أنه كان لا يزال في قلبه بقية من خير تقوده نحو طريق الهدى، فخرج يسأل فدلوه على راهب، والراهبان يعرفون بكثرة العبادة وقلة العلم ، فلما آيسه من رحمة الله ورأى أنه لا توبة له قتل الراهب فتم به المئة ، ثم سأله عالماً بعد ذلك، فأخبره بأن الله يقبل توبته، وأن رحمة الله واسعة، وأرشده أن يفارق قرية السوء التي كان يعيش بها إلى قرية أخرى بها قوماً صالحين، ليعيشوه على طاعة الله، وتحرك الرجل سريعاً دون تردد إلى القرية الصالحة أهلها فعاجله الموت ونفذ فيه قدر الله الذي لا يتأخر، ومن شدة رغبته في التوبة نأى بصدره جهة الأرض الطيبة وهو في النزع الأخير، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، كل منهم يريد أن يقبض روحه ، فأمر الله أرض الخير والصلاح أن تتقرب ، وأرض الشر والفساد أن تبتعد ،

(1) رواه البخاري كتاب الأنبياء، باب: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم)، برقم (3283) ورواه مسلم كتاب التوبة بباب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله برقم (2766)

فوجدوه أقرب إلى أرض الصالحين بشر ، فتولت أمره ملائكة الرحمة ، وغفر الله له ذنبه كلها .

إن ذكر هذه القصة يفتح أبواب الأمل لكل عاص مهما عظمت ذنبه، وتبيّن سعة رحمة الله، وقبوله لتنويه التائبين إن صدقوا في توبتهم.

والقصة فيها درس مهم للدعاة إلى الله بأن يفتحوا أبواب الأمل أمام كل من عصى وأسرف على نفسه بترغيبه في التوبة إلى الله، وأنه إذا صدق الله في توبته قبل الله منه وفرح به وبديل سيئاته حسنات، وأن من تمام توبته هجرة أصدقاء السوء.

المطلب الثاني: فرح الله بتوبه عبده:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله أشد فرحاً بتوبه عبده حين يتوب إليه من أحدهم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح). ⁽¹⁾

هذا أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم- أصحابه أن الله أشد فرحاً برجوع عبده إليه بالتوبة، من فرح رجل كان في أرض فلاة، فقد بعيده وعليه زاده، فجعل يطلبه فلم يجده، فذهب إلى شجرة ونام تحتها ينتظر الموت! من شدة يأسه من حياته؛ فإذا به يجد بعيده فوق رأسه، ففرحته بعوده بعيده هي فرحة كبيرة لرجل أيقن بالموت ومن شدة فرجه قال: (الله أنت عبدي وأنا ربك)! أراد أن يثني على الله فمن شدة فرجه أخطأ.

فهذه قصة تملأ قلوب السامعين استبشاراً بفرح الله تعالى بعودة عبده التائب إليه وتحرك القلوب للتوبة إلى الله عز وجل.

المطلب الثالث: دخلت امرأة النار في هرة:

(1) رواه البخاري كتاب الدعوات، باب التوبة برقم (5950)، ورواه مسلم، واللفظ له، كتاب التوبة، باب: في الحض على التوبة والفرح بها، برقم (2747)

عن ابن عمر رضي الله عنهم: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض) ⁽¹⁾

وقد ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم- لنا هذه القصة تحذيرا وترحيبا من حبس حيوان وإيذائه؛ فهذه امرأة قاسية القلب، حبست هرة ومنعت عنها الطعام والشراب، ولم ترحمها، ولم تتركها لحال سبيلها تبحث عن طعامها، فهذا الفعل كبيرة من الكبائر الموجبة للنار.

ووقع هذه القصة على نفوس السامعين يجعلهم مدركين لعظم ذنب تعذيب أي حيوان فضلا عن إنسان، وأنه ذنب قد ينتهيان به البعض لكنه موجب لعذاب الله، فهي تحذير لكل مسلم من أن يقدم على مثل هذا الفعل، وفي القصة تذكير بالرحمة بالحيوان ووجوب إطعامه عند حبسه وإلا يطلق لحال سبيله.

المطلب السادس/ التذكير بنعم الله

وسيتناول الباحث هذا الأسلوب ببعض الأمثلة الدالة عليه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حديث القرآن عن نعم الله.

المطلب الثاني: التذكير بحمد الله على نعمه كلما تجددت النعم.

المطلب الثالث: التنبيه على عظم بعض النعم.

المطلب الرابع: الحث على دوام شكر الله على النعم بالحمد.

المطلب الأول: حديث القرآن عن نعم الله:

لقد أنعم الله على عباده بنعم لا تعد ولا تحصى وقد جاء الحديث في القرآن كثيرا عن التذكير بنعم الله، وأن حق المنعم على عباده أن يعبد وحده لا شريك له

(1) رواه البخاري كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم برقم (3140)، ورواه مسلم، كتاب قتل الحيات وغيرها، باب: تحريم قتل الهرة، برقم (2242)

، وأن يثنى عليه بنعمه، وأن يقصد وحده بالشكر قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۚ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَاهِيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُخْصُوْهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۚ﴾ [إبراهيم: 32-34]

فهذه النعم الدائمة التي تحدث القرآن عنها كنعة نزول المطر من السماء وإحياء الله الأرض بعد موتها، ونعمه تسخير الفلك في البحر تجري بأمره، وكذلك نعم الشمس والقمر والأنهار والليل والنهر ، وغيرها كثير من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى؛ كلها تستوجب شكر الله تعالى.

ودعا القرآن الكريم العباد إلى تأمل نعمة الليل والنهر وهي نعمة متكررة قل من ينتبه إليها ماذا يحدث إذا فقدناها؟ قال تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَاءَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيْكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۖ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَاءَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيْكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۖ﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَاءَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۚ﴾ [القصص: 71-73]، والمعنى: "يقول تعالى ممتنا على عباده بما سخر لهم من الليل والنهر، الذين لا قوام لهم بدونهما، وبين أنه لو جعل الليل دائما عليهم سرماً إلى يوم القيمة، لأضر ذلك بهم، ولسماته النفوس وانحصرت منه، ولهذا قال تعالى: (من إله غير الله يأتيكم بضياء) أي: تبصرون به وتستأنسون بسببه، (أفلا تسمعون)، ثم أخبر أنه لو جعل النهار سرماً دائماً مستمراً إلى يوم القيمة، لأضر ذلك بهم، ولتعبت الأبدان وكلت من كثرة الحركات والأشغال؛ ولهذا قال: (من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) أي: تستريحون من حركاتكم وأشغالكم. (أفلا تبصرون)

(ومن رحمته) أي: بكم (جعل لكم الليل والنهر) أي: خلق هذا وهذا (تسكنوا فيه) أي: في الليل، (ولتبتوغا من فضله) أي: في النهار بالأسفار والترحال، والحركات والأشغال، وهذا من باب اللف والنشر.

وقوله: (ولعلكم تشكرون) أي: تشكرون الله بأنواع العبادات في الليل والنهار." (١)

فالله تعالى يذكر عباده لأنهم لما ألفوا النوم بالليل والسعى والمعاش بالنهار، نسوا أن هذه نعم كبيرة من الله الذي هيأ لهم الكون كله في الليل للنوم والسكينة والراحة، وهيأ لهم النهار للسعى والمعاش والحركة، فهذه نعم، دائمة متعددة يذكرنا بها للمداومة على شكر الله.

أيضاً من نعم تعالى ما ذكره في سورة الواقعة: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ٦٣﴾
﴿أَنَّتُمْ تَزَرَّعُونَ أَمْ نَحْنُ الظَّارِعُونَ ٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ٦٥﴾ إِنَّا
لَمُغْرِمُونَ ٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُمُونَ ٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشَرَّبُونَ ٦٨﴾ أَنَّتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ
الْمُزِّئِنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ
الَّتِي تُورُونَ ٧١﴾ أَنَّتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْتَشِّعُونَ ٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاها تَذَكِّرَةً
وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ٧٣﴾ [الواقعة: 63-73]

فامتنن الله على عباده بأنه هو من ينبع البذرة و يجعل منها الثمرة، وهو من ينزل الماء من السماء عذبا فراتا سلسليا، وهو الذي أنعم على عباده بالنار التي يستدفئون بها وينضجون عليها الطعام، فسبحان الخالق العظيم.

المطلب الثاني: التذكير بحمد الله على نعمه كلما تجددت النعم:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمد الله عليها، أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها). (٢)

فهذا تعليم نبوي كريم للمؤمنين أن من رضا الله تعالى عن العبد أن يحمده كلما أكل أو شرب، فهو الذي رزقه به وهياه له.

(1) تفسير ابن كثير (6/252)

(2) رواه مسلم، كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، باب: استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل، والشرب، برقم (2734)

المطلب الثالث: التنبية على عظم بعض النعم:

عن ابن عباس رضي الله عنهمما قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ)⁽¹⁾

فهاتان نعمتان لا يقدر هما الناس قدرهما: نعمة الصحة التي لا تشتري بمال ولا بسلطان، والتي لا يدرك الإنسان قدرها إلا إذا مرض وعجز عن القيام بأموره وتوقف نشاطه، ونعمة الفراغ بهدره فيما لا فائدة فيه، وتضييع الأوقات في السفاسف أو فضول المباحثات، هو تضييع للعمر حتى يأتي الأجل وهو مفلس ضييع عمره-نسأل الله العافية-.

فنبه النبي -صلى الله عليه وسلم- على إدراك قيمة هاتين النعمتين باستغلالهما فيما ينفع الإنسان.

المطلب الرابع: الحث على دوام شكر الله على النعم بالحمد:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكُمْ لَمَّا كَرِمْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَمَّا كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7] ، فشكر المنعم جل وعلا على نعمه والاعتراف له بالفضل دليل على توحيد العبد لربه فهو يعبده وحده ويشركه وحده، والشكر أيضا دليلا على الرضا بما أعطى الله ورزق.

أيضا (النفس التي تشكر الله على نعمته، تراقبه في التصرف بهذه النعمة، بلا بطر، وبلا استعلاء على الخلق، وبلا استخدام للنعمة في الأذى، والشر، والدنس، والفساد).

وهذه وتلك مما يزكي النفس، ويدفعها للعمل الصالح، وللتصرف الصالح في النعمة بما ينميتها ويبارك فيها، ويرضي الناس عنها وعن صاحبها، فيكونون له عوناً، ويصلح روابط المجتمع فتنمو فيه الثروات في أمان، إلى آخر الأسباب الطبيعية الظاهرة لنا في الحياة، وإن كان وعد الله بذاته يكفي لاطمئنان المؤمن، أدرك الأسباب أولم يدركها، فهو حق واقع لأنه وعد الله.

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: ما جاء في الصحة والفراغ، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، برقم (6049)

والكفر بنعمة الله قد يكون بعدم شكرها، أو بإنكار أن الله واهبها، ونسبتها إلى العلم، والخبرة، والكذ الشخصي، والسعى! لأن هذه الطاقات ليست نعمة من نعم الله! وقد يكون بسوء استخدامها بالبطر وال الكبر على الناس واستغلالها للشهوات والفساد.. وكله كفر بنعمة الله."⁽¹⁾

وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكثر من الحمد لله رب العالمين ويعلمنا دوام الحمد لله، فيقول: (أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: لا يضرك بأيهم بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) ⁽²⁾

وبين أن الحمد لله لها ثواب يملاً ميزان الحسنات يوم القيمة؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الظهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وبسبحان الله والحمد لله تملأ - أو تملأ - ما بين السماوات والأرض) ⁽³⁾

وقد وردت في السنة النبوية صيغ متعددة لحمد الله سبحانه وتعالى منها:

1- عند الفراغ من الطعام:

عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من طعامه، وقال مرة: إذا رفع مائته، قال: (الحمد لله الذي كفانا وأروانا، غير مكفي ولا مكفور). وقال مرة: (الحمد لله ربنا، غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى، ربنا) ⁽⁴⁾

2- دبر كل صلاة مكتوبة:

(1) تفسير الظلال (4/2089)

(2) رواه مسلم كتاب الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه حديث رقم: (2137)

(3) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، برقم: (223)

(4) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأطعمة، باب: ما يقول إذا فرغ من طعامه، حديث رقم (5143)

وردت صيغة لذكر الله تعالى متضمنة لحمد الله دبر كل صلاة، وهي سبب في غفران الذنوب وإن كانت مثل زبد البحر:

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من سبّح الله في دبر كل صلاة ثلاثة وثلاثين وسبعين وسبعين وثلاثين وكثير الله ثلاثة وثلاثين فتبارك تسعة وتسعون وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطایاه وإن كانت مثل زبد البحر) ⁽¹⁾

3- عند الرفع من الركوع في الصلاة:

عن أبي سعيد الخدري قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم- إذا رفع رأسه من الركوع قال: ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد. اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد) ⁽²⁾

وعلمنا أن ننتعوذ بالله من زوال النعم فكان يقول في دعائه: (اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك). ⁽³⁾

(1) رواه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفتة، حديث رقم: (597)

(2) رواه مسلم كتاب الصلاة باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، حديث رقم: (477)

(3) رواه مسلم كتاب الرفق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء برقم: (2739)

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة

خاتم الأنبياء والمرسلين محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول/ أسلوب القياس

المبحث الثاني/ أسلوب الجدال.

المبحث الثالث/ أسلوب الحوار.

المبحث الرابع/ أسلوب ضرب الأمثال.

الفصل الثاني
المنهج العقلي في دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين
محمد - صلى الله عليه وسلم -

العقل نعمة من الله تعالى اختص بها الإنسان عن سائر الكائنات، فميزنا الله بالعقل الذي نستطيع به أن ندرك وأن نعي الأشياء من حولنا.

والداعي إلى الله يدعو الناس إلى الهدى ودين الحق، ويعرض عليهم الإيمان الصحيح بالله بصورته البيضاء النقية بعيداً عما أطلق به من بدع وخرافات وموروثات من آبائهم وأجدادهم، والدعوة إلى الله قائمة على الإقناع وليس الإكراه وعند طرحها فإنها تصاغ في صور متعددة عند طرحها، فيعتمد الداعية لإيضاح هذه اليقينيات على الاستدلال والحوار والجدال والمناظرة، وضرب الأمثل، وذلك لاختلاف أحوال المدعوين واختلاف عقولهم ومداركهم، فهناك الذي الذكي الفطن، وهناك المنكر المتكبر، وهناك المجادل بالباطل... الخ.

وقد قابل النبي - صلى الله عليه وسلم - العديد من هؤلاء باختلاف أطيافهم وأجناسهم وتعامل معهم كل بما يناسبه، بالقياس تارة والحوار تارة وبالمجادلة تارة أخرى وبضرب الأمثل وهكذا...

وهذا ما سيتعرض له البحث في هذا الفصل من خلال أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ أسلوب القياس

المبحث الثاني/ أسلوب الجدال.

المبحث الثالث/ أسلوب الحوار.

المبحث الرابع/ أسلوب ضرب الأمثل.

المبحث الأول/ أسلوب القياس

وسيتناول الباحث هذا الأسلوب ببعض الأمثلة الدالة عليه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القياس لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: مثل عيسى كمثل آدم.

المطلب الثالث: ضرب المثل في قدرة الله على إحياء الموتى.

المطلب الرابع: استعمال النبي - صلى الله عليه وسلم- للقياس.

المطلب الأول: تعريف القياس لغة واصطلاحا:

القياس لغة: قاس الشيء يقيسه إذا قدره على مثاله،⁽¹⁾

وأصطلاحا: (هو إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر منصوص على حكمه لاشتراكهما في علة الحكم).⁽²⁾

وأسلوب القياس هو أحد أساليب المنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة إلى الله، وقد ورد استعمال القياس في القرآن في مواضع كثيرة منه، يتعرض الباحث لبعض منها في المطالب التالية.

المطلب الثاني: مثل عيسى كمثل آدم:

جاء في القرآن قياس خلق الله لعيسى على خلق آدم وأن الكل واقع بقدرة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ إَدَمَ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59]

والمعنى: (إن شأن عيسى وحاله الغريبة عند الله أي في تقديره وحكمه كمثل آدم أي كصفته وحاله العجيبة في أن كليهما قد خلقه الله-بارك وتعالى -من

(1) انظر لسان العرب (6/188) مادة قيس.

(2) الوجيز في أصول الفقه للدكتور وهبة الزحيلي (ص 56) ط دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر دمشق، إعادة الطبعة الأولى 1419 هـ، 1999 م

غير أب، ويزيد آدم على عيسى أنه خلق بدون أم- أيضاً فالآية الكريمة ترد ردًا منطقياً حكيمًا يهدم زعم كل من قال بألوهية المسيح أو اعتبره ابن الله.

وكان الآية الكريمة تقول لمن ادعى الوهبية عيسى لأنّه خلق من غير أب:
أنه إذا كان وجود عيسى بدون أب يسوغ لكم أن تجعلوه إلها أو ابن الله فأولى
 بذلك ثم أولى آدم لأنّه خلق من غير أب ولا أم.

**فالقرآن هنا يدعى من يقولون بألوهية المسيح أن يعملا عقولهم لفهم الحقيقة
بعيدا عن التقليد من خلال هذه النقاط:**

- أنت لا تقولون بـألوهية آدم وتقولون بـألوهية المسيح.
 - أنت تقولون بـألوهية المسيح لأنـه خلق من أم بلا أب.
 - باستعمال القياس العقلى من أولى بالـألوهية؟

الجواب: آدم أولى بالألوهية لأنه خلق من غير أم ولا أب، لكن لما كان آدم ليس ابنًا لله ولا إلهًا باعتراف النصارى أنفسهم، نتج عن ذلك أن عيسى ليس ابنًا ولا إلهًا.

المطلب الثالث: ضرب المثل في قدرة الله على إحياء الموتى:

بین اللہ فی غیر موضع من القرآن دلیلاً واضحاً علی قدرتہ علی إحیاء
الموتی و هو أنه سبحانه ينزل المطر من السماء فتحول الأرض الميتة إلى
خضراء حية مثمرة فلو أعملتم أيها المخاطبون عقولكم لعلمتم أن الذي أحیا
الارض بعد موتها قادر على أن يحيي الموتی، قال تعالى: ﴿وَمِنْ عَائِدَتِهِ أَنَّكُ

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (2/126)

تَرَى الْأَرْضَ حَشِيعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أُهْبَطَتْ وَرَبَّتْ إِنَّ اللَّهَ ذَي أَحْيَاهَا لَمْ يُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [فصلت: 39]، ففي هذه الآية "شبه إمداد الأرض

بماء المطر الذي هو سبب انباث البزور التي في باطنها التي تصير نباتا بإحياء الميت، فأطلق على ذلك أحياها على طريق الاستعارة التبعية، ثم ارتقي من ذلك إلى جعل ذلك الذي سمي إحياء لأنه شبيه بالإحياء دليلا على إمكان إحياء الموتى بطريقة قياس

الشبه، وهو المسمى في المنطق قياس التمثيل، وهو يفيد تقريب المقيس بالمقيس عليه، وليس الاستدلال بالشبه والتمثيل بحجية قطعية، بل هو إقناعي ولكنه هنا يصير حجة لأن المقيس عليه وإن كان أضعف من المقيس إذ المشبه لا يبلغ قوة المشبه به، فالمشبه به حيث كان لا يقدر على فعله إلا الخالق الذي اتصف بالقدرة التامة لذاته فقد تساوى فيه قويه وضعيفه، وهم كانوا يحيطون بإحياء الأموات استنادا للاستبعاد العادي، فلما نظر إحياء الأموات بإحياء الأرض المشبه تم الدليل الإقناعي المناسب لشبهتهم الإقناعية، وقد أشار إلى هذا تذليله بقوله: (إنه على كل شيء قادر) ⁽¹⁾

المطلب الرابع: استعمال النبي - صلى الله عليه وسلم - للقياس:

وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم القياس في إجابته على أسئلة الناس في مواضع عدة منها:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن امرأة من جهينة، جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟، قال: (نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضية؟ أقضوا الله فالله أحق بالوفاء). ⁽²⁾

- وعنده أيضا "أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر، فقال: (أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضيه؟)،

(1) تفسير التحرير والتنوير (24/303)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب: من شبه أصلا معلوما بأصل مبين، حديث رقم: (6885)

قالت: نعم، قال: (فدين الله أحق بالقضاء) ⁽¹⁾

ففي هذين الحديثين استعمل النبي - صلى الله عليه وسلم- القياس مع المرأة السائلة بأن أمها لو كان عليها دين لأدمي لكان عليها قضاءه، فمن باب أولى قضاء الدين المتعلق بحق من حقوق الله.

- وفي الحديث عن أبي ذر، «أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الذور بالأجور يصلون كما نصل، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم قال: أليس قد جعل الله لكم ما تصدقون، إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبير صدقة، وكل تحميد صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بعض أحدهم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوة ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان لها أجر» ⁽²⁾

فاستعمل النبي - صلى الله عليه وسلم- القياس مع أصحابه عندما بين لهم أن إتيان الرجل أهله يكتب له بذلك أجر من الله، فتعجب الصحابة وقالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوة وهذا شيء تميل إليه النفس وتحبه، ويكون له فيها أجر؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزر؟) يعني: لو وضع الشهوة في الحرام ووقع في الزنا؛ هل يكون عليه إثم وعقوبة؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان لها أجر؛ فهنا استعمل النبي القياس؛ ليكون المعنى واضحاً مستقراً في نفس السامعين.

المبحث الثاني/ أسلوب الجدال

تنوعت أساليب إقامة الأدلة على صدق ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم- في القرآن الكريم والسنّة المطهرة، لتكون أدعي للقبول وألزم للحجة، وإبطالاً للشبهة، مع ملائمتها لتنوع العقول واختلافها في كل زمان ومكان.

(1) رواه مسلم كتاب الصيام، باب: قضاء الصيام عن الميت، حديث رقم: (1148)

(2) رواه مسلم كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم (1006)

وقد تميز القرآن الكريم بطرقين للجدل وهم:
"الأول أن تذكر العقيدة الباطلة وينص على شناعتها وفسادها واستنكارها،
فحسب.

الثاني أن تحدد الشبهات التي وقع فيها هؤلاء الفرق، ثم تعرض حلولها وأجوبتها
بالأدلة البرهانية أو الخطابية."⁽¹⁾

وسوف يتعرض الباحث لبعض الأمثلة من الشبهات الواردة في القرآن والرد
عليها، ثم بعض الشبهات الواردة في السنة؛ من خلال مطلبين:

المطلب الأول / بعض الشبهات الواردة في القرآن والرد عليها.

**المطلب الثاني: بعض الشبهات الواردة في السنة وكيف ردّ الرسول صلى الله
عليه وسلم عليها؟**

المطلب الأول / بعض الشبهات الواردة في القرآن والرد عليها:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: شبهة عبادة الأصنام من دون الله.

المسألة الثانية: شبهة إنكار البعث والرد عليها.

المسألة الأولى: شبهة عبادة الأصنام من دون الله:

(1) "الفوز الكبير في أصول التفسير" للإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدھلوی» (ص 33)، وعَرَبَهُ من الفارسية: سلمان الحسیني التَّدْوِي طَدار الصَّحْوَة - القَاهْرَة، الطَّبْعَة: الثَّانِيَة - 1407 هـ - 1986 م

اتخذ المشركون أوثاناً فعبدوها من دون الله وتقربوا إليها بالتقديس والتعظيم وذبح القرابين والدعاء وسؤالها من دون الله، فأرسل الله رسوله محمداً بالهدي ودين الحق ليرد لهم إلى التوحيد، وقد رد القرآن على شبّهاتهم في اتخاذ هذه الأوّلان آلهة في عدة مواضع منها:

1- فساد السماء والأرض إن كان فيهما آلهة غير الله:

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَقَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصْفُونَ﴾ لَا يُسَأَّلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسَأَّلُونَ﴾ [الأنبياء: 22-23]

وهذا على سبيل الفرض الجدلاني فلو سلمنا لكم أيّها المشركون جدلاً أن هناك آلة سوى الله، (وقد كانوا يؤمّنون بالله ربّا خالقا رازقا) فإنه يلزم من ذلك أن تقدس السماوات والأرض، وبما أن ذلك لم يحدث فليس لله شريك في ملكه، وهناك آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ دَوْلَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَآتَيْتَهُمْ أَنْتَ بِالْحَقِيقَةِ هُنَّ فِي الظُّلْمِ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الإسراء: 42]

والمعنى: "قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن لله شريكاً من خلقه، العابدين معه غيره ليقربهم إليه زلفى: لو كان الأمر كما تقولون، وأن معه آلة تعبد لتقرب إليه وتشفع لديه -لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ويبتغون إليه الوسيلة والقربة، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه، ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه، فإنه لا يحب ذلك ولا يرضاه، بل يكرهه ويأباه. وقد نهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه."⁽¹⁾

وقوله: ﴿مَا أُتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كَانَ مَعَهُ وَمِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصْفُونَ﴾ [المؤمنون: 91]

لكن، لماذا تفسد السماء والأرض إن كان فيهما آلهة غير الله؟

"قالوا: لأنك في هذه المسألة أمام أمرين:

(1) تفسير ابن كثير (5/78)

إما أن تكون هذه الآلهة مستوية في صفات الكمال، أو واحد له صفات الكمال والآخر له صفة نقص. فإن كان لهم صفات الكمال، اتفقوا على خلق الأشياء أم اختلفوا؟

إن كانوا متفقين على خلق شيء، فهذا تكرار لا مبرر له، فواحد سيخلق، والآخر لا عمل له، ولا يجتمع مؤثران على أثر واحد. فإن اختلفوا على الخلق: يقول أحدهم: هذه لي، ويقول الآخر: هذه لي، فقد علا بعضهم على بعض.

أما إن كان لأحد هم صفة الكمال، وللآخر صفة النقص، فصاحب النقص لا يصح أن يكون إليها، وهكذا الحق – سبحانه وتعالى – يصرف لنا الأمثال ويوضحها ليجيئي هذه الحقيقة بالعقل وبالنقل: لا إله إلا الله، واتخاذ آلهة معه سبحانه أمر باطل. (1)

إذن تعدد الآلهة يقتضي التنازع والاختلاف، فحينئذ يختل نظام العالم، وتفسد الحياة!، وحينئذ يتغير أن القاهر الفعال لما يريد هو الذي يوجد مراده وحده من غير مُنازع ولا مُخالف ولا شريك، وهو الله الخالق للإله الواحد.

2- ومن الاستدلالات العقلية في القرآن على بطلان عبادة الأصنام إثبات عجز جميع المعبودات من دون الله من كل الوجوه:

فخاطبهم قائلًا: ﴿أَيْسِرُكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾^(١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾^(١٩٢) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ أَدْعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾^(١٩٣) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبَصِّرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كَيْدُونَ فَلَا تُنْظِرُونَ﴾^(١٩٥) [الأعراف: 191-195] ، فهي آلة عاجزة صماء لا تسمع، ولا تبصر ولا تتفع ولا تضر، ولا تملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، قال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا أَلَّذِينَ رَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا

(1) تفسير الشعراوي (15/9508 وما بعدها)

يَمْلُكُونَ مِنْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِيكٍ وَمَا لَهُ وَمِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ» [سما: 22] فأولى بكم أن تعبدوا الله وحده لا شريك له وأن تنبذوا عبادة الأصنام.

المسألة الثانية: شبهة إنكار البعث والرد عليها:

كان المشركون ينكرون البعث، ويعتبرون إحياء الخلق مرة أخرى من قبيل الخرافية التي لا تصدق، وأن هذا أمر يرفضه العقل السليم، وهذه الشبهة ربما هي أكثر الشبه وورودا في القرآن مع الرد عليها وتفنيدها.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا الْسَّاعَةُ قُلْ بَلَ وَرَبِّنَا لَتَأْتِيَنَّا مُعَذَّبٌ لَا يَعْزِبُ عَنْهُ مِنْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سما: 3]، و﴿رَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ لَنْ يُبَعْثُرُوا قُلْ بَلَ وَرَبِّنَا لَتَبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّئُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: 7]، و﴿قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُوا أَعِدَا مِنَّا وَكُنَّا ثُرَابًا وَعِظَمًا أَعْنَا لَمْ بُعُثُرُونَ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَعَابَأْوَنَا هَذَا مِنْ قَبْلِ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: 81-83]

وقد رد القرآن على ما زعموه في غير موضع من آياته بالأدلة والبراهين العقلية الواضحة، ومن ذلك:

1- التأكيد على أن القيمة حق لا ريب فيه:

قال تعالى: ﴿الَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: 87]

2- الاستدلال على النشأة الأخرى بالنشأة الأولى:

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِلَيْهَا مَا مِتْ لَسْوَفَ أُخْرَجُ حَيًا ﴿٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٧﴾﴾ [مريم: 66-67]

فَكُمَا خَلَقْتُمُ اللَّهُ مِنَ الْعَدَمِ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحْيِيَكُمْ وَيُعِيدَكُمْ مَرَةً أُخْرَى بَعْدَ مَوْتِكُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ حَلْقًا جَدِيدًا﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿أَوْ حَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوْلَ مَرَّةً فَسَيُنْغَضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسُهُمْ وَيَقُولُونَ مَنْ هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: 49-51]

3- الاستدلال بخلق السماوات والأرض:

والمرشكون كانوا يقررون بأن الله خالق السماوات والأرض كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقُهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: 9]، فإذا كان سبحانه قد خلق ما هو أعظم من خلق الإنسان؛ فقدرته على إعادة الخلق أسهل من خلقه السماوات والأرض، وليس عند الله سهل وصعب وإنما هذا لتقرير المعنى في الأذهان، قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: 57]

"وليس على قدرة الله أكبر ولا أصغر، ولا أصعب ولا أيسر، فهو خالق كل شيء بكلمة؛ إنما هي الأشياء كما تبدو في طبيعتها، وكما يعرفها الناس ويقدرونها؛ فأين الإنسان من هذا الكون الهائل؟ وأين يبلغ به كبره من هذا الخلق الكبير؟" (1)

4- مثال الأرض الميتة وإحياء الله لها دليل على قدرته على إحياء الموتى:

وهذا من أوضح الأدلة العقلية والحسية التي ساقها القرآن لإثبات البعث وهو يشاهدونها كثيراً ويتشوفون إلى نزول الغيث لأن بنزوله حياة للأرض وحياة لهم ولأنعامهم، قال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى ءَاثِرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: 50]، قوله: ﴿وَاللَّهُ

(1) تفسير الظلال (5/3090)

الَّذِي أَرْسَلَ الرَّيْحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدِ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿فاطر: 9﴾

المطلب الثاني: بعض الشبهات الواردة في السنة وكيف ردّ الرسول صلى الله عليه وسلم عليها؟

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: مناقشة النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الزبعرى.

المسألة الثانية: عسى أن يكون نزعه عرق.

المسألة الأولى: مناقشة النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الزبعرى:

جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم، وفي المسجد غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه، وتلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ عَالِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلُّ فِيهَا خَلِيلُونَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: 98-100]

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبل عبد الله بن الزبعرى حتى جلس معهم، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً ولا قعد، وقد زعم محمد أننا وما نعبد من آهتنا هذه حصب جهنم، فقال عبد الله بن الزبعرى: أما والله لو وجدته لخصمته، فسلوا محمداً، أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيزاً، والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم.

فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى، ورأوا أنه قد احتاج وخاصم، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشيطان، ومن أمرهم بعبادته، وأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقُتْ لَهُمْ مِنَ الْخُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهرت أنفسهم خالدون ﴿﴾ [الأنبياء: 111]

[102-101] أي: عيسى، وعُزير، ومن عبادوا من الأحبار والرهبان، الذين مضوا على طاعة الله، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله، ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة، وأنهم بنات الله: ﴿وَقَالُوا أَتَخْنَذُ الرَّحْمَنَ وَلَدًا سُبْحَانَهُ وَبَلْ عِبَادُ مُكَرَّمُونَ﴾ [الأنبياء: 26] إلى قوله: (وَمَن يَقُلُّ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ، فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) [الأنبياء: 29]، ونزل فيما ذكر من أمر عيسى وأنه يعبد من دون الله، وعَجَبَ الوليد ومن حضره من حجته وخصوصيته: ﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمًا مِّنْهُ يَصِدُّونَ ﴾٥٧﴿ وَقَالُوا أَلَّا هُنَّا خَيْرٌ أُمَّ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ حَاصِمُونَ ﴾٥٨﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَا مَثَلًا لِيَتَبَّعِ إِسْرَائِيلَ ﴾٥٩﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴾٦٠﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾٦١﴿

(الزخرف: 57-61) [١]

فهنا النبي -صلى الله عليه وسلم- بلغ قريشاً عن ربه أنهم وأصنامهم التي يعبدونها من دون الله وقد جهنم وحطبتها، فأراد ابن الزبرى أن يجاجي النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما قال بادعائه أن قوله هذا يلزم منه دخول الملائكة والمسيح والعزير النار، وتعجب الوليد بن المغيرة من حجته وكيف أنهم لم ينتبهوا إليها، ورأوا أنه قد رد بحجة قوية على النبي صلى الله عليه وسلم.

بماذا رد عليه النبي صلى الله عليه وسلم؟

- 1- أن دخول من عبد من دون الله النار مشروط بكونه أحب ذلك.
 - 2- أنزل الله تعالى بعدها قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْخُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾٦٢﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَى أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾٦٣﴿
- [الأنبياء: 101-102]، وفيها اثبات السلامة لمن سبق لهم من الله السعادة وأنهم

(1) السيرة النبوية لأبن هشام (2/8) بتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط شركة الطباعة الفنية المتحدة، وذكر القصة بنحوها الشيخ مقبل الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول ص (150) ط مكتبة صنعاء الأثرية الطبعة الثانية 1425هـ، 2004م

عن النار مبعدون، فكل من عبد من دون الله وهو لله عبد طائع ولعبادة من

يعبد كاره⁽¹⁾

3- أن لفظة "ما" يقصد بها أصنامهم وهي تكون لغير العاقل أما العاقل فنستخدم له لفظة "من" فالآية لبيان ضلال أهل مكة وأن أصنامهم جمادات غير عاقلة وأنها سيلقى بها غدا في النار فلا تملك أن تدفع العذاب عن نفسها فضلاً أن تدفع عنكم أو ترد عنكم العذاب.⁽²⁾

المسألة الثانية: عسى أن يكون نزعه عرق:

وهذه مجادلة دارت بين النبي -صلى الله عليه وسلم- ورجل من أصحابه انتظر قدوم ولده بفارغ الصبر، فلما رزق به إذا بالطفل أسود البشرة، ودخل الشك إلى قلب الرجل كيف جاء الطفل بهذا اللون وهو لا يشبهه ولا يشبه أمه؟

لكن ردة فعل الرجل كانت عاقلة ولم يفعل شيئاً فيه رعونة، وذهب إلى النبي صلي الله عليه وسلم يستفتنه، وقد كان النبي صلي الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق المؤيد بالوحى يستطيع أن يؤكّد له أنه ولده ، لكن النبي صلي الله عليه وسلم حاوره بما يجعله على يقين أن هذا ولده، والقصة رواها أبو هريرة- رضي الله عنه- قال: (جاء رجل من بنى فزاره إلى النبي صلي الله عليه وسلم فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال النبي صلي الله عليه وسلم: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل فيها من أورق؟ قال: إن فيها لورقاً. قال: فأنت أتها ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعه عرق. قال: وهذا عسى أن يكون نزعه عرق)⁽³⁾

فالنبي صلي الله عليه وسلم أدرك ما يعرض به الرجل على الفور، فأراد أن يطمئنه أن هذا الاختلاف في لون بشرة الطفل جائزٌ عقلاً، وذكر له حجة واضحة مما يناسب فهم الرجل وببيته، فقال له: (هل لك من إبل؟)، قال: نعم،

(1) ينظر تفسير ابن جرير الطبرى (18/538)

(2) ينظر تفسير ابن كثير (5/381) وقد ذكر ابن كثير -رحمه الله- أن عبد الله بن الزبعرى أسلم وصار من الشعراء المشهورين.

(3) رواه البخارى في صحيحه كتاب الطلاق باب: إذا عرض بنفي الولد، حديث رقم (4999) ورواه مسلم في صحيحه واللفظ له، كتاب اللعان برقم (1500)

قال: (ما ألوانها؟)، قال: حمر، فسأله إن كان فيها ما يخالف لونها وما سبب ذلك؟ فقال: أراه عرق نزعه، قال: (فلعل ابنك هذا نزعه عرق).

فكانت هذه الحجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم سببا لإثلاج صدر الرجل، وهدأت من نار الشك عنده، فطمأنه أن اختلاف لون البشرة قد يرجع لأسباب وراثية؛ فقد يكون أحد أجداد ابنك من قبل أبيه أو أمه كانوا سود البشرة فنزعه عرق، فاقتصر الأعرابي.

وهنا تبرز عدة نقاط في مجادلة النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي:

1- حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الأمور؛ فالسائل أعرابي من البدية، والمسألة متعلقة بالعرض والشرف فلم يكن من الحكمة الاكتفاء بالجواب المباشر بأنه ابنه ويتركه مع هواجمه دون أن يتطرق بذلك.

2- مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم لاختلاف العقليات؛ فاختار مثالاً من بيته السائل.

3- لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم الخبر مباشرة وإنما أنطق الأعرابي بالإجابة من خلال أسئلته له، ومن خلال إجاباته قاد الأعرابي نفسه بنفسه إلى النتيجة.

المبحث الثالث/ أسلوب الحوار

لو تصفحنا كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لرأينا اهتماما كبيرا بالحوار مع المخالفين مع المشركين ومع المنافقين ومع أهل الكتاب.

والحوار العقلي الهادئ نتائجه دائماً تعود بالخير على الطرفين، وفيه إظهار للحق وبيان حجته، وإقامة البرهان على بطلان الباطل ودحض شباهاته.

وقد تعددت أساليب الحوار في الكتاب والسنة فمنها ما فيه الدعوة للإسلام، ومنها ما يكون لإقامة الحجة على المخالفين، ومنها ما يكون لرد الشبهات، وسوف يستعرض الباحث أمثلة على ذلك من الكتاب والسنة من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين.

المطلب الثاني: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب.

المطلب الثالث: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أعرابي من نجد.

المطلب الأول: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين:

كثُرت حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين خاصة في القرآن المكى، وكانت تدور حول الشبهات التي يرددونها لتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم ومحاولة صد الناس عنه، من ذلك طلبهم لبعض الأمور من النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر الله تعالى ﴿وَقَالُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا٦٥﴾ أو تَكُونَ لَكَ جَنَّةً مِنْ نَخِيلٍ وَعَنْبٍ فَتُفْجِرَ الْأَنْهَارَ خَلَالَهَا تَفْجِيرًا٦٦﴾ أو تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أو تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَيْلًا٦٧﴾ أو يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ رُخْرِفٍ أو تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرُقْبِكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا٦٨﴾ [الإسراء: 90-93]، فهذا حوار يبين ما كان عليه القوم من العنت والمكابرة فقد طلبو من النبي صلى الله عليه وسلم عدة أمور هي:

1- لن نصدق ما جنتنا به إلا أن تخرج لنا من أرض مكة ينبوعا، أي عين دائمة الماء بلا انقطاع.

2- أو تكون لك حديقة فيها النخيل والأعناب؛ تجرى الأنهار في وسطها بكثرة علامه على خصوبتها وكثرة خيراتها.

3- أو تسقط علينا السماء وفقا لما توعدتنا به، من أن ينزل علينا عذابا متقطعا من السماء.

4- أو تأتي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ عيانا نراهم.

5- أو يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ ذَهْبٍ.

5- أو تصعد إلى السماء، ولن نصدق بصعودك إليها مع مشاهدتنا لذلك حتى تُنْزَلَ عَلَيْنَا مِنْهَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ وفيه ما يدل على أنك رسول من عند الله.

بماذا رد على طلباتهم؟

لا شك أن تحقيق ما طلبوا سهل يسير على الله تعالى، لو شاء لفعله ولأجابهم إلى جميع ما سألوه وطلبوا، ولكن علم الله أنهم لا يهتدون، فأمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يرد عليهم على سبيل التعجب من سوء تفكيرهم قائلا لهم: سبحان الله هل أنا إلا بشر كسائر البشر، ورسول كسائر الرسل، وليس من شأن من كان كذلك أن يأتي بتلك المطالب المتعنتة التي طلبتموها، وإنما من شأنه أن يبلغ ما أمره الله بت比利غه.⁽¹⁾

المطلب الثاني: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب:

كثرت حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى خاصة في القرآن المدنى، وكانت تدور حول تنفيذ الشبهات التي كانت تحول بينهم وبين الإيمان بالله ورسوله، أو الصد عن سبيله، ومنها ما جاء في سورة آل عمران مع أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿فُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ يا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تُحَاجِّوْنَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَأَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُوْنَ﴾ هَا أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ حَاجِجُتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجِّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾ ما كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ إِنَّ أُولَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّيْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَدَدْ طَافِهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضْلُلُنَّكُمْ وَمَا يُضْلُلُنَّ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُوْنَ﴾ يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُوْنَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُوْنَ﴾ يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلِسُوْنَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْثُمُوْنَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ﴾ [آل عمران: 71-64]

(1) انظر تفسير ابن كثير (5/117 وما بعدها)

ونلاحظ في هذا الحوار النقاط التالية:

- 1- يلاحظ في الحوار مناداتهم أربع مرات (يا أهل الكتاب) للتنبيه، ولفت النظر لما سيقال، وفيه زيادة في توب ихم ولإنكار ما هم عليه، والتعجب من شأنهم، فقد أوتوا الكتاب ولم يعملا بما فيه.
- 2- دعوتهم إلى الإنصاف وقول مالا تختلف عليه العقول السليمة، لأنها كلمة عادلة مستقيمة ليس فيها ميل عن الحق.
- 3- البدء بالأهم فالملهم، فبدأ بالدعوة التي جاء بها الأنبياء جمِيعاً وهي توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، وعدم الشرك به، وترك عبادة المخلوقين، فكلهم لله عبيد، إنما اصطفاهم الله للتَّبْلِيغ عنه، لا لمشاركة في الألوهية والربوبية .
- 4- الوضوح والمفاصلة معهم؛ فلا مجاملة لهم على حساب الحق، ولكن نعلمكم أن الحوار سيتوقف بعد إقامة الحجة عليكم وتوليمكم عن اتباع الحق، لكن اشهدوا على إسلامنا، لئلا يظُهُرُوا إعراض المسلمين عن الاسترسال في محاجتهم في صورة العجز والتسليم بأحقية ما عليه أهل الكتاب.
- 4- إقامة الحجة التاريخية عليهم؛ فقد زعم كل فريق منهم أنهم على دين إبراهيم توصلًا إلى أن الذي خالف دينهم لا يكون على دين إبراهيم كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم، فإن التوراة والإنجيل ما نزل إلا من بعده بأزمان طويلة، فكيف يكون يهودياً يدين بالتوراة، أو كيف يكون نصرانياً يدين بالإنجيل؟ فهذه الحجة في شأن إبراهيم ظاهرة البطلان واضحة الفساد.
- 5- قوله: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) توبٍخ لهم على عدم فهم هذا الأمر البديهي وهو أن المتقدم على الشيء لا يمكن أن يكون تابعاً للشيء المتأخر عنه. فالاستفهام لتبٍخهم وتجهيلهم في دعواهم أن إبراهيم - عليه السلام - كان يهودياً أو نصرانياً.
- 6- بيان أنهم مخالفون لمقتضيات العقول السليمة، فإنهم يجادلون في أمر ليس لهم به علم أصلاً، وهو المجادلة في دين إبراهيم وشريعته؟ لأنَّه من البديهي أن إبراهيم ما كان يهودياً ولا نصرانياً إذ وجوده سابق على وجودهما بأزمان طويلة.
- 7- تعرية انتسابهم إلى الخليل إبراهيم بالحجَّة القاطعة بالتأكيد على أن إبراهيم - عليه السلام - براء من كل دين يخالف دين الإسلام فلم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولكنْ كان حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

9- التأكيد على أن أقرب الناس من إبراهيم الذين أجابوا دعوته في حياته واتبعوا دينه وشرعيته بعد مماته، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم واتبعوه.

وفي هذا تنويه بشأن الأمة الإسلامية، وتقرير بأن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم أحق بالانساب إلى إبراهيم من أهل الكتاب لأن المؤمنين طلبوا الحق وأمنوا به، أما أهل الكتاب فقد باعوا دينهم بدنياهم، وتركوا الحق جرياً وراء شهواتهم.

10- يختتم الحوار بالتوبيخ لهم: لماذا تكفرون بآيات الله- تعالى- التي يتلوها عليكم نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأنتم تعلمون صدقها وصحتها، وفي هذا النداء إشارة إلى أن ما أعطوه من علم كان يقتضي منهم أن يسارعوا إلى الإيمان لا أن يكفروا بآيات الله الدالة على صدق نبيه صلى الله عليه وسلم والتي تتناول القرآن الكريم، والحجج والمعجزات التي جاءهم بها صلى الله عليه وسلم.

11- تم وجه إليهم- سبحانه- نداء رابعاً: يا أهل الكتب لماذا تخلطون الحق الواضح بالباطل الذي تخترعونه من عند أنفسكم إرضاء لأهوائكم؟ ولماذا تكتمون الحق الذي تعرفونه كما تعرفون أبناءكم، والسؤال هنا كسابقه للتوبيخ والتقرير. ⁽¹⁾

المطلب الثالث: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أعرابي من نجد:

كان الأعراب سكان البادية يأتون النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم شيء من الغلظة وحدة الطبع مثل مناداة النبي صلى الله عليه وسلم باسمه أو رفع الصوت والمبالغة في ذلك، وكان النبي صلى الله عليه وسلم رحيمًا بهم حليماً عليهم وله مواقف عدّة معهم ودارت حوارات يتعلم منها الدعاء إلى الله كيفية التعامل مع مثل هذه النوعية من الناس:

عن طلحة بن عبيد الله قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد، ثائر الرأس، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خمس صلوات في اليوم والليلة)

فقال: هل على غيرها؟ قال: (لا إلا أن تطوع).

(1) ينظر تفسير الكشاف للزمخشي (1/370 وما بعدها)، وتفسير ابن كثير (2/55 وما بعدها)، وتفسير الظلال لسيد قطب (1/406 وما بعدها)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (2/133 وما بعدها)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وصيام رمضان). قال هل علي غيره؟
قال: (لا إلا أن تطوع).

قال: وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة، قال: هل علي غيرها؟
قال: (لا إلا أن تطوع).

قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: (أفلح إن صدق)⁽¹⁾

وعن أنس بن مالك قال: (بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم
في المسجد، دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد، ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم
محمد؟ والنبي صلى الله عليه وسلم متکئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل
الأبيض المتکئ).

فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (قد
أجبتك).

فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إني سألك فمشدد عليك في المسألة، فلا
تجد علي في نفسك. فقال: (سل عما بدا لك).

فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آللله أرسلك إلى الناس كلهم؟
فقال: (اللهم نعم).

قال: أنشدك بالله، آللله أمرك أن نصلِّي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال:
(اللهم نعم).

قال أنشدك بالله، آللله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟
قال: (اللهم نعم).

قال: أنشدك بالله، آللله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغزيائنا فتقسمها على
فقراءنا؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم نعم).

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان بباب الزكاة من الإسلام حديث رقم (46)

فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة، أخوبني سعد بن بكر⁽¹⁾

ونلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أهل الbadية تحمل جفوتهم، وحدة طباعهم، باللين والرفق وسلوك الحكمة في الرد عليهم، أيضا نلاحظ في رده على أسئلتهم البيان والوضوح والاختصار.

المبحث الرابع / أسلوب ضرب الأمثال

المطلب الأول: تعريف "ضرب الأمثال" لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: مثل مضاعفة ثواب الصدقة.

المطلب الثالث: مثل المؤمن ومثل الكافر.

المطلب الرابع: مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها.

المطلب الخامس: مثل المؤمن والمنافق مع القرآن.

المطلب الأول: تعريف "ضرب الأمثال" لغة واصطلاحا:

الأمثال لغة: جمع مثل: يقال: هذا مثله ومثله كما يقال شبهه وشبهه بمعنى؛ والمثل: الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعل مثله.⁽²⁾

واصطلاحا: هو "عبارة عن قول في شيء يشبه قوله قولًا في شيء آخر بينما مشابهة؛ ليبين أحدهما الآخر ويصوره"⁽³⁾

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم بباب: ما جاء في العلم. قوله تعالى: (وقل رب زدني علما) حديث رقم (63)

(2) ينظر لسان العرب (6/4132)

(3) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (759)

وقد ضرب الله تعالى لنا الأمثال في القرآن الكريم، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فالأمثال وسيلة سهلة وسريعة في الإقناع، وإزالة الغموض وتقرير المفاهيم، بشحذ ذهن المخاطب واستثارة همه للبحث والتفكير للاقتناع بأمر من الأمور أو لإزالة شبهة من الشبهات.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأُمَّثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۚ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾

[العنكبوت: 43] وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنَزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ وَخَلِشَعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمَّثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21]

المطلب الثاني: مثل مضاعفة ثواب الصدقة:

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةً حَبَّةً وَاللَّهُ يُضَعِّفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 261] ، هذا مثال ضربه الله تبارك وتعالى لعباده لبيان مضاعفة أجر الصدقة لمن أنفق من ماله في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن هذه الحسنة تتضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وشبه ذلك بصورة حسية يعرفها المخاطبون وهي حبة القمح تزرع فينبتت الله بها سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة.

يقول ابن القيم - رحمه الله - (1): (و هذه الآية كأنها كالتفسير والبيان لمقدار الأضعاف التي يضاعفها للمقرض، ومثل سبحانه بهذا المثل إحضاراً لصورة التضييف في الأذهان بهذه الحبة التي غيبت في الأرض فأنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة حتى كان القلب ينظر إلى هذا التضييف ببصيرته؛ كما تنظر العين إلى هذه السنابل التي من الحبة الواحدة فينضاف الشاهد العياني إلى الشاهد الإيماني القرآني فيقوى إيمان المنافق وتسخو نفسه بالإنفاق، وتأمل كيف

(1) الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - (691 - 751) هو الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حرزيز الرزاعي، شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية، ولد سنة 691هـ، وتوفى في المذهب الحنفي، ولازم شيخه ابن تيمية وأخذ عنه، وتقن في علوم الإسلام، وتوفي سنة 751هـ. ينظر في ترجمته: ذيل طبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب، (2/447) وصححه: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية - القاهرة 1732 هـ - 1952 م

جمع السنبلة في هذه الآية على سنابل وهي من جموع الكثرة إذ المقام مقام تكثير وتضييف وجمعها على سنابلات في قوله تعالى: (وسبع سنابلات خضر وأخر يابسات) فجاء بها على جمع القلة لأن السبعة قليلة ولا مقتضى للتکثير.

وقوله تعالى: (والله يضاعف لمن يشاء) قيل المعنى والله يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق، بل يختص برحمته من يشاء، وذلك لتفاوت أحوال الإنفاق في نفسه ولصفات المنفق وأحواله في شدة الحاجة وعظم النفع وحسن الموضع، وقيل والله يضاعف لمن يشاء فوق ذلك فلا يقتصر به على السبعين، بل يجاوز في المضاعفة هذا المقدار إلى أضعاف كثيرة.

واختلف في تفسير الآية فقيل مثل نفقة الذين ينفقون في سبيل الله كمثل حبة وقيل مثل الذين ينفقون في سبيل الله كمثل باذر حبة ليطابق الممثل للممثل به فههنا أربعة أمور منفقة وباذر ذكر سبحانه من كل شق أهم قسميه ذكر من شق الممثل المنافق إذ المقصود ذكر حاله و شأنه و سكت عن ذكر النفقه لدلالة اللفظ عليها و ذكر من شق الممثل به البذر إذ هو المحل الذي حصلت فيه المضاعفة و ترك ذكر البذر لأن القرض لا يتعلق بذكره؛ فتأمل هذه البلاغة والفصاحة والإيجاز المتضمن لغاية البيان، وهذا كثير في أمثال القرآن بل عامتها ترد على هذا النمط ثم ختم الآية باسمين من أسمائه الحسنى مطابقين لسياقها و هما الواسع والعليم فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة ولا يضيق عنها عطاوه؛ فإن المضاعف واسع العطاء واسع الغنى واسع الفضل.

ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق فإنه علیم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها ومن لا يستحقها، ولا هو أهل لها فإن كرمه وفضله تعالى لا ينافي حكمته بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته وينفعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه. اهـ."(1)

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية (2/792) حقيقه: محمد أجمل الإصلاحي وأخرون، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الرابعة، 1440 هـ - 2019 م (الأولى لدار ابن حزم)

المطلب الثالث: مثل المؤمن ومثل الكافر:

ضرب الله مثلاً وهو: أن الأرض الطيبة التربة يخرج نباتها حسناً غزيراً
النفع بمشيئة الله وتنسيه، والذي خبث من الأرض كالسبخة منها لا يخرج نباته
إلا قليلاً عديم الفائدة، قال تعالى: **(وَالْبَلَدُ الظَّلِيبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ وَيَأْذُنُ رَبِّهِ وَالَّذِي
خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِيدًا ۚ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ أَلْآيَتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ)** [الأعراف: 58]

وفي تفسير هذه الآية قوله تعالى:

(القول الأول): وهو المشهور أن هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر
بالأرض الخيرة والأرض السبخة، وشبهه نزول القرآن بنزول المطر، فشبهه
المؤمن بالأرض الخيرة التي نزل عليها المطر فيحصل فيها أنواع الأزهار
والثمار، وأما الأرض السبخة فهي وإن نزل المطر عليها لم يحصل فيها من
النبات إلا النزر القليل، فكذلك الروح الطاهرة الندية عن شوائب الجهل
والأخلاق الذميمة إذا اتصل به نور القرآن ظهرت فيه أنواع من الطاعات
والمعارف والأخلاق الحميدة، والروح الخبيثة الكدرة وإن اتصل به نور القرآن
لم يظهر فيه من المعارف والأخلاق الحميدة إلا القليل.

(القول الثاني): أنه ليس المراد من الآية تمثيل المؤمن والكافر، وإنما
المراد أن الأرض السبخة يقل نفعها وثمرتها، ومع ذلك فإن صاحبها لا يهمل
أمرها بل يتعب نفسه في إصلاحها طمعاً منه في تحصيل ما يليق بها من
المنفعة، فمن طلب هذا النفع اليسير بالمشقة العظيمة، فلأنه يطلب النفع العظيم
الموعد به في الدار الآخرة بالمشقة التي لابد من تحملها في أداء الطاعات،
كان ذلك أولى. (1)

المطلب الرابع: مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينه،
 فأصاب بعضهم أعلىها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من
الماء مرروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصبينا خرقاً، ولم نؤذ من

(1) تفسير الرازي مفاتيح الغيب (14/291)

فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا
جميعاً) ⁽¹⁾

هذا الحديث يضرب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم مثالاً لشيء معقول بشيء محسوس فهو مثل للقائم على حدود الله الواقع فيها بأمر محسوس، فشبه الناس بركاب سفينة واحدة، اقتربوا على ركوب سفينته فبعضهم كان نصيبيه في أسفلها وبعضهم في أعلىها، فإذا قام الفريق الذي بأسفلها بخرقها لمواجهتهم مشكلة في شرب الماء وجلبه فأرادوا بهذا الخرق الشرب مباشرةً من الماء دون الحاجة إلى الصعود إلى الأعلى؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم يوضح أنهم لن يغرقوا وحدهم، بل سيكون فعلهم الأحمق سبباً لغرق الجميع.

فإن تركهم الفريق الذي يسكن في الأعلى غرق الجميع، ودخل عليهم الماء، وإن أخذوا على أيديهم ومنعوهم نجوا جميعاً.

فهذا حال جماعة من الناس بالمجتمع، حال من يظهر معصيته، ويجهز بها ويصر عليها فماذا يفعل الناس معه؟ إذا أخذ العقلاً والحكماء على أيديهم فمنعوهم من تلك المفسدة نجوا جميعاً، وإن تركوهم بدون نهي أو منع من المنكرات تنزل بهم جميعاً عقوبة عامة، كما قال الله - تعالى : ﴿وَأَتَّقُواْ فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25]

فتتضمن الحديث ما يلي:

- تشبيه أحكام الإسلام بالسفينة في عرض البحر تنقل ركابها من فتن الدنيا إلى السعادة والأمان والنجاة في الدنيا والآخرة بشرط أن يحافظوا عليها.
- تمثيل الناس بركاب السفينة الذين يجب عليهم الحرص على سلامتها، لارتباط حياتهم بسلامتها من الخرق والعيب فيها.
- أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه سلامة الجميع، وأن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه هلاك الجميع.

(1) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهان فيه، حديث رقم: (2361)

المطلب الخامس: مثل المؤمن والمنافق مع القرآن:

جاء الأمر للمؤمنين في القرآن والسنة كثيراً بتلاوة القرآن وترديد آياته، والهدف من ذلك الوصول إلى فهمه وتذكرة آياته والعمل بما فيها، حتى تكون من المهتدين إلى طريق الحق، وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن والمنافق مع القرآن بصورة محسوسة؛ ليكون ذلك أوقع في نفوس السامعين، وأوضح في المعنى.

والحديث عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترة، ريحها طيب وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر) ⁽¹⁾ فهنا ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل لأمر معقول وهو قراءة القرآن بأمر حسي يعرفه المخاطب.

وقد شرح العلامة بدر الدين العيني ⁽²⁾ هذا المثل النبوي فقال: (وهذا معنى معقول صرف لا يبرزه عن مكنونه إلا تصويره بالمحسوس المشاهد، ثم إن كلام الله المجيد له تأثير في باطن العبد وظاهره.

وإن العباد متفاوتون في ذلك، فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارئ، ومنهم من لا نصيب له البتة وهو المنافق الحقيقي، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه وهو المرائي أو بالعكس، وهو المؤمن الذي لم يقرأه، وإبراز هذه المعانوي تصويرها في المحسوسات ما هو مذكور في الحديث ولم يجد ما يوافقها ويلاقها أقرب ولا أحسن ولا أجمع من ذلك لأن المشبهات والمشبه بها واردة على التقسيم الحاضر، لأن الناس إما مؤمن أو غير

(1) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، حديث رقم: (4732)

(2) العلامة بدر الدين العيني (762 - 855 هـ = 1361 - 1451 م) هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، عالمة، من كبار المحدثين، أصله من حلب ومولده في عينتاب (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس، وولي في القاهرة الحسية وقضاء الحنفية. انظر ترجمته في الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي (10/131) والأعلام للزركلي (7/163)

مؤمن والثاني إما منافق صرف أو ملحق به، والأول إما مواطن عليها، فعلى هذا قس الأئم المتشبه بها، ووجه التشبيه في المذكورات مركب متزمع من أمرين محسوسين: طعم وريح.

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بما تتبه الأرض ويخرجها الشجر للتشابه التي بينها وبين الأعمال فإنها من ثمرات النفوس، فخص ما يخرج الشجر من الأترجة والتمر بالمؤمن، وبما تتبه الأرض من الحنظلة والريحانة بالمنافق تتبها على علو شأن المؤمن وارتفاع علمه ودوام ذلك، وتوقيفا على ضعة شأن المنافق وإحباط عمله وقلة جدواه.⁽¹⁾

إذن في هذا الحديث الرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضرب المثل لحال المؤمن والمنافق مع القرآن بأربعة أنواع وهي:

الأول: المسلم الذي يداوم على قراءة القرآن، شبهه بفاكهه الأترجة وهي فاكهة لها طعم طيب وملمس ناعم ورائحة جميلة، وكذلك حال المؤمن الذي يقرأ القرآن، ويفهم آياته ويعمل بها، فهو ذو خلق حسن وطيب في داخله وخارجها.

الثاني: المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، شبهه بالتمر، فالتمر ثمر طيب الطعم، لكن ليس له رائحة.

الثالث: الفاجر العاصي الذي يقرأ القرآن الكريم، شبهه بالريحان، وهو نبات ذو رائحة جميلة، لكن طعمها مر غير طيب.

الرابع: الفاجر الذي لا يقرأ القرآن ومستمر في عصيانه، بالحنظلة، وهي نوع من النبات، ليس لها رائحة طيبة، وطعمها مر، غير مرغوب فيها.

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعلامة بدر الدين العيني (20/38) عنـتـ بـنـشـرـه وـتـصـحـيـحـه وـتـعـلـيقـه عـلـيـه: شـرـكـةـ مـنـ الـعـلـمـاءـ بـمـسـاـعـدـةـ إـدـارـةـ الطـبـاعـةـ الـمـنـيـرـيـةـ، لـصـاحـبـهاـ وـمـدـيرـهاـ محمد منير عبده أغا الدمشقي وصورة دور أخرى: مثل (دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر) - بيروت

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة

خاتم الأنبياء والمرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم-

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول/ لفت الحس إلى النظر والتأمل.

المبحث الثاني/ المعجزات الحسية.

المبحث الثالث/ القدوة العملية.

المبحث الرابع/ تغيير المنكر باليد.

المبحث الخامس/ الاعتبار بالسابقين.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة محمد - عليه السلام-

المنهج الحسي من المناهج المؤثرة دعوياً في دعوة الكثير من الناس لأنها تعتمد على الإدراك بالحواس، مما يسهل على الناس إدراكه بلا مشقة، ويصعب إنكاره أو تكذيبه، وقد استخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا المنهج في الدعوة إلى الله في عدة صور يتناولها الباحث في خمسة مطالب على النحو التالي:

المبحث الأول/ لفت الحس إلى النظر والتأمل.

المبحث الثاني/ المعجزات الحسية.

المبحث الثالث/ القدوة العملية.

المبحث الرابع/ تغيير المنكر باليد.

المبحث الخامس/ الاعتبار بالسابقين.

المبحث الأول/ لفت الحس إلى النظر والتأمل.

دعا القرآن الكريم الناس لِإعمال حواسهم بالنظر والتأمل والاستدلال على عظمة الله ووحدانيته في آيات كثيرة من القرآن منها على سبيل المثال، قوله تعالى:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِثُوا شَجَرَهَا إِلَّا هُمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَّا هُمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَّا هُمْ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ أَمَّنْ يَهْدِيْكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرِسِّلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَّا هُمْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى

اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
إِلَّا هُوَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ [النمل: 60-64]

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَاهَا وَمَا لَهَا
مِنْ فُرُوجٍ ﴿٥﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَرْجٍ
بَهِيجٍ ﴿٦﴾ تَبَصِّرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٧﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَّاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ
جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٨﴾ وَالثَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدُ ﴿٩﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ
بَلْدَةً مَيْتَنَا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١٠﴾﴾ [ق: 11-6]

يقول ابن القيم - رحمه الله : (والنظر في هذه الآيات وأمثالها نوعان:

نظر إليها بالبصر الظاهر فيرى مثلاً زرقة السماء ونجومها وعلوها وسعتها وهذا نظر يشارك الإنسان فيه غيره من الحيوانات وليس هو المقصود بالأمر.

الثاني: أن يتتجاوز هذا إلى النظر بال بصيرة الباطنة فتفتح له أبواب السماء فيجول في أقطارها وملوكها وبين ملائكتها ثم يفتح له باب بعد باب حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن فينظر سعته وعظمته وجلاله ومجده ورفعته ويرى السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه ك حلقة ملقاء بأرض فلاة ويرى الملائكة حافين من حوله لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتقديس والتکبير والأمر ينزل من فوقه بتذليل الممالك والجنود التي لا يعلمها إلا ربها وملكها فينزل الأمر بإحياء قوم وإماتة آخرين وإعزاز قوم وإذلال آخرين وإسعاد قوم وشقاوة آخرين وإنشاء ملك وسلب ملك وتحويل نعمة من محل إلى محل وقضاء الحاجات على اختلافها وتبينها وكثرتها من جبر كسر وإغفاء فقير وشفاء مريض وتقرير كرب ومغفرة ذنب وكشف ضر ونصر مظلوم وهداية حيران وتعليم جاهل ورد آبق وأمان خائف وإجارة مستجير ومدد لضعيف وإغاثة الملهوف وإعانة لعاجز وانتقام من ظالم وكف العدوان.

فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل والحكمة والرحمة تنفذ في أقطار العالم لا يشغلها سمع شيء منها عن سمع غيره ولا تغليطه كثرة المسائل والحوائج على اختلافها وتبينها واتحاد وقتها ولا يتبرم بالحاج الملحين ولا تنقص ذرة من خزاناته لا إله إلا هو العزيز الحكيم فحينئذ يقوم القلب بين يدي

الرحمن مطرقاً لهيته خاسعاً لعظمته عان لعزته فيسجد بين يدي الملك الحق
المبين سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيد⁽¹⁾

وعبادة التفكير بالنظر في جمال الكون وعظمة المخلوقات عبادة من أجلّ
العبادات التي تغيب عن الناس، ومهمة الدعاة إلى الله هي أن يلفتوا الأنظار وينبهوا
الناس على هذه الآيات العظيمة لأن فيها ثمرات إيمانية عده منها:

1- الاستدلال على عظمة الله بعظيم خلقه وطلاقة قدرته وإتقان صنعته، فلا خلل
ولا نقص كما قال سبحانه: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقْنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ وَحْدَهُ بِمَا
تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 88]

2- الاستدلال على وحدانيته جل وعلا وبطلان كل معبد سواه جل وعلا قال
تعالى: ﴿هَلْذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُوْنِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ﴾ [القمان: 11]

3- إدراك العبد لمدى ضعفه وقدرة الله عليه، وأن الله الذي هيأ له هذا الكون إنما
هيأه لعبادته وحده لا شريك له، فلم يخلق الله هذا الكون الفسيح عبثاً ولا لعباً قال
تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهُمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: 16-17]
لَا تَخْدُنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾

4- التفكير يزيد الإيمان في القلوب مما يجعل في القلب خشية لله بتقواه، قال
تعالى: ﴿إِنَّ فِي آخْتِلَافِ الْأَيَّلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 6]

(1) مفتاح دار السعادة ونشر ولاية العلم والإرادة لابن قيم الجوزية (1/201)، ط دار الكتب
العلمية - بيروت

المبحث الثاني/ المعجزات الحسية

أيد الله أنبياءه ورسله بالمعجزات الحسية التي يعجز البشر عن الإتيان بمنتها والتي تكون سببا في إقامة الحجة على من حضرها وعاينها من الكفار وزيادة في إيمان المؤمنين بالله - عز وجل -

ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة صنفت فيها مؤلفات عديدة، وسيتعرض الباحث لذكر أشهر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، في أربعة مطالب:

المطلب الأول: المعجزة الخالدة: القرآن.

المطلب الثاني: معجزة الإسراء والمعراج.

المطلب الثالث: معجزة انشقاق القمر.

المطلب الرابع: معجزة تكثير الماء.

المطلب الأول: المعجزة الخالدة: القرآن:

عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أو حاه الله إلى، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيمة) ⁽¹⁾

يقول الإمام النووي في شرحه للحديث: (اختلف فيه على أقوال:

أحدها: أن كلنبي أعطي من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله من الأنبياء فآمن به البشر وأما معجزتي العظيمة الظاهرة فهي القرآن الذي لم يعط أحد مثله فلهذا قال أنا أكثرهم تابعاً.

والثاني: معناه أن الذي أوتيته لا يتطرق إليه تخيل بسحر وشبهة بخلاف معجزة غيري فإنه قد يخيل الساحر بشيء مما يقارب صورتها كما خيلت السحرة في صورة عصا موسى صلى الله عليه وسلم والخيال قد يروج على

(1) الحديث سبق تخرجه ص (200)

بعض العوام والفرق بين المعجزة والسحر والتخييل يحتاج إلى فكر ونظر وقد يخطئ الناظر فيعتقد هما سواء.

والثالث: معناه أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم ولم يشاهدها إلا من حضرها بحضرتهم ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم القرآن المستمر إلى يوم القيمة مع خرق العادة في أسلوبه وبلامغاته وإخباره بالمغيبات وعجز الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة من مثله مجتمعين أو متفرقين في جميع الأعصار مع اعتنائهم بمعارضته، فلم يقدروا وهم أفسح القرون مع غير ذلك من وجوه إعجازه المعروفة والله أعلم.) (1)

ولو تأملنا الأنبياء السابقين لوجدنا أن لكلنبي معجزات، وله منهاج جاء به، الكتاب الم المنزل عليه، والمعجزة غير المنهج، فنبي الله عيسى كان له معجزات وأنزل عليه الإنجيل، وجاء بشرعية التوراة ﴿وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ [آل عمران: 50]، ونبي الله موسى جاء بشرعية التوراة، وكان له معجزات اليد والعصا وانشقاق البحر وغير ذلك، لكن نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى المعجزات الحسية التي رأها الصحابة، جاء بمعجزة باقية خالدة هي معجزة القرآن.

يعني لو قلنا مثلاً واحد من اتباع النبي الله موسى ما الدليل على نبوة موسى؟ سيقول حدثت له معجزات كذا وكذا نعم هذه معجزات حسية لمن رأها بعينه، لمن حضرها وشاهدتها، لكن بالنسبة لنا هي خبر، طبعاً نحن كمسلمين نصدق بهذه المعجزات لأن الله أخبر بها، لكن نحن نتكلم عن شيء حسي ملموس باق إلى يومنا هذا، ونفس الكلام يقال في معجزات النبي الله عيسى، إنها معجزات كانت لمن شاهدها، وحضرها.

لكننا نحن المسلمين حينما نتكلم عن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها المعجزة الباقية الخالدة معجزة القرآن كتاب الله، الذي تكفل الله تعالى بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ وَلَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، فصانه الله تعالى من التبديل، والتغيير، والتحريف، فهو كما هو منذ أن نزل على النبي صلى الله

(1) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحاج للإمام النووي (2/188)

عليه وسلم إلى يومنا هذا ، ولا يعرف في تاريخ البشرية كلها كتاباً أجمع على صحته مع طول تاريخه كالقرآن ولا يعرف كتاب اهتم به العالم أجمع بدايًةً من طبعه إلى صيانته إلى حفظه إلى رعاية علومه ... لا يعرف كتاب كالقرآن الكريم، بل الأعجب أنه كلما امتد الزمان زادت وسائل الحفظ فبعد أن كان القرآن يكتب على الحجارة العريضة وعلى سعف النخيل وعلى الجلود صار يطبع على الأوراق ثم تطورت الأمور إلى ما نراه الآن من انتشار عجيب للفرآن الكريم على كل الاجهزه الالكترونية الحديثة والاسطوانات الموجودة الصوتية ، والمطبوعات المختلفة ، وصار القرآن يرتل بجميع روایاته التي لا يعرف الناس كثيرا منها ، وصارت هناك مصاحف بهذه القراءات ، فكلما امتد الزمان زادت وسائل الحفظ، لأن رسول الله هو خاتم النبيين لانبي بعده، فأيده جل وعلا بهذه المعجزة الباقيه، وكأنها خاتمة المعجزات التي يمتد أثرها في تاريخ البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالقرآن كلام الله فهو صفةٌ من صفات ذاته جل وعلا باق ببقاء الله سبحانه وتعالى. ⁽¹⁾

فالقرآن معجزةٌ باقية؛ فهو بين أيدينا بنصه، وفيه ما فيه من الأمور التي لم يكن لأحدٍ أن يعرفها لم يكن هناك جامعات علمية، ولا وسائل التعليم المتاحة والموجودة الآن، لكن القرآن رتلت آياته منذ أربعة عشر قرناً من الزمان على لسان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من بعده كما هو، وألفت مؤلفات كثيرة عن الإعجاز البشري، والإعجاز البلاغي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز العلمي، والإعجاز التاريخي، حتى يتبيّن للجميع كيف أن هذا القرآن ليس صنيع بشر؛ وإنما هو كلام رب العالمين سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني: معجزة الإسراء والمعراج:

وهذا الحدث من أكبر المعجزات التي أيد الله بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيَلَّا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ وَلِنُرِيهِ مِنْ عَائِدَتِنَا إِنَّهُ وَهُوَ الْسَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ ۝ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝ ۝ عِنْدَهَا

(1) ينظر معجزة القرآن للشعراوي (1/26 وما بعدها) ط دار أخبار اليوم

جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا رَأَىَ الْبَصَرُ وَمَا طَعَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىَ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكَبِيرَىٰ ﴿١٨﴾ [النجم: 13-18]، وقد وردت روایات كثيرة في الصحيحين وكتب السنن والمسانيد عن الإسراء والمعراج سيكتفي الباحث برواية الصحيحين:

عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب، ممتلي حكمة وإيمانا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل لخازن السماء: افتح، قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم. فلما فتح علينا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد، على يمينه أسوده، وعلى يساره أسوده، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، حتى عرج بي إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح، (فقال له خازنها مثل ما قال الأول، ففتح). قال أنس: فذكر: أنه وجد في السماوات آدم، وإدريس، وموسى، ويعيسى، وإبراهيم، صلوات الله عليهم، ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنه ذكر: أنه وجد آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة، قال أنس: فلما مر جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بإدريس، قال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح. (فقلت: من هذا؟ قال: هذا إدريس، ثم مررت بموسى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، ثم مررت بيعيسى، فقال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا عيسى، ثم مررت بإبراهيم، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيم صلى الله عليه وسلم.

قال ابن شهاب فأخبرني ابن حزم: أن ابن عباس وأبا حبة الأنباري: كانوا يقولان: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام). قال ابن حزم وأنس بن مالك: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك، حتى مررت

على موسى، فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعني فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه، فقال ارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته، فقال: هي خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدى، فرجعت إلى موسى، فقال: راجع ربك، قلت: استحييت من ربى، ثم انطلق بي، حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغضيبياً أوان لا أدرى ما هي، ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبائل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك⁽¹⁾

فجاء حادث الإسراء والمعراج ليمرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حفارة الملا الأعلى بعد ما أصابه من أذى في رحلة الطائف، وفيها اثبات لقدرة الله عز وجل وصدق النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها إبراز لمكانته بين الأنبياء.

المطلب الثالث: معجزة انشقاق القمر:

من المعجزات التي أيدَ الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم، معجزة انشقاق القمر إلى شقين، حتى رأى بعض الصحابة جبل حراء بينهما.

ووَقَعَتْ هَذِهِ الْمَعْجَزَةُ عِنْدَمَا طَلَبَ كَفَارُ مَكَةَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةً تَدْلِي بِإِصْدَقَةٍ دُعُوتُهُ، وَجَاءَ ذَكْرُ هَذِهِ الْحَادِثَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَنَّهَا عَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ﴾ [القمر: 1-2]

وفي الحديث عن أنس - رضي الله عنه - : (أن أهل مكة سألوه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما) (2)

(1) أخرجه البخاري كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء، حديث رقم (342) وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم: (163)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الصحابة، باب انشقاق القمر حديث رقم (3655)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين، فرقاً فوق الجبل وفرقـة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا) ⁽¹⁾

فهذه آية حسية رأها أهل مكة، وأقام الله بها الحجة عليهم لكنها لم تغـير من عنادهم وكـبرـهم، بل ردـدوا سخافـاتـهم المتـكرـرةـ بـأنـ هـذاـ سـحرـ مستـمرـ.

المطلب الرابع: معجزة تكثير الماء:

الماء نعمة من نعم الله العظيمة التي تستمر بها الحياة كما قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآيات: 30]، والله تعالى بقدرته ينزل المطر من السحاب ويـفـجرـ فيـ الأـرـضـ عـيـونـاـ وـيـنـابـيعـ فـيـ غـيـثـ بـهـ الـبـلـادـ

والـعـبـادـ، فـماـ بـالـنـاـ بـمـاءـ يـفـورـ مـنـ بـيـنـ أـصـابـعـهـ الشـرـيفـةـ صـلـوـاتـ رـبـيـ وـسـلـامـهـ عـلـيـهـ

فـيـسـقـيـ جـيـشـاـ مـنـ أـلـفـ وـخـمـسـمـائـةـ هـمـ وـدـوـابـهـمـ، يـوـمـ الـحـديـبـيـةـ ، فـكـانـتـ آـيـةـ بـيـنـةـ عـلـىـ

أـنـهـ رـسـولـ اللـهـ رـأـهاـ الصـحـابـةـ - رـضـوانـ اللـهـ عـلـيـهـمـ؛ كـمـ يـحـكـيـ جـابـرـ - رـضـيـ اللـهـ

عـنـهـ - قـائـلاـ: (عـطـشـ النـاسـ يـوـمـ الـحـديـبـيـةـ وـالـنـبـيـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـيـنـ يـدـيهـ

رـكـوةـ. إـنـاءـ مـنـ جـلـدـ، فـتـوـضـاـ، فـجـهـشـ النـاسـ نـحـوـهـ، فـقـالـ: مـاـ لـكـمـ؟ قـالـواـ: لـيـسـ

عـنـدـنـاـ مـاءـ نـتـوـضـاـ وـلـاـ نـشـرـبـ إـلـاـ مـاـ بـيـنـ يـدـيـكـ، فـوـضـعـ يـدـهـ فـيـ الرـكـوةـ، فـجـعـلـ المـاءـ

يـثـورـ بـيـنـ أـصـابـعـهـ كـأـمـثـالـ الـعـيـونـ، فـشـرـبـنـاـ، وـتـوـضـأـنـاـ، قـلـتـ: كـمـ كـنـتـ؟ قـالـ: لـوـ كـنـاـ

مـائـةـ أـلـفـ لـكـفـانـاـ، كـنـاـ خـمـسـ عـشـرـةـ مـائـةـ) ⁽²⁾

ومن ذلك ما حصل بالزوراء - وهو مكان قرب السوق في المدينة - مما نقله أنس - رضي الله عنه -، قال: (أتـيـ النـبـيـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـامـ بـإـنـاءـ وـهـ

بـالـزـورـاءـ، فـوـضـعـ يـدـهـ فـيـ إـلـاءـ، فـجـعـلـ المـاءـ يـنـبـعـ مـنـ بـيـنـ أـصـابـعـهـ، فـتـوـضـاـ الـقـومـ،

قـالـ قـتـادـةـ: قـلـتـ لـأـنـسـ: كـمـ كـنـتـ؟ قـالـ: ثـلـاثـمـائـةـ، أـوـ زـهـاءـ ثـلـاثـمـائـةـ) ⁽³⁾

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب (وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا) حديث رقم (3655)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام حديث رقم (3383)

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام حديث رقم (3379)

فهذه آية حسية يراها الصحابة بأعينهم وقد نفذ الماء منهم؛ فيجري الله الماء بقدرته على يدي النبي صلى الله عليه وسلم، مما كان ولا شك له الأثر البالغ في زيادة إيمانهم، وقوة يقينهم في الله وأنه ناصر نبيه وعباده المؤمنين.

المبحث الثالث/ القدوة العملية

إن كثيراً من المناهج والنظريات والأفكار والمبادئ تبقى حبراً على ورق فلا تجد من يطبقها، ولا من يبعث فيها الروح، فإذا قام عليها من يطبقها فإنها تتحول من كلمات إلى واقع مرجيًّا محسوساً، وقد أنزل الله تعالى منها و هو القرآن وبعث نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً و معلماً، فكان خير مطبق لهذا المنهج، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21] والأسوة: "بكسر الهمزة وضمها اسم لما يؤتى به، أي: يقتدى به ويعمل مثل عمله."⁽¹⁾

فكان صلى الله عليه وسلم خير مثال يحتذى لتطبيق منهج الله، ولذلك امتن الله سبحانه وتعالى على عباده بهذه النعمة العظيمة فقال: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَيُرِيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 151]

فأرسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشراً لتحقق فيه القدوة، فيصلّي النبي صلى الله عليه وسلم ويقول لأصحابه: (صلوا كما رأيتوني أصلّي)⁽²⁾ وكان يصلّي الفرائض، ويتنفل بقيام الليل حتى تدور قدماه، ولما يعاتب أو يراجع في ذلك يقول: (أفلا أكون عبداً شكوراً)⁽³⁾

(1) تفسير التحرير والتنوير (21/302)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم حديث رقم (5662)

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب التهجد، باب: قيام النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترمي قدماه حديث رقم (1078)

وكذلك في مناسك الحج قال -صلى الله عليه وسلم- (لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدرى لعلي لا أحج بعد حجتي هذه)⁽¹⁾

فكان صلى الله عليه وسلم قدوة مرئية محسوسة يراها الناس فلا تجد شيئاً في حياته صلى الله عليه وسلم، ولا قولاً قاله بعيداً عن هذا المنهج الرباني - القرآن-، فكان صلى الله عليه وسلم يري الناس كيف يصلون وكيف يحجون وكيف يتبعدون لله تعالى، فكان خير معلم وخير مطبق لمنهج الله - سبحانه وتعالى - وربى أصحابه على هذا المنهج حيناً بعد حين، وكان مع هذا كله يتحلى صلى الله عليه وسلم بالصبر وبالحلم والرفق والرحمة، فقد كان معلماً رحيمًا صلى الله عليه وسلم.

المبحث الرابع/ تغيير المنكر باليد

من الوسائل الحسية تغيير المنكر باليد وإزالته على وجه يراه الناس جمِيعاً من ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)⁽²⁾.

فالتغيير باليد هو أقوى درجات الإنكار، كما أخبر -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث، وقد غير النبي صلى الله عليه وسلم المنكر بيده عندما دخل مكة فاتحاً ودخل الكعبة فأزال الأصنام التي نصبَت حولها، وظهرها من أدناس الشرك، وقد روى ذلك ابن مسعود -رضي الله عنه- فقال (دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: جاء الحق وزهد الباطل). (جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيده)⁽³⁾

(1) رواه مسلم كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، وبيان قوله صلى الله عليه وسلم: لتأخذوا مناسككم (الحديث رقم 1297)

(2) رواه مسلم كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، (الحديث رقم 49)

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب: أين ركب النبي صلى الله عليه وسلم الرأبة يوم الفتح (الحديث رقم 4036)

وعن ابن عباس رضي الله عنهم (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة، أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (قاتلهم الله، لقد علموا ما استقسمها بها قط). ثم دخل البيت، فكبر في نواحي البيت، وخرج ولم يصل فيه)⁽¹⁾

ومن الصور أيضاً لتعديل المنكر باليد لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من أصحابه يلبس خاتماً من ذهب فنزعه من يده وطرحه في الأرض والحديث عن ابن عباس رضي الله عنهم: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده! فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ خاتمك انتفع به. قال: لا والله، لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم).⁽²⁾

المبحث الخامس/ الاعتبار بالسابقين

وفي مطلبان:

المطلب الأول: حث القرآن الكريم على الاعتبار بالأمم السابقة.

المطلب الثاني: حث النبي صلى الله عليه وسلم على الاعتبار بالأمم السابقة.

المطلب الأول: حث القرآن الكريم على الاعتبار بالأمم السابقة:

ذكر الله في قصص القرآن الكريم أحوال الأمم السابقة، وما أصابهم من عقوبات شديدة عندما كفروا بالله ورسله، والغرض من ذكرها الاعتبار بحالهم لئلا يصيّبنا ما أصابهم، (وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا، فتشبه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المتأخرین شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين. ويكون للكافر والمنافق من المتأخرین شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين كما قال تعالى لما قص

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب: أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الرأية يوم الفتح حديث رقم (4037)

(2) رواه مسلم كتاب اللباس والزينة، باب في طرح خاتم الذهب، حديث رقم (2090)

قصة يوسف مفصلة وأجمل قصص الأنبياء، ثم قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولَئِكَ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ [يوسف: 111]، أي هذه القصص المذكورة في الكتاب ليست بمنزلة ما يفترى من القصص المكذوبة كنحو ما يذكر في الحروب من السير المكذوبة. وقال تعالى لما ذكر قصة فرعون: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالُ الْآخِرَةِ وَأَلْوَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لِعْبَرَةً لِّمَنْ يَخْشَى﴾ [النازوات: 25-26] ، وقال في سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع أعدائه بدر وغيرها: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتَنَتِنَا التَّقَاتَا فِتَنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُوَيِّدُ بِنَاصِرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِعْبَرَةً لِّأُولَئِكَ الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: 13] ، وقال تعالى في محاصرته لبني النضير: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحُشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ مَا نَعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِّنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَرِفُوا يَا أُولَئِكَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 2] ، فأمرنا أن نعتبر بأحوال المتقدمين علينا من هذه الأمة وممن قبلها من الأمم⁽¹⁾

وجاء التحذير واضحاً بينا في مواضع عدة أن سنة الله - تبارك وتعالى - في كل من كفر به وبرسله أن يهلكهم، فقال شعيب عليه السلام محذراً قومه أن يصيبهم ما أصاب غيرهم من الأقوام السابقة من عقوبات، إذا استمروا في تكذيبهم ﴿وَيَقُومُ لَا يَجِرِ مَنْكُمْ شِقَاقٍ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحَ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِيَعِيدِ﴾ [هود: 89] ، وقال تبارك وتعالى بعد ذكره لعقوبة قوم لوط ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِحْلٍ مَنْضُودٍ﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِيَعِيدِ⁽²⁾

(1) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، (28/427)

[هود: 82-83]، والله عز وجل حليم لا يعدل، لأن العجل من يخشى فوات ما يطلب لكنه سبحانه يفعل ما يشاء بحكمته، ويحكم ما يريد بعزته، وهو تبارك وتعالى - يعلم على عباده ويمهلهم، وهو سبحانه لا يظلم عباده مثقال ذرة؛ إنما يُصيّبهم بذنبهم بعد تحذيرهم وإنذارهم، وإقامة الحجة عليهم، فإذا أصرروا على كبرهم وعنادهم أهلكهم الله، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَخْذَنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْذَتْهُ الْصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40]

المطلب الثاني: حث النبي صلى الله عليه وسلم على الاعتبار بالأمم السابقة:

وكان النبي صلى الله عليه وسلم في مناسبات عدة يذكر أصحابه من بعض الذنوب التي كانت سبباً في إهلاك الأمم السابقة منها على سبيل المثال:

1- مروره بديار ثمود: لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بديار ثمود قال لأصحابه: (لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، لا يصيّبكم ما أصابهم) ⁽¹⁾

2- التحذير من الركون إلى الدنيا:

فحذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الاغترار بالدنيا وزينتها والتنافس عليها فقال: (فوالله لا الفقر أخشع عليكم، ولكن أخشع عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم) ⁽²⁾

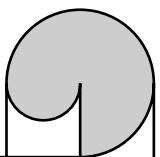
(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب أبواب المساجد، باب: الصلاة في مواضع الخسف والعذاب حديث رقم (423) وأخرجه مسلم في كتاب الزهد والرفاق، باب: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، رقم: (2980)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب الخمس، باب: الجزية والموادعة مع أهل الذمة وال الحرب حديث رقم (2988) وأخرجه مسلم في أوائل كتاب الزهد والرفاق، رقم: (2961)

3-التحذير من الشفاعة في الحدود:

عن عائشة رضي الله عنها: أن قريشاً أهتمهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن يجرئ عليه إلا أسامة، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (أتشفع في حد من حدود الله). ثم قام خطيب، قال: (يا أيها الناس، إنما ضل من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وایم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) ⁽¹⁾

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الحدود، باب: كراهي الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان
حديث رقم (6406)



الخاتمة

.أهم النتائج.

.التصصيات.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلة وسلاما على معلمنا وإمامنا
وقدوتنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد/

هذا يصل البحث إلى خاتمته والتي تشتمل على أهم النتائج التي توصلت
إليها ثم أتبعها بذكر أهم التوصيات.

أهم النتائج

أولاً/ الحقائق العلمية السابقة:

1- القرآن الكريم معجزة رسول الله الخالدة، الذي لا تنقضى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، وكلما أطال المسلم التأمل والنظر في آياته استخرج كنوزا، وخرج بفوائد عظيمة.

2- المقصد الرئيس لسورة هود وماورد فيها من قصص الأنبياء السابقين وأحوالهم مع أقوامهم؛ هو تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم والدعاة إلى الله من أمهاته من بعده في مواجهة المكذبين، وأن الله ناصر عباده المؤمنين وأن الابتلاء لأصحاب الدعوات سنة جارية.

3- دعوة الناس إلى توحيد الله، وتنقية هذا الاعتقاد من كل شائبة شرك هي دعوة الأنبياء جمِيعاً من لدن آدم -عليه السلام- إلى خاتمهم محمد -صلى الله عليه وسلم-. وهذا يبين مكانة الدعوة إلى التوحيد في سلم الأولويات الدعوية.

4- ينبغي على الداعي إلى الله أن يعلم أن دلالات نجاحه في الدعوة بإخلاصه لله، وبذل أقصى ما يستطيع في نصح الناس وتعليمهم وإرشادهم، فالدعوة إلى الله ليست بكثرة المستجيبين له، وأنه كلما زاد عدد المؤمنين دل على نجاح الداعية، فهذا نوح - عليه السلام- بقي ألف سنة إلا خمسين عاماً وما آمن معه إلا قليل.

5- لقول الحق ضريبة يدفعها المصلحون في كل زمان ومكان، وقد تعرض رسل الله وهم خيرة خلقه وأمناء وحيه، وحملة مشاعل الهدایة إلى الناس؛

تعرضوا للسب والاستهزاء والتهكم والتضييق والتهديد بالنفي، ومنهم من قتل، ومنهم من سجن، وكل هذا لم يمنعهم أبداً من مواصلة الدعوة إلى الله.

6- الصراع بين الحق والباطل سنة كونية، والعاقبة للمتقين، والخسار والبوار على المجرمين.

ثانياً / أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الرسالة:

1- سورة هود من سور القرآن التي اشتملت على مناهج الدعوة إلى الله كالمنهج العاطفي والمنهج العقلي والمنهج الحسي؛ وهي مناهج ذات أثر بالغ في النفوس عند تطبيقها في الدعوة إلى الله.

2- المنهج العاطفي من المناهج المهمة في الدعوة إلى الله حيث ينطلق الداعية في دعوته للناس بإظهار العاطفة نحوهم وإظهار الاهتمام بهم، والخوف عليهم بإذارهم من عذاب الله إن هم أصروا على معصيته، ويستعمل معهم أيضاً أسلوب الترغيب والترهيب، والقصص العاطفية المؤثرة، وتذكيرهم بنعم الله عليهم وأن دوام النعم بدوام شكر الله عليها واستعمالها في مرضاته.

3- المنهج العقلي من المناهج الدعوية التي يستعملها الداعية لتحرير العقل من الجمود والتقليد الأعمى بالدعوة إلى النظر والتأمل والاستدلال، وذلك من خلال المجادلة والتي هي أحسن وال الحوار الهدف، وسوق الأدلة القوية، والبراهين الناصعة لإثبات صحة ما يقول ويدعو إليه.

4- المنهج الحسي من المناهج الدعوية المؤثرة في المدعويين لاعتمادها على مخاطبة الحواس، بالدعوة إلى المشاهدة والنظر في الكون والاعتبار بمن سبقنا من الأمم، ومن خلال القدوة الصالحة في الداعية بأن يرى الناس في أخلاقه وسلوكه تطبيقاً عملياً لما يدعوه إليه.

5- على الدعاة إلى الله الاقتداء بالرسل -عليهم الصلاة والسلام-؛ واتباع منهجهم في الدعوة إلى الله، من أجل تحقيق الثمار المرجوة -بإذن الله-.

6- على الداعي إلى الله أن يكون ربانياً، قوي الصلة بالله، فيركن دائماً إلى ربِّه، ويستمد القوة والعون والمدد منه -تبارك وتعالى- في حركته

للدعوة ومواجهة أصناف الناس المختلفة، مع يقينه بنصر الله وتخلقه بحسن الخلق الذي يؤثر تأثيراً كبيراً في كسب قلوب الناس.

7- على الداعي إلى الله الاقتداء ببني الله نوح؛ الذي دعا قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً، فيطرق كل الأبواب والمنابر للدعوة إلى الله، بهمة عالية، وحرص على تبليغ دعوة الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً: التوصيات

1- أوصي نفسي وطلبة العلم بتقوى الله ومراقبته في السر والعلن، وبالحرص على زكاة العلم بنشره، فإن العلم يزكي بالإنفاق.

2- على الدعاء إلى الله الاجتهد فيأخذ منهج الدعوة إلى الله من كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، فهما النبعان الصافيان لهذه المهمة العظيمة، وسوف نجد فيهما غنية في معالجة ما يعرض طريق الدعاء إلى الله من عقبات وعوائق.

3- أوصي أن يولي الباحثون في علم الدعوة عنايتهم لدراسة المناهج الدعوية للأنبياء؛ فهذا ميدان خصب يحتاج لمزيد من العناية والدراسة.

4- على الدعاء إلى الله أن يمزجوا في دعوتهم بين الترغيب والترهيب، فلا يكتفي الداعية بالترغيب فقط فيقع الناس في التواكل، ولا بالترهيب فقط فيوقع الناس في اليأس والقنوط.

5- على الدعاء إلى الله أن يناقشوا الأفكار والمعتقدات الخاطئة وعدم السكوت عليها، بالحججة والأدلة وسوق البراهين الواضحة، مع سلوك طريقة القرآن بعدم تسمية من قال هذا القول من أهل الباطل، وإنما نجد السياق القرآني يبرز أهمية مناقشة الاعتقاد الباطل، أو الفكرة الخاطئة وإبطالها دون التوقف طويلاً عند قائلها واسمها ولو نه وجنسه، حتى لا يؤدي ذلك إلى شخصنة الأمور، والانزلاق إلى هاوية الصراعات الشخصية.

6- تدريب الدعاء إلى الله على كيفية التعامل مع الوسائل الدعوية الحديثة، واستثمار الطفرة الإلكترونية عبر وسائل التواصل الاجتماعي، التي تتميز بقوة التأثير وسرعة الانتشار، وبلغها أكبر عدد من الناس في زمن قياسي.

7- ضرورة إعداد نخبة من طلبة العلم النبهاء إعداداً جيداً، وتعليمهم اللغات الأجنبية لمخاطبة الشعوب بلسانها ولغتها للقيام بواجب الدعوة إلى الله كما ينبغي.

8- على الدعاة إلى الله مراعاة اختلاف عقليات الناس وأفهامهم، ومراعاة اختلاف الزمان والمكان، ومخاطبة كل نوع منهم بما يناسبه من الأساليب الدعوية.

9- معيار النجاح في الدعوة إلى الله بالبلاغ المبين، وأن يكتب الله للداعية قبولاً في قلوب عباده، وليس معيار النجاح الشهرة وذيوع الصيت، فلا يكن هم الداعية إلى الله كثرة المتابعين له على وسائل التواصل أو أن يكون معيار النجاح كثرة المشاهدات لمقاطع الخطاب والمحاضرات، فإن هذا التصور الفاسد يؤدي إلى فتور الداعية لقلة عدد متابعيه، أو قلة مرات مشاهدة خطبة دروسه.

10- أوصي بعد مؤتمرات علمية تجمع العلماء العاملين في مجال الدعوة للحديث عن مشكلات الدعوة، وسبل معالجتها، وكيفية مواجهة تيارات الإلحاد، والدعاوی الهدامة التي تدعو للانحلال الأخلاقي والتفسخ الاجتماعي، ووضع الخطط المستقبلية للعمل الدعوي.

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذه الرسالة عملاً خالصاً لوجهه الكريم

وأن ينفع بها حياً وميتاً، وأن يديم علينا جميعاً شرف الدعوة إلى الله، ونشر الإسلام،

**وأسأل الله أن يقر أعيننا بعز الإسلام وعز الموحدين، وأن يرفع رأية القرآن على العالمين،
الله آمين.**

الفهارس

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المراجع.
- فهرس الموضوعات.

أولاً / فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

الصفحة	رقمها	الآية	م
331	25	﴿وَبَشِّرُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ﴾	1
261	47	﴿يَبْنَى إِسْرَاعِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ﴾	2
259	49	﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ عَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُم﴾	3
259	50	﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا﴾	4
262	53	﴿وَإِذْ عَاتَّنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾	5
246	54	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمَ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ﴾	6
74، 262، 313	57	﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾	7
263، 284، 313	60	﴿وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ﴾	8
267، 74، 285	61	﴿وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾	9
315	67	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾	10
315، 116	68	﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾	11
315، 116	69	﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾	12
315، 116	70	﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ﴾	13
315، 116	71	﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولٌ شَيْرُ الْأَرْضَ﴾	14
315، 116	72	﴿وَإِذْ قَنَطَلْتُمْ نَفْسًا فَادَارُ أَثْمَ فِيهَا﴾	15
315، 116	73	﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذِلِكَ يُخْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾	16
315	74	﴿فُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾	17
283	132	﴿فَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾	18

384	151	﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾	19
95	250	﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَبَّتْ أَقْدَامَنَا﴾	20
338	261	﴿مَثُلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	21

سورة آل عمران

387	13	﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةً فِي فِتَنَتِنَا الْتَّقْنَاتِ﴾	22
44	44	﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾	23
379	50	﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الْتَّوْرَةِ﴾	24
349	59	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ إِادَمَ﴾	25
363	64	﴿فُلْ يَا هَلَ الْكِتَبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةِ سَوَاعِدِ﴾	26
363	65	﴿يَا هَلَ الْكِتَبِ لَمْ تُحَاجُّوْنَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾	27
363	66	﴿هَأَنْتُمْ هُؤُلَاءِ حَاجِجُّتُمْ فِيمَا لَكُمْ﴾	28
363	67	﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾	29
363	68	﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ أَتَبَعُوهُ﴾	30
363	69	﴿وَدَّتِ طَالِبَةً مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ﴾	31
363	70	﴿يَا هَلَ الْكِتَبِ لَمْ تَكُنْ فُرُونٌ بِتَائِيَتِ اللَّهِ﴾	32
363	71	﴿يَا هَلَ الْكِتَبِ لَمْ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَطْلِ﴾	33
328،335	159	﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ﴾	34

سورة النساء

79	77	﴿كُفُوا أَيْدِيَكُمْ﴾	35
----	----	-----------------------	----

62	164	﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾	36
----	-----	---------------------------------------	----

سورة المائدة

80	3	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّنَا﴾	37
74، 286	20	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمَ اذْكُرُوا﴾	38
74، 286	21	﴿يَا قَوْمَ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي﴾	39
74، 286	22	﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ﴾	40
74، 286	23	﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾	41
74، 286	24	﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلَهَا أَبَدًا﴾	42
74، 286	25	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخْيَطُ﴾	43
74، 286	26	﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾	44
333	72	﴿إِنَّمَا مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ﴾	45

سورة الأنعام

182	9	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾	46
-----	---	--	----

سورة الأعراف

370	58	﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾	47
94	59	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ﴾	48
107	60	﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَرَاكَ فِي ضَلَالٍ﴾	49
89، 108	61	﴿قَالَ يَا قَوْمَ لَيْسَ بِي ضَلَالًا﴾	50

108	62	﴿أَبْلِغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّيْ وَأَنْصُخْ لَكُمْ﴾	51
108،137،141،144،145	63	﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرُ﴾	52
133،134،141،152	65	﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمٌ﴾	53
109،112،143،152	66	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾	54
144	67	﴿قَالَ يَا قَوْمٌ لَيْسَ بِي سَفَاهَةً﴾	55
144	68	﴿أَبْلِغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّيْ وَأَنَا لَكُمْ﴾	56
108،137،41،144،145	69	﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرُ﴾	57
145 ، 136	70	﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ﴾	58
136،154،145	71	﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	59
167،168،171،185	73	﴿وَإِلَى شَمْوَدَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمٌ﴾	60
158،171،186،190	74	﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْتُمْ خُلَفَاءَ﴾	61
55،184،399	75	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾	62
55،184	76	﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ﴾	63
61	78	﴿فَلَخَدَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾	64
56،61	79	﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمٌ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ﴾	65
57،197،202	80	﴿وَلُولًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾	66
57،197	81	﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ﴾	67
60،196	85	﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمٌ﴾	68
55،184،399	88	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾	69

228	89	﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا﴾	70
61	91	﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾	71
56,61	93	﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمَ لَقَدْ﴾	72
135	96	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْيَ آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا﴾	73
68,272,274,309	108	﴿وَنَرَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾	74
69	127	﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى﴾	75
70,310	130	﴿وَلَقَدْ أَخْذَنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ﴾	76
310	131	﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾	77
311	132	﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾	78
70,133	133	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ﴾	79
312	134	﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى﴾	80
312	135	﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ﴾	81
312	136	﴿فَإِنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ﴾	82
71,283	138	﴿وَجَاؤُنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا﴾	83
71,283,268	139	﴿إِنَّ هُؤُلَاءِ مُتَّبِرُ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلُ﴾	84
71,283,268	140	﴿قَالَ أَغْنِرَ اللَّهُ أَبْغِيْكُمْ إِلَهًا﴾	85
71,283	141	﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾	86
72	142	﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثَيْنَ لَيْلَةً﴾	87

72,305	143	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَمَةُ رَبِّهِ﴾	88
72,305	144	﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾	89
72	145	﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾	90
72	146	﴿سَأَحْرِفُ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾	91
355	191	﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾	92
355	195	﴿أَللَّهُمَّ أَرْجُلَ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ﴾	93

سورة الأنفال

371	25	﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ﴾	94
-----	----	--	----

سورة يومن

377	6	﴿إِنَّ فِي أُخْتِلَافِ الْأَئِلِيلِ وَالنَّهَارِ﴾	95
69,70	83	﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ﴾	96
250	84	﴿يَقُولُونَ إِنْ كُنْתُمْ إِعْمَانِتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ﴾	97
95	85	﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾	98
95	86	﴿وَنَحْنُ نَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾	99
70	88	﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَنِي فِرْعَوْنَ﴾	100
70	89	﴿قَالَ قَدْ أُحِبِّتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾	101
71,259	92	﴿فَالْيَوْمَ نُنَحِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ﴾	102
97	99	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾	103

سورة هود

134،153	3	﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾	104
86،94	25	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾	105
86،94،112	26	﴿أَنَّ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ﴾	106
50،114	27	﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	107
،50،105،113 143،152	28	﴿قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ﴾	108
50،109،113	29	﴿وَيَا قَوْمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا﴾	109
113،177،186	30	﴿وَيَا قَوْمَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾	110
113/،114،109	31	﴿وَلَا أُقُولُ لَكُمْ عِنْدِي حَزَابُنِ اللَّهِ﴾	111
51،91،110،114	32	﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا﴾	112
91،110،114	33	﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾	113
91،110،114	34	﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرْدَثُ﴾	114
91،114	35	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ فُلْ إِنْ افْتَرَيْتَهُ﴾	115
51،94،95	36	﴿وَأُوحِيَ إِلَيْ نُوحَ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ﴾	116
109	37	﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾	117
91،109،115	38	﴿وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكُلُّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ﴾	118
91،109،115	39	﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾	119

51	40	﴿وَمَا آمَنَ مَعْهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾	120
51، 92	41	﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ﴾	121
51، 85، 116	42	﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾	122
51، 85، 116	43	﴿قَالَ لَا عَاصِمَ لِيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾	123
52	44	﴿وَقَيْلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءِكِ﴾	124
52، 117	45	﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ﴾	125
52، 117	46	﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّ اللَّهَ لَنَسِيَ مِنْ أَهْلِكَ﴾	126
52، 117	47	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ﴾	127
52، 118	48	﴿قَيْلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾	128
53، 134، 141، 152	50	﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾	129
142، 153	51	﴿يَا قَوْمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾	130
134، 153، 402	52	﴿وَيَا قَوْمَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾	131
146، 154، 162	53	﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا چِشْتَنَا بِبَيْتِنَا﴾	132
146، 147، 154	54	﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلَهَتِنَا﴾	133
147، 154	55	﴿مِنْ ذُونِهِ فَكِيدُونِي جَيِيعًا ثُمَّ﴾	134
149	57	﴿فَإِنْ تَوَلُّوا فَقَدْ أَبْغَتُكُمْ مَا أَرْسِلْتُ﴾	135
54	58	﴿وَيَا قَوْمَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾	136
54، 171، 185	61	﴿وَإِلَى شَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾	137
179، 186	62	﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا﴾	138

109،112،186	63	﴿قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ﴾	139
169،186،189،190	64	﴿وَيَا قَوْمَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾	140
56،190	65	﴿فَعَقِرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾	141
61	68	﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾	142
54	78	﴿وَجَاءَهُ قَوْمٌ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾	143
54	79	﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ﴾	144
54	80	﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أُوْ آوِي﴾	145
54،387	82	﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيهَا﴾	146
54،387	83	﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ﴾	147
60،196	84	﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا﴾	148
60	87	﴿قَالُوا يَا شَعِيبُ أَصَلَّاثُكَ﴾	149
109،112،186	88	﴿قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ﴾	150
217	90	﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾	151
230	91	﴿قَالُوا يَا شَعِيبُ مَا نَفْعَلُهُ كَثِيرًا﴾	152
235	92	﴿قَالَ يَا قَوْمَ أَرْهَطِي أَعْزُ عَلَيْكُمْ﴾	153
61	93	﴿وَيَا قَوْمَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانِتُكُمْ﴾	154
61	94	﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّبَنَا شَعِيبًا﴾	155
61	95	﴿كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا أَلَا بُعْدًا﴾	156
39	114	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزُلْفًا﴾	157

44	120	﴿وَكُلًا نَقْصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرَّسُولِ﴾	158
----	-----	---	-----

سورة يوسف

7	111	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾	159
---	-----	--	-----

سورة إبراهيم

247	7	﴿وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكُمْ لَيْنَ شَكْرُثُمْ﴾	160
341	32	﴿أَلَّهُ الَّذِي خَلَقَ الْسَّمَاوَاتِ﴾	161
341	33	﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾	162
341	34	﴿وَأَتَنَّكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلَّمُوهُ﴾	163

سورة الحجر

379	9	﴿إِنَّا نَحْنُ نَرَلُنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	164
59	65	﴿فَأَسِرِ بِأَهْلِكَ يُقْطِعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾	165
59	66	﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾	166
214	78	﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيَّكَةِ لَظَلَّمِينَ﴾	167
214	79	﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَامَامٍ مُّبِينٍ﴾	168
77	94	﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمِرُ وَأَغْرِضْ﴾	169
77	95	﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾	170

سورة النحل

125	20	﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	171
-----	----	--	-----

سورة الإسراء

380	1	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾	172
49	3	﴿ذُرِّيَّةٌ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾	173
194، 334	27	﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾	174
354	42	﴿قُلْ لَّوْ كَانَ مَعَهُ رَءَالِهُ كَمَا يَقُولُونَ﴾	175
357	49	﴿وَقَالُوا أَعِدَا كُنَّا عِظَلَمًا وَرُفَتَّا﴾	176
357	50	﴿قُلْ كُوئُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾	177
357	51	﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾	178
362	90	﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ﴾	179
362	91	﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعَنْبِ﴾	180
362	92	﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ﴾	181
362	93	﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْثُ مِنْ رُخْرِيفٍ﴾	182
150	94	﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ﴾	183
308	101	﴿وَلَقَدْ عَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ عَائِدَتٍ﴾	184

سورة مریم

356	66	﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَنُ أَعِدَا مَا مِثْ﴾	185
356	67	﴿أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ﴾	186

سورة طه

300	9	﴿وَهُلْ أَتَنَاكَ حِدِيثُ مُوسَى﴾	187
300	10	﴿إِذْ رَءَاهَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ أَمْكُثُوا﴾	188
300	11	﴿فَلَمَّا آتَهَا نُودِيَ يَمْوِسِي﴾	189
300	12	﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ﴾	190
300	13	﴿وَأَنَا أَخْتَرُ ثُلَكَ فَأَسْتَمِعُ لِمَا يُوحَى﴾	191
300	14	﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾	192
300	15	﴿إِنَّ الْسَّاعَةَ مَاتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾	193
300	16	﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ﴾	194
301	17	﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوِسِي﴾	195
301	18	﴿قَالَ هِيَ عَصَى أَتَوَكُّوْا عَلَيْهَا﴾	196
301	19	﴿قَالَ أَلْقِهَا يَمْوِسِي﴾	197
301	20	﴿فَأَلْقَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾	198
301	21	﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخْفَضْ سَنْعِيدُهَا﴾	199
301	22	﴿وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ﴾	200
301	23	﴿لِنُرِيكَ مِنْ عَائِيَتِنَا الْكُبْرَى﴾	201
301	24	﴿أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ وَظَغَى﴾	202
302	25	﴿قَالَ رَبِّ أَشْرَخْ لِي صَدْرِي﴾	203
302	26	﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾	204

302	27	﴿وَأَخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾	205
302	28	﴿يَفْقَهُوا قَوْلِ﴾	206
302	29	﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾	207
302	30	﴿هَرُونَ أَخِي﴾	208
302	31	﴿أَشَدُّ بِهِ أَزِيرِي﴾	209
302	32	﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾	210
302	33	﴿كَجَ نُسِّحَكَ كَثِيرًا﴾	211
302	34	﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾	212
302	35	﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾	213
302، 67	36	﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾	214
302، 257	37	﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾	215
302، 257	38	﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْ أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾	216
302، 257	39	﴿أَنِ افْذِفْهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفْهِ﴾	217
302، 257	39	﴿وَالْقَيْثَ عَلَيْكَ حَبَّةً مِنِّي﴾	218
302، 257	40	﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ﴾	219
302، 257	41	﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾	220
302	42	﴿إِذْهَبْ أَنْتَ وَأَخْوَكَ بِآيَاتِي﴾	221
302	43	﴿إِذْهَبَا إِلَيْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾	222
302	44	﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنَا لَعْلَةً يَتَذَكَّرُ﴾	223

302	45	﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطُ﴾	224
302	46	﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ﴾	225
302	47	﴿فَأَتَيْاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولًا رَبِّكَ﴾	226
296	47	﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾	227
302	48	﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ﴾	228
257	49	﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوُسِي﴾	229
257	50	﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَنِي كُلَّ شَيْءٍ﴾	230
257	51	﴿قَالَ فَمَا بَأْلَ الْقُرُونُ الْأُولَى﴾	231
257	52	﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾	232
258	53	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾	233
258	54	﴿كُلُوا وَأْرْعُوا أَنْعَمْكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾	234
68	59	﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّيَّةِ﴾	235
253	61	﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيَلَّكُمْ﴾	236
279,280	62	﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾	237
279,280	63	﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا إِنَّسَاحِرَانِ﴾	238
279,280	64	﴿فَاجْمِعُوهُ كَيْدَكُمْ ثُمَّ اثْتُوَا﴾	239
69,279	65	﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِي﴾	240
280	66	﴿قَالَ بَلْ أَقْتُلُكُمْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصَيُّهُمْ﴾	241
69,279,281	68	﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾	242

69,382	71	﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾	243
69,382	72	﴿فَأُولَئِنَّ نُؤْثِرُكُمْ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا﴾	244
69,382	73	﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيُغْفِرَ لَنَا حَطَائِيَّاتِنَا﴾	245
69,382	74	﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ﴾	246
69,382	75	﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾	247
69,382	76	﴿جَنَّاتُ عَدُنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾	248
268,290	83	﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾	249
268,290	84	﴿قَالَ هُنْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثْرِي﴾	250
268,290	85	﴿قَالَ فِإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾	251
269	86	﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَىٰ قَوْمِهِ عَصْبَيْنَ أَسِفًا﴾	252
73,269,290	86	﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلْمَ يَعْدُكُمْ رَبُّكُمْ﴾	253
73,291	88	﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾	254
73	89	﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ﴾	255
292	90	﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾	256
293	92	﴿قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ﴾	257
293	93	﴿أَلَا تَتَبَعِنُ أَفَعَصِيَتْ أَمْرِي﴾	258
293	94	﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ﴾	259
73,294	95	﴿قَالَ فَمَا حَظِيْكَ يَا سَامِرِيُّ﴾	260
73,294	96	﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾	261

73,294	97	﴿قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾	262
320	97	﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ﴾	263
251,297,320,298	98	﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمْ أَللَّهُ أَللَّهُ أَللَّهُ﴾	264

سورة الأنبياء

377	16	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبِينَ﴾	265
377	17	﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَخَذَ لَهُوا لَا تَخَذُنَهُ مِن لَّدُنَّا﴾	266
354	22	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَّا أَللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	267
354	23	﴿لَا يُسْكِلُ عَمَّا يَقْعُلُ وَهُمْ يُسْكَلُونَ﴾	268
196	25	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ﴾	269
359	26	﴿وَقَالُوا أَنْخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ﴾	270
359	29	﴿وَمَن يُقْلِلُ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ﴾	271
383	30	﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلًّ شَيْءٌ حَيٌّ﴾	272
163	35	﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾	273
358	98	﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ أَللَّهِ حَصَبٌ﴾	274
358	99	﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ إِلَاهَةً مَا وَرَدُوهَا﴾	275
358	100	﴿أَلَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾	276
358,359	101	﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَا أَخْسَنَّ﴾	278
358,359	102	﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ﴾	279

سورة الحج

79	39	﴿أَذْنَ لِلّٰهِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾	280
----	----	---	-----

سورة المؤمنون

127	27	﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ﴾	281
100	28	﴿فِإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾	282
100	29	﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزَلَنِي مُنْزَلًا مُبَارَّاً وَأَنْتَ خَيْرٌ﴾	283
150	33	﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	284
150	34	﴿وَلِئِنْ أَطْعَثْتُمْ بَشَّرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ﴾	285
356	81	﴿بَلْ قَالُوا مِثْلُ مَا قَالَ الْأَوْلُونَ﴾	286
356	82	﴿قَالُوا أَعْذَادِنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظِيمًا﴾	287
356	83	﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَعَبَّارُونَا هَذَا مِنْ قَبْلٍ﴾	288
354	91	﴿مَا أَنْتَ خَدُّ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ﴾	289

سورة الشعرا

271	16	﴿فَأَتَيْا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ﴾	290
271	17	﴿أَنْ أَرْسِلُ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	291
67،271	18	﴿قَالَ أَلَمْ نُرِّبِكَ فِينَا وَلِيَدَا وَلِيَثَ﴾	292
67،271	19	﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ أَلَّا تِي فَعَلْتَ﴾	293
67،271	20	﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الْمُصَالِّينَ﴾	294

67,271	21	(فَقَرِّبْتُ مِنْكُمْ لَمَّا حَفَّتُكُمْ)	295
67,271	22	(وَتَلْكَ يَعْمَةٌ تَمْتَهَا عَيْنَ أَنْ عَبَدَتْ)	296
68,272,273	23	(قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَلَمِينَ)	297
68,272,273	24	(قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)	298
68,272	25	(قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعِمُونَ)	299
68,272,273	26	(قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ عَابِرِكُمْ أَلَا وَلَيْنَ)	300
68,272,274	27	(قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسَلَ)	301
68,272,274	28	(قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)	302
68,272,274	29	(قَالَ لَيْنَ أَخْتَدْتَ إِلَهًا غَيْرِي)	303
68,272,274	30	(قَالَ أَوْلَوْ جِئْنُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ)	304
68,272,274	31	(قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)	305
68,272,275	32	(فَالْقُنْى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعبَانٌ)	306
68,272,275	33	(وَنَزَعَ يَدُهُ وَفِإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِينَ)	307
68,275	34	(قَالَ لِلْمَلِأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ)	308
68,275	35	(بُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ)	309
68,275	36	(قَالُوا أَرْجِهُ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثُ فِي الْمَدَائِنِ)	310
68,275	37	(يَا ثُوكَ بِكُلِّ سَحَارٍ عَلِيهِ)	311
,259	54	(إِنَّ هُؤُلَاءِ لَشَرِذَمَةٌ قَلِيلُونَ)	312
259	55	(وَإِنَّهُمْ لَنَا لَعَâيِظُونَ)	313

259	56	﴿وَإِنَّا لَجَبِيعُ حَذِيرُونَ﴾	314
320	57	﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّتٍ وَعَيْوَنٍ﴾	315
320	58	﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾	316
320	59	﴿كَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَاعِيلَ﴾	317
71،259،312	61	﴿فَلَمَّا تَرَءَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ﴾	318
71،259،312	62	﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّ سَيِّدِ الْجِنِّينَ﴾	319
71،259،312	63	﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ مُوسَى أَنْ أَضْرِبَ﴾	320
129	119	﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ وَفِي الْقُلُكِ﴾	321
195	125	﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾	322
195	126	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾	323
158،153	128	﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾	324
153،159	129	﴿وَتَتَخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُذُونَ﴾	325
53،153،159	130	﴿وَإِذَا بَظْشَمْ جَبَارِينَ﴾	326
53،135،138،153	131	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾	327
153،138،135	132	﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾	328
153،138،135	133	﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾	329
153،138،135	134	﴿وَجَنَّاتٍ وَعَيْوَنٍ﴾	330
133،138،153	135	﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ﴾	331
153،138،160	136	﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْ عَظَّتْ﴾	332

153، 138، 160	137	﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾	333
153، 160	138	﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾	334
177، 201، 168	142	﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ صَالِحٌ﴾	335
168،	143	﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾	336
168،	144	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ﴾	337
177، 171	146	﴿أَتَشْرِكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾	338
171	147	﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾	339
171	148	﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾	340
171، 173	149	﴿وَتَنْحِثُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾	341
181	151	﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾	342
181	152	﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾	343
56، 174، 181	153	﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾	344
56، 174، 181	154	﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةً﴾	345
189	155	﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ﴾	346
194، 196	160	﴿كَذَّبَتْ قَوْمٌ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ﴾	347
194، 196، 206	161	﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	348
196، 206	162	﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾	349
196، 206	163	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ﴾	350
196، 206	164	﴿وَمَا أَسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾	351

98،202	165	﴿أَتَأْثُرُونَ الظُّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾	352
98،202	166	﴿وَتَذَرُّونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ﴾	353
203	167	﴿قَالُوا لَيْسَ لَمْ تَنْتَهِ يَلْوُظُ﴾	354
204،207	168	﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾	355
204،207	169	﴿رَبِّ نَجْنِبِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾	356
223	177	﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شَعِيبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	357
215	181	﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا﴾	358
215	182	﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾	359
61،215	183	﴿وَلَا تَبْخُسُوا الْنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾	360
221	184	﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾	361
227	185	﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾	362
227	186	﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ تَظُنْنَاكَ﴾	363
227	187	﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْقًا مِنَ السَّمَاءِ﴾	364
227	188	﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	365
326	214	﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾	366

سورة النمل

301	10	﴿وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْرُرُ كَانَهَا﴾	367
168،178	46	﴿قَالَ يَا قَوْمَ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّغَةِ﴾	368

183	47	﴿قَالُوا اطْلَرَنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾	369
181	48	﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾	370
202	54	﴿وَلُوَطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ﴾	371
202	55	﴿أَيْنُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾	372
197,203	56	﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا﴾	373
375	60	﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	374
375	61	﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ﴾	375
375	62	﴿أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾	376
375	63	﴿أَمَّنْ يَهْدِي كُمْ فِي ظُلْمَاتِ الْبَرِّ﴾	377
375	64	﴿أَمَّنْ يَبْدَا الْخُلْقَ ثُمَّ يُعِدُّهُ﴾	378
377	88	﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ گَلَّ شَئِيْعَ﴾	379

سورة القصص

63,254	4	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾	380
63,255	7	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾	381
63,255	8	﴿فَالْتَّقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ﴾	382
63,255	9	﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْثُ عَيْنِ لِي﴾	383
63	11	﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيْهِ قَبَصَرَتْ بِهِ﴾	384
256	12	﴿وَحَرَّمَنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلِ﴾	385
256	13	﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنَهَا﴾	386

64،248	15	﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةً﴾	387
64،248	16	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾	388
64،248	17	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَنْعَمْتُ عَلَيَّ فَلَنْ﴾	389
64	18	﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَابِغاً يَتَرَقَّبُ﴾	390
64	19	﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي﴾	391
65	20	﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾	392
65	21	﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَابِغاً يَتَرَقَّبُ قَالَ﴾	393
65	22	﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ﴾	394
65	23	﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ﴾	395
65	24	﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّ إِلَى الظِّلِّ﴾	396
65	25	﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُنَّا تَمْثِي عَلَى﴾	397
66	26	﴿قَالَتْ إِحْدَاهُنَّا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْ﴾	398
66	27	﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى﴾	399
66	28	﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيْمَانًا الْأَجَلَيْنِ﴾	400
67	30	﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾	401
67	31	﴿وَأَنَّ الْقِعَدَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَهَا تَهْتَزُ﴾	402
273	38	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ﴾	403
342	71	﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْأَيْلَ﴾	404
342	72	﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ﴾	405

342	73	﴿وَمِنْ رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الْأَيَّلَ﴾	406
-----	----	---	-----

سورة العنکبوت

332	7	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	407
94	14	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَمَّا	408
136	15	﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾	409
57	26	﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾	410
168	29	﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْثُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ﴾	411
196، 213، 216	36	﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا﴾	412
388	40	﴿فَلَمَّا أَخَذْنَا إِذْنَهُ فَمِنْهُمْ مَنْ﴾	413
368	43	﴿وَنَلَكَ الْأَمْمَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾	414

سورة الروم

357	50	﴿فَانْظُرْ إِلَى عَاثِرٍ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾	415
-----	----	--	-----

سورة لقمان

377	11	﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُوْنِي مَاذَا خَلَقَ﴾	416
-----	----	--	-----

سورة فاطر

357	9	﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الْرَّيَاحَ فَتَشْيِيرُ سَحَابَاتِ﴾	417
-----	---	---	-----

سورة الصافات

59	137	﴿وَإِنَّكُمْ أَتَثْرُونَ عَلَيْهِمْ مُضِبِّحِينَ﴾	418
59	138	﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	419

سورة الزمر

333	65	﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾	420
-----	----	---	-----

سورة غافر

107	4	﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الظَّاهِرِينَ﴾	421
123،357	57	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرٌ﴾	422

سورة فصلت

150	13	﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْنَاكُمْ صَاعِقةً﴾	423
150	14	﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾	424
134،160،162	15	﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾	425
351	39	﴿وَمِنْ عَائِتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ﴾	426

سورة الزخرف

357	9	﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ حَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾	427
359	57	﴿وَلَمَّا ضُربَ أَبْنُ مَرِيمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ﴾	428
359	58	﴿وَقَالُوا مَا أَلْهَتُنَا حَيْرًا أُمْ هُوَ﴾	429

359	59	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾	430
359	60	﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلِكًا﴾	431
359	61	﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْرُنْ بِهَا﴾	432

سورة الدخان

320	25	﴿كُمْ تَرْكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾	434
320	26	﴿وَرُزُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾	435
320	27	﴿وَتَعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَدِكِهِينَ﴾	436
320	28	﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا مَا أَخْرِيَنَ﴾	437
320	29	﴿فَمَا بَكَثُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾	438

سورة الأحقاف

53	21	﴿وَإِذْ كُرَّ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْدَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾	439
54	24	﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلًا أَوْ دِيَتِهِمْ﴾	440
54	25	﴿ثَدَمَرُ كُلَّ شَئِيْعٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا﴾	441

سورة الحجرات

335	12	﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾	442
-----	----	-------------------------------------	-----

سورة ق

376	6	﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾	443
376	7	﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾	444
376	8	﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرٍ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾	445
376	9	﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَّاً فَأَنْبَتْنَا﴾	446
376	10	﴿وَالثَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا ظُلْمٌ نَصِيدُ﴾	447
376	11	﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا﴾	448

سورة القمر

382	1	﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَ الْقَمَرُ﴾	449
382	2	﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا﴾	450
129	11	﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَا إِنْهَمَ﴾	451
129	12	﴿وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عِيُونًا فَالْتَّقَى الْمَاءُ﴾	452
129	13	﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاجِ وَدُسِّ﴾	453
129	14	﴿تَخْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ﴾	454
170،190	29	﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾	455
170،190	30	﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ﴾	456
170،190	31	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾	457
198	36	﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذِيرِ﴾	458

55,210	37	﴿وَلَقَدْ رَأَوْدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْتَا﴾	459
210	38	﴿وَلَقَدْ صَبَّحُهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقْرٌ﴾	460
210	39	﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾	461

سورة الواقعة

343	63	﴿أَفَرَءَيْتُمْ مَا تَخْرُثُونَ﴾	462
343	64	﴿إِنَّمَا تَرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْأَرْعَونَ﴾	463
343	65	﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَّامًا فَظَلَلْتُمْ﴾	464
343	66	﴿إِنَّا لَمُغْرِّبُونَ﴾	465
343	67	﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾	466
343	68	﴿أَفَرَءَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشَرِّبُونَ﴾	467
343	69	﴿إِنَّمَا أَنْزَلْنَا لَكُمُ الْأَنْذِيرَ مِنَ الْمُرِّنِ﴾	468
343	70	﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا﴾	469
343	71	﴿أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي ثُورُونَ﴾	470
343	72	﴿إِنَّمَا أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ﴾	471
343	73	﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكِّرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُفْقِدِينَ﴾	472

سورة الحشر

387	2	﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	473
368	21	﴿لَوْ أَنَّزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ﴾	474

سورة الصاف

246	5	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُومُ﴾	475
-----	---	--	-----

سورة المنافقون

151	8	﴿يَقُولُونَ لِئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾	476
-----	---	--	-----

سورة التغابن

356	7	﴿رَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ لَنْ يُبَعْثُرُوا﴾	477
-----	---	---	-----

سورة التحرير

52،58	10	﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾	478
-------	----	--	-----

سورة الحاقة

54	6	﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرِصِ﴾	479
54	7	﴿سَحَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةً﴾	480
54	8	﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ﴾	481

سورة نوح

94	1	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ﴾	482
90	2	﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾	483
90	3	﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾	484

90	4	﴿يَغْفِرُ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤْخِرُكُمْ﴾	485
92، 121	10	﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾	486
121، 122، 134، 153	11	﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾	487
92، 121، 122	12	﴿وَيُمْدِذُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾	488
98، 99، 105، 123	13	﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾	489
99، 105، 123	14	﴿وَقَدْ خَلَقْتُمْ أَطْوَارًا﴾	490
99، 106	15	﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ﴾	491
99، 106، 124	16	﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾	492
99، 124	17	﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾	493
125، 99، 124	18	﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ﴾	494
99، 100، 125	19	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ إِسَاطِرًا﴾	495
99، 100، 125	20	﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُّلًا فِي جَاجَانًا﴾	496
51، 94	26	﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ﴾	497
51، 94	27	﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضْلِلُوا عِبَادَكَ﴾	498
86، 87	28	﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَ وَلِمَنْ دَحَلَ﴾	499

سورة المدثر

77	1	﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِر﴾	500
77	2	﴿فُمْ قَائِنِز﴾	501

77	3	﴿وَرَبَّكَ فَكَبِيرٌ﴾	502
77	4	﴿وَثِيَابَكَ فَطَهَرْ﴾	503
77	5	﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾	504
77	6	﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرْ﴾	505
77	7	﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾	506

سورة المرسلات

147	39	﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كِيدْ فَكِيدُونْ﴾	507
-----	----	--	-----

سورة النازعات

246، 266، 303	18	﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَرَكَ﴾	508
246، 266، 303	19	﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾	509
387	25	﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾	510
387	26	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾	511

سورة الشمس

56	11	﴿كَذَّبُتْ تَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾	512
56	12	﴿إِذَا بَعَثَتَ أَشْقَاهَا﴾	513
56، 169	13	﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَافَةُ اللَّهِ﴾	514
56، 170	14	﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾	515

56، 170	15	﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾	516
---------	----	----------------------------	-----

سورة العلق

77	1	﴿إِنَّ رَبَّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾	517
77	2	﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾	518
77	3	﴿أَفَرَا وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾	519
77	4	﴿الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَنِ﴾	520
77	5	﴿عَلِمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	521

ثانياً/ فهرس أطراف الحديث

م	طرف الحديث	ورود الحديث	رقم الصفحة
1	(أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم)	مسلم	335
2	(أتي النبي صلى الله عليه وسلم بإناء)	البخاري	383
3	(رأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه)	البخاري ومسلم	332
4	(أحب الكلام إلى الله تعالى أربع...)	مسلم	345
5	(اجتنبوا السبع الموبقات.....)	البخاري ومسلم	334
6	(أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء)	البخاري ومسلم	215
7	(أفلا أكون عبدا شكورا)	البخاري	384
8	(ألا أنتكم بأكبر الكبائر؟ ..)	البخاري ومسلم	333
9	(الحمد لله الذي كفانا وأروانا، غير مكفي)	البخاري	345
10	(الظهور شطر الإيمان، والحمد لله)	مسلم	345
11	(اللهم! أكثر ماله وولده)	مسلم	327
12	(اللهم أنج سلمة بن هشام)	البخاري	95
13	(اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك)	مسلم	346
14	(اللهم علّمه الحكمة)	مسلم	328
15	(اللهم فقّهه في الدين)	البخاري	328
16	(اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب)	البخاري	96
17	(أن أهل مكة سألوا رسول الله أن يريهم آية)	البخاري	382
18	(إن الله كره لكم ثلاثة: قيل وقال)	مسلم	334
19	(إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة)	مسلم	343
20	(أن امرأة أتت رسول الله فقالت....)	مسلم	351
21	(أن امرأة من جهينة، جاءت إلى النبي ..)	البخاري	351
22	(أن رجلا سأله النبي فأعطاه غنما)	مسلم	325

386	مسلم	(أن رسول الله رأى خاتما من ذهب)	23
386	البخاري	(أن رسول الله لما قدم مكة، أبى أن يدخل)	24
336	مسلم	(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه)	25
352	مسلم	(أن ناسا من أصحاب النبي قالوا)	26
383	البخاري	(انشق القمر على عهد رسول الله فرقتين)	27
331	البخاري ومسلم	(انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم)	28
389	البخاري	(أن قريشاً أهتمهم المرأة المخزومية)	29
336	البخاري	(إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها)	30
329	البخاري	(إن هذا اخترط سيفي وأننا نائم، فاستيقظت)	31
327	أبو داود	(أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل)	32
78	البخاري ومسلم	(بينما رسول الله يصلی عند البيت)	33
366	البخاري	(بينما نحن جلوس مع النبي في المسجد)	34
365	البخاري	(جاء رجل إلى رسول الله من أهل نجد)	35
360	البخاري ومسلم	(جاء رجل من بنى فزانة إلى النبي)	36
340	البخاري ومسلم	(دخلت امرأة النار في هرة ربطنها)	37
385	البخاري	(دخل النبي مكة يوم الفتح، وحول البيت)	38
337	البخاري	(دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء)	39
346	مسلم	(ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض)	40
40	الترمذى	(شيّبتنى هود، والواقعة، والمرسلات)	41
49	البخاري	(صارت الأوثان التي كانت في قوم)	42
384	البخاري	(صلوا كما رأيتمني أصلي)	43
383	البخاري	(عطش الناس يوم الحديبية)	44
381	البخاري ومسلم	(فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة)	45
75	البخاري ومسلم	(فلو كنت ثم لأربتكم قبره إلى جانب)	46

388	البخاري	(فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ)	47
328	البخاري	(قَسْمُ النَّبِيِّ قَسْمَةٌ كَعِصْمَةٍ مَا كَانَ يَقْسِمُ)	48
330	البخاري	(كَانَ غَلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ فَمُرِضَ)	49
337	البخاري ومسلم	(كَنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَيْهِ بَرْدٌ)	50
339	البخاري ومسلم	(كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قُتِلَ)	51
340	البخاري ومسلم	(اللَّهُ أَشَدُ فَرْحًا بِتَوْبَةِ عَبْدٍ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ)	52
388	البخاري ومسلم	(لَا تَدْخُلُوا عَلَى هُؤُلَاءِ الْمَعْذَبَيْنِ)	53
385	مسلم	(لَا تَأْخُذُوا عَنِّي مِنْ أَنْسَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي)	54
343	البخاري	(نَعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ)	55
164، 240، 378	البخاري ومسلم	(مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبَيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ)	56
370	البخاري	(مِثْلُ الْقَائِمِ عَلَى حَدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا)	57
372	البخاري	(مِثْلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ)	58
385	مسلم	(مِنْ رَأْيِكُمْ مِنْكُمْ مُنْكَرٌ فَلَا يَعْلَمُهُ بَيْدُهُ)	59
345	مسلم	(مِنْ سَبْحَ اللَّهِ فِي دَبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ)	60
329	أحمد	(مَنْ يَمْنَعُكُمْ مِنِّي؟ فَقَالُوا: كَنْ خَيْرًا آخِذُ)	61
96	البخاري	(مَلَأَ اللَّهُ بَيْوَتَهُمْ وَقَبُورَهُمْ نَارًا)	62
326	مسلم	(يَا بْنَى كَعْبَ بْنَ لَؤْيٍ، أَنْقُذُوكُمْ أَنْفُسَكُمْ)	63
208	البخاري ومسلم	(يَرْحَمُ اللَّهُ لَوْطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رَكْنٍ)	64

ثالثاً/ فهرس الأعلام المترجم لهم

رقم الصفحة	العلم	م
96	أبو بكر بن العربي	1
164	ابن حجر العسقلاني	2
372	بدر الدين العيني	3
45	سيد قطب إبراهيم	4
162	زكريا بن محمد الأنباري	5
40	عبد الرحمن السيوطي	6
368	محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)	7
151	محمد الطاهر بن عاشور	8
163	محمد متولي الشعراوي	9
46	مناع خليل القطان	10
106	يحيى بن شرف النووي	11
199	يوسف القرضاوي	12

رابعا / فهرس المراجع

• القرآن الكريم كتاب الله عز وجل

- 1- إتقان. **الإتقان في علوم القرآن**، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: 911 هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394 هـ / 1974 م
- 2- **أحكام القرآن**، لمحمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، (ت: 543 هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.
- 3- **أدب الأنبياء مع الخلق في القرآن الكريم**، لعبد الله الغامدي، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين شعبة التفسير في العام الجامعي: 1429 هـ – 1430 هـ، والرسالة لم تتول طبعها دار نشر.
- 4- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، (ت: 982 هـ)، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- 5- **أزمة العقل المسلم**، المؤلف: عبد الحميد أحمد أبو سليمان، الناشر: الدار العالمية لكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية (1412 هـ - 1992 م)
- 6- **أصول الدعوة وطرقها 3**، من مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية
- 7- **أطلس القرآن لشوقى أبو خليل**، (ت: 1431 هـ)، ط. دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، الطبعة الثانية (1423 هـ - 2003 م)
- 8- **أعلام الأعلام**، لخير الدين بن محمود بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، (ت: 1396 هـ)، ط دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر مايو 2002 م

9- **بداية . البداية والنهاية**، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، (ت: 774هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م.

10- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (ت: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: 1416هـ - 1996م

11- **تبیان. التبیان في أیمان القرآن**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت: 751هـ)، بتحقيق عبد الله بن سالم البطاطي، ط دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الرابعة، 1440هـ - 2019م.

12- **تحرير. التحریر والتنویر «تحریر المعنى السديد وتنویر العقل الجديد من تفسیر الكتاب المجید»**، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر - 1974م، تونس 1984هـ.

13- **تصوير. التصویر الفنی في القرآن**، لسيد قطب إبراهيم (ت: 1385هـ)، ط دار الشروق الطبعة السابعة عشرة عام 2004م

14- **تعريفات. التعريفات**، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، (ت: 531هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الطباعة: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م

15- **تفسير. التفسیر الوسيط للقرآن الكريم**، لمجموعة من العلماء بإشراف البحوث الإسلامية مجمع بالأزهر، ط الهيئة العامة لشئون المطبع الأميرية، الطبعة الأولى، (1393هـ - 1973) إلى (1414هـ - 1993م)

- 16- تفسير. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، (ت: 1431هـ)، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى (1997، 1998م).
- 17- تفسير. التفسير الوسيط، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، (ت: 1436هـ)، ط. دار الفكر - دمشق الطبعة الأولى - 1422 هـ.
- 18- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، (ت: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد السلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م
- 19- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، (ت: 1205هـ)، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت بدون تاريخ طباعة.
- 20- تفسير سورة الحجر، ليوسف القرضاوي (ت: 1444هـ)، الناشر مكتبة وهبة الطبعة الأولى (1433هـ - 2012)
- 21- تهذيب الأسماء واللغات، لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي، (ت: 676هـ)، ط دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 22- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ت: 1376هـ)، ط مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000م.
- 23- جامع. الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد الانصاري القرطبي، (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م.
- 24- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبرى، (ت: 310هـ)، ط. دار هجر الطبعة: الأولى، 2001م .

- 25- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت: 751هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة - الكويت الطبعة: الثانية، 1407هـ - م 1987.
- 26- حوار. آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ليحيى زرمي، ط دار التربية والتراث مكة المكرمة، ودار رمادي للنشر بالدمام الطبعة الأولى 1994م.
- 27- خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، ليوسف عبد الله القرضاوي، (ت: 1444هـ)، ط. دار الشروق الطبعة الأولى 1424هـ - 2004م
- 28- حلال. الحلال والحرام، ليوسف القرضاوي (ت: 1444هـ)، ط مكتبة وهبة، الطبعة الثانية والعشرون (1418هـ - 1997)
- 29- رحique. الرحique المختوم، لصفي الرحمن المباركفوروي، ط. دار الوفاء الطبعة العشرون 2009.
- 30- خصائص. الخصائص العامة للإسلام، ليوسف القرضاوي، (ت: 1444هـ)، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية (1404هـ - 1983م)
- 31- ديباج. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمرى، (ت: 799هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
- 32- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، لمحمد ضياء الأعظمي، ط مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثانية 2003م
- 33- دعوة الرسل عليهم السلام، لأحمد غلوش، (ت: 1396هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1423هـ - 2002م.

- 34- **ذيل طبقات الحنابلة**، لابن رجب زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي الحنبلـي، (ت: 795 هـ)، تـصـحـيـحـ: محمد حـامـدـ الـفـقـيـ، النـاـشـرـ: مـطـبـعـةـ السـنـةـ الـمـحـمـدـيـةـ، الـقـاهـرـةـ 1732 هـ - 1952 مـ.
- 35- **روح الرـوـحـ**، لمـحمدـ بـنـ أـبـيـ بـكـرـ بـنـ أـبـيـ يـأـوـبـ بـنـ سـعـدـ شـمـسـ الدـيـنـ اـبـنـ قـيـمـ الجـوزـيـةـ، (ت: 751 هـ) طـ دـارـ الـكـتبـ الـعـلـمـيـةـ - بـيـرـوـتـ.
- 36- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسـبـعـ المـثـانـيـ**، لـشـهـابـ الدـيـنـ مـحـمـودـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ الحـسـينـيـ الـأـلوـسـيـ، (ت: 1270 هـ)، تـحـقـيقـ: عـلـيـ عـبـدـ الـبـارـيـ عـطـيـةـ النـاـشـرـ: دـارـ الـكـتبـ الـعـلـمـيـةـ - بـيـرـوـتـ الطـبـعـةـ الأولىـ، 1415 هـ.
- 37- **زـهـرـةـ التـفـاسـيرـ**، لمـحمدـ بـنـ أـبـيـ حـمـدـ بـنـ مـصـطـفـىـ بـنـ أـبـيـ زـهـرـةـ، (ت: 1394 هـ)، دـارـ الـطـبـاعـةـ: دـارـ النـشـرـ: دـارـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ زـهـرـةـ، (ت: 1394 هـ)، دـارـ الـطـبـاعـةـ: دـارـ النـشـرـ: دـارـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ
- 38- **سـيـرـةـ السـيـرـةـ النـبـوـيـةـ**، لـعـبـدـ الـمـلـكـ بـنـ هـشـامـ بـنـ أـبـيـ يـأـوـبـ الـحـمـيرـيـ الـمـعـافـرـيـ، أـبـوـ مـحـمـدـ جـمـالـ الدـيـنـ، (ت: 213 هـ)، بـتـحـقـيقـ: طـهـ عـبـدـ الرـؤـوفـ سـعـدـ، طـ شـرـكـةـ الـطـبـاعـةـ الـفـنـيـةـ الـمـتـحـدـةـ.
- 39- **سـنـنـ أـبـيـ دـاوـودـ**، لأـبـيـ دـاوـودـ، سـلـيـمانـ بـنـ إـسـحـاقـ بـنـ بـشـيرـ الأـزـديـ السـجـسـتـانـيـ، (ت: 275 هـ)، تـحـقـيقـ: مـحـمـدـ مـحـيـيـ الدـيـنـ عـبـدـ الـحـمـيدـ، النـاـشـرـ: الـمـكـتـبـةـ الـعـصـرـيـةـ، صـيـداـ - بـيـرـوـتـ، بـدـونـ تـارـيخـ طـبـاعـةـ.
- 40- **سـنـنـ التـرـمـذـيـ**، لمـحمدـ بـنـ عـيـسـىـ بـنـ سـوـرـةـ بـنـ مـوـسـىـ بـنـ الضـحـاكـ، التـرـمـذـيـ، (ت: 279 هـ)، طـ دـارـ الـغـرـبـ الـإـسـلـامـيـ - بـيـرـوـتـ طـبـعـةـ 1998 مـ.
- 41- **شـدـرـاتـ الـذـهـبـ فـيـ أـخـبـارـ مـنـ ذـهـبـ**، لـعـبـدـ الـحـيـ بـنـ أـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـمـادـ الـعـكـريـ الـحـنـبـلـيـ، (ت: 1089 هـ)، تـحـقـيقـ: مـحـمـودـ الـأـرـنـاؤـوـطـ، وـخـرـجـ أـحـادـيـثـهـ: عـبـدـ الـقـادـرـ الـأـرـنـاؤـوـطـ، النـاـشـرـ: دـارـ بـنـ كـثـيرـ، دـمـشـقـ - بـيـرـوـتـ، الطـبـعـةـ الأولىـ (1406 هـ - 1986 مـ)

42- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (ت: 256 هـ)، بتحقيق د. مصطفى ديب البغاء، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق الطبعة: الخامسة، 1414 هـ - 1993 م

43- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت: 261 هـ)، بتحقيق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصارى - وآخرون، الناشر: دار الطباعة العامرة - تركيا عام النشر: 1334 هـ.

44- صحيح. الصحيح المسند من أسباب النزول، لمقبل بن هادي الوادعي، (ت: 1422 هـ)، ط مكتبة صنعاء الأثرية الطبعة الثانية 1425 هـ، 2004 م

45- صحاح. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى، (ت: 393 هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م.

46- ضوء. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، (ت: 902 هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، بدون تاريخ نشر.

47- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى، (ت: 771 هـ)، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمد الطلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، 1413 هـ.

48- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، (ت: 751 هـ)، حققه: محمد أجمل الإصلاحى وآخرون، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الرابعة، 1440 هـ - 2019 م (الأولى لدار ابن حزم)

49- عبرة. العبرة من قصة موسى - عليه السلام، لمحمد خيري عدوى، وهو في الأصل رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الملك عبد العزيز كلية الشريعة والدراسات الإسلامية سنة 1980، 1979 م.

50- علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، لأحمد بن مصطفى المراغي ط دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان الطبعة الثالثة 1993م.

51- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، (ت: 855 هـ)، عنيت بنشره وتصحیحه وتعليق عليه: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغاثا الدمشقي وصورتها دور أخرى: مثل (دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر) - بيروت.

52- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت: 852 هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وتصحیح تجاربه: محب الدين الخطيب الناشر: المكتبة السلفية - مصر الطبعة: «السلفية الأولى»، 1380 هـ - 1390 هـ.

53- فتح الرحمن بكشف ما التبس من القرآن، لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنوي المصري، (ت: 926 هـ)، تحقيق الدكتور محمد علي الصابوني، ط: دار القرآن الكريم بيروت 1983م.

54- فتح القدیر، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (ت: 1250 هـ)، ط دار ابن كثير، دار الكلم الطیب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414 هـ.

55- في ظلال القرآن، لسيد قطب، (ت: 1385 هـ)، ط دار الشروق الطبعة السابعة عشرة 1992

56- قصص الأنبياء، لعبد الوهاب النجاشي (ت: 1862 هـ)، ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان الطبعة الأولى (1425-2005)

57- قاموس **المحيط**، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادی، (ت: 1817 هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط مكتبة الرسالة، الطبعة الثامنة (1246هـ-2005)

- 58- قدوة. القدوة مبادئ ونماذج، لصالح بن عبد الله بن حميد، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
- 59- قصة. القصة في القرآن، لمحمد سيد طنطاوي، (ت: 1431 هـ)، ط. نهضة مصر، الطبعة الأولى 1996 م
- 60- قصص. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، لصلاح الخالدي (ت: 1443 هـ)، ط دار القلم دمشق الطبعة الأولى 1998 م
- 61- كشاف. الكشاف عن حقائق غواصات التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، (ت: 538 هـ)، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة: الثالثة 1407 هـ - 1987 م.
- 62- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت 741 هـ) تصحيف: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1415 هـ
- 63- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، (ت: 711 هـ)، ط دار المعارف.
- 64- محرر. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطيه الأندلسي المحاربي (ت: 542 هـ)، ط دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - 1422 هـ
- 65- مدخل. المدخل إلى علم الدعوة، لمحمد أبو الفتح البيانوني، (ت: 1396 هـ)، ط. الشؤون الإسلامية بقطر الطبعة الرابعة 1997 م.
- 66- مستفاد. المستفاد من القصص القرآني للدعوة والدعاة، لعبد الكريم زيدان، (ت: 1435 هـ)، ط الرسالة الطبعة الأولى 1998.

67- معجم الوسيط، الصادر من مجمع اللغة العربية بالقاهرة،
الناشر مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة (1425هـ-2004)

68- مفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد
المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت: 502هـ)، تحقيق صفوان عدنان
الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى -
1412هـ

69- منهاج المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لمحبي الدين يحيى بن
شرف النووي، (ت: 676هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي -
بيروت الطبعة: الثانية، 1392هـ.

70- مواهب المواهب اللدنية بالمنج المحمدية، لأحمد بن محمد بن أبي
بكر بن عبد الملك القسطلاني القمي المصري، (ت: 923هـ)، الناشر:
المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر

71- موسوعة الموسوعة الفقهية الكويتية، الصادرة عن: وزارة
الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ)

72- مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، (ت: 1420هـ)، ط مكتبة وهبة
الطبعة الحادية عشرة عام 2000م.

73- مجموع الفتاوى، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، (ت:
728هـ)، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمة الله
وساعده: ابنه محمد، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
- المدينة المنورة - السعودية عام النشر: 1425هـ - 2004م.

74- مدارج السالكين في منازل السائرين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن
قيم الجوزية، (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، وأخرون.
الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة:
الثانية، 1441هـ - 2019م (الأولى لدار ابن حزم)

- 75- مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب، ط دار المعرفة للطباعة والنشر،
بيروت. الطبعة الأولى، 1401هـ / 1981م
- 76- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن محمد بن حنبل، (ت: 241هـ)،
بتحقيق شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وأخرون، الناشر: مؤسسة
الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
- 77- معاج التفكير ودقائق التدبر، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (ت:
1425هـ)، ط دار القلم – دمشق الطبعة الأولى 2006م.
- 78- معلم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن
محمد بن الفراء البغوي، (ت: 516هـ)، بتحقيق عبد الرزاق المهدى، ط
دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ.
- 79- معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت بن عبد الله
الرومي الحموي، (ت: 626هـ)، بتحقيق: إحسان عباس الناشر: دار
الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م
- 80- معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الرומי الحموي، (ت: 626هـ)،
الناشر: دار صادر، بيروت، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية
1995م
- 81- معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد
بن يحيى بن مهران العسكري (ت: 395هـ)، تحقيق محمد إبراهيم سليم،
ط دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
- 82- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي،
(ت: 395هـ)، أبو الحسين تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار
الفكر عام النشر: (1399هـ - 1979م).
- 83- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن
بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، (ت: 606هـ)، ط
دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - 1420 هـ

84- من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، لعبد الله العقيل، ط دار البشير الطبعة السابعة 2008م.

85- مناهج البحث العلمي، لعبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، الطبعة الثالثة 1977 م

86- من بلاغة القرآن المعاني -البيان - البداع، لمحمد شعبان علوان، والدكتور نعمان شعبان علوان، ط الدار العربية للنشر والتوزيع الطبعة الثانية 1998 م

87- نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة: الرابعة.

88- هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، لعلي محفوظ، (ت: 1361هـ)، طبعة دار الاعتصام الطبعة التاسعة 1399 هـ - 1979 م.

89- وافي. الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، (ت: 764هـ)، بتحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى الناشر: دار إحياء التراث - بيروت عام النشر: 1420هـ - 2000م.

90- وجيز. الوجيز في أصول الفقه، لوهبة الزحيلي (ت: 1436هـ)، ط دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر دمشق، إعادة الطبعة الأولى 1419هـ، 1999 م

فهرس الموضوعات

الصفحة	فهرس الموضوعات
2	الإهداء
3	شكر وتقدير
4	ملخص الرسالة بالعربية
5	Summary of the thesis
7	المقدمة
35	الفصل التمهيدي
36	المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث
39	المبحث الثاني: التعريف بالسورة وفضلها وآياتها ووقت نزولها
41	المبحث الثالث: استعراض السورة وقضاياها الرئيسية
43	المبحث الرابع: بيان لأهمية القصص القرآني من خلال سورة هود، والحكمة من تكرار القصص في القرآن الكريم.
48	المبحث الخامس: تعريف موجز بالرسل الواردين في السورة
49	1- نوح - عليه السلام-
53	2- هود - عليه السلام-
55	3- صالح- عليه السلام-
57	4- لوط- عليه السلام-
60	5- شعيب- عليه السلام-
62	6- موسى- عليه السلام-
76	7- خاتم الأنبياء والمرسلين محمد – صلى الله عليه وسلم-
81	الباب الأول: المناهج الدعوية في رسالة نوح - عليه السلام-

82	الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة نوح- عليه السلام-
83	المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة
84	المطلب الأول: تعريف معنى الرفق
84	المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)
85	المطلب الثالث: وصف الله له بأنه أخوههم
85	المطلب الرابع: ندائه على ابنه (يابني)
86	المطلب الخامس: إظهار الخوف والشفقة على قومه
86	المطلب السادس: الدعاء لوالديه وللمؤمنين والمؤمنات.
87	المبحث الثاني/ الترغيب
88	المطلب الأول: تعريف معنى الترغيب
88	المطلب الثاني: الترغيب في قبول الحق
92	المطلب الثالث: حثهم على الاستغفار
92	المطلب الرابع: الترغيب في ذكر الله عند ركوب السفينة
93	المبحث الثالث/ الترهيب
93	المطلب الأول: تعريف معنى الترهيب
94	المطلب الثاني: الترهيب من عذاب الله
94	المطلب الثالث: الدعاء على العصاة بالهلاك
97	المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله
97	المطلب الأول: تعريف معنى التذكير بنعم الله.
98	المطلب الثاني: نعمة الخلق أطوارا
99	المطلب الثالث: نعمة خلق السماوات والأرض والشمس والقمر
99	المطلب الرابع: نعمة جعل الأرض مبسوطة والسبيل الفجاج
100	المطلب الخامس: التذكير بحمد الله على النجاة.

101	الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة نوح-عليه السلام-
102	تعريف المنهج العقلي لغة واصطلاحا
103	المبحث الأول/ الاستفهام
103	المطلب الأول: تعريف الاستفهام
104	المطلب الثاني: تعجب نوح من إنكار قومه أن الله أرسله إليهم
105	المطلب الثالث: تقرير أنه رسول من الله واستنكار إعراضهم
105	المطلب الرابع: استنكاره عليهم أنهم لا يرجون الله وقارا
106	المطلب الخامس: تقريره لهم بأن الله هو خالق السماوات والأرض
106	المبحث الثاني/ الجدال
106	المطلب الأول: تعريف الجدال
107	المطلب الثاني: اتهامه بأنه في ضلال مبين
109	المطلب الثالث: عييه بأنه بشر مثلهم واتباعه من أراذل القوم
111	المبحث الثالث/ الحوار
111	المطلب الأول: تعريف الحوار
112	المطلب الثاني: حواره مع قومه
115	المطلب الثالث: حواره مع ولده
117	المطلب الرابع: حواره مع رب العالمين
119	الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة نوح-عليه السلام-
120	تعريف المنهج الحسي لغة واصطلاحا
121	المبحث الأول/ الاستغفار سبب للنعم
121	المطلب الأول: تعريف الاستغفار
121	المطلب الثاني: ثمرات الاستغفار
122	المبحث الثاني/ الاستدلال على عظمة الله بالآيات الكونية

123	المطلب الأول: آيات الله في الكون المنظور
123	المطلب الثاني: آية خلق السماوات والأرض
124	المطلب الثالث: آيتا الشمس والقمر
124	المطلب الرابع: آية الخلق من الأرض والعودة إليها ثم البعث والنشور
125	المطلب الخامس: آية بسط الأرض
125	المبحث الثالث/ سفينة النجاة (الفلك المشحون)
126	المطلب الأول: أمر الله لنوح ببناء السفينة
126	المطلب الثاني: صنع السفينة بعناية الله ووحيه
127	المطلب الثالث: احمل فيها من كل زوجين اثنين
127	المطلب الرابع: وفار التنور
129	المطلب الخامس: وهي تجري بهم في موج كالجبال
130	الباب الثاني: المناهج الدعوية في رسالة هود - عليه السلام-
131	الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة هود-عليه السلام-
132	المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة
132	المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوه
133	المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)
133	المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه
133	المبحث الثاني/ الترغيب
134	المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله
134	المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار
135	المبحث الثالث/ الترهيب
135	المطلب الأول: الترهيب من عذاب عظيم

136	المطلب الثاني: الترهيب بأن يحل غضب الله بهم
137	المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله
137	المطلب الأول: التذكير بأن الله جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح
138	المطلب الثاني: التذكير بأن الله أدمهم بأنعام وبنين وجنات وعيون
139	الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة هود- عليه السلام-
140	المبحث الأول/ الاستفهام
141	المطلب الأول: أفلأ تتقون؟
141	المطلب الثاني: إنكاره عليهم عجبهم أن الله أرسله إليهم
141	المطلب الثالث: إنكاره عبادة قومه أصناما سموها آلهة تقليدا لآبائهم
142	المطلب الرابع: إنكاره عدم إعمال عقولهم، وأنه لا يريد لهم إلا الخير
142	المطلب الخامس: إنكاره العبث في كل بناء يبنونه
143	المبحث الثاني/ الجدال
143	المطلب الأول: شبهة اتهامه بالسفاهة والكذب
145	المطلب الثاني: شبهة إبطاله لعبادة آلهتهم التي عبدها آباؤهم من قبل
146	المطلب الثالث: شبهة أنه لم يأتهم ببينة وتهديده أن تنتقم منه الآلة
150	المطلب الرابع: شبهة أن رسولهم بشر وليس من الملائكة
152	المبحث الثالث/ الحوار
152	المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة هود – عليه السلام
154	المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار

156	الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة هود- عليه السلام-
157	المبحث الأول/ الاعتبار بالسابقين
157	المطلب الأول: تعريف الاعتبار
158	المطلب الثاني: حث هود قومه على الاعتبار بالسابقين
158	المبحث الثاني/ التحذير من اتخاذ النعم سبباً للترف والطغيان
158	المطلب الأول: العبث في البناء رغبة في التفاخر
159	المطلب الثاني: اتخاذهم المصانع وكأنهم مخلدون بالدنيا
159	المطلب الثالث: إفراطهم في الأذى والظلم
161	المبحث الثالث/ هل كان لهود معجزة؟
161	المطلب الأول: تعريف المعجزة
161	المطلب الثاني: أقوال العلماء في معجزة هود – عليه السلام-
165	الباب الثالث: المناهج الدعوية في رسالة صالح -عليه السلام-
166	الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة صالح-عليه السلام-
167	المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة
167	المبحث الثاني / الترغيب
168	المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله
168	المطلب الثاني: الترغيب في الاستغفار
169	المبحث الثالث/ الترهيب
169	المطلب الأول: الترهيب من مس الناقة بسوء
170	المطلب الثاني: توعدهم بوقوع العذاب بهم بعد عقر الناقة
170	المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله

171	المطلب الأول: نعمة الخلق والإيجاد
171	المطلب الثاني: نعمة الاستخلاف بعد عاد
172	المطلب الثالث: إمداد الله لهم بالقدرة والتمكين في الأرض
173	المطلب الرابع: نعمة الأمان والإمداد بالماء العذب والزروع والثمار
175	الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة صالح- عليه السلام-
176	المبحث الأول/ الاستفهام
177	المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.
177	المطلب الثاني: استنكاره دعوة قومه له أن يترك الرسالة
177	المطلب الثالث: انكاره عليهم تمعنهم بالنعم وكفرهم بالله
178	المطلب الرابع: إنكاره عليهم العناد والتكذيب وعدم التوبة إلى الله
178	المبحث الثاني/ الجدال
179	المطلب الأول: التشكيك في دعوته إلى التوحيد وترك آلهتهم
181	المطلب الثاني: ادعاؤهم أن نبيهم من المسحرين
182	المطلب الثالث: أن رسولهم بشر مثلهم وأنه كذاب أشر
183	المطلب الرابع: التشاوُم من نبيهم صالح- عليه السلام-
183	المطلب الخامس: تشكيك المستكبرين للمؤمنين في اتباعهم لنبيهم.
185	المبحث الثالث/ الحوار
185	المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة صالح – عليه السلام
187	المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار
188	الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة صالح- عليه السلام-
189	المبحث الأول/ معجزة الناقة

190	المبحث الثاني/ الاعتبار بالسابقين
191	الباب الرابع: المناهج الدعوية في رسالة لوط - عليه السلام-
192	الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة لوط - عليه السلام-
193	المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة
193	المطلب الأول: نداء لوط على قومه (يا قوم)
193	المطلب الثاني: التعبير عنه بلفظ (أخوهم لوط)
194	المطلب الثالث: تسميتها لنساء قومه بـ (بناتي)
195	المبحث الثاني/ الترغيب
195	المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله وطاعة رسولهم
196	المطلب الثاني: هل دعا لوط قومه للتوحيد؟
197	المطلب الثالث: ما الحكمة أن القرآن لم ينص على أنه قال لقومه كما قال غيره من الأنبياء: (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)؟
197	المبحث الثالث/ الترهيب
198	المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله
200	الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة لوط - عليه السلام-
201	المبحث الأول/ الاستفهام
201	المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله
202	المطلب الثاني: إنكاره عليهم فعل الفاحشة
203	المطلب الثالث: إنكاره عليهم تعرضهم لضيوفه
203	المبحث الثاني/ الجدال
203	المطلب الأول: قولهم عن آل لوط: "إنهم أناس يتظاهرون"
204	المطلب الثاني: رفضهم الزواج من النساء
206	المبحث الثالث/ الحوار

206	المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة لوط - عليه السلام
208	المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار
209	الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة لوط - عليه السلام.
210	المبحث الأول / هل كان لوط - عليه السلام - معجزة؟
210	المبحث الثاني / طمس أعين القوم الذين راودوه عن ضيفه
211	الباب الخامس: المناهج الدعوية في رسالة شعيب - عليه السلام.
212	الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة شعيب - عليه السلام.
213	المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة
213	المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوه
215	المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)
216	المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه
216	المبحث الثاني/ الترغيب
216	المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله
217	المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار والتوبة
218	المبحث الثالث/ الترهيب
218	المطلب الأول: الترهيب من عذاب يوم محيط
219	المطلب الثاني: الترهيب من عاقبة تكذيب رسولهم
220	المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله
220	المطلب الأول: التذكير بما وسع الله عليهم من الخيرات والنعم
221	المطلب الثاني: التذكير بنعمة الخلق من العدم
221	المطلب الثالث: التذكير بتكثير الله لهم

222	الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة شعيب-عليه السلام-
223	المبحث الأول / الاستفهام
223	المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.
223	المطلب الثاني: أو لو كنا كارهين؟
224	المطلب الثالث: أرهطي أعز عليكم من الله؟
225	المبحث الثاني/ الجدال
225	المطلب الأول: استنكار ما يأمرهم به من التوحيد والأمانة وعدم الغش
227	المطلب الثاني: ادعاؤهم أن نبيهم من المسحرين وأنه بشر مثلهم
228	المطلب الثالث: التمسك بملة الكفر والتهديد بالنفي
230	المطلب الرابع: ادعاؤهم عدم فهم كلامه وأنه فيهم ضعيف
232	المبحث الثالث / الحوار
232	المطلب الأول: أهم نقاط الحوار في دعوة شعيب – عليه السلام-
236	المطلب الثاني: التعقيب على الحوار
238	الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة شعيب-عليه السلام-
239	المبحث الأول/ البينة التي جاء بها قومه
240	المبحث الثاني/ القدوة العملية
240	المطلب الأول: تعريف معنى القدوة.
241	المطلب الثاني: شعيب قدوة لقومه.
242	المبحث الثالث/ الاعتبار بالسابقين
243	الباب السادس: المناهج الدعوية في رسالة موسى -عليه السلام-
244	الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة موسى -عليه السلام-
245	المبحث الأول: الرفق وإظهار العاطفة

245	المطلب الأول: الرفق واللين مع فرعون الطاغية
246	المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)
247	المبحث الثاني: الترغيب
247	المطلب الأول: الترغيب في شكر نعم الله وأنه سبب المزيد
248	المطلب الثاني: توبته إلى الله من القتل الخطأ
249	المطلب الثالث: حث قومه على الاستعانة بالله والصبر على البلاء
251	المطلب الرابع: حث قومه على الاستغفار والتوبة بعد عبادة العجل
252	المبحث الثالث: الترهيب
252	المطلب الأول/ الترهيب من عذاب الله لمن كذب وتولى
253	المطلب الثاني/ الترهيب من الافتراء على الله كذبا
254	المبحث الرابع: التذكير بنعم الله
254	المطلب الأول: تذكير الله -عز وجل- عبده موسى بننعمه عليه
257	المطلب الثاني: تذكير موسى لفرعون وقومه نعم الله عليهم
258	المطلب الثالث: تذكير موسى لبني إسرائيل بنعم الله عليهم
265	الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة موسى -عليه السلام-
266	المبحث الأول/ الاستفهام
266	المطلب الأول: الاستفهام للتشويق في خطابه لفرعون
267	المطلب الثاني: إنكاره على قومه لطلبهم طعاما غير المن وسلوى
268	المطلب الثالث: إنكاره على قومه في طلبهم تقليد عبادة العجل
268	المطلب الرابع: إنكاره على قومه عبادة العجل
269	المطلب الخامس: إنكاره على أخيه هارون أنه لم يمنع عبادتهم العجل

269	المطلب السادس: إنكاره على السامری إيقاع قومه في الشرك
270	المبحث الثاني/ الجدال
270	المطلب الأول: مجادلة موسى -عليه السلام- مع فرعون
278	المطلب الثاني: مجادلة موسى -عليه السلام- مع السحرة
283	المطلب الثالث: مجادلة موسى -عليه السلام- مع قومه بني إسرائيل
290	المطلب الرابع: مجادلة موسى -عليه السلام- لقومه في عبادة العجل
292	المطلب الخامس: مجادلة موسى لأخيه هارون
294	المطلب السادس: مجادلة موسى -عليه السلام- للسامري
299	المبحث الثالث/ الحوار
299	المطلب الأول: حوار موسى مع الله جل جلاله بالوادي المقدس
304	المطلب الثاني: حوار موسى مع الله- تبارك وتعالى- بجبل الطور
307	الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة موسى -عليه السلام-
308	المبحث الأول/ الآيات والمعجزات الحسية
308	المطلب الأول: ما حدث مع فرعون وقومه
312	المطلب الثاني: ما حدث من معجزات مع بني إسرائيل
319	المبحث الثاني/ تغيير المنكر باليد (حرق العجل)
319	المطلب الأول: تعريف معنى المنكر.
319	المطلب الثاني:نبي الله موسى يحرق العجل.
320	المبحث الثالث/ الاعتبار بمصارع الظالمين
322	الباب السابع: المناهج الدعوية في رسالة خاتم الأنبياء
323	الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة خاتم الأنبياء

324	المبحث الأول/ تأليف القلوب
325	المطلب الأول: تعريف مفهوم تأليف القلوب
325	المطلب الثاني: تأليف القلوب بالمال.
326	المطلب الثالث: الحرص على دعوة الأقربين.
327	المطلب الرابع: التودد إلى الناس.
327	المطلب الخامس: تأليف القلوب بالدعاء.
328	المطلب السادس: تأليف القلوب بالغفو.
330	المطلب السابع: تأليف القلوب بزيارة المرضى.
330	المبحث الثاني/ الترغيب
331	المطلب الأول: الترغيب في الثواب الجزيل من الله
331	المطلب الثاني: العمل الصالح سبب للنجاة من الشدائ
332	المطلب الثالث: العمل الصالح سبب لتكفير السيئات
333	المبحث الثالث/ الترهيب
333	المطلب الأول: الترهيب من الشرك بالله
334	المطلب الثاني: الترهيب من الإسراف والتبذير
335	المطلب الثالث: الترهيب من الغيبة
335	المبحث الرابع/ الرفق وإظهار العاطفة
336	المطلب الأول: رفقه بالأمهات في الصلاة
337	المطلب الثاني: رفقه بالأعرابي الذي بال في المسجد
337	المطلب الثالث: رفقه بالأعرابي الذي جذبه من ثوبه
338	المبحث الخامس/ القصص العاطفية
338	المطلب الأول: قصة الرجل الذي قتل مئة نفس
340	المطلب الثاني: فرح الله بتوبة عبده

340	المطلب الثالث: دخلت امرأة النار في هرة
341	المبحث السادس/ التذكير بنعم الله
341	المطلب الأول: حديث القرآن عن نعم الله
343	المطلب الثاني: التذكير بحمد الله على نعمه كلما تجددت النعم
343	المطلب الثالث: التتبّيه على عظم بعض النعم
344	المطلب الرابع: الحث على دوام شكر الله على النعم بالحمد
347	الفصل الثاني: المنهج العقلي في خاتم الأنبياء والمرسلين
348	المبحث الأول/ أسلوب القياس
349	المطلب الأول: تعريف القياس لغة واصطلاحا
349	المطلب الثاني: مثل عيسى كمثل آدم
350	المطلب الثالث: ضرب المثل في قدرة الله على إحياء الموتى
351	المطلب الرابع: استعمال النبي - صلى الله عليه وسلم- للقياس
352	المبحث الثاني/ أسلوب الجدال
353	المطلب الأول: بعض الشبهات الواردة في القرآن والرد عليها:
358	المطلب الثاني: بعض الشبهات الواردة في السنة والرد عليها
361	المبحث الثالث/ أسلوب الحوار
362	المطلب الأول: حوار النبي مع المشركين
363	المطلب الثاني: حوار النبي مع أهل الكتاب
365	المطلب الثالث: حوار النبي مع أعرابي من نجد
367	المبحث الرابع/ أسلوب ضرب الأمثال
367	المطلب الأول: تعريف "ضرب الأمثال" لغة واصطلاحا
368	المطلب الثاني: مثل مضاعفة ثواب الصدقة
369	المطلب الثالث: مثل المؤمن ومثل الكافر

370	المطلب الرابع: مَثُلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا
372	المطلب الخامس: مثُل المؤمن والمنافق مع القرآن
374	الفصل الثالث: المنهج الحسي في خاتم الأنبياء والمرسلين
375	المبحث الأول/ لفت الحس إلى النظر والتأمل
378	المبحث الثاني/ المعجزات الحسية
378	المطلب الأول: المعجزة الخالدة: القرآن
380	المطلب الثاني: معجزة الإسراء والمراج
382	المطلب الثالث: معجزة انشقاق القمر
383	المطلب الرابع: معجزة تكثير الماء
384	المبحث الثالث/ القدوة العملية
385	المبحث الرابع/ تغيير المنكر باليد
386	المبحث الخامس/ الاعتبار بالسابقين
386	المطلب الأول: حث القرآن الكريم على الاعتبار بالأمم السابقة
388	المطلب الثاني: حث النبي على الاعتبار بالأمم السابقة
390	الخاتمة
391	نتائج الدراسة، والتوصيات
396	فهرس الآيات القرآنية
428	فهرس الأحاديث النبوية
431	فهرس الأعلام المترجم لهم
432	فهرس المراجع
443	فهرس الموضوعات